جامعة الجزائر
معهد اللغة و الادب العربي

دراسة..
بعض ألفاظ الحضارة
في ضوء علم الدلالة

من خلال كتاب البخلاء للجاحظ

بحث تقدم به الطالب : بن حويلي ميدني

لنيل شهادة دكتوراه حلقة ثالثة

تحت اشراف الدكتور : عاطف عبد الهادي علام

الجزائر

1411 هـ — 1990 م

بسم الله الرحمن الرحيم

أمر طبع

أنا الدكتور عاطف عبد الهادي سلام أعطي الإذن بالطبع للطالب: حسن حويلي ميدني، الذي أعد تحت إشرافي رسالة دكتوراة الحلقة الثالثة بعنوان:

"دراسة لبعض ألفاظ الحضارة في ضوء علم الدلالة من خلال كتاب البخلاء للجاحظ"

وذلك بعد أن انتهى من إعدادها، ووافقت عليها لاشتمالها على المتطلبات اللازمة لنيل مثل هذه الدرجة.

وهران في

٢/٧/١٩٩٠م

توقيع الأستاذ المشرف

مقدّمة

- مدخل
- مسوغات اختيار البحث
- الجاحظ وكتابه « البخلاء »
  المدونة
- دراسة المفردات
- مناهج البحث
- محتويات الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا ، على أنه يسّر لنا سبل طلب العلم، والتزوّد منه ، ونصلّي ونسلّم على أفضل خلق الله، سيّد البشر، وشاديها ، ومنقذها من الضلال والبهتان .

وبعد : فلقد كان السلف الصالح من أمّتنا العربية الإسلامية شديد الحرص على تدبّر معاني العربية ، مجتهدا في خدمتها . وقد كان الثعالبي - رحمه الله - يعتقد بأنّه " من أحبّ الله، أحبّ رسوله المصطفى (صلعم) ، ومن أحبّ النبيّ العربي ، أحبّ العرب، ومن أحبّ العرب أحبّ اللغة العربية التي نزل بها أفضل الكتب على أفضل العجم والعرب، ومن أحبّ العربية عني بها ، وثابر عليها ، وصرف همّته إليها . . والإقبال على تفهّمها من الديانة . . إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقّه في الدّين " . . (1)

وقد كان أئمّة التشريع الإسلامي أئمّة في اللغة وعلومها ، قبل أن يكونوا أئمّة في التشريع . . . نهلوا من معين العربية صافيا ، وتغلغل حبّها في نفوسهم، فقد روي عن الإمام مالك (ض) أنه قال:- " لو عِشْتُ من الفَهْم في غَايَةٍ ، ومن العلمِ في نِهَايَةٍ ، فإنّ ذلك يرجع إلى أصلين : كتاب الله العزيز، وسنّة رسول الله (صلعم) ، ولا سبيلَ إليهما ، وإلى الرسوخ فيهما إلّا بمعرفة اللسانِ العربي ، فيه أنزل الله كتابه، وشرع لعباده أحكامَ أصلِ الدينِ ، وفرعِ الشريعةِ، فمن الحقِّ الواجبِ ، المهمّ اللّازم للمؤمن أن يَتَقَدَّمَ في تعلّمِ اللسان العربي ، فلو أنّ الرّجلَ يكون عالمًا بسائرِ العلومِ، جاهلا به ، لكان كالسّاري ، وليس له ضياء " . . (2)

كما كان الإمام الشافعي - رحمه الله - يطالب الفقهاء والولاة والقضاة بإتقان اللغة العربية، لكي يَفْهَمُوا النّصوص، حقّ الفهم " فمن لا يتقن العربية غير جدير بالتّطرّق للشريعة، وهو يعني بإتقان العربية، إتقان علومها ، من نحو، وصرف وفقه لغة ، وبلاغة . . " (3)

إنّ ضعف هذه اللّغة من ضعف أبنائها ، وقوّتها من قوّتهم، وكرامتها من كرامتهم، وقيمتها تستمدّ من الإيمان بها ، والإخلاص لها .

---

1) مقدمة كتاب " فقه اللغة وأسرار العربية " للثعالبي . . ص 2

2) انتصار الفقير السالك : شمس الدين محمد الراعي الاندلسي ط/1981 ، ص 51

3) أئمّة الفقه التسعة : عبد الرحمن الشرقاوي ، ط/ 1981 ، ص 157

مشـسوّغات اختيار البحث في آثار الجاحظ

بعد تفكير جدّي في طبيعة الموضوع، رسا اختيارنا على الجاحظ وأعماله، لاعتبارات كثيرة أهمها :

1) طبيعة الجاحظ الشخصية ، وقدراته الفكرية والعلمية .

2) القيمة المتميّزة لأعماله الأدبية، وشهرتها في اللغة والأدب .

3) طبيعة العصر الذي عاش فيه، وما تميّز به من رقيّ حضاري ولغوي .

4) مميّزات العصر الذي نعيش فيه نحن ، ومتطلّباته اللغويّة .

١) الجـاحـظ : ـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الفُقَيمي البصري الملقّب بالجاحظ، لجحوظ عينيه، اختلف المؤرّخون ، وأغلبهم على أنّه ولد سنة (159هـ) الموافق (775م) بالبصرة، مهد العلم والأدب، وذلك بداية خلافة المهدي ، الخليفة العبّاسي الثالث .

طلب العلم أولاً في الكتاتيب، والحلقات في المساجد ، واتّصل بأكبر علماء زمانه في اللغة والأدب وفي مختلف فنون المعرفة، كالبلاغة، ومنهج البحث ، وتميّز بسعة الاطّلاع، وتحرير العقل ، وربّما فاق أستاذه (النّظام) في اطّلاعه على كتب الثقافة اليونانية وغيرها . . (1) ،، وحذق الثقافة الفارسية (2) .

وأُعجِبَ الأدباءُ بأسلوب الجاحظ في الكتابة والحياة عموما ، فألّفوا كتبا في تقريضه . (3) ،، وكان من عادة الوزير ابن العميد أكبر كتّاب الرسائل الديوانية إذا حضر مجلسه أحد منتحلي العلم وأراد امتحان عقله، سأله عن بغداد ، وعن الجاحظ . . (4) ،، .

وفي كثير ممّا ألّف من كتب يأخذك من يدك ليطلعك على الحياة الاجتماعية ، ويجعلك تتذوّق حلاوتها ، ومرارتها ، وتعيش ما فيها . وقد ألّف أكثر من (350) كتابا ، صوّر فيها جميع مظاهر الحياة ونشاطها في المجتمع الإسلامي ، وفي كلّ ذلك ، فهو متّسع الرواية ، مائل إلى الفكاهة ، حريص على تصوير الواقع بصدق ، معتمدا في عرضه على الجدل المنطقي ، في لغة حلوة متميّزة ـ أحياناـ . . بالاستطراد ، فلقت هذه الطريقة هوى في نفوس البعض وأتهمه البعض الآخر بالثرثرة الجميلة التي هي فنّ تعمّد الجاحظ معالجته . . (5)

ويرى المسعودي أنّ خروج الجاحظ من الجدّ إلى الهزل له ما يبرّره، ممّا جعل سائر كتبه في نهاية الكمال . . (6) ،، حتّى أنّك لتستطيع من غير عناء أن تعرف أيّ الكتب له، وأيّها ليست له . . (7)

---

1) مروج الذهب .. 102/4

2) ضحى الاسلام .. 387/1

3) الإفصاح لابي علي الفارقي .. ص 60 و 61 (الهامش) .

4) الحضارة الاسلامية : آدم متز 442/1 . و" لطائف المعارف للثعالبي ص 105 . والارشاد لياقوت الحموي .. 686/1

5) الحضارة الإسلامية .. 441/1

6) مروج الذهب .. 109/4

7) ضحى الإسلام .. 388/1

ولازم الجاحظ الوزير محمد بن عبد الملك الزيات (توفي 847م) زمنا طويلا ، صاحبه فيه خير صحبة ، ولما قتل الزيات على يد المتوكل ، هرب الجاحظ ، ثم سيق ، ولما عفي عنه عاد إلى موطنه ، وكان قد تجاوز السبعين حولا ، وبقي يرضي رغبته في القراءة والكتابة والتأليف ، حتى أصيب بالفالج ، واشتد به الحال ، فكان يشتكي الأسقام ، والدين ، ووطأة الأيام . . (1)

ويقال : إن المتوكل الخليفة العباسي (10) وجه إلى الجاحظ من يحمله إليه ، من البصرة إلى مقر الخلافة في سامراء ، فوجده لا فضل فيه ، فقال لمن أراد حمله : " وما تصنع بامرئ ليس بطائل ، ذي شق مائل ، ولعاب سائل ، وفرج بائل ، وعقل زائل ، ولون حائل " . . (2)

وأصبح يتذمر من أحوال الدنيا ، وما آلت إليه ، فبعث إلى بعض إخوانه في ذم الزمان : " كتبت إليك ، وحالي حال من كثفت غمومه ، وأشكلت عليه أموره ، واشتبه عليه حال دهره ، ومخرج أمره ، وقل عنده من يثق بوفائه ، ويحمد مغبة إخائه ، لاستحالة زماننا ، وفساد أيامنا ، ودولة أرذالنا " . . (3)

واختلفوا في تاريخ وفاته ، كما اختلفوا من قبل في تاريخ ميلاده ، والغالب أنه توفي سنة 255هـ إبان حكم المعتز بالله الخليفة العباسي (13) ، ومات عن عمر يناهز السادسة والتسعين . . بعد أن ملأ ذكره الأرض .

ب) كتاب " البخلاء "

يعتبر البخلاء من أعظم آثار الجاحظ التي أبقت الأيام عليها ، ومن الصعب الإحاطة بكل مميزات الفنية لهذا التأليف ، وهذه بعض الملاحظات التي استنتجتها من القراءات المتعددة . .

1) إن للجاحظ روحا فنية طليقة ، سيطرت عليها النزعة الفنية الأدبية ، فكان قالبا أدبيا جذابا

2) إيراد الحجج بالجد والهزل ، وتشقيق الكلام ، وربما وضع الجاحظ الكثير من الأحاديث توليدا دون تحرج . . (4)

3) التهكم والسخرية ، بسخريته متميزة ، فهو يسخر من القاضي ، كما يسخر من الراعي ، وقد يتهكم على البخيل بالدفاع عنه ، والاحتجاج له .

وأعتقد أن الجاحظ قد تجشم هذه الصعاب لأغراض وأهداف اجتماعية ، أراد من ورائها خيرا كإصلاح الفكر ، والتوحيد الاجتماعي النفسي للتخلص من شحنات نفسية سيئة . . ولعل اشتغال المجتمع بالماديات كان سببا في ذلك .

4) دقة الوصف ، وتتبع جزيئات الحوادث . . وكان صريحا في كثير من المواقف التي تتطلب الوقار والاحتشام ، يمزج بين الجد والهزل ، فيرصد حركات البخلاء ونظراتهم ، ويفضح أسرارهم .

---

1) مروج الذهب .. 109/4
2) أمالي المرتضى .. 199/1
3) العقد الفريد .. 342/2 و 343
4) تهذيب الأزهري .. 30/1

ومن جهة أخرى فقد عني الجاحظ بالخصائص الاجتماعية ، والأحوال المعيشية لطبقات المجتمع المختلفة، فكان كتاب " البخلاء" من الأدب الواقعي المتميّز بالإبداع الفنّي .

وكان ظهور كتاب " البخلاء" في زمن ظهور اهتمام الناس بالكتب، إلى جانب الرّغبة الجامحة في البحث عن الملذّات ، واقتناص الشّهوات ، فحصل ترف اجتماعي تبعه ترف في اللغة عجيب ، ، وكان الجاحظ قد ترّصد رغبات الناس، وفهم ميولهم ، فعمل على إرضائهم .

وركّز أغلب نقده للبخل على ظاهرة البخل بالطعام والشراب، وهذه من ملذّات الدنيا التي لا يستغنى عنها إنسان سويّ . . والبخل صفة من المنع والحرص على ما يبقي الحياة ، ويشترك فيه النّاس في كلّ زمان ومكان ، لذا يمكن القول بأنّ في كتب الجاحظ سمات تجعل أدبه من بواكر الآداب الإنسانية العالمية .

وقد كان الجاحظ - كعادته - حريصا كلّ الحرص، فلم يترك للنّقاد الباب مفتوحا ، فيأخذون عليه تهكّمه واستهتاره ، فلجأ إلى الاعتذار ، فقد اعتذر عن اللحن وسوء التعبير ، فقال : " إن وجدتم في هذا الكتاب لحنا أو كلاما غير معرب، وافظا معدولا عن جهته ، فاعلموا أنّا إنّما تركنا ذلك لأنّ الإعراب يبغض هذا الباب، ويخرجه عن حدّه ، إلا أن أحكي كلاما من كلام متعاقلي البخلاء ، وأشحاء العلماء كسهل بن هارون ، وأشباهه " . . (1)

وفي النّص دلالة واضحة على موضوعية الكتاب، وبعد عميق في تصوير الحياة الاجتماعية الواقعية ، واتجاه الجاحظ المبكّر إلى ما يعرف بـ (لغة الجماهير) . . ولهذا يعتقد بعض الباحثين بأنّ كتب الجاحظ تتوفّر على مادّة غزيرة في الثقافة العامية ، وأنّها خير مصدر لمعرفة البحث اللغوي التاريخي . . والمقارنة وسيلة علمية مهمّة من وسائل علم اللغة الحديث (Linguistique) . . (2)

المـدوّنـة (Corpus)

وبناء على ما تقدّم وقع اختياري على كتاب " البخلاء" . . (3) ، ليكون " مدوّنة" استخرج منها المفردات التي أتناولها بالدراسة والتحليل . .

ونقصد بها مجموعة محدودة من العناصر المنطوقة التي يمكن اعتبارها قاعدة لدراسة ظاهرة لغويّة معيّنة ، وترجمها العرب بالمدوّنة ، وهي إسم مفعول من (دوّن) الديوان ، يعني جمعه ، فتكون " المدوّنة " بمعنى المجموعة التي تحتوي على عناصر للدرس . وقد عرف هذا الإسم عند المسلمين ، حينما أطلق على كتاب في " فقه المالكية" . . وهو كتاب بدأ جمعه أسد بن الفرات ،، وجاء العلماء فشرحوها ، واختصروها ، وهي ذات المنزلة الأولى في فقه مالك . . (4)

1) البخلاء . . ص 40
2) فقه اللغة المقارن د. إبراهيم السامرائي . . ص 255
3) بخلاء " الجاحظ" ؛ تح / د . طه الحاجري ط/6 دار المعارف بمصر .
4) الموسوعة العربية الميسرة . . ص 1674 .

أمّا بالمعنى الذي نقصده في اللغة، فأراه جديدا في علم اللغة، ولم يعرفه العرب إلاّ بعد تفتّحهم على البحوث العلمية الحديثة .

وبهذا يمكن القول بأنّ كتاب " البخلاء" مدوّنة أعتمد عليها لاستخراج مجموعة محصورة من الألفاظ المختارة، نسميها (مفردات) ..

والمفردات عند علماء اللغة في مثل هذه الحال "هي مجموعة كلمات (MOTS) باعتبار قصتها التاريخية، وهيئتها، ومعناها " .. (1)

ونحن نختار مجموعة من المفردات تتعلّق بجانب معيّن، وقد كانت سائدة في عصر الجاحظ، ثمّ نعمد في دراستها إلى تحليلها، وفق منهجيّة علميّة.

وتسهيلا للعمل، وتوخّيا للدّقة والتحديد والوضوح وقع اختارنا على ستّين لفظا لها ارتباط بالحياة اليومية لمستعمليها، وتتعلّق بأقرب مكان إليهم وآلفة، وهو (المنزل) .. وما هذا التحديد إلاّ لتسهيل الدراسة .

دراسة المفردات :-

ودراسة المفردات بهذه الطريقة، أراه جديدا، وعومن سمات البحث الحديث في اللغة عامّة، وقد دعا إلى مثل ذلك علماء بارزون، قالوا :" ولعلّ أحدث المحاولات في دراسة الدلالة أن يعمد الدارس إلى مجموعة من الألفاظ التي تنتمي إلى مجال واحد، ثمّ يتوفر على دراستها، ليتبين منها تلك التي نمت دلالتها، وتلك التي انكمشت فيها تلك الدّلالة، أو اختفت بمرور الأيّام، وخير مثل لهذا تلك المحاولة التي قام بها أحد علماء الألمان في بحث ألفاظ الذكاء التي وردت في نصوص القرون الوسطى للغة الألمانية وكذلك المحاولة التي عني فيها أحد الباحثين بدراسة الكلمات المتّصلة بالأخلاق والفضيلة في شمرتشوسر .. وفي رأي هؤلاء الدارسين أنّ مثل تلك المحاولات أجدى وأنفع من دراسة الكلمات منفردة، منعزلة عن مجالها، وعن عصرها". (2)

ثمّ ظهرت بعد ذلك، وتوالت الأبحاث في مثل هذه الدّراسات، ففي اللغة الفرنسية مثلا نجد :

- VOCABULAIRE politique ot social on frace , par g.dubois .
- vocabulaipe de l astponautique ; par : l. guilbert .
- vocabulairo do téatro do pièrre corneillo; par : oh . muller .
- VOCABULAIRE DE GUERRE D ALGERIE . par : maldidier .
- la formation du vocabulairo du chomin de fer on Fpance ; par mexler .

---

1) اللغة لفندريس، ترجمة الدواخلي والقصّاص .. ص 225

2) دلالة الألفاظ .. د. إبراهيم أنيس ط/ 1984، ص 8

نقلا عن : the fift of tonguos; p : 127 .

وأعمال كثيرة مثل هذه ،لا يمكن حصرها ، والمتصفّح لـ" بيبليوغرافيا" بعض الدوريات الفرنسية القديمة سوف يرى عجبًا في هذا الموضوع . . (1)

وكان للعرب الأوائل محاولات جادّة في مثل هذه الأعمال الجليلة ، مع فارق التّطوّر الملحوظ في طرق البحث العلمي . . وممّا يمكن اعتباره في هذا الباب ما ألّفه أسلافنا من معاجم تهتمّ بمعاني الألفاظ ، والربط بينها وبين أصولها . وقد وفّقوا إلى حدّ كبير ، وكان ظهور هذه الأعمال في مراحل ، منها :-

المرحلة الأولى : وفيها تمّ جمع مفردات الباب الواحد ، وضمّها إلى بعضها ، ومن أبرز أمثلتها :

ا) كتاب المطر ، وكتاب اللّبا واللّبن لأبي زيد الأنصاري (ت 215هـ) .

ب) الغريب المصنّف لأبي عمرو الشيباني (ت 231هـ) .

جـ) الغريب المصنّف لقطرب (ت206هـ) .

وبلغت هذه المرحلة قمّتها في " المخصّص" لابن سيده (ت 458هـ) .

المرحلة الثانية : ثمّ برزت مرحلة أخرى في التاليف المعجمي ، هي مرحلة " معاجم الألفاظ" ويضيق المقام بذكر معجمات هذه المرحلة .

ومن هنا يكون الاهتمام بدراسة المفردات اهتمام قديم ، ولكن الجديد فيه هو طريقة التناول وفق الطّرق والمناهج الحديثة التي تستفيد كثيرا من العلوم الاجتماعية المتطوّرة كعلم الاجتماع وعلم النفس ، وعلم الآثار ، وغيرها .

والحضارة ليست ملكا لأحد ، ولا حكرا لأمّة دون أخرى ، واللغة عامل من العوامل الأساسية في تكوين شخصيّة الأمّة المتحضّرة المتمدّنة ، تعبّر عن مقتضيات حياتها ، بل اللغة مساعدة في نموّ الفكر الحضاري " واستعمال الكلام كاستعمال اليد ساعد كثيرا في نموّ العقل" . . (2)

واللغة جميعها بهذه الحال تكون متحضّرة أو متأخرة وفق حياة أهلها ، فإذا تطوّر المجتمع تطوّرت اللغة - حتما - وعكس القاعدة ليس صحيحا أبدا . وإنّما اللغة - في رأيي - هي إحدى الآلات المساعدة على التحضّر " فالكلمات التي تنتمي إلى نشاط المجموعات الاجتماعية ، عقليا كان أو يدويا ، يطلق عليها (كلمات الحضارة) . . وكلّما تحقّق تقدم في الصّناعة الإنسانية ترجم عن نفسه باستعمال آلات وإجراءات جديدة ، يقابلها خلق كلمات جديدة بإزائها . . وكان لهذه الكلمات من الأهمّية بقدر ما للشّيء الذي يدلّ عليه " . . (3)

ومن هذا المنطلق يمكنني إعتبار مجموعة الألفاظ التي ندرسها (... حضارية) ، كانت الإنسانية في حاجة إليها ، فأنشأتها ، وبقي مستعملا منها ... ما اندثر . والفاظ

---

1) خذ مثلا سلسلة (coll. lexicologie) أو (Langage) مجلات متخصّصة .

2) الإنسان ذلك المجهول : الكسيس كاريل ، تع/ شفيق أسعد فريد ، ص 117

3) اللغة . . لفندريس . . 283

الحضارة كالحضارة نفسها تنتقل من مكان إلى آخر، إن في اللسان أو في المكان، وعليه نجد اللغات تستعيرها من بعضها البعض، ثمّ تعود إلى أصلها، وغالبا، لا تعود، وإن عادت، لا تعود .. بشكلها الأوّل .. وهي تطلب في اللغات الأخرى، لما تحمله من دلالات إنسانية حضارية صالحة " فيمكننا أن نفترض أنّ كلمة إذا تجاوزت حدود لغتها انفتح أمامها الطريق لطول الطّواف لأنّها لم تطلب في الخارج إلاّ لأنّها تدلّ على شيئ جديد خاصّ بالبلد الذي جاءت منه، ومن ثمّ كان من الطبيعي أن نتوقّع رؤيتها في كلّ مكان يطلب فيه هذا الشيء" .. (1)

مناهج البحث :-

أهمّ المناهج المتّبعة في دراسة اللغة هي :-

1) المنهج الوصفي : يتناول ظواهر اللغة بالوصف والتحليل، ويبيّن خصائصها، في مكان وزمان معيّنين.

2) المنهج التاريخي : دراسة تاريخية، تتناول اللغة أو بعض ظواهرها، ليكشف عن تطوّرها عبر العصور.

3) المنهج المقارن : ميدانه المقارنة بين لغتين أو أكثر تنتميان إلى فصيلة واحدة، للكشف عن الظواهر المشتركة ؛ للكشف عن الظواهرالمشتركة بينها.

4) المنهج التقابلي : ميدانه المقابلة بين لغتين أو أكثر من فصائل لغوية مختلفة.

وتندرج تحت المناهج العلمية الأربعة السابقة للبحث اللغوي مستويات عديدة للدراسة، هي : الأصوات، وبنية الكلمة، وتركيب الجملة، ودلالة المفردات، وصلة اللغة بالمجتمع، وصلة اللغة بالظواهر النفسية، والحدود الجغرافية للغة.

وقد أخذ بحثنا على عاتقه استعمال كلّ المناهج بدرجات متفاوتة، وأكثر ما ارتكز على المنهجين الأوّلين، وخاصّة المنهج الوصفي، لأنّ كثيرا من البحوث تعتمد عليه .. فمن خصائصه الاعتماد المباشر على الملاحظة والاستنتاج، باستعمال الحواسّ، والقوّة العقلية.

محتويات الرسالة

تنقسم الرسالة إلى :-

مقدمة، وبابين، وخاتمة.

المقدّمة : أعطيت فيها فكرة موجزة عن أهمّية تعلّم اللغة العربية، والاهتمام بدراستها .. وشرحت أسباب تناول البحث في أعمال الجاحظ، ثمّ بيّنت خصائص مؤلّفاته، ومميّزات كتاب "البخلاء"

---

1) م. س. ص 251

على اعتبار أنه مدوّنة اعتمدّت عليها في دراسة المفردات، ثمّ عرضت "المفردات"، وتعرّضت إلى الدراسات الواردة فيها، قديما وحديثا، وعلاقتها بعلم اللغة وفروعها المختلفة، ثمّ تحدّثت عن عنوان البحث، فشرحت المقصود من الألفاظ الحضارية، وعلاقتها بالمجتمع، ثمّ الحديث عن المناهج المتّبعة في مثل هذه البحوث، ومكانة هذا البحث من علم الدلالة.

الباب الأوّل : الدراسة الدلالية المعجمية.

ينقسم إلى ثلاثة فصول .. ويتضمّن :-

الفصل الأوّل : دراسة لألفاظ : أواني وأدوات إعداد الطعام والشراب.

الفصل الثاني : ألفاظ مستلزمات الراحة والاستقرار.

الفصل الثالث : ألفاظ أوعية حفظ المواد ونقلها.

وتمّت الدراسة المعجميّة في هذه الفصول وفق المنهجيّة التالية :-

موقع اللفظ في المدوّنة / تردّد اللفظ، وعدد التعابير الواردة فيها ومعانيها / أنواعها بين الحقيقة والمجاز / تعريف الأداة / مادّة صناعتها / أوجه استعمالها العملي / سبب التسمية وكيفيّته / أصل اللفظ في لغته وما طرأ عليه من تغيير بعد تعريبه / تعدّد الأسماء بتعدّد الظروف والأحوال والأوصاف إلخ / المرادف / المشترك / أوجه الاختلاف بينهما / عموم اللفظ وخصوصه / اللفظ القرآني ودلالته في الآية / اللفظ الوارد في الحديث الشريف وأوجه استعماله / اللفظ الوارد في الشعر العربي ودلالته الاجتماعية / شيوع اللفظ وركوده / ورود اللفظ في عامية الجزائر الحالية / وغيرها من عاميات البلاد العربية، وما طرأ عليه من تغيير / رأي المجمع اللغوي المصري في استعمال اللفظ الحضاري.

الباب الثاني : الإحصاء اللفظي، ودراسة تحليلية لجداول الألفاظ.

ويتضمّن ثلاثة فصول أيضا :-

الفصل الأوّل : الأصيل والدخيل.

وممّا جاء فيه : مفهوم الأصيل، ومفهوم الدخيل / مميّزات كلّ منهما / قوائم الألفاظ الأصيلة وقوائم بالألفاظ الدخيلة / إرجاع المفردات إلى أصولها / بيان اللغات الوارد فيها أو الوارد منها / وخصائصها / وعلاقتها بالعربية / الاقتراض وطرق التعريب والقرائن الدّالة عليه / هجرة الألفاظ وعودتها.

الفصل الثاني : المهمل والمستعمل.

وممّا جاء فيه : اللغة ظاهرة اجتماعية متغيّرة / الألفاظ المهجورة / الألفاظ المستعملة / الخامل منها والنشيط / تعريف المهمل وتعريف المستعمل وحدود كلّ منهما / مستويات الإهمال / أسبابه وخصائصه / الألفاظ الراسخة، والألفاظ العابرة.

الفصل الثالث : الأبنية أو الأوزان الصرفية .

وممّا جاء فيه : ترتيب الألفاظ بحسب ميزانها الصرفي : ثلاثية مجرّدة / مزيدة بحرف أو حرفين ، رباعي مزيد بحرف / خماسي مزيد بحرف / جداول لهذه الألفاظ / الأوزان وتداخلها / صعوبة وزن الألفاظ الدخيلة / أوزان الآلة وتطوّرها / .

الخاتمة : وفيها أهمّ ما جاء من أفكار ملخّصة . .

وبملاحظة عامّة لما جاء في هذه المقدّمة يتبيّن لنا بأنّ الموضوع قد تمّت معالجته ودراسته من جوانب متعدّدة ، فهو راسخ في علم الدلالة ، وخاصّة في فرع علم المفردات (Lexicologie) ، أي أنه قد اهتمّ بدراسة الألفاظ من جميع الجوانب التي تتناولها اللغة بشيء من التعميم ، وأحيانا يكون التفصيل واضحا . . وموضوعه الغالب هو الاشتقاق ، الذي قال عنه العلماء : " العلم الذي موضوعه دراسة المفردات يسمّى (**الاشتقاق**) - éthymologie - وتنحصر في أخذ ألفاظ القاموس كلمة كلمة ، وتزويد كلّ واحدة منها بما يشبه بطاقة شخصية ، يذكر فيها من أين جاءت ، ومتى وكيف صيغت ، والتقلّبات التي مرّت بها ، فهو إذن علم تاريخي يحدّد صيغة كلّ كلمة في أقدم عصر تسمح المعلومات التاريخية بالوصول إليه ، ويدرس الطريق التي مرّت به الكلمة مع التغيّرات التي أصابتها من جهة المعنى ، أو من جهة الاستعمال " . . (1)

والملاحظة أنّ موضوعنا قد تناول كثيرا من هذه الجوانب التي ذكرها (فندريس) أعلاه ، ولا ندّعي أبدا أنّه كامل ، وجاء مطابقا تمام المطابقة . ولكنّه قد أجاب عن كثير من تساؤلات هذا العلم العريق في علم الدلالة . . كما أنّ بحثنا قد استفاد من علم " إحصاء المفردات " .

ولا يفوتني أن أذكّر بالصعوبات الجمّة التي صادفتنا أثناء إنجاز هذا البحث المتواضع ، ويتمثّل جلّها في قلّة المراجع المتخصّصة في مثل هذه البحوث اللغويّة المتميّزة في اللغة العربية .

ويسعدني أن أشكر الدكتور المشرف الأستاذ / عاطف عبد الهادي علّام على ما قدّم إليّ من أياد بيضاء ، وأنوّه بصبره وكرمه ، فقد كان أبا كريما ، وصديقا حميما ، شملني بعطفه ، وغمرني بحبّه .

كما أشكر زملائي الأساتذة الذين لم يبخلوا عليّ بكرم علمهم ، وصادق نصحهم ، وأخصّ بالذكر منهم الإخوة : سالم علوي ، محمد العيد رتيمة ، عثمان بيدي ، صالح بلعيد . . فجازى الله الجميع خير الجزاء . . ووفّقنا الله لما فيه خير العباد وصلاح البلاد .

---

1) فندريس : اللغة ، تع / الدواخلي والقصّاص ، ص 226 .

الباب الأول

دراسة دلالية معجمية

الباب الأول

الفصل الأول

ألفاظ :
الطفل وأدوات إعداد المتعلم والتأديب

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : الأولى .

الألفاظ : —

وقود . حطب .

وقــود

تـكـرّر اللفظ في " البخلاء " ثماني مرّات، في مواضع مختلفة، وتعابير تدلّ على معان حقيقية في أغلبها، مبيّنة نظرة أصحابها الضيّقة إلى وظيفة الوقود، إذ لم تخرجه عن مقتضى حاجة النّـاس الضيقة المتمثّلة في الطّبخ والتسخين، ولكن ما ورد في آخر المجموعة دلّ على معنى مجازيّ، فالاحتراق فيه بنار الهوى، وهي تشبّ بنيران اليلنجوج والرّند، فذاك وقودها .

وجـاء في تعريفه : ـــ

* " الوَقُـود : الحطب، وكلّ ما أوقدت به فهو وَقُود " .. (1)
* " الوَقود : الحطب .. وبالضّمّ : الاتّقاد " .. (2)
* " الوَقُود : الحطب، يقال : ما أجود هذا الوقود للحطب " .. (3)
* " الوَقُود : كصبور : الحطب، كالوقاد، والوقيد، وقرئ بهنّ " .. (4)
* " الوِقاد : (بالكسر) ما توقد به النار من الحطب وغيره، والوَقود، الوِقاد، والوَقود : كـلّ مادّة تتـولّد باحتراقها طاقة حراريّة " .. (5)

يقول ابن فارس : إنّ الوقود من مادّة " وقد " التي هي كلمة واحدة تدلّ على استعمال نار، وقدت النار، وتوقّدت، واتّقدت، من المصدر الوقود (بضمّ الواو) الذي هو فعل النار إذا اتّقدت . (6)

لم تذكر المراجع التي رأيتها أصل اللفظ، أعربيّا هو أم أعجميّ، وسكتت عن الخوض في مظاهر البحث عنه .. غير أنّه يمكن القول بعد التمعّن فيما ورد في مقاييس اللغة سابقا بأنّ اللفظ عربيّ أصيل، قد اشتقّ، بعد الملاحظة الحسّية، فيما تتوقّد فيه النار من موادّ قابلة للاشتعال .

---

1) الأزهري : تهذيب اللغة . ط/ الدار المصريّة للتأليف والترجمة . ج 9/249
2) الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية . ط/ دار العلم للملايين بيروت . 1979م . ج 2/553
3) ابن منظور : لسان العرب . ط/ دار صادر بيروت 1968م . ج 3/465
4) الفيروزآبادي : القاموس المحيط . ط/ دار الفكر بيروت . ج 1/346
5) المجمع اللغوي المصري : المعجم الوسيط . ط/ 1973م . ج 2/1048
6) ابن فارس : مقاييس اللغة . تح / عبد السلام محمد هارون القاهرة 1368هـ . ج 6/132

ولفظ "الوَقُود" لفظ عام تندرج تحته مجموعة من الألفاظ تطلق على مواد مختلفة قابلة للاشتعال تتولد عنها طاقة حرارية، تُكَوِّن في مجموعها ما يعرف بالوقود.. مثل: الحَطَب، والفَحْم، والبِنْزين، وغير ذلك.. وباختصار يطلق اللفظ على "كل مادة تتولد باحتراقها طاقة حرارية" (1)

وبهذا يكون لفظ "الوَقُود" جامعا شاملا، وإن اختلفت نظرة التعاريف السابقة في تحديده، ولم تفصّل القول فيه، فاكتفت من أجزائه بذكر "الحَطَب".. وهو قول جائز على اعتبار إطلاق لفظ "الكُلّ" على "الجُزْء".

ورد اللفظ في القرآن الكريم بمواضع مختلفة، يُحَدِّثُ فيها سبحانه وتعالى الناسَ، فيذكر لهم أوصافا لمشاهد غيبية حدثت في الدنيا، وستحدث في الآخرة.. فتبيّن هذه الأوصاف حالة النار والتهامها للوقود..

وهذه هي الآيات الكريمة، وما ذكره الزمخشري في شرحها:

* "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ".. (2)

قال الزمخشري: "فإن قلتَ ما معنى قوله تعالى: "وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ" قلتُ: معناه أنها نار ممتازة عن غيرها من النيران، لأنها لا تتقد إلا بالناس والحجارة.." (3)

* "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" (4)

قال الزمخشري: "وقود وُقود (بالضم) بمعنى أهل وقودها، أي لن تغني عنهم مثل ما لم تُغن عن أولئك، أي تتوقد بهم النار كما توقد بهم." (5)

---

1) المعجم الوسيط ج1 / 346
2) البقرة.. الآية: 24
3) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل ط/ القاهرة 1968.. ج1/ 252
4) آل عمران.. الآية: 10
5) الكشاف ج1 / 414

* " يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ، عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ .. " (1)

وقال الزمخشري : " نوعًا من النّار لا يتّقد إلاّ بالنّاس والحجارة، كما يتّقد غيرها من النيران بالحطب .. وعن إبن عبّاس (ر) : هي حجارة الكبريت، وهي أشدّ الأشياء حرّا إذا أوقد عليها .. " (2)

* " النَّارِ ذَاتِ الوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ .. " (3)

وقال الزمخشري : " ذَاتِ الوقودِ صفة لها بأنها نار عظيمة، لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير، وأبدان النّاس .. " (4)

ورأيي أن الزمخشري قد أسرف القول في كلام عام، لم يؤيّده بشروح وافية .. وأعتقد أنّ قوله قد يتّطبق على الحقيقة إذا ما نظرنا إلى مدلول الآية الأخيرة، وارتباطها بالواقع التاريخي، أي بقصّة أصحاب الأخدود، ولكنّه يكون أكثر تجريدا إذا ما نظرنا إلى مدلول الآيات الأولى .. التي تصف وقود النار الآخرة المعدّة للكفّار، وهنا قد يختلف القول، من شارح إلى آخر، بحسب إدراكه ومدى إحاطته بالمعنى.

ولم أعثر عن ذكر للوقود في كتاب" صحيح مسلم " بهذا اللفظ المطلوب، ولكنّه جاء فيه بغير لفظه الصريح .. فقال : الحطب بدلا من الوقود .. فعن جابربن عبد الله أنّ النبيّ (ص) مَضَى حتى أتى النساء، فوعظهنّ، وذكّرهنّ، فقال : تَصَدَّقْنَ فإنّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ " (5)

وورد اللفظ في الشعر الجاهلي، في معلّقة عنترة العبسي : (طويل)

وَكَأَنَّ رُبًّا أَوْ كُحَيْلاً مُعْقَدًا * حَشَّ الوَقُودُ بِهِ جَوَانِبَ قُمْقُمِ

" شبه الشاعر العرق من رأسها وعنقها، برُبّ أو قطران في قُمْقُم، أوقدت عليه النّارُ

---

1) التحريم الآية : 6

2) الكشّاف ج 4/ 128

3) البروج الآية : 5

4) الكشّاف ج 4/ 238

5) صحيح مسلم بشرح النووي، ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت 1972 ، ج 6/ 175

فهو يترشّح به عند الفليان ، وعرق الإبل أسود ، لذلك شبّه بهما ، وشبّه رأسها بالقمقم في الصلابة . ." (1)

وقد شرح الزَّوزني " الوَقود " في هذا البيت بالحَطَب .

وفي عامية الجنوب الجزائري نجد اللفظ شائعا في لغة البدو بصيغة " الوَقِيد " ، وهو لفظ يدلّ على ما تجمّع من حطب وغيره يكون صالحا لإيقاد النار، ويطلق خاصّة على ما تجمعه النسوة ممّا يأتي به السيل من غثاء، ويعرف لديهم بـ" الحَمُول " ، وهو تحريف للّفظ الفصيح " الحَمِيل " ، بمعنى المَحْمُول .

وبعد ملاحظة ما سبق من أقوال مختلفة اتّضح لديّ ما يلي :-

1) إنّ الوَقُود في المفهوم العام يدُلّ على الحطب خاصّة، ثمّ يعمّم اللفظ على أشياء أخرى دون توضيح طبيعتها . . فالأزهري يرى أنّ الوَقُود هو الحطب، ثمّ يُعَمِّم قائلا :" وكلّ ما أوقدتَ به النار فهُو وَقُود"(2) ثمّ يأتي الجوهري ليؤيّد المقولة:" الوَقُود : الحطب" دون تعليق . . (3) وكذلك فعل الفيروزأبادي . . (4)

2) وجدتّ أنّ اللفظ مشتقّ من فعل النَّار إذا توقّدت، والمصدر الوُقُود (بضمّ الواو) ، كما يرى إبنُ فارس . . (5)

كما أنّني لم أستطع العثور على شرح وافٍ للّفظ عند الزمخشري ،فهو حينما شرح الآيات القرآنية التي ورد فيها اللفظ اكتفى بعموم القول فراح يتحدّث عن النار، وهي عنده نار ممتازة عن غيرها من النيران، لأنّ وَقُودها الناس والحجارة ، دون الحديث عن الوقود ،وأصل تسميّته اللغويّة .

وفهمت من شعر عنترة أن لفظ (الوَقُود) كان مستعملا شائعا لديهم، وهو في عرف النّاس مشتقّ من النباتات، وأغصان الأشجار، فكان يعرف بالحطب،كما شرحه الزّوزني . . (6)

1) الزوزني : شرح المعلّقات السبع ، ط/ دار الجيل بيروت ب.تا ص: 202
2) تهذيب الأزهري 249/9
3) صحاح الجوهري 553/2
4) القاموس المحيط 346/1
5) مقاييس اللغة 132/ 6
6) شرح المعلّقات السبع ص: 202

وورد في كتاب "البخلاء" أقوال يفهم منها أنّ المجتمع كان يستعمل وَقودا متنوّعا . قال: "تؤخذ تلك العظام، فتوقد بها النار، فلم ير الناس وقودا قط أصفى ولا أحسن لهبا منه .." (1) وفي عبارة أخرى "فما كان من قطع العظام فللوَقود .." (2)

وأرى أنّ المعاجم القديمة قد اقتصرت في شرحها للوقود على معنى غير كافٍ، فاتّفاقهم على شرحه بالحطب قد أهمل أنواعا أخرى من الوَقود، كانت مَعروفة شائعة، دون الإشارة إليها إلّا لِماماً، ممّا لا يَشفي غليل الباحث.

وعلمت بعد البحث أن الوَقود في عصر الجاحظ كان متنوّعا .. حطب، عظم، فحم بأنواعه وأشكاله، كفحم الكَوك، في قوله: "فتقوم في أجوافهم مقام فحم الكَوك .." (3) وقوله: "أنضج في غير فحم .." (4) .. وهو وقود لم أعثر على مرجع جاهلي تحدّث عنه .

ويبدو لي أن المجتمع الإنساني يسير في طريق مميّز أثناء تحضّره فهو حينما كانَ بدائيا، كان وَقوده بدائيا مثله، معتمدا على البساطة والسُّهولة، ثمّ ارتقى به الحال إلى اكتشاف موادّ أخرى وقودية جعلت حاله يتحسّن، ويتطوّر يوما بعد يوم، آخرها البترول، الذي غدا عصرنا يسمّى باسمه .

---

1) الجاحظ : البخلاء ، ت: د/ طه الحاجري . ط/ دار المعارف بمصر 1981 . ص33

2) م.س : 143

3) م.س : 41

4) م.س : 61

حَطَب

ورد اللفظ في البخلاء ثماني مرّات، في مواضع مختلفة، كلّ معانيها حقيقية واضحة، إذا استثنينا العبارة الأولى" وأمّا الفَرْث والبَعْر فحَطَب إذا جُفِّف عجيب" .. يتحدّث عن الفرث والبعر ويسميهما حَطَبًا، وهي تسمية فيها كثير من المجاز.. والحقّ أنّ لفظ "الوَقُود" في هذا المكان أفصح، وأصلح.

ومن الاستعمال المجازي للفظ "الحَطَب" ومشتقاته قولهم: "حاطِب ليلٍ للمُخَلِّط في كلامه".. و"فلان يحمل الحطب بين القوم: إذا مشى بالنمائم".. و"حَطَبَ في حبلِه: نَصَرَه وأعانَه".. (1)

وقالوا في تعريفه: —

"قال الليث: الحطب معروف، والفعل منه: حَطَبَ، يَحْطِبُ حَطْبًا، وحَطَبًا.. المخفّف مصدر، وإذا ثُقِّل فهو اسم.." (2)

"الحَطَب، معروف، تقول منه: حطبت واحتطبت إذا جمعته".. (3)

"الحَطَب: ما أُعِدّ من الشجر شَبُوبا للنار، احتطب: جمع الحطب" (4)

"الحَطَب: ما أُعِدّ من الشجر شَبُوبا.. حطب كضرب جمعه.." (5)

"حَطَب: أصل واحد، وهو الوَقود، ثمّ يُحمَل عليه ما شُبِّه به.. الحطب معروف" (6)

"الحَطَب: كلّ ما جَفّ من زرع وشجر توقد به النار".. (7)

ومن مجموع التعاريف السابقة أتبيّن أنّ الحطب إسم أطلق على ما أعدّ من مشتقّات النباتات الجافّة لإيقاد النار، وما كان أعدّ لغير ذلك فهو ليس من الحطب. كما أنه لا يفهم منها أسباب التسمية، ولا كيفيّتها، وكأنّ الاسم جامد، لم يشتقّ من لفظ سابق.

لم أجد في المراجع مَنْ أشار إلى أنّ اللفظ أعجمي، والراجح

---

1) هذه التعابير المجازية من كتاب "أساس البلاغة" للزمخشري ص: 131
2) تهذيب الأزهري .. 393/4
3) صحاح الجوهري .. 113/1
4) لسان العرب .. 321/1
5) القاموس المحيط .. 56/1
6) مقاييس اللغة .. 79/2
7) المعجم الوسيط .. 182/1

عندي أنه لفظ عربي" أصيل ، خاص يشمله لفظ عام هو "الوَقُود"

ومن أنواع الحطب الشوك .. شوك العِضَاة .. (1) وكانت تنانير العراق توقد به .. (2) .. "والحَصَب" وهو كل ما ألقيته في النار ليُؤجِّجها . " قال صاحب العين : كل ما ألقيته في النار فهو الحَصَب" كالحطب وغيره ، ولا يكون حصبا حتى يُسَجَّر به .." (3) ، وقال الثعالبي : " كل ما هيجت به النار ، إذا أوقدتها فهو حَصَب" .. (4)

ولفظ "الحَصَب" أعجمي ، فعن أبي حاتم ، عن ابن عباس كلمة "حَصَب" زنجية الأصل .. (5) ." وقال الفراء : الحَصَب في لغة أهل نَجْد : ـ ما رميت به في النار .." (6)

وقد ورد لفظ "الحصب" في القرآن الكريم، في قوله تعالى : " إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ .." (7)

وقال الزمخشري في شرح لفظ "حَصَب" إنه : " المحصوب به ، أي يحصب بهم في النار ، والحَصْبُ (بسكون الصاد) : الرمي ، وقرئ بسكون الصاد وصفا للمصدر ، وقرئ " حطب" و " حَضَب" ، بالضاد متحركا وساكنا " .. (8)

" والحَضَب لغة في الحَصَب . ومنه قرأ ابن عباس: " حَضَب جهنم " .. قال الفراء : يريد الحصب . قال : وذكر لنا أن " الحَضَب" في لغة أهل اليمن الحطب . قال : وكل ما هيجت به النار وأوقدتها به فهو حَصَب" .. (9)

وألاحظ هنا عدم تعرض الشرح إلى دلالة اللفظ اللغوية التي يهدف إليها هذا البحث ..

ورد اللفظ في القرآن الكريم في آيات قليلة، هي : ـ

" وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا " .. (10)

---

1) المعجم الوسيط .. 182/1

2) المسعودي : مروج الذهب، ط/ دار الأندلس 1981، ج 3 / 463

3) ابن سيده : المخصص ط/ دار الآفاق الجديدة ب.تا ، السفر 11 / 22

4) أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة ط/ دار مكتبة الحياة بيروت ب.تا ، ص 13 .

5) جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ط/ عالم الكتب بيروت ب.تا ج 1 / 138

6) تهذيب الأزهري : 260/4

7) الأنبياء ، الآية : 98

8) الكشاف .. 584/2

9) صحاح الجوهري .. 112/1 ، 113

10) الجن ، الآية : 15

والزمخشري لم يشرح " الحطب " ها هنا ، ولا بيّن أوصافه .

- " وامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الحَطَبِ " .. (1)

وقال الزمخشري في شرح هذه الآية : " في جيدها حبل من مسد الحبال ، وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك ، وتربطها في جيدها كما يفعل الحطّابون تخسيسا لحالها ، وتحقيرا لها ، وتصويرا لها بصورة الحطّابات ، من المواهن لتمتعض من ذلك ، ويمتعض بعلها ، وهما في بيت العزّ والشرف ، وفي منصب الثروة والجدّة " .. (2)

وجاء ذكر اللفظ في الحديث الشريف في أكثر من موضع سردته كُتُب السنّة الشريفة .. من ذلك قوله (ص) لبعض نسّاء بعد أن وعظهنّ " تصدّقن فإنّ أكثركنّ حطب جهنّم " .. (3)

وجمع الحطب من أسهل الأعمال ، يكلّف بها الإِمَاء ، دون سائر النسوة

قال عبد الله بن المعتزّ : عيب على النابغة قوله في وصف النّعام :-

" مِثْل الإِمَاءِ الغَوادِي تَحْمِلُ الحُزَمَا " .. (4)

قال الأصمعي : إنما الإماء في هذا الموضع بالرواح ، لا بالغدوّ ، لأنهنّ يجئن بالحطب إذا رحن .. وأنشد الأخفش بن شهاب .. (الطويل)

تَظَلُّ بِهِ رُبْدُ النَّعَامِ كَأَنَّهَا ★ إِمَاءٌ تزجّي بالعَشِيّ حَوَاطِبُ

لأنّ النعامة إذا خفضت عُنُقَها ، ومشت كانت أشبه شيء بِمَاشٍ ، وعلى ظهره حِمْلٌ .." (5)

وذكر ابن خلدون أنه في زواج المأمون (الخليفة العباسي السابع) : " أعدّ بدار الطّبخ من الحطب لليلة الوليمة نقل مائة وأربعين بغلا مدّة عام كامل ثلاث مرّات كلّ يوم ، وفني الحطب لليلتين ، وأوقدوا الجريد يصبّون عليه الزيت" (6)

وقال الجاحظ : " قال أصحابنا : نزلتُ بناس من أهل الجزيرة ، وإذا بلادهم باردة وإذا حطبهم شرّ حطب .." (7)

---

1) المسد .. الآية : 4
2) الكشاف .. 297/4
3) صحيح مسلم .. 175/6
4) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتحقيق الشيخ طاهر بن عاشور ، ص 220
5) المرزباني : الموشّح ، ط/ دار النهضة مصر ، 1965 .. ص 54
6) ابن خلدون : المقدّمة ، ط/دار الكتاب اللبناني بيروت 1967 ص 306
7) البخلاء : 122

وفهمت من العبارة اهتمام الناس ، ونقدهم لأنواع الحطب، خيرها من شرّها . وأنهم يقيمون له وزنا ، يظهر أثره الاجتماعي في سلوك الناس، ومدى نظرتهم لمقاييس اختيار أماكن إقامتهم .

ويعرف لفظ الحطب بصيغته ومعناه في واقعنا الاجتماعي ، خاصّة في عالم الرّيف، حيث يعتمد النّاس على الحطب وقودا .. ولم يتغيّر المدلول لدينا فما يزال على ما هو ، ولم يطرأ عليه أيّ تغيير .

وبعد ملاحظة التعاريف اتّضح لديّ أنها ناقصة الدلالة، وأنّ أغلبها يعرّفه بقوله : " الحَطَبُ مَعْرُوفٌ " ثِقَةً في اتّضاح دلالته في عُرف المجتمع. كما أن بعضها يعرّفه بالوقود، دون تمييز الفارق بينهما . كما وجدت أنّ التعاريف متطابقة، ومتّفقة على أنّ الحطب مُعَدٌّ للاشتعال أي إشعال النار . وأحسن تعريف - في نظري - ما أتى به ابن منظور، وأقرّه المجمع اللغوي (1)

ورأيت أنّ الحطب أنواع وأصناف، تتميّز فيما بينها بالجودة أو الرداءة، وما هذا الوصف أو التمييز إلاّ بالنظر لفائدته الكثيرة ، أو القليلة النفع، حتّى قال الجاحظ على لسان أحد ظرفاء بخلائه : " ما في الأرض أكرم من الطرفاء وأن دخانها يهضم الطعام .. " (2)

ولفظ " الوقود " لفظ عام قد اشتمل على أنواع، لكلّ منها إسم خاصّ وكل هذه المسمّيات توقد بذاتها أو بغيرها، ولكن أشهر ما عرف من الوقود كان الحطب. ولذا يعدّ هو الأصل في هذا الباب.

والحطب خاصة هو مشتقات النبات، وأكرمه الشجر الجافّ . يعدّ ذلك من بدائع صنع الله تعالى وقدرته .. فقد قال تعالى : " هُوَ الذي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُمْ مِنه تُوقِدُونَ " (3)

قال الزمخشري في شرح هذه الآية : " من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الأخضر ، مع مضادّة النار الماء وانطفائها به ، وهو الزناد التي توري بها الأعراب، وأكثرها من المرخ والعفار . يقطع الرجل منهما غصنين

---

1) انظر ما جاء في التعاريف السابقة .

2) البخلاء : 22

3) يس . الآية : 80

مثل السَّوَاكَيْنِ ، وهما خضراوان ، يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ ، وهو ذكر على العفار ، وهي أنثى ، فتنقدح النار بإذن الله . " (1)

ويفهم من الشرح أن الشجر نوعان: صنف يوري النار من احتكاكه فهو مشتعل بذاته ، وصنف تشتعل فيه النار فهو مشتعل بغيره ، وكلا هما حطب ، إذا ما أعد لإيقاد النار ، ويصبح بعدها وُقُودًا ، ثم وَقْدًا ، فيقال : " ما أعظم هَذَا الوَقْدَ وهو النار . . " (2)

ويستخلص من المقارنة بين الوقود والحطب ، أن العلاقة بينهما علاقة تداخل . . وأن تعريف كل منهما بالآخر غير دقيق ، فلا تصح العلاقة العكسية ، أي أنه ليس كلُّ وقودٍ حطبًا . .

كما أنه محَصّل الفهم لدينا على أن الحطب من الشجر يعد لإيقاد النار . . وأن الوقود قد لا يكون بالضرورة من الشجر ، كما هو معلوم لدى الجميع .

وأعتقد أن كثيرا من أفراد المجتمع المتمدن ، لا يفهم معنى لفظ الحطب لعدم استعماله إياه في البيوت ، كما كان عليه الحال في الأزمان السابقة ، وإن فهم المدلول لديه حدث فيه تغيير حادٌّ عن الدلالة التي تحدثنا عنها .

---

1 الكشاف للزمخشري .. 3/332
2 أساس البلاغة للزمخشري .. ص 685

البـــاب : الأول .

الفصـــل : الأول .

المجموعة : الثانية .

الألفـــاظ : —

قـــدّاحـــة . مـــرقشيشـــا .

قـــــدّاحـــة

تكرّر اللفظ في "البخلاء" ثلاث مرّات، في تعابير تدلّ على أحوال حقيقيّة، تصف حالة المتحدّث، وما يعانيه من جرّاء ندرتها، وغلاء أثمانها وكان الحديث من شيخ في جماعة المسجديين الذين اشتهروا بنوادرهم التي تصف حرصهم على الانتفاع ممّا حولهم إلى أقصى ما يمكن .

وجاء في تعريفها :ـ

" القَدّاح : الحجر الذي يوري النار.. والمِقْدح : الحديدة التي يقدح بها.. وقال الأصمعي : يقال للتي تُضْرَب، فتخرج منها النار: القَدّاحَة " (1)

" المِقْدَح والمِقْدَاح والمِقْدَحَة والقدّاح كلّه : الحديدة التي يقدح بها .. وقيل القدّاح والقدّاحة : الحجر الذي يقدح به النار " .. (2)

" القَدّاح والقَدّاحة : حجره، والمِقْدَح : حديدته، وكذلك المِقْدَاح "(3)

هذا ولم أجدها بصيغتها الواضحة في "صحاح الجوهري" .

" القدّاح حديدة يقدح بها الزّند ليخرج النار. والقدّاح : حجر الزند الذي يقدح به. والقدّاحة : حديدة الزند التي يقدح بها ، لتخرج النار.. والقدّاحة أداة من المعدن ذات حجر الزناد وشريط وتشعل بالبنزين ونحوه"(4)

" القَدّاحة والمِقدَحَة : أي حجر القدح وحديدته " (5)

تصنع القدّاحة من عناصر نباتية في أغلب أحوالها ، وأبسط أشكالها .. قال أبو زياد : ليس في الشجر كلّه أورى زنادا من المَرْخ .. قال : ربّما كان المرخ مجتمعا وهبّت الرّيح، وحكّ بعضه بعضا ، فأورى، فاحترق الوادي كلّه. ولم تر ذلك في سائر الشجر . والزند الأعلى يكون من العَفار والأسفل من المَرْخ .. كما قال الكُمَيْت :ـ (متقارب)

إذا المَرْخُ لم يُورِ تحت العَفَارِ × وضُنّ بِقِدْرٍ فلم تُعْقِبِ . (6)

---

1) تهذيب الأزهري : 31/4

2) لسان العرب : 554/2

3) القاموس المحيط : 241/1

4) المعجم الوسيط : 717/2

5) أساس البلاغة : ص 494

6) الميداني : مجمع الأمثال، ط/السنة المحمّدية 1955 .. ج / 74

وفـي المخصّص : " تتّخذ الزناد من عر ، جين النخل ، أو الحرمل ، وليس هذا الحرمل الذي يتداوى بحبّه ، ولكن شجر يسمّى الحزملة وزندها أجود الزند ، بعد المرخ والعفار . ." (1)

وقـال أبو حنيفـة : " أفضل ما يتّخذ منه الزناد : المرخ والعفار ، فتكون الأنثى وهي الزندة السفلى مرخًا ، ويكون الذكر وهو الزند الأعلى عفارا . ." (2)

" والمرخ شجر يطول في السماء حتّى يستظلّ به ، قالوا : وله ثمرة كأنها هذه الباقلاء " . . (3)

وجاء في المخصّص: أنّ القدّاحة تتكوّن - أصلا - من جزئين رئيسيين ، هما جزء علوي يسمّى الزند ، وجُزء سفلي يسمّى الزندة ، ويقال للزّنادين معا زناد . ." (4)

وفهِمْت من القول أنّ هذا الزناد هو القدّاحة بكامل أجزائها . . وتتمّ عمليّة قدح النار عن طريق احتكاك الطرفين ، أو ضرب أحدهما على الآخر ، وحينئذ تقدح شرارة فتمسك النار فيما وضع لها .

والاسم مشتقّ من القدح الذي هو إشعال النار ، ومادّته " قدح التي لها أصلان صحيحان ، يدلّ أحدهما على شيء كالهمز ، والآخر يدلّ على غرف الشيء . ." (5)

وأرى أنّ الأصل الأوّل هو الذي يطابق المعنى المفهوم من القداحة ، ففعل القدح هو هَمْز لأجزائها . ومن هُنا تكون صلة اللفظ بالعربية واضحة ، فهي فيها أصيلة ، وليست دخيلة . كما أرجّح أنّ صيغتها مولّدة . وأنّ اللفظ مشتّق من معنىً حسّيّ . فقداحة فَعّالة ، أي كثيرة القدح ، تدلّ على ملازمة الفعل لها .

وأعتقد أنّ اللفظ جامع شامل لكلّ ما يقدح ، بغضّ النّظر عن نوعه وتركيبه .

ووجدتّ للفظ " القدّاحة " مرادفا أكثر شيوعا في الاستعمال اللغوي - وأعتقد أنه هو الأصل والأقدم - ذلك اللفظ هو " الزِّناد " .

ولم أجد لفظ " القَدّاحة " في القرآن الكريم ، ولا رأيته في الحديث الشريف ، ممّا جاء في " صحيح مسلم " . .

---

1) المخصّص لابن سيدة : ج 11/ 62
2) م . س والصفحة نفسها .
3) مجمع الأمثال : ج 1/ 31
4) المخصّص : ج 11/ 26 وما بعدها .
5) مقاييس اللغة لابن فارس : ج 5 / 68

ولكنّي وجدتّ اللفظ في شعر القتّال الكلابي . . (1) مستعملا بمرادفه، في قوله: (بسيط)

يَا قَاتَلَ اللَّهُ صِبْيَانًا تَجِيءُ بِهِمْ * أُمُّ الهُنَيْبِرِ مِنْ زَنْدٍ لَهَا وَارِي . . (2)

وأعتقد أنّ استعمال القدّاحة وأدواتها قد انحصر جيّدا، وقلّ استعمالها في العصر الحالي . . إلى أن أقرّ المجمع اللغوي المصري إطلاق اللفظ على آلة حديثة من المعدن تشعل النار. (3)

ولا نعرف في الجزائر الآن لفظ " القدّاحة " إلاّ مطلقا على المدلول الذي أقرّه المجمع اللغوي المذكور . . وإن كان معروفا عند أسلافنا، فإنّ الظروف قد تغيّرت، ولم تستدع استعماله، فذهب مع مَن ذهب .

وأستخلص أن اللفظ قد اشتقّ من مادّة عربية صميمة، فكان عربيا أصيلا، وكان جديرا بإقرار المجمع اللغوي لاستعماله، وكان بذلك في تطوّر دلالي طفيف، لأنّ القدّاحة القديمة والحديثة لا تختلفان اختلافا جذريا .

---

1) شاعر اختلف في إسمه وعصره . . انظر النوادر في اللغة، ص189

2) أبوزيد الأنصاري : النوادر في اللغة، ط/ دارالشروق 1981 ، ص : 190

3) المعجم الوسيط . . 2/717

مَـرْقَشِيثَـا

ورد اللفظ في البخلاء مـرّة واحدة ، في تعبير ذي معنى حقيقي ، يكشف عن حال المتكلّم ، وما يعانيه من غلاء ثمنها ، وشدّة الجهد في البحث عنها . . قال الشيخ : " فكنت أشتري "المرقشيثا" بالغلاء . ." (1)

وقالوا : " إنها (المرقشيثا) الإسم الذي كان يطلقه علماء الكيمياء في القرون الوسطى على بعض المعادن الكبريتية التي تقدح النار ، ويقابله في اليونانية كلمة (بوريطس pyrites) وهي تعني حجر النار .

وقد جاء ذكره في كتاب الأحجار لأرسطاطاليس ترجمة لوقا بن إسرائيل ، بما يلي :— " حجر المرقشيثا : المرقشيثا ألوان كثيرة ، منها الذهبية ، والفضية ، والنحاسية ، هذه ألوانه . . وإذا حُكّ الحديد المسقى بالمرقشيثا قدح النار " . . (2)

هذا ولم أعثر على اللفظ في كلّ من المراجع التالية : —

- تهذيب الأزهري .
- صحاح الجَوْهري .
- لسان العرب لابن منظور .
- القاموس المحيط للفيروزأبادي .
- المعجم الوسيط . . إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

ويفهم من التعريف السابق أنها حجر يقدح شررا عند احتكاكه بغيره ، وله فائد أخرى غير هذه ، وصفات يعرفها علماء الكيمياء .

ويقول رفائيل نخلة اليسوعي : " إنّ أصله من الآرامية ، وهو فيها (markaohite) ويعني كبريتور الحديد " . . (3)

وتستعمل لاشعال النار مثلما تستعمل القداحة في الشرح السابق ، ولم أجد في المراجع من أشار إليها ، أو تحدّث عن سبب تسميتها . . وقد عرفنا أنّ أصل اللفظ أجنبيّ .

ومن مرادفاتها : الزِّناد ، والزَّنْد ، والقَدّاحَة . . واللفظ من الألفاظ الخاصّة ، يشملها لفظ عام هو "القَدّاحة" .

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم . . ولا رأيته فيما قرأت من أحاديث نبوية شريفة . . ولكنّي رأيته في الشعر الإسلامي . . قال صَفوان يردّ على بشّار بن بُردٍ ، حينما قال

---

1) البخلاء للجاحظ ، ص 32

2) م . س ص 298

3) الأب رفائيل نخلة اليسوعي ; غرائب اللغة العربية ، ط / دار المشرق بيروت 1986 ، ص 205

بشار بعذر إبليس في أن النار خير من الأرض ، فرد صفوان مبينا مكارم الأرض وفوائدها "، وعدد معادنها ومصالحها .. فقال من ذلك :ـ (طويل)

وفيها زرانيخ ومكر ومرتك * ومن مرقشيتا غير كاب ولا مكدي .. (1) "

وظاهر لدينا من هذا الشاهد اللغوي أن التطور الدلالي قد يحدث بالنقل ، من مجال لآخر . فالتحليل للفظ "المرقشيتا" قد يكون انتقل من مجال الكيمياء إلى مجال الاستخدام العام بسبب الشبه الشكلي أو الوظيفي ، أو هما معا .

وواضح أيضا أن أحدى طرائق التطور الدلالي هي نقل الألفاظ والدلالات من اللغات الأجنبية ، وهي هنا على وجه التحديد الآرامية (MARKACHITO) إلى العربية .

وأرى اللفظ قد دخل العربية في عصور تفتح اللغة العربية على غيرها من لغات الدنيا .. ولذا لم أر له ذكرا في مراجع أقدم من العصر الإسلامي .

وأعتقد ـ كذلك ـ أن اللفظ قد انتشر في نطاق ضيق بالمقارنة إلى المرادفات التي ذكرنا آنفا .. ثم بدأ يضمحل شيئا فشيئا ، إلى أن ذهب من الاستعمال ، وانطوى تاركا الساحة إلى غيره من الألفاظ المرادفة له : الزناد ، القداحة ...

ولا نعرف في الجزائر هذا اللفظ إطلاقا ، ولا نفهم مدلوله ، وأعتقد ـ كذلك ـ أن الجهل به الآن ليس خاصا بنا نحن ، ولكن الحال ينطبق على كثير من البلاد العربية الأخرى ، لأن اللفظ قد أهمل استعماله بمرور الزمن .

وأستنتج من كل ما سبق أن اللفظ نادر الاستعمال ، إذ لم يأت في " البخلاء " إلا مرة واحدة .. وتعدد أنواع القداحة وأشكالها وأسماءها جعل اللسان يميل إلى أسهلها نطقا وأخفها جرسا .

وإهمال المعاجم لذكر (المرقشيتا) سبب آخر من أسباب الجهل به . وأرى أن الحاجة إليه لم تكن ماسة لذا قل استعمال اللفظ بصيغته الغريبة التي لا تتماشى مع النطق العربي الفصيح . ويصعب معرفة أصل مادته التي يصنف بها في معجم عربي ، وعليه فقد شق علي إيجاده في أي معجم من المعاجم التي اعتمدت عليها .

ونلاحظ الصلة الوثيقة بين المرقشيتا والقداحة .. فكل مرقشيتا قداحة ، وليس العكس صحيحا ولم يعد اللفظ مستعملا الآن معروفا إلا لدى فئة من العلماء متخصصة ، لانعدام حاجة (المجتمع) إليها في الأحوال العادية .

---

1) الجاحظ : البيان والتبيين ، تح/عبد السلام هارون ط4 ب.ت ، ج 1/28

الـبـــاب : الأول .

الفـصـــل : الأول .

المجـمـوعـة : الثـالثـة .

الألفـــاظ : —

كـانـــون . تـنّـور .

كـانـون

ورد اللفظ في البخلاء مرّة واحدة، في تعبير يتحدّث عن أكلة تسمّى "مثلّثة" ينصح صاحب القول فيها صاحبه باتخاذها لعياله، لأنّها عظيمة البركة، ولها منافع جمّة خاصة وأنّها تغني "وتقوم في أجوافهم مقام فحم الكوك من الخارج، وحشو الحار يُغني عن الوقود وعن لبس الحشو".. (1)

والتعبير مجازي، والغرض منه بيان ما تقدّمه الأكلة من حرارة، يفتني بها الجسم، وتقاوم برد الشتاء.

وقالوا في تعريفه :-

" الكانون : المُصطلى .." (2)

" الكانون : الوَقْد، كالكانونة .." (3)

" الكانون : المَوْقد .." (4)

" الكانون والكانونة : المَوْقِد .. (5)

وأغلب المعاجم التي رأيت قد اتفقت على كون "الكانون" موقدا للنار، وهو للطبخ أو .. الاصطلاء، ولم تحدّثنا عن شكله ولا حجمه .. ولكنّني أعتقد أنّ سكوتها عن الحديث في ذلك راجع الى أنّ مدلول اللفظ معروف .. أضيف إلى ذلك أنّه ليس للكانون شكل خاص يعرف به، ويميّزه على غيره، وكلّ ما في الأمر أنه مكان مهيّأ، تتوفر شروط تضمن الأمن من خطر انتشار اللهب خارجه.

قال ابن فارس: إنّ مادّة "ك.ن" لها أصل واحد صحيح، يدلّ على ستر أو صون ومن الباب "الكانون" لأنّه يستر ما تحته .." (6)

ومن معاني المادّة: "كَنَنْتُ الشيء: سترتُه وصنته .." (7)

ويفهم من القول السابق سبب تسمية "الكانون" بهذا الإسم، فهو "كانون" فاعول. لأنّه يكنّ ما تحته أي يستره.

وأرى أنّ أصل اللفظ عربي أصيل.

---

1) البخلاء للجاحظ .. ص 41

2) تهذيب الأزهري .. 453/9

3) القاموس المحيط .. 4/ 264

4) المعجم الوسيط .. 801/2

5) صحاح الجوهري .. 2189/5

6) مقاييس اللغة .. 123/5

7) صحاح الجوهري .. 2189/5

وتعتبر الألفاظ هذه الألفاظ مترادفة ، وهي : المَوْقِد ، المُصْطَلَى ، التّنور، الموقدة، والمستوقد . . والواقع أنها ليست كذلك حقيقة، لأنها تدلّ على صفة من صفات "الكانون" . . أو على حالة من حالاته فحسب ، وهي مستعملة كلّها في اللسان العربي ، على حدّ سواء، دون تمييز دقيق . . والوقع -كذلك- أنّ العامة لا تحسن التفريق بينها لما جبلت عليه من النظرة الشمولية للأشياء ، بيد أنّ الألفاظ عربية المادّة والصيغة، ما عدا لفظ "التنور" فإنّ لنا معه وقفة خاصّة . . إن شاء الله .

وأرى لِلَّفظِ مشتركا في الصيغة مع خلاف جذري في المدلول . . واللفظ المشترك هو: "الكانون" بمعنى الرجل الثقيل ، يجلس بين القوم يسترق أخبارهم، فيكنون عليه أي يسترون عليه أحوالهم وأخبارهم . . ويضرب به المثل فيقال : "أثقل من كانون" . . (1) فقد حُكِيَ عن "المُفَضَّلِ عن الفرّاء أنّ كلامهم (قد كَنَوْتَ علينا) أي ثقلت علينا . . وحكي عن الأصمعي أنّ الكانون هو الذي إذا دخل على القوم ، وهم في حديث كنّوا عنه" . . (2)

وهجا الحطيئة أمّه ، فوصفها بالثقل، وسمّاها كانونا . . فقال :- (وافر)

أَغِرْبالًا إذا اسْتُودِعْتِ سِرًّا * وَكَانُونًا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا . . (3)

وكانون الأول ، وكانون الثاني (أو الآخر) شهران في قلب الشتاء ، بلغة أهل الروم . (4) وعدّه بعضهم في التقويم السرياني * الشبيه بالتقويم الجريجوري ، دون تحديد لأصل التسمية . (5)

وأرى أنّ لفظ "الكانون" لفظ عام، وتندرج تحته ألفاظ خاصّة، أكثر تحديداً ودقّة في الدلالة على معناها .

كما أعتقد أنّ اللفظ لم يرد في القرآن الكريم، وورد في الأشعار العربية، بهذا المعنى قليل . كما أنّني لم أعثر عليه فيما قرأت من أحاديث نبوية شريفة ، في كتاب "صحيح مسلم" . كما أرى أنّ لفظ الكانون لا يزال يستعمل بصيغته ومعناه، ولم يطرأ عليه تغيير . وما زلنا في الجزائر ،كما هو الحال في دول عربية أخرى، نستعمل اللفظ بصيغته ومعناه، دون تغيير ولا نكاد نعرف سواه .

وعند النظر في أصل اللفظ ومدلوله وصور استعماله اتّضح لديّ أنّ اللفظ مستعمل مرّة واحدة في "البخلاء" ممّا يرجّح قلّة استعماله . ورأيت التعاريف السابقة، وقد اتّفقت على تعريف متقارب غير أني أرى أنها غير كافية ، فتعريف الكانون بالمصطلى يفهم بوضوح عند

---

1) و (2) مجمع الأمثال للميداني . . 1/ 157

3) مقاييس اللغة لابن فارس 5/123 . والأغاني للأصفهاني 2/157 .
- وصحاح الجوهري 5/ 2189

4) صحاح الجوهري . . 5/ 2189 . والقاموس المحيط . . 5/ 264

5) الموسوعة العربية الميسّرة ص 539

من كان في حاجة الى الاصطلاء بسبب البرد" . وقد أطلق الإسم هنا بالنظر إلى الفائدة التي تجنى منه.. وأما تعريفه بالموقد فكان بالنظر إلى وقد النار وشعلتها، وهكذا تكون النظرة إلى وظيفة" الكانون" الضيّقة ، مع أنّها أوسع من ذلك .

واعتبار لفظ " الكانون" جاء من مادّة (ك.ن) أي ستر. (1) قول فيه نظر فليس كلّ ما ستر" كانونا" بالمعنى المطلوب .

---

1) مقاييس اللغة .. 123/5

تَـنُّـور

ورد اللفظ في " البخلاء " سبع مرّات، في تعابير حقيقية، جاء الحديث فيها عن إشعال النار لتحضير الطعام .

وجاء في تعريفه :—
* التَّنُّور : الذي يخبز فيه " .. (1)
* التّنُّور : نوع من الكوانين " .. (2)
* التنُّور : الكانون يُخْبَز فيه " .. (3)
* التّنُّور : الفرن يخبز فيه، والجمع تنانير " .. (4)

ولم أجد تعريفا محدّدا في مقاييس اللغة، ولا في تهذيب اللغة .. وأعتقد أنّ التنور هو مكانٌ انفجار النار ، يمدّ عليه الطعام ، ويصنعه الناس في بيوتهم من موادّ خزفية على شكل بيت صغير، يحمى الجوّ داخله إلى درجة تكفي لإنضاج الطعام .

وتختلف أشكاله وأحجامه ، فمنه ما يسع الْجَدْيَ بحاله .. قال الجاحظ: " وذلك أنّه قال له : (تَسَعِ الجَدْيَ في التنورِ) .. " (5)

وتشعل نار التنور ـ غالبا ـ بالوقود الجافّ ، كالحطب، أو الشوك، أو القصب . ففي العراق توقد التنانير بالشوك ، كما يروي المسعودي .. (6) أو القصب السكّري الممصوص .. (7) وبِقِلَعِ القماش الساقطة . (8) وربّما توقد في عصرنا بأنواع الوقود العصرية كالبيترول وغيره .

وأصل اللفظ ليس عربيا ، فقد ذكر الجواليقي أنه فارسي معرّب .. (9) ووافقه في ذلك بعض الباحثين .. (10) وآخرون يرون اللفظ بكلّ لسان عربي وأعجمي .. (11)

فقد جاء في المخصّص : " ويقال إنّ التنور لفظة اشترك فيها جميع اللغات من العرب وغيرهم ، فإن كان كذلك فهو طريف ، إلا أنه على كلّ حال " فعّول " ، أو فنعول ، لأنه جنس ولو كان أعجميا لا غير لجاز تمثيله (لكونه جنساً ولاحقا) بالعربي ، فكيف وهو أيضا عربي لكونه

---

1) صحاح الجوهري .. 602/2
2) لسان العرب .. 94/4
3) القاموس المحيط .. 381/1
4) المعجم الوسيط .. 89/1
5) البخلاء .. .. ص 56
6) مروج الذهب .. 463/3
7) البخلاء .. .. ص 28
8) م.س .. ص 143
9) المعرّب للجواليقي .. ص 34
10) الخفاجي في شفاء الغليل .. ص 59 . والإتقان في علوم القرآن للسيوطي .. 138/1
11) أدب الكاتب لابن قتيبة .. ص 495 . والإحكام في أصول الأحكام للآمدي 9 1/38 .
وتهذيب الأزهري .. 269/14

في لغة العرب غير منقول إليها، وإنما وفاق وتسع، ولو كان منقولا (إلى العربية من غيرها) لوجب أن يكون أيضا وفاقا بين جميع اللغات غيرها، ومعلوم سعة اللغات (غير العربية) فإن جاز أن يكون مشتركا في جميع ما عدا العربية. ويبعد في نفسي أن يكون في الأصل للغة واحدة، ثم نقل إلى جميع اللغات، لأننا لا نعرف له في ذلك نظيرا. وقد يجوز أيضا أن يكون وفاقا بين لغتين، أو ثلاث، أو نحو ذلك، ثم انتشر بالنقل في جميعها". (1)

وأورد الأستاذ (فاضل) للتنور صيغا مختلفة هي: "أنتار، وتنّور، وأنتور".. (2) وأرى أن ما سبق من أقوال كافيا للتدليل على أن أصل اللفظ غريبا عن العربية. وأن من الألفاظ الخاصة التي أطلقت على شكل من الأشكال الخاصة بالكانون..

ورد اللفظ في القرآن الكريم، أثناء الحديث عن حادثة الطوفان.. فقال تعالى:- "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ".. (3)

ولم يفسرها الزمخشري.. (4)

وقال تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ".. (5)

قال الزمخشري: "روي أنه قيل لنوح عليه السلام: إذا رأيت الماء يفور من التنور، فاركب أنت، ومن معك في السفينة، فلما نبع الماء من التنور أخبرته امرأته فركب، وقيل: كان تنور آدم عليه السلام، وكان من حجارة، فصار إلى نوح. واختلف في مكانه، فعن الشعبي (أنه) في مسجد الكوفة عن يمين الداخل، مما يلي باب كندة، وكأن نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام، بموضع يقال له (عين وردة)، وقيل بالهند. وعن ابن عباس-رضي الله عنه:- التنور وجه الأرض. وعن قتادة: أشرف موضع في الأرض".. (6)

وجاء في الحديث أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه ثوب مُعَصْفَر، فقال له الرسول الكريم: "لَوْ أَنَّ ثَوْبَكَ فِي تَنُّورِ أَهْلِكَ، أَوْ تَحْتَ قِدْرِهِم كَانَ خَيْرًا، فَذَهَبَ فَأَحْرَقَهُ" (7)

وعن بنت لحارثة بن النعمان، أنها قالت: "ما حفظت (سورة ق) إلا من في رسول الله، يخطب بها كل جمعة.. قالت: وكان تنورنا، وتنور رسول الله واحدا".. قال النووي في الشرح: "إشارة إلى حفظها، ومعرفتها بأحوال النبي، وقربها من منزله".. (8)

---

1) المخصص.. 3/ 285 و 286
2) مجلة اللسان العربي ط/ 1971. مجلد 8. ع 1 / 58
3) هود.. الآية: 40
4) الكشاف.. 2/ 269
5) المومنون.. الآية: 27
6) الكشاف.. 3/ 30
7) لسان العرب.. 4/ 15
8) صحيح مسلم، بشرح النووي.. 6/ 161

ولم أجد اللفظ فيما قرأت من أشعار، فلعلّ وروده بهذه الصيغة نادر .

وأرى أنّ اللفظ غريب في عامية الجزائر الحالية ، فنحن لا نعرف مدلوله إذا ما نطق به ، غير أننا نعرف شكله ووظيفته ، ونسميه " الكُوشَة " ، وهي بناء من الآجر أو الفخار بشكل دائري ، أو مُرَبَّع ، يُحمَى ، ثمّ يوضع داخله عجين الخبز فينضج ، وهو مُستعمل في ريفنا معروف .

وأعتقد أنّ تعريف " التنور " بكانون الخبز ، أو الذي يخبز فيه .. (1) قد جعل فوائده محدودة ، مع أنّ للتنور منافع أخرى .. (2)

وبتطوّر الحياة الاقتصادية والتكنولوجية أصبح التنور يوقد بأنواع جديدة من الوقود .

ويستخلص مما سبق أنّ أصل اللفظ مختلفٌ فيه ، ولا يكاد يعرف في كلام العرب لأنه مهمل .. (3) وقد دخل العربية مع المفردات التي عرّبت .. فقدْ ذكر اليسوعي في كتاب " غرائب اللغة العربية " أنّ التنور من أصل آرامي ، ويعني " مكان النور " أو هو :- (TANOURO أو BEYT _ nour) .. (4) ولكنه عند التعريب وافق اللسان العربي في صيغته ، ومعناه .

والعلاقة بين الكانون والتنور علاقة مشتركة ، فكلّ منهما يُعَدّ موقدا للنار ، وإن اختلفت الأشكال والوظائف .. بل إنّ التنور في عُرْفِ بعضهم هو الكانون . (5) كما سبق في التعريف . والواقع أن لفظ " الكانون " أَعَمُّ من لفظ " التنور " كما بيّنا ، فيكون كل تنور كانون والعكس غير صحيح . فالكانون للبساطة أقرب ، أمّا التنور فهو نتاج فكري متحضر ، أكثر تمايزا وتحديدا من الكانون .

---

1) صحاح الجوهري .. 2/602 ، والقاموس المحيط .. 1/381 ، والمعجم الوسيط .. 1/89

2) غرائب اللغة العربية ، رفائيل نخلة اليسوعي ط/ 1986 ، دار الشروق .. ص 150

3) لسان العرب لابن منظور .. 4/95

4) غرائب اللغة العربية .. ص 175

5) لسان العرب 4/94 ، ودائرة معارف القرن العشرين لأحمد وجدي 2/695 ، والقاموس المحيط 1/381

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : الرابعة .

الألفاظ : ـــــــ

قدر . برمة . مقلى .

قـــدر

تـكرّر اللفظ في " البخلاء" .. (52) مـرّة ، منـها (17) مـرّة ، جـاء اللفظ في حـالة الجمـع : (قـدور) ، وبقية الحالات في المفرد .. وأغلب التعابيـر في الحقيقة . ولم يأت فـي المجـاز الا" تسع حـالات ، كـانت الصـور فـيها كـنايات ،، مثل : " متى باللحم عهـد قـدوركم .. ؟ " (1) كـناية عـن بـعد عهدهم بأكل اللحم .

وقـالوا فـي تـعريفـها :ـ

- * " قالهالليث: القِـدْر معروفة ، وهي موءنّثة ، وتصغيرها قُدَيْر ، بلا هاء " .. (2)
- * " القِدْر : موءنّث ، وتصغيرها قـدير ، بلا هاء على غير قياس " .. (3)
- * " القِدْر : يوءنّث ويـذكّر ، والجمع قُـدُور " .. (4)
- * " القِدْر : إناء يطـبخ فيـه ، موءنّثة وقـد يُذكّر " .. (5)

ويفـهم مـن هـذه الاٴقـوال أنّ القـدر من أواني الطبخ عـامّة ، غير أنّ بعضهـم يـرى أنّ القـدر" إسـم لمّـا يطبخ فـيه اللحم (6)ولعّـل هـذا التخصيص الاٴخـير يثبـت عُـرفًا في منطـقة بـذاتـها . والراجح عنـدي أنـهم قـد جعلوا قدورا لاٴعمال مخصّصة .. فقـدر للطبـخ ، وقدر للصـناعة ، وغيرها .. وقد كـانَ شـائعا معروفًا في عصر الجاحظ تخصيص قـدر للنبيذ يغلى فيـها .. يُوَرَدُ ذلك صـريحا في قـول الجاحظ : " يكتري قدور الخـمّارين التي تكـون للنّـبيذ " .. (7)

وربّما كـانت القدر ضـرورية في كـثير من الاٴعمـال ، وحـاجة الناس إليها في الطبخ ملـحّة إذ كـان العرب" إذا أعوزهم قـدر يطبخـون فيـها عَمِلوا شيئا كهيئة القدر من الجلود ، وجعلوا فـيها الماء واللبن ، وما أرادوا من وَدَكٍ ، ثمّ ألقوا فـيه الرّضَفَ (وهي الحجارة المُحَمّاة) لتنضج مـا في ذلك الوعـاء " .. (8)

وقـال الشـاعر : ــ (بسيط)

مَـا مَسَّـهَا دَسَـمٌ مُذْ فُـضَّ مَعْدِنُـهَا * وَلَا رَأَتْ بَعْدَ نَـارِ الْقَيْنِ مِنْ نَـارٍ .. (9)

---

1) البخـلاء .. ص 223
2) تهذيب اللغة للأزهري .. 9/18
3) صحاح الجوهري .. 2/787 و " لسان العرب" .. 5/80
4) القاموس المحيط .. 2/114
5) المعجم الوسيط .. 2/718
6) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ، تح محمد سعيد كيلاني ط / مصطفى البابي الحلبي بمصر 1961 ص 396
7) البخلاء .. ص 125
8) مجمع الاٴمثال للميداني .. 2/275 .. عن الاٴصمعي .
9) البخـلاء .. ص 228

يفهم من هذا البيت أنّ القدور لديهم تصنع من موادّ معدنية ، وأراها نحاسا أو حديدا وقد تخصّص فيه عمّال حذقوا فنّ الصناعة يدعون بالقَيان .

ولم أجد في المعاجم التي رأيت من خصّص مادة صناعتها من معدن معيّن .. ولعلّ القوم قد رأوا أنّ ذلك مفهوم لدى الجميع ، فلم يخوضوا غِمَاره .. وتركوا باب الاجتهاد مفتوحا بناءً على الملاحظة والاستقراء .

وألاحظ أنّ مادّة صنع القدور كانت ولا تزال إلى اليوم باختلاف المناطق هي المعادن كالحديد ، والنحاس، ثمّ الخزف . وبعض الصخور القابلة للتشكيل ، مع اختلاف التسمية باختلاف مادّة الصنع ، كما يذكر في مكانه مما هو آتٍ - إن شاء الله ..

ولم أستطع أن أجد فيما رأيت من مراجع سببا للتسمية كان شافيا كافيا .. ووجدت ابن فارس يقول : "قدر : أصل واحد صحيح ، يدلّ على مبلغ الشيء وكُنْهِه ، وممّا شذّ عن هذا القياس القِدْر ، وهي معروفة " .. (1)

وفي القول السابق ذكر للقدر لا كِفاية فيه ، ومن المحدثين من اجتهد في تخريج سبب التسمية ، إذ قال : " قَدَرَ على الشيء واقتدر عليه أي جَمَعَه وأَمسَكَه ، وقيل : إنّ في هذا المعنى قد سميت القِدْرُ قِدْرًا لجمعها ما فيها ، وإمساكها له " .. (2)

وهذا في نظري أقرب إلى الفهم من سواه .. فإن صحّ ما يقوله الرجل ، فإنّ اللفظ يكون عربيا . لكن غيره يعتقد بأجنبية اللفظ ويخرجه مخرجا طريفا .. قال : " اللفظ من اليونانية ، وهو فيها (CHITRA) ، فأصبحت في العربية قِدْرَة " .. (3)

ولم أجد ما يؤيّد هذا الرأي في مراجع أخرى كانت تتناول قضية الدخيل في اللغة العربية .. (4)

وقد تتعدّد أسماء القدور بتعدّد موادّ الصنع، والشكل ، والحجم ، فهي من الحجر "بُرْمَة " (5) ، ومن المعادن مِرْجَل أو مِنْجَرَة : وهي قدر صغيرة من معدن ذات مِقْبَض. (6)

---

1) مقاييس اللغة .. 63/5

2) بطرس البستاني : محيط المحيط ط/ ب.تا بيروت .. 1673/2

3) غرائب اللغة العربية .. ص 264

4) تفسير الألفاظ الدخيلة لطوبيا العنيسي ، والألفاظ الفارسية المعربة لأدي شير وشفاء الغليل للخفاجي .

4) لسان العرب .. 45/12

6) غرائب اللغة العربية .. ص 194

وعن ثعلب أنّه قال : " كلّ قدر من حديد، أو صفر، أو حجر، أو خزف، أو نحاس، أو غيرها فهو مرجل " .. (1) ولفظ المرجل أعجميّ الأصل . قال : " مرجل: راجة (MAJGLC) قدر من نحاس مخلوط بالقصدر " .. (2) والقدر الصغيرة تسمّى : الكفت ، على حدّ قول الأصمعي (3).

وربّما تميّزت صفاتها وجودتها بحسب مناطق صناعتها . قال الجاحظ : " وكان لا يرى الطبخ في القدور الشآميّة لأنّها تنشف " .. (4)

وكثيرا ما رأيت لفظ المرجل مستعملا في أشعار العرب المختلفة العصور، من الجاهلي إلى الإسلامي ، وأحسب اللّفظ مستعملا عندهم بكثرة قد تطغى على استعمال لفظ القدر استعمالا حقيقيّا ، أو مجازيا ، ولا عجب في ذلك ، فقد رأينا القدر عندهم هي المرجل ، كما يروي ثعلب.

فكلّما أرادوا التعبير عن شدّة الغليان ، حقيقة كان أو مجازا ، أتوا بلفظ المرجل .. قال النابغة الذبياني : ـــــــ (طويل)

يَسِيرُ بِهَا النُّعْمَانُ تَغْلِي قُدُورُهُ * تَجِيشُ بِأَسْبَابِ المَنَايَا المَرَاجِلُ .. (5)

وقال امرؤ القيس في معلّقته يصف اضطراب فرسه : ـــــ (طويل)

عَلَى الذَّبْلِ جَيَّاش كَأَنَّ اهْتِزَامَهُ * إِذَا جَاشَ فِيهِ حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ .. (6)

وقال زهير بن أبي سلمى في معلّقته يصف أطلال المنازل المهجورة : ـــــ

أَثَافِيَّ سُفْعًا فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ * وَنُؤْيًا كَجِذْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمِ .. (7)

وأحسب لفظ (القدر) لفظا عامّا ، ثمّ تندرج تحته مجموعة من الألفاظ تخصّص أنواع القدر وصفاتها ، كما سبق الذكر .. ولا يمكن بأيّ حال اعتبار الألفاظ المذكورة مترادفات .. إذا ما دقّقنا النّظر في الفروق الدقيقة بينها ، وإن كان لفظ " المرجل " يعتبر مرادفا للقدر عند ثعلب . كما ذكر سابقا .

وقد ورد لفظ " المرجل " كذلك في الحديث الشريف . قال الرّسول (صلعم) : " إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ كَانَ لَهُ نَعْلَانِ ، وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارٍ ، يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ ، كَمَا تَغْلِي المِرْجَلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا ، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ " ..

---

1) شرح المعلّقات السبع للزوزني .. ص 42
2) غرائب اللغة العربية .. ص 200
3) فقه اللغة للثعالبي .. ص 26
4) البخلاء .. ص 45
5) ديوان النابغة الذبياني . جمع وتحقيق الشيخ طاهر بن عاشور ط/ 1976 . ص 187
6) شرح المعلّقات السبع للزوزني .. ص 42
7) م . س .. ص 101

وقال النووي في شرح المرجّل : " هو قدر معروف ، سواء كان من حديد أو نحاس ، أو حجارة أو خزف ، هذا هو الأصحّ ، وقال صاحب المطالع : هو القدر من نحاس ، يعني خاصة والأوّل أعرف " .. (1)

ويطلق لفظ " القِدْر " مجازا على ما فيها من طبيخ ، وهو تطوّر دلالي وقع بالنقل من مجال لآخر عن طريق المجاورة . يقال : " أكلْتُ قِدْرًا طيّبةً ، أي أكلتُ ما فيها " .. (2)

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم ، في قوله تعالى :ـ

* " وجِفانٍ كالجوابِ ، وقُدورٍ راسياتٍ ، اعملوا آلَ داوودَ شكرًا " .. (3)

وقال الزمخشري في شرح هذه الآية : " لأنّ الماء يجبى فيها ، أي يجمع ، جعل الفعل لها مجازا ، وهي من الصفات الغالبة " .. (4) ولم يشرح لفظ القِدْر ، ثمّ انتقل إلى شرح الراسيات ، فقال : " راسيات : الثابتات على الأثافي لا تنزل عنها لعظمها " .. (5)

هذا ما رأيت لها من ذكر في الآية وشرحها ، أما في الحديث الشريف ، فقد رأيت للقدر ذكرا في كتاب " صحيح مسلم " في مواضع مختلفة تتحدث عن القدر الخاصّة بالطبخ ، لا عن سواها .. من ذلك أنه جاء " عن كعب بن عُجْرة رضي الله عنه أن النبي (صلعم) مرّ به ، وهو بالحديبية قبل أن يدخل مكّة وهو محرم ، وهو يوقد تحت قِدر " . (6)

وفي ذكر آخر أنه " أتي بقدر فيها خضروات من بقول ، فوجد لها ريحا ، فسأل ، فأخبر بما فيها من البقول ، فقال : قرّبوها إلى بعض أصحابه ، فلمّا رآه كره أكلها ، قال : كُلْ فإنّي أناجي مَنْ لا تناجي " .. (7)

ورأيتُ بالإضافة إلى ما ذكر آنفا من أشعار جاهلية وإسلامية ، يفهم منها أنّ العرب كانوا كثيرا ما يفتخرون بقدورهم ، فنسجوا حولها طرائف كثيرة ، وقالوا فيها أقوالا نقف عند بعضها وقفة قصيرة ..

قال الحسن بن هاني ، أبو نُواس :ـ (طويل)

رأيتَ قُدورَ النّاسِ سودًا على الصِّلى * وقُدورُ الرّقاشيّينَ زهراءُ كالبدرِ .. (8)

---

1) صحيح مسلم .. 3/86

2) فقه اللغة للثعالبي .. ص211

3) سبأ .. الآية : 13

4) الكشّاف .. 3/283

5) م.س والصفحة نفسها .

6) صحيح مسلم .. 8/119

7) م.س .. 5/50

8) البخلاء .. ص228 ، وديوانه ، ط/ دار بيروت 1982 ، ص 333 ، وفيه : " مِنَ الصِّلى " بدلا من " على الصِّلى "

ويفهم من هذا البيت أنّ العرب كانوا يفاخرون بسواد الأثافي والقدور ، ويهجون من كانت قِدْرُه زهراءَ خالية مِنَ السَّواد . فَالسَّواد في نظرهم دليل على كثرة إشعال النار لإعداد الطعام ، في القدور المنسوبة لإطعام الجائعين . . ومن كانت قدره زهراء ، فهو بَخِيلٌ وأهل للذّم .

وقال معن بن أوس يمدح رجلا كريما : ـــ (طويل)

أَخُو شَتَوَاتٍ لَا تَنْزِلُ قُدُورُهُ × يُحَلُّ عَلَى أَرْجَائِهَا ثُمَّ يُرْحَلُ . . (1)

وعندما يبالغون في المدح يعظّمون القدور ، فإذا هَجَوْا أحدا استصغروا قدره ، حتّى لا تكاد يرى بالعين . .

وقالوا في المدح : ـــ (طويل)

تَرَى البَازِلَ الكَوْمَاءَ فِيهَا بِأَسْرِهَا × مُغَيَّبَةً فِي قَعْرِهَا مَا تَحَلْحَلُ . . (2)

وردّ ميسرة أبو الدرداء على فخر الفرزدق بقدره ، فقال واصفا قدره مميّزا لها : ـ (طويل)

وَقِدْرٍ كَجَوْفِ اللَّيْلِ أَحْمَشْتُ غَلْيَهَا × تَرَى الفِيلَ فِيهَا طَافِيًا لَمْ يُفَصَّلِ . . (3)

وقالوا في الهجاء : ـ (طويل)

وَلَوْ جِئْتَهَا مَلْأَى عَبِيطًا مُجَزَّلًا × لَأَخْرَجْتَ مَا فِيهَا بِعُودِ خِلَالِ . (4)

وقال أبو نواس يصف قدر القوم بالصغر كناية عن البخل بالطعام : ـ (طويل)

إِذَا تَنَادَوا بِالرَّحِيلِ سَعَى بِهَا × أَمَامَهُمُ الحَوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ الذَّرِّ . . (5)

ومن أقذع الهجاء ما جاء في معنى البيتين ، فقد بلغ أقصى ما يصل إليه خيال الانحطاط ، فما في القدر يخرج بـ " خِلَالٍ " ثمّ ما حجم هذه القدر التي يسير بها صغير النمل ؟! ، إنّ هذا لأعجب ما يسمع من المبالغة ! .

ورأيت لأبي نُوَاس أيضا أبياتا أخرى طريفة ، نذكر منها : ـــ (طويل)

وَجَدْتُ لِكُلِّ النَّاسِ فِي الجُودِ خِلَّةً × وَلَوْ كَانَ سَقْيُ المَاءِ فِي مُنْتَهَى القَفْرِ
سِوَى المُعْتَدِينَ الذِينَ قُدُورُهُمْ × تَمَرَّ زَفِيهَا العَنْكَبُوتُ مِنَ الحَسْرِ
هُمُ أَحْرَزُوا الرُّغْفَانَ حَتَّى تَكَلَّمَتْ × أَمِنَّا بِحَوْلِ اللَّهِ مِنْ حَذَرِ الكَسْرِ . . (6)

ولا أعتقد أنه طرأ على لفظ " القدر " تغيير يذكر من حيث الصيغة ، ولا من حيث الدلالة ، إلاّ أن تكون أشكال جديدة ، جاءت مع التطوّر الصناعي في هذا العصر .

---

1) البخلاء . . ص 224
2) م.س . . ص 224
3) م.س . . ص 228 226
4) م.س . . ص 228
5) ديوان أبي نواس ص 333 ، وفيه : " إِذَا مَا تَنَادَوْا لِلرَّحِيلِ) بدلا من " بِالرَّحِيلِ "
وهذه رواية البخلاء ص 228
6) م.س . . ص 335

وفي عامية الجزائر الحالية ، يستعمل لفظ القدر بصيغته ومعناه . . ولم يطرأ عليه تغيير يذكر . كل ذلك مع استعمال ألفاظ أخرى تؤدي المعنى ، باختلاف طفيف ، كالبُرْمَة والطنْجرة . . في بعض مناطق الوطن .

وبتطور الحياة الاجتماعية والصناعية في المجتمع ظهرت أشكال جديدة في صناعة القدور . . فكان من ذلك " القدر" الذي يستعمل ضغط البخار لإنضاج الطعام . .

والقدر من ألفاظ الحضارة القديمة الذي لا يزال صالحا للاستعمال في حضارتنا الحديثة ولم يذكر " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة الذي نشره مجمع اللغة العربية المصري ، ولكنه تحدث عن الشكل الجديد الذي يستعمل البُخار ، فاقترح تسميته بـ" القدر الكاتمة" . (1)

والتعاريف السابقة كانت في حاجة إلى توضيح أكثر ، إلا ما جاء في تعريف المجمع حيث قال : إن القدر " وعاء يطبخ فيه" وهو تعريف يكاد يكون كافيا ، بغض النظر عن الاستعمالات المتعددة لأشكال القدور .

وقول الليث: " القِدْرُ مَعْرُوفة" كما جاء في تهذيب الأزهري " ، وبعض المعاجم الأخرى (2) هو حكم فقط ينطبق على زمانه ، أي ذلك الوقت الذي كانت فيه القدور محصورة الغرض ، أما اليوم فإن للقدر استعمالات أخرى غير الطبخ المعروف لديهم .

وأرى أن لفظ " القدر" و " المِرْجل" يكاد ينطبق مدلولا هما في مفهوم الأولين ظاهريا ولكننا إذا أمعنا النظر وجدنا لديهم فرقا اعترفوا ضمنيا ، ويمكن أن نتأمل جيدا بيت الشاعر النابغة الذبياني ، حين قال : (طويل)

يسيرُ بها النُّعْمانُ تَغْلي قُدورُهُ * تَجيشُ بأَسْبابِ المَنايا المَراجِلُ . . (3)

استعمل لفظ " القدور" مع السير الذي يسبب تعبا وجوعا ، ثم حين الانتقال إلى الحروب والمعركة ، وما فيهما من أهوال وفزع وموت عبّر بلفظ " المراجل" . . كأنما القدر عندهم مرتبطة بالكرم الرخاء والإطعام . . والمرجل قد ارتبطت بالمبالغة والشدة . . ولم يسعفني الحظ في إيجاد لفظ " المرجل" في موضع غير مواضع المبالغة والشدة . . وأما اليوم فإن ذكر "المِرْجل" يأتي - غالبا - في مواضع تتطلب شدة كالصناعة والأعمال .

---

1) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة: إصدار مجمع اللغة العربية المصري 1980 ص 26

2) انظر التعاريف الواردة في بداية الحديث عن القدر ، وأهم المعاجم التي ورد فيها القول بأن "القِدْر مَعْروفة" هي : - تهذيب الأزهري .. 18/9
- لسان العرب .. 80/5
- مقاييس اللغة .. 63/5

3) ديوان النابغة ص 187

بُرْمَة

ورد اللفظ في "البخلاء" مرّة واحدة ، في تعبير حقيقي ، تحدّث فيه صاحبه عن البُرْمَة وعملية الطبخ فيها .

وقالوا في تعريفها : —

* " البُرَم : القدور من حجارة ، الواحدة بُرْمَة " . . (1)
* " البُرْمَة : قدر من حجارة ، والجمع : بِرَامٌ ، وبُرَمٌ . . والبُرمة القدر مطلقا ، وفي الأصل متّخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن " . . (2)
* " البُرْمَة : قدر من حجارة ، والجمع بُرَم " . . (3)
* " البُرمة : القدر من الحجارة ، والجمع : بُرَمٌ ، وبُرْمٌ ، وبِرَام " . . (4)

ونلاحظ ما جاء في التعريف الثاني ، فنجد أنّ " البرمة القدر مطلقا " . وقد سبق القول على القدر ، وخصائصها ، ووظائفها . والجديد من التعاريف السابقة هو تخصيص صنعها من الحجارة .

ولم أجد في المراجع - التي رأيتها - من حدّد شكلها ، أو خصّص وظيفتها . . وأعتقد أنها تستعمل بشكل خاصّ في عملية الطّبخ .

وصنعها لا يتطلّب إلاّ جهدا لاقتلاع الحجارة الخاصّة ، التي هي متوفّرة في البيئة العربية البدوية منها والحضرية . . ويعرف صانعها بـ " المُبَرِّم " . . وهو الذي يقتلع الحجارة المناسبة من جبلها ، ويصنعها منه . . (5)

والفعل " بَرَمَ الشيءَ أحكمه ، يقال : بَرَمَ الأمر والعقد " . . (6) وفي المقاييس : " ب ر م . . تدلّ على أربعة أصول : إحكام الشيء ، والغَرَض منه ، واختلاف اللونين ، وجنس من النبات . . وشذّت عن هذه الأصول البُرْمَة وهي القِدْر " . . (7)

وبتدبّر المعنى اتّضح لديّ أنّ البرمة من مادّة (برم) التي يعني الفعل منها :- " إحكام الشيء " أي حُسْنُ فِعْلِه وجودته ، فتكون البرمة من الفعل ، وهي شيء وقد أحكمت صناعته . . ولا أراها قد شذّت كما يزعم ابن فارس .

---

1) تهذيب اللغة للأزهري . . 15 /220
2) لسان العرب . . 12 /45
3) القاموس المحيط . . 4 /78
4) المعجم الوسيط . . 1 /52
5) م . س والصفحة نفسها .
6) لسان العرب . . 12 /45
7) مقاييس اللغة لابن فارس . . 1 /233

ومما سبق من أقوال يمكن الاستنتاج بأن لفظ البرمة عربيا أصيلا ، ولم أجد في المراجع التي رأيتها ، من اعتقد بغير هذا الحكم.

والبرمة من بَرَمَ الشيء أحكمه، فمن حسّي مشهود ، فيكون اللفظ مشتقا من العمل الحسّي الملحوظ .

يعتقد ابن منظور بأنّ البرمة هي القدر مطلقا ، وفي التعاريف السابقة أنّ البرمة قِدْر فيكون اللفظ دالّا على القِدْر مرّة ،وأخرى القدر تدلّ على البرمة . . فكأنّ اللفظين مترادفان . ولا أرى ذلك واضحا ، فليس كلّ قدر برمة ، وقد برمت من الحجارة . . والحقيقة أنّ لفظ " القدر" أعمّ ،ولفظ " البرمة" أخصّ ، وكلاهما قدر .

ولم أجد اللفظ في القرآن الكريم ، وإنّما ورد بلفظ " القدر" . . أمّا في الحديث الشريف: فقد رأيت ،في " صحيح مسلم " اللفظ دالّا على القِدر الخاصّة بالطبخ . . فمن جابر بن عبد الله أنه قال : " وَلَنا بُهيمَةٌ دَاجِنٌ . . ذَبَحْتُهَا ، وَطَحَنَتْ فَفرغَتْ إلى فَرَاغِي فَقَطَّعْتُهَا فِي بُرْمَتِهَا " . . (1)

وفي قول آخر عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : دخل رسول الله - صلعم - على بَرِيرَة، وقد " أهْدِيَ لها لَحْمٌ" ،والبرمة على النار ، فأتي بخبز وأدم من أدم البيت ، فقال : ألم أرَ البرمةَ على النار فيها لحم ؟ " . . (2)

وأعتقد أنّ البرمة قد عرفت عند العرب بشكل واسع لأنها مصنوعة من مادّة متوفرة لديهم ، وصنعها سهل لا يتطلّب فنّا عاليا في الصناعة، وقلّة تكلفتها تُغري باقتنائها .

وقد ورد ذكرها في أشعار الأقدمين ،فهي في شعر طَرَفَة بن العبد : ـــ (كامل)

جَـاؤُوا إِلَيْكَ بِكُلِّ أَرْمَلَـةٍ * شَـعْثَاءَ تَحْمِلُ مِنْقَعَ الْبُـرَمِ . . (3)

وفي شعر النابغة الذبياني : ـــ (بسيط)

لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أَعْقَابًا إِذَا انْصَرَفَتْ * وَلَا تَبِيعُ بِجَنْبَيْ نَخْلَةَ الْبُرَمَا .

فهي ليست من سقط النساء اللاتي يكتسبن ببيع الأشياء . . (4)

ويظهر من القول الأخير أنه تولّى بيع البرم في الأسواق نساء ، فكانت سببا في انحطاط أقدارهنّ في عيون الرجال . وهذه "سُعَاد" حبيبة النابغة الذبياني ينزّهها عن هذا العمل ، ويزعم أنها بعيدة ، ليست منهنّ .

---

1) صحيح مسلم ،بشرح النووي . . 13 / 216

2) م . س . . 10 / 147

3) لسان العرب . . 12 / 45

4) ديوان النابغة الذبياني . . ص 216

وفي شعر حسّان بن ثابت :ـــ(بسيط)

تِلْكَ مَصَانِعُهُمْ في الدَّهْرِ قَدْ عُرِفَتْ * ضَرْبُ النِّصَالِ وَحُسْنُ الرَّقْعِ لِلْبُرَمِ . (1)

ويفهم من معنى البيت أنّ الرجل يمدحهم ، وحسن الرقع ليس عيبا عنده .

ولا يزال اللفظ مستعملا شائعا في الأوساط الشعبية العربية عامة، وفي الجزائر خاصّة، ونعرف مدلول اللفظ في معناه العام الذي يعني القدر مطلقا . وليس لدينا برمة من حجر خاصّة . غير أنها في الريف ، وفي بعض المناطق ، تصنع البرمة من الخزف إلى حدّ الآن .. مع الاتّجاه إلى تفضيل القدور المصنوعة من المعادن لسهولة اقتنائها ، وشدّة مقاومتها للتّلف ، بالمقارنة إلى تلك التي تصنع من الخزف .

وفي زمننا هذا .. إنّك إذا طلبت "البُرْمَة" جيء إليك بالقدر ، وأية قدر كانت في البيت دون التمييز بين أصنافها أو أشكالها ،أو مادّة صنعها ! . لكنّه لم يطرأ عليها تغيير في النطق، بل كان ذلك في الدلالة من الخاصّ إلى العام . بعد نسيان الإشارة إلى ما تصنع منه كأنّ لفظ البرمة عندنا مرادف للقدر عموما .

ولا عجب فقد كان هذا التعميم معروفا ، كما يفهم من تعريف ابن منظور .. (2)

وأفصح لفظ يطلق على هذه الآنية هو ما جاء في القرآن الكريم، أعني "القدر" . وقد أدرك "السلف هذه الفصاحة" قال أهل مكة لمحمّد بن المناذر الشاعر :(ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة إنّما الفصاحة لنا أهل مكّة . فقال ابن مناذر: أمّا ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن ، وأكثرها موافقة ، فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم، أنتم تُسَمُّون "القدر" بُرْمَة .. وتجمعون البُرمة على بِرَام ،ونحن نقول "قِدْر" ونجمعها على "قُدُور" .. قال الله عزّ وجلّ :-

" وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ " .. (3)

---

1) ديوان حسّان بن ثابت ط/ بيروت 1974 ، ص 242

2) انظر التعاريف السابقة ، في بداية الحديث عن البرمة .

3) البيان والتبيين للجاحظ، تح / عبد السلام محمد هارون ط/ 4 ب.تا ،ج 1/ 19

مِقْلَى

تكرّر اللفظ في " البخلاء " ستّ مـرّات ، في تعابير حقيقية تتحدّث عن قلي اللحم في المقلى .

ويمكن استعمال اللفظ في تعابير مجازية كقولنا : " فُلَانٌ عَلَى الْمِقْلَاةِ مِنَ الْجَزَعِ " . . والفعل منه تَقَلَّى ، يَتَقَلَّى . نقول : هو يتقلى على فراشه : يتململ ، ولا يستقرّ . . وأنشد الجاحظ :(خفيف)

لَسْتُ أَدْرِي أَطَالَ لَيْلِي أَمْ لَا * كَيْفَ يَدْرِي بِذَاكَ مَنْ يَتَقَلَّى . . (1)

وقالوا في تعريفها :—

* " المِقْلَاة : الذي يُقْلَى عليه " . . (2)
* " والمِقْلَى والمِقْلَاة : ما يقلى عليه " . . (3)
* " والمِقْلَاة والمِقْلَى : الذي يقلى عليه ، وهما مِقْلَيَانِ والجمع مَقَالِي " . . (4)

هذا ولم أجد لها ذكرا صريحا في تهذيب اللغة للأزهري ، وكل ما رأيت فيه هو قول " أبو عبيد عن الكسائي : قَلَيْتُ الحبّ على المقلى أقليه ، وقلوتُه . . وقال غيره : قلتُ اللحم على المقلى أقليه قليًا إذا شويته حتّى تنضجه ، وكذلك الحبّ يقلى على المِقْلَى " . . (5)

وكذلك لم أجد له ذكرا في "المقاييس" الا قوله : " قلو : القاف واللام والحرف المعتلّ ، أصل صحيح يدلّ على خفّة وسرعة ، من ذلك القِلْو الحِمَارُ الخفيف " . . (6)

والمِقْلَى معروف عندنا في الجزائر لِقَلْيِ الحبّ أو اللحم أو غيره ، وكلّ ما يمكن قليُه من الطعام . ولم تذكر المعاجم التي رأيتها شكلها ولا حجمها .

وأعتقد أنها تصنع — غالبا — من مادّة معدنية ، وهو إناء واسع له مقبض ، أو ليس له . وأراه من مادّة عربية المعنى فهو عربي أصيل . . ولم أجد في المراجع التي رأيتها من تطرّق إلى تحليل وافٍ لسبب التسمية وصياغتها ، وما طرأ فيها من إعلال .

ولم أجد له ألفاظا مشتركة ولا مرادفة ، إذ لم تتعدّد أسماؤها ، كما حدث مع بعض الالفاظ السابقة . كما أنّ اللفظ عام في معناه إذا تدبّرنا مدلوله جيّدا ، فكلّ ما يقلى فيه هو في حقيقته مِقْلَاة أو مِقْلَى .

ولم أجد اللفظ في القرآن الكريم ، ولا رأيته في كتب الحديث التي طالعتُها . . وأعتقد أنّ اللفظ شائع في المنظومة اللغوية العربية بنفس الصيغة والدلالة . فالإسم مشتق من المعنى المحسوس

---

1) كل هذه الأمثلة من المعنى المجازي مأخوذة من كتاب " أساس البلاغة " للزمخشري . . ص521

2) صحاح الجوهري . . 6/ 2466

3) المعجم الوسيط . . 2/757

4) لسان العرب . . 15/198

5) تهذيب الأزهري . . 9/ 295

6) مقاييس اللغة لابن فارس . . 5/ 16

الذي هو القلي . ولا شك في شيوع اشتماله لفظا ومعنى في العالم العربي .. لسهولة واسباب نطقه . . إذ لم يحتج الناس إلى غيره من المترادفات .

ويعرف اللفظ بصيغته ومعناه في عامية الجزائر الحالية ، ولا نكاد نعرف سواه .. فهو مستعمل دون تغيير ولا تبديل .

وأرى أن كلا من " القِدْر " و " البُرْمة " و " المقلى " أواني للطبخ ، وتنتمي إلى أسرة واحدة وكلّ منها لا يمكن أن تقوم مقام الأخرى للاختلاف في الشكل والاستعمال .. فالقِدْر والبُرْمة للطبخ عامة ، والمقلى للقَلْي .. وكلها مستعمل في تحضير الأكل .

والمقلى آنية قديمة لفظا ومدلولا ، فهي من ألفاظ الحضارة القديمة جدا ، حافظت عليها اللغة العربية كألفاظ من ألفاظ الحضارة الحديثة ، لذا فإن مجمع اللغة العربية المصري كان على حق عندما عدّه من ألفاظ الحضارة العربية الحديثة ذات الأصل العربي الخالص.(1)

1) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون ط/1980، ص 29

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : الخامسة .

الألفاظ : ــــ

ضحاز . هاون . مجشة .

مِنْحَـــاز

تكــرّر اللفظ في "العلاء" مرّتين ، في موضعين مختلفين ، في التعبير الأوّل كان المعنى فيه حقيقيا ، تحدّث عن أثر الدّق في المنحاز على أرض الدار . أما التعبير الثاني فقد كان مجازيا ، إذ تحدّث عن الدّق في المنحاز كناية عن الأكل بالضرس .. وأنّ المنحاز اذا استعمل في الدّق يتعب ، فما بالك بالاستعمال الدائم للضرس فهو يتعبها . ولم يذكر الزمخشري استعمالا مجازيا للفظ .. (1)

وقالوا في تعريفه :ــ

* " المِنْحَاز : ما يدّق فيه " .. (2)
* " النحز الدّق بالمِنْحَاز وهو الهاون " .. (3)
* " المِنْحاز الهاوَن .. والمِنْحَاز: المدّق" .. (4)
* " المِنْحَاز : الهاوُن .. نخسه ودّقه بالمِنْحَاز للهَاوُن " .. (5)
* " المِنْحَاز : شيء يدّق فيه الأشياء " .. (6)
* " المِنْحَاز : ما يدّق فيه كالهَاون " .. (7)

ويفهم من هذه التعاريف أنّ " المنحاز " آلة لدّق الأشياء ، وهو لفظ مشتّق من النحز الذي هو " الــدّق والضرب " .. (8) ، ومن هنا يكوّن المِنْحَاز هو " المِدّق " ، كما ذكر ابن منظور في تعريفه أعلاه .

وأرى أنّ مادّة صناعته متنوّعة ، فهي النحاس ، أو الحديد ، أو الخشب .. وربّما صنع من الحجر أيضا .. وتكون هذه الموادّ صلبة غير قابلة للتصّدع .

وجاء في" المقاييس" أنّ أصل اللفظ مادّة " نحز " التي لها " أصلان صحيحان يدل أحدهما على معنى النخس والدّق ، والآخر على امتداد في شيء " .. (9)

ويبدو أنّ لفظ " المنحاز" من الأصل الأوّل الذي هو " النخس والدّق " ، وكلّ آلة خصّت لذلك فهي مِنْحَاز ، على وزن مِفْعَال ، إسم آلة يُنْحَز بها . ومن هنا يكون أصل اللفظ عربيا .

---

1) أساس البلاغة للزمخشري .. ص 623
2) تهذيب اللغة للازهري .. 4 / 367
3) صحاح الجوهري .. 3 / 898
4) لسان العرب .. 5/414
5) القاموس المحيط .. 2/194
6) مقاييس اللغة .. 5/401
7) المعجم الوسيط .. 2/906
8) لسان العرب .. 5/414
9) مقاييس اللغة .. 5/401

ولـــم أجـد في المراجـع التي اطّـلعت عليـها ما يناقض هذا الحكم .

وللمنحاز ألفاظ مترادفة منـها " المِهْرَاس" ، وهو لفظ مشتقّ مـن (هرس) التي منها : — هَرَسَ الْحَبَّ : دَقَّـهُ في المِهْرَاسِ . . (1)

وعُـرِفَ المِهْـرَاسُ بأنـه " حَجَـرٌ مستطـيلٌ مَنْقُـور " . .. (2) ، وفي قول آخر : " المِهْرَاس حجـر منقـور يـدقّ فيه ، ويتوضّـأ منه " . . (3)

ورُبَّـما صُنِعَ المهراس من الخـشب . . قال الشـاعر : —(طـويل)

وَهَـلْ يَصْلُحُ المِهْرَاسُ إلاّ بِعُودِهِ . إِذَا احْتِيجَ مِنْهُ ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى الدَّقِّ . . (4)

ويفـهم من هـذا القول أنّ المهراس كـان شائعا ، لفظا ومدلولا .

وبالإضـافة إلى ما ذكر من أوجـه استعماله ، كالهرس ، والوضوء . يمكن أن تحفظ فيه الخمر . هذا ما ورد عن الأعشى ، حيثـما جاء ليُسْلِمَ على يـد رسول الله (صلعم) . . فلمّا علم أنّ الإسـلامَ يُحَـرِّم الخَمْرَ ، قـال : —

" آواه . . ! أرجعُ إلى صـبابة قـد بقيت لي في المِهْرَاسِ فأشـربها . . " (5)

وجمع مِهْراس مَهَارِيس ، يطلق مجازا على الإبل الثّـقال التي تهرس الأرض بشدّة وطئها . . قـال الحُـطيئة : —(طويل)

مَهَارِيسُ يَرْوِي رِسْلُهَا ضَيْفَ أَهْلِهَا . إِذَا النَّارُ أَبْدَتْ أَوْجُهَ الخَفِرَاتِ . . (6)

وهـناك ألفاظ أخـرى تـؤدي المعنى ، مشتقّـة من أفعال تكاد تكون مترادفة هي : نخس . . دقّ ، إضـافةً إلى : نحز ، وهرس ، فتكون منها ألفاظٌ هي : مِنْخَاس ، مِدَقّ ، مِنْحَاز ، مِهْرَاس . وليس هـناك فرق بينـها من حيث الوظيفة ، وهي ألفاظ عربية المعنى والمبنى ، ويضاف إلى هـذه الألفاظ لفظ " هَاوُن " وعـنها غريب . . ولنا معه وقفة خـاصّة إن شاء الله .

وَرَجَحَ لَدَيَّ اعتبار اللَّفظ عـامّا ، فكلّ مـا يدقّ به " مِدَقّ " ، وما ينحز به " مِنْحَاز " . . بغضّ النظـر عن هيئة استعماله ، أو صورة تركيبه .

---

1) أساس البلاغة للزمخشري . . ص 696

2) م . س . . ص 700

3) ابن مكي الصقلي : " تثقيف اللسان وتلقيح الجنان " تح / عبد العزيز مطر ، القاهرة 1966 . . ج 10/ 85

4) م . س والصفحة نفسها .

5) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني . . 9/ 108

6) أساس البلاغة للزمخشري . . ص 700

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، كما لم أجده في الحديث النبوي الشريف المروي في "صحيح مسلم" .

ولا نعرف في عامية الجزائر الحالية لفظ "المِنْحَاز" .. وتُعْرَفُ الآلةُ بيننا بالمِهْرَاس الذي هو إسم عربي فصيح .. وقد تنطقه العامّة بابدال السين زايا ، فتقول : مهرازا بدلا من المهراس .. وهذه اللهجة نفسها هي التي كانت سائدة في الأندلس إبّان القرن الرابع الهجري ، على ما يرويه ابن مكّي الصقلّي صاحب كتاب "تثقيف اللسان". (1)

وأرى أنّ التعريفات الواردة في مقدّمة الحديث ذات دلالة غامضة لا تَفِي بحاجة .. ولا تحدّدُ شكلا للمنحاز ، وأعجب ما جاء في تعريف ابن فارس القائل : "المنحاز شيء يدق الأشياء" .. (2) فهذا أشبه بتفسير الماء بالماء .

والتعريف الأخير الذي ينتظر منه أن يكون أكثر دقّة وتحديدا جاء مجاريا لما قبله ، وكأنّ الأمر يؤخَذُ كلّه بالسهولة نفسها ، وَلَوْ أنّ سائلا سأل : "مَا المِنْحَازُ ؟" وأجيب بالتّعريف نفسه ، فلا نشكّ في نقص فهمه .. لأنّ التعريف مبنيّ على معرفة سابقة بشكل من أشكال المنحاز ، أو إسم من أسمائه الجاهزة "المِدقّ أو الهاون" .. والأسماء الأخيرة نفسها في حاجة إلى شرح ، وبهذا تكون الحلقة مفرغة .

وتعرف آلة الدّق أو النحز عندنا بالمهراس ، وأراها أفصح من غيرها لانسياب لفظها .. وسهولة نطقها ، لذا كَثُرَ تداولها في لغتنا العاميّة الجزائرية خاصّةً . وينحصر استعماله في دقّ ما يجب دقّه ، لإعداد الطّعام في مطبخ البيت .. وهو العمل الشائع .. ولا يزال يصنع لدينا من مادّة الخشب ويباع في الأسواق .

---

1) ج 10/ 85

2) مقاييس اللغة .. 5/401

هَـــــاوُن

ورد اللفظ في البخلاء ، مرّة واحدة في تعبير حقيقي ، يتحدّث فيه صاحبه عن أثر الدّقّ على أرضيــة الدار ، وما يمكن أن يحدثه الاهتزاز والاضطراب مــن تصدّع .

وقــالوا في تعريفــه : ــ

* " الـهَاوَن : الذي يـدقّ فيـه ، مـعرّب ، وكـان أصله الـهَاوُون لأنّ جمعه هَوَاويــن ، مثــل قانون وقوانين فحذفوا منه الواو الثانية استثقالا ، وفتحوا الأولى لأنّه ليس في كلامهم فَـاعُل بالضم " .. (1)
* " الـهَاوَن : والـهَاوُن ، والـهَاوُوْن ، هذا الذي يـدَقّ فيه " .. (2)
* " الـهَاوَن : والـهَاوُن ، والـهَاوُون : الذي يدقّ فيه " .. (3)
* " الـهَاوُون : للذي يدقّ به ، عربي أصيل كـأنه فَاعُول من الـهـون " .. (4)
* " الـهَاوُن : وعاء مجوّف من الحديد أو النحاس يدقّ فيه ... " .. (5)

هذا ولم أجد أثرا للفظ في " تهذيب اللغة " وكلّ ما وجدت هو أنّ " الْهُون : الرفــق ، والدِعة والهيّنة .. الـهَوَن في لغة قريش الـهَوَان .. " .. (6)

ويفهم من الشروح السابقة أنــه آلة للدّقّ مثل المنحاز ، يصنع خاصّة من نحاس أصفـر ، قــال : " الـهَاوُن من نحاس أصفر على شكل جُرْن صغير يدقّ فيه الذرور دقّا ناعما " .. (7) وبالنظر إلى القول الأخير ، والتمعّن فيما يستعمل فيه ، إذ قال : " يدقّ فيه الذُّرُور " والذرور كــلّ ما يـذرّ ، أو بخــو خــاصّة " دواء يُذَرّ في العيون " .. (8) وعند المحدثين يستعمــــل الـهَاوُن في دقّ الأعشاب ، ومستحضرات الأدوية . (9)

وأرى أنّ سبب التسمية مجهول ، لأنّ كـــثيرا من المراجع تعتبر اللفظ فارسيا . (10) وإنْ كانوا قد عرّبــوه ، فساير لغتهم ، واستوى على ألسنتهم ، قال الجوهري : " الهاون الــذي يدقّ فيه معرّب " ثمّ شــرح السبيل الذي سلكه العرب مع اللفظ في تطويعه .. (11) ، وأصلــه

---

1) صحاح الجوهري .. 6/ 2218
2) لسان العــرب .. 13/441
3) القاموس المحيط .. 4/278
4) مقاييس اللغة .. 6/21
5) المعجم الوسيط .. 2/ 1000
6) تهذيب اللغة .. 6/442
7) طوبيا العنيسي : تفسير الألفاظ الدخيلة ط/ مصر 1932 ، ص 75
8) أساس البلاغة .. ص 203
9) سعيد الشرتوني : معجم أقرب الموارد ، ط/ مرسلي اليسوعية بيروت 1889 ، ج 2/ 1411
10) المعرب للجواليقي : ص 346 ، وتفسير الألفاظ الدخيلة : ص 75
11) صحاح الجوهري : ص 6/ 2218 ، والمعرّب للجواليقي ، ص 346

في الفارسية (hävan) .. (1)

وانطلاقا من الحكم بأنّ اللفظ أعجميّ مسرّب ، واعتمادا على المراجع المذكورة، أستطيع القول بأنّ العَرَب لم يكونوا في حاجة الى استيراد ألفاظ لمسمّيات موجودة لديهم مألوفة، وإنما هم قد جلبوا الوسيلة الحضارية ، ثم أتوا باسمها معها ،عندما أعوزتهم ،ولم يعثروا عليها في بيئتهم .

وأرى أنّ الهَاوُن يستعمل في دقّ الاشياء دقّا ناعما ، وهو عمل حضاريّ ناتج عن التقدّم الفكري ، والتطوّر العلمي للأمّة ، ممّا سمح بإدخال ألفاظ جديدة. وإن وجد لهم ما يرادف من الألفاظ، ويقوم مقامه كالمنحاز ،والمدقّ ، والمهراس، وهي ألفاظ ذات أصول عربية .

ووجدت المعاجم العربية تضعه في مادّة " هـ و ن "، وهي : " أصيل يدلّ على سكون أو سكينة ،أو ذلّ ،من ذلك (الهَون) : السكينة والوقار " .. (2)

ولم أفهم كيف يردّ اللفظ إلى هذه المادّة ، ولا كيف اعتبره ابنُ فَارس عربيا صحيحا ، حتّى صرّح بذلك قائلا : " الهَاوُن للذي يدقّ به عربي صحيح ،كأنه فاعول من الهون".(3)

وأقول : إنّني لم أستطع الوصول الى العلاقة بين " الهون" التي تعني السكينة والوقار أو الذلّ ، وبين " الهاوون" الذي هو آلة لدقّ الأشياء وسحقها .. وأرجح أنّ اللفظ أعجمي معرّب، ولا علاقة له بما يقول ابن فارس .

وللفظ " الهاون" مرادفات ذات أصول عربية هي : المِنْحاز ،والمِدقّ ، والمِهْرَاس .. ووجه الاختلاف بينها دقيق ، ولا يتّضح ذلك جيّدا إلاّ عند التمعّن في معاني الموادّ التي اشتقّت منها .

وعند النّظر في العلاقة بين هذه الألفاظ وجدت أنّ وظيفة الدقّ بينها مشتركة ، فكلّ منها يستعمل في جانب بذاته ،فالمِنحاز للنّحز ،والمِدقّ للدّقّ .. وله صيغ أخرى تدلّ عليه هي : " المِدَقّة والمُدُقّ" .. (4) ، والمهراس للهرس. أمّا الهاوُن فلم أستطع الوصول الى مادّته الأصلية لأنه -عندي- لفظ معرّب .. وأراه لفظا خاصّا .

وقد بحثت عن أصل تسمية لفظ" الهَاوُن" في الاصطلاح العسكري ،فلم أجد له أثرا.(5) وسألت بعض العسكريين عنه ،فلم يحيروا جوابا .. فأرجح أن يكون إسم " الهاون" الدّال على

---

1) غرائب اللغة العربية .. ص 248
2) مقاييس اللغة .. 21/6
3) م.ص .. 21/6
4) أساس البلاغة .. ص 191
5) الموسوعة العسكرية ط / المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت 1981 .

المدفع قد انتقل إليه عن طريق المشابهة بينه وبين الهاون الذي هو المهراس .

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، ولم أعثر عليه فيما قرأت من كتب الأحاديث النبوية .. كما أنني لم أره فيما قرأت من أشعار ، مما جعلني أعتقد أن اللفظ حديث الدخول في العربية . ثمّ إنه قليل التداول أو محصور في طبقة من المجتمع معيّنة دفعتها إليه الحاجة إلى استعماله ، كالعاملين في تحضير الأدوية أو العطور ، أو في أعمال تتطلّب الدّق الناعم .

وفي عامية الجزائر الحالية لا نعرف لفظ " الهاون " إلا من خلال الكتب ، لأن الآلة المستعملة لدينا تسمّى - غالبا - (مِهْرَاسا) ، دون النظر إلى الفروق بين أنواعها وأشكالها ، و موادّه التي يُصنع منها .

والمِهْرَاس عندنا مصنوع من خشب ، أو من نحاس ، وهو المتوفّر السهل ، والمصنوع من نحاس هو " الهاون " بحسب ما رأينا ، ولكن ما عندنا كلّه مهراس .

وقد علمنا أن لفظ " المِهراس " لفظ عربي فصيح ، من " هرست ، أهرس ، هرسا : إذا دَقَقْتَ الشيء في المهراس . والهَرْس والوَهْس : دقُّ الشيء وبينه وبين الأرض وقاية ، ومثله نحزت أَنْحَزُ نَحْزًا .. " (1)

وقد اتّفق كثير من علماء اللغة العربية على اعتبار لفظ " الهاون " فارسيا معرّبا ، وخرج ابن فارس برأيه إذ جعله عربيا أصيلا .

---

1) أمالي أبي علي القالي .. 27/2

مجـــشـــة

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة في تعبير حقيقي ، تحدث استعمال المجشّة في تقشير الأرز .

وقالوا في تعريفها :ــ

* " المِجَشّة : رحى صغيرة يجشّ بها الجشيشة من البرّ وغيره " .. (1)
* " المِجَشّ : الرحى التي يطحن الجشيش بها " .. (2)
* " المِجَشّ : والمجشّة الرحى " .. (3)
* " المِجَشّ : آلة الجشّ من رحى وغيرها " .. (4)

ومن خلال ما تقدّم أرى أنّ عملية الجشّ للحبوب وغيرها تتطلّب قوّة وصلابة . لذا فإنّ آلة الجشّ يجب أن تكون من مادّة شديدة المقاومة ، وغني من الصلابة بحيث تستطيع أن تجشّ ما يلقى إليها .

والمجشّة كما سبق رحا تتألف من فلقتين ، أو قرصين من حجر صلب ، الأسفل منهما ثابت والأعلى متحرّك يدور حول محور مركزي مفتوحًا حوله ، يُهال عليه الحَبّ ، فيتخلّل ما بين القرصين ، وبحركة دائرية يجشّ الحبّ ، ويسقط حولها حسب الطلب .

هذه هي المجشّة أو المجشّ كما عرفت بشكلها التقليدي ، وقد هَجَرْنَا اليوم لتقدّم الحياة الاجتماعية ، وتوفر الآلات العصرية ذات السرعة والدقة في الإنجاز .

ولفظ " المجشّة " مشتقّ من مادة " ج ش : أصل واحد ، وهو التكسير ، يقال : جششت الحبّ أجشّه " .. (5) و " جشّ الحبّ : لم يُنعم طحنه " . (6) و " جَشَشْتُ الحَبَّ أَجُشُّهُ جَشًّا : دققته وكسرته " .. (7) و " قال الليث : الجشّ طحن السويق والبرّ ، إذا لم يُجْعَل دقيقًا " .. (8) والمادّة الناتجة من جشّ الحبوب يسمّى " جشيشة " قبل أن تطبخ ، فإذا طُبِخَت فهي هريسة .(9)

ليس هناك تعدّد للأسماء في معنى هذا اللفظ ، ولكن الواقع أنّ هناك أسماء اشتركت

---

1) تهذيب الأزهري .. 10 / 444 ، وأساس البلاغة ص 94
2) صحاح الجوهري .. 3/ 998
3) القاموس المحيط .. 2/ 265
4) المعجم الوسيط .. 1/ 124
5) مقاييس اللغة .. 1/ 414
6) أساس البلاغة .. ص 94
7) صحاح الجوهري .. 3/ 998
8) تهذيب اللغة .. 10/ 444
9) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري ص 305

مسمياتها في الوظيفة ، أقصد بذلك الألفاظ الثلاثة : طحان ، هاون ، مِجَشّة .. الأول والثاني منها للدق والهرس ، دون تمييز حالة ما يدق دقا ناعما أو غيره ، ولكن اللفظ الأخير (المِجَشّة) كما يدل عليه إسمه من " الجش " الذي هو الدق غير الناعم أي الخشن ، وبعبارة أخرى إن الجش ليس هو الدق الكامل ، وإنما هو مرحلة من مراحله ، لم تبلغ نهايتها .

وأرى أن لفظ " المِجَشَّة " السالف الذكر معناه خاص ، واللفظ العام له هو الرَّحَى .. الذي يستعمل ـ غالبا ـ استعمالا مجازيا ، يكنى به عن الهلاك والدمار ، قال زهير بن أبي سُلْمَى :ــ (طويل)

فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحَى بِثِفَالِهَا * وَتَلْقَحْ كِشَافًا ثُمَّ تُنْتَجْ فَتُتْئِمِ .. (1)

ولم يرد لفظ " المِجَشّة " في القرآن الكريم ، كما لم أعثر عليه فيما قرأت من الأحاديث الشريفة ، في كتاب " صحيح مسلم " .. (2)

وأعتقد أن مجيئه في الأشعار العربية نادر جدا .

إن لفظ " المِجَشّة " لم يعد معروفا مستعملا في لغتنا العربية ، وأصبح غريبا ، لا يعرف إلا بين المثقفين أصحاب التخصص ، وأرى أنه يجب إحياء لفظ مثل هذا وإطلاقه على الآلات التي تجش بها الأشياء ، وخاصة آلة جش الحصى المستعمل في رصف الطرقات. ولحاجة التكنولوجيا والمخترعات الحديثة إلى ألفاظ تسمى بها ، وقد أوصى مجمع اللغة العربية المصري باستعمال هذا اللفظ وأمثاله ، ودونه في معجمه : " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة " الذي أظهره للوجود .. (3)

وفي عاميتنا الجزائرية لا نعرف لفظ " المجشّة " إطلاقا .. ولكننا نسمي الآلة التي يستعان بها في هذا العمل بـ " ارْحِيوَة " تصغيرا للرحى تصغيرا سماعيا ، خاصة ما كان منها لرحي القهوة .. أما رحي الحب كالقمح والشعير فإن لهذه الآلة شكلا ـ كما وصفت أجزاؤها وعملها في بداية الحديث ـ معروفا في الحياة الريفية والبدوية تعرف بالمِطْحَنَة .. وهو لفظ فصيح وأصيل ، معنى ومبنى مشتق من الفعل " طحن يطحن " الذي منه " طحن البر : جعله دقيقا " .. (4) ومنه : الطَّاحُونَة والطَّاحُون : الرَّحَى .. (5)

---

1) معلّقة زهير بن أبي سلمى في " شرح المعلّقات السبع " للزوزني .. ص 112
2) صحيح مسلم ، بشرح النووي ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت ، ب.تا .
3) ط/ الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة 1980
4) القاموس المحيط .. 4/244
5) م س والصفحة نفسها ، ولسان العرب .. 13/264

واستنتج مما تقدّم من شروح جمّاعة بالألفاظ الثلاثة أنها تستعمل بطريقة واسعة ، فهي لم تتكرّر إلاّ مرّات قليلة جدّا في البخلاء .. إذ تكرّر " المِنْحَاز " مرّتين ، و" الهَاوُن " مرّة واحدة ، و" المِجَشَّة " مرّة واحدة أيضًا . كما لم يأت استعمالها المجازي بألفاظها الصريحة ، إلاّ ما جاء من لفظها " المِنحاز " .. في القول التالي : " دَقَّكَ بِالمِنْحَازِ حَبَّ القِلْقِلِ " .. (1) ؛ وهو مثل يضرب في الإلحاح على الشحيح .. (2)

ولم تكن التعريفات موضّحة لشكله ولا لحجمه ، غير أنه عربي أصيل ، لأنه مشتق من معنى عربي ، وجاء على صيغة عربية " مِفْعَال " ، الصيغة الدالة على إسم الآلة .

والعلاقة بينه وبين " الهَاوُن " وطيدة ، و" المِنْحَاز " أعمّ من " الهاون " .. وأما الهاون فهو لفظ دخيل ، قد حدث به تغيير أثناء عملية تعريبه ، ويستعمل في عملية حضارية أكثر دقّة من الاستعمال عند غيره من الألفاظ المذكورة آنفا ، والتي كانت : منحاز ، مِدَقّ ، رَحى ، طاحُونة ، مِهْراس ، مِنْحَنة ، وهي ألفاظ أصيلة في العربية .. وتعتبرها المعاجم العربية ألفاظا مترادفة ، يُشْرَح كلّ لفظ منها بالآخر دون التطرّق إلى الفروق الدقيقة بينها .

أما " المجشّة " فهي لِجَشّ الحبوب ، أي طحنها طحنا دون الدّق ، ومن هنا يكون عملها مُعَيّنًا واضحا .

ولا نعرف في عاميتنا الجزائرية من الألفاظ السابقة إلاّ القليل كالمهراس والمطحنة ، وربّما كانت معروفة لدينا ثمّ أهملت عند لجوء الناس إلى الاختصار .

---

1) تهذيب الأزهري .. 4/367 ، وصحاح الجوهري .. 5/1805 ، ولسان العرب .. 5/414

2) مجمع الأمثال للميداني : 1/265 ، والقِلْقِل : شجيرة خضراء تنهض على ساق ، ولها حبّ كحبّ اللوبيا حلو طيّب يؤكل .

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : السادسة .

الألفاظ : ــــ

غربال .

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة في تعبير مجازي ، يوصف رجلا متحايلا في عمله ، يأخذ الأشياء فيديرها إدارة الغربال ، ويسمّى الرجل الذي يقوم بهذا العمل بالمُغَرْبِل . وفي الأمثال : " مَنْ غَرْبَلَ الناسَ نَخَّلُوه " .. (1)

وقالوا في تعريفه : —

* " الغِرْبَال معروف .. وغربلت الدقيق وغيره " .. (2)
* " غَرْبَلَ الشيء : نَخَّلَه ، والغِرْبَال ما غربل به " .. (3)
* " والغِرْبَال (بالكسر) : ما ينخل به " .. (4)
* " والغربال : أداة تشبه الدّفّ ذات ثقوب يُنَقّى بها الحبُّ من الشوائب" .. (5)

ولم أجد تعريفا للفظ المدروس ، في معجم " تهذيب الأزهري " ولكنّي وجدت الغِربال .. بمعنى آخر ، غير المعنى المقصود ، ومن ثمّ صرفنا النظر عنه .

وأرى أنّ التعريفات السالفة لم تكن وافية في شرحها للفظ ، إلاّ ما جاء في التعريف الأخير .. غير أني أرى أنه يمكن التوسّع أكثر في الشرح حتّى يمكن الإحاطة بمعناه .. فأقول : إنّ الغربال آلة تغربل بها الحبوب ، أي تنخّل وتصفّى ، وتفرز أشكالها ، بعضها من بعض .

وهو إطار دائري - غالبا - قاعدته شبكة من السّلك الرقيق ، بين أسلاكها خصائص تسمح بمرور حبّات الأشياء المغربلة ، ولا تسمح بمرور أخرى .

واستعماله متعدّد الأغراض ، والشائع عندنا استعماله في غربلة الدقيق والحبوب ، وتراه في بيوتات البيوت ضروريا بين أدوات المطبخ ..

ويشتقّ من لفظ " الغِربال " فيقال : غَرْبَلَ الشيءَ : نَخَّلَه .. (6) و " غَرْبَلَ فُلانٌ في الأرْضِ : ذَهَبَ فيها " .. (7) ولم أجد له أثرا في مقاييس اللغة لابن فارس حتّى أتبيّن أصل معناه .

وجاء في " غرائب اللغة العربية " [8] نسبة اللفظ إلى الآرامية ، وكتابته هكذا : (arbolo) .

---

1) مجمع الأمثال للميداني .. 2/ 322
2) صحاح الجوهري .. 5/1780
3) لسان العرب .. 11/ 491
4) القاموس المحيط .. 4/ 24
5) المعجم الوسيط .. 2/ 648
6) لسان العرب .. 11/491
7) المعجم الوسيط .. 2/ 648
8) ص 197

وإذا صحّ قول الرجل هذا فإنّ معنى المادّة يصعب التحقيق في أصلها ، وتكون اللغة العربية قد اشتقّت أفعالاً من أسماء أعجمية بعد تعريبها ، وكان ذلك مساعدا في نمو اللغة، وجعلها تقوى على مسايرة التطوّر الاجتماعي .

وللغربال ألفاظ أخرى تدلّ عليه تعتبرها المعاجم ألفاظا مترادفة ، وعند التمعّن في الفروق نجدها متباينة ، فمن هذه الألفاظ :-

- المُنْخُلَ : إسم يدلّ على الآلة التي ينخل بها الدقيق ، ومنه الفعل : "انْتَخَلَ الشيءَ ، وَتَنَخَّلَه : اختاره " .. (1) واستعماله بوجه خاصّ في تنخيل الدقيق .. (2)

و " المشهور عند المولّدين استعمال النخل للدقيق ونحوه ، والغربلة للحبوب ونحوها"(3) فيكون الفرق بين المُنْخُل والغِرْبَال واضحا ، من حيث الشكل والاستعمال ، فالمنخل للدقيق ، وهو بالتالي ضيّق الخصائص ، والغربال للحبوب ، وهو واسع الخصائص، ولذا لا أعْتَبِرُ اللفظين مترادفين .

ويعتبر صاحب " غرائب اللغة العربية " لفظ " المُنْخُل " معرّبا ، وينسبه إلى اللغة الآرامية، وهو عنده منطوق هكذا : " MAHÔULTO " .. (4)

وللغربال ألفاظ تشترك معه في المبنى ، وتختلف معه في المعنى ، من ذلك : -

- " الغِرْبَال" : الإنسان الذي لا يستودع سرّا ، فهو كالغربال يتسرّب من خلال خصاصه الأشياء ، وفي هذا المعنى قال الحُطَيئة يهجو أمّه : - (وافر)

أَغِرْبَالًا إِذَا اسْتُودِعْتِ سِرًّا * وَكَانُونًا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَا .. (5)

و" الغِرْبَال " : الدّفّ يضرب به ، جاء في الحديث النبويّ الشريف: "أَعْلِنُوا النِّكَاحَ وَاضْرِبُوا عليه بالغِرْبَالِ " .. (6)

ولم أستطع تبيين صفة اللفظ اعامّ هو أم خاصّ ..

ولم يأتِ اللفظ في القرآن الكريم ، وجاء ذكره في الحديث النبوي الشريف، كما ورد أعلاه .. ولكنّه في معنى آخر ، إذ أطلق لفظ "الغربال" على الدفّ تشبيها له به .. (7) كما لم أجده في الأشعار التي رأيتها إلا ما جاء في قول الحطيئة أعلاه، وهو كذلك في معنى آخر غير

---

1) أساس البلاغة .. ص 625
2) تهذيب الأزهري .. 7/391
3) محيط المحيط .. 2/1550
4) ص 197
5) الشعر والشعراء لابن قتيبة .. 1/323 ، وقد سبق ذكر البيت عند الحديث عن " الكانون ".
6) لسان العرب .. 11/491
7) تهذيب الأزهري .. 8/243

غير المعنى **المقصود** .

يعرف الغربال في عامية الجزائر الحالية ، بشكله ووظيفته المشروحة سالفا . .
وهو يستعمل عندنا في غَرْبَلَة الدقيق والحبوب، وبعض أشكاله يستعمل في غربلة الحَصَى والرمل المعدّ للخلط مع الإسمنت أو الجبس في عملية بناء البيوت .

أمّا الغربال الذي تستعين به ربّات البيوت في غربلة الدقيق خاصّة فله ثلاثة أصناف : رقيق ، متوسّط ، واسع ، هذه الأوصاف تبَعًا لخصَاص الشبكة . ويطلق على كلّ واحد من هؤلاء الثلاثة إسم خاصّ يعرف به هي : (الرّقّاد ، الخَرّاج ، السمّار) . هذه أنواع الغرابيل المستعملة في عامية الجنوب الجزائري ، وقد تختلف الأسماء فيما بينها بحسب اختلاف المناطق .

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : السابعة .

الألفاظ : —

سكين .

سكين

تكرر اللفظ في " البخلاء " ثلاث مرّات ، في التعبيرين الأولين كان المعنى حقيقيا ، أما الثالث فكان المعنى فيه مجازيا . قال : " بلغ السكّينَ العظمَ " .. (1) مثل يضرب لتجاوز الحال حدّ الاستطاعة . وذكر الميداني في " مجمع الأمثال " مثلا آخر إلى جانب هذا ، وهو " إذَا رَآني رأى السكينَ في المَاءِ " وهو مثل يضرب لمن يخافك جدّا .. (2)

وقالوا في تعريفه : ـ

* " قال ابن دريد : السّكين فِعّيل ، من ذبحتُ الشيءَ حتّى سكن اضطرابه " .. (3)
* " والسِّكين معروفة ، يذكّر ويؤنّث " .. (4)
* " والسِّكين : المدية ، تؤنّث وتذكّر " .. (5)
* " والسِّكين معروف ، قال بعض أهل اللغة هو فعّيل لأنه يسكن حركة المذبوح به " .. (6)
* " السكين : المُدية ، وهي آلة يذبح بها أو يقطع ، يذكّر ويؤنث ، والجمع سَكاكِين " .. (7)

ويفهم من هذا التعريف أنّ السكين معروف لاستخدامه على نطاق واسع ، ولا أعتقد أنّ أحدا يجهله ، لذا جاءت مجموعة من هذه التعاريف تقرّ بشهرته ، فلم تبسط الشرح والتحديد .. وأحسن ما جاء في تعريفه وتحديده ما قاله معجم اللغة العربية المصري في معجمه . وأرى أنّ المادة التي يصنع منها " السكين " تكون معدنية على شكل مستطيل حاد الطرف . وعند بعضهم أنّ " السكين آلة حادّة يذبح بها ، وهو يذكّر ويؤنث ، يقال : السكين ، والسكينة ، والغالب فيه التذكير " .. (8)

ولم تذكر المصادر التي اطلعت عليها نوع المادة التي يصنع منها ، ولا حدّدت شكله ، وأكثر ما تعرّفه بـ " المُديَة " ، وأنه يذكّر ويؤنث ، والغالب فيه التذكير .

ويفهم من التعاريف السابقة أنه آلة حادّة يذبح بها ، وأنا أراه قولا غير دقيق أنّ للسكين أغراضا أخرى غير الذي ذُكِر . وإن كان الشاعر قد قال : ـ (طويل)

يَرَاني نَاصِحًا فِيمَا بَدَا وَإِذَا خَلَا * فَذَلِكَ سِكِّين عَلَى الحَلْقِ قَاطِعٌ .. (9)

---

1) البخلاء للجاحظ .. ص 210
2) مجمع الأمثال .. 61/1
3) تهذيب الأزهري .. 69/10 وشرح النووي لـ " صحيح مسلم " .. 12/ 19
4) صحاح الجوهري .. 5/ 2137
5) لسان العرب .. 211/13
6) مقاييس اللغة .. 88/3
7) المعجم الوسيط .. 440/1
8) إصلاح المنطق .. ص 359
9) صحاح الجوهري : 2137/5 ، ولسان العرب : 211/13 ، وإصلاح المنطق ص 359

ورأيت أنّ كثيرا من المصادر قد اتفقت على سبب التسمية ، إذ جعلت إسم " السكين " مشتقّـا من السكون ، لأنه يسكّن حركة المذبوح .. قال ابن فارس : " سكن : أصل واحد مطّرد يدلّ على خلاف الاضطراب والحركة .. السكين فعّيل لأنه يسكّن حركة المذبوح به " .. (1) وفي شرح النووي على " صحيح مسلم " أنّ " السكين تذكّر وتؤنّث لغتان ، ويقال أيضا السكينة لأنه تسكّن حركة الحيوان " .. (2) وعن ابن دريد أنّ " السكين فعيل من ذبحت الشيء حتّى سكن اضطرابه " .. (3) وقال الأزهري : " سمي سكّينا لأنه يسكّن الذبيحة ، أي تسكنها بالموت ، وكل شيء مات فقد سكن " .. (4)

ويفهم من هذه الأقوال أنّ لفظ " السكين " من الأصل العربي . لكن الخفاجي في " شفاء الغليل " يعده من الدخيل ، دون أن يحدّد مصدر اللغة الأجنبية التي ورد منها (5)

ومن العلماء المعاصرين من يعدّه آراميا ويكتبه هكذا : (SAKÎNO) .. (6)

وأنا أشكّ في هذه النسبة ، وأرى في القول تكلّفا ، لأنّ أصله العربي واضح ، وإذا كان قول الرجل صحيحا ، فلا عجب في ذلك لأنّ اللغتين العربية والآرامية تنتسبان إلى أصل واحد ، ويمكن أن تنتقل المادة من هذه إلى الأخرى أو يشترك كان فيهما .. ولا أدري ما تعنيه مادة " سكن " في الآرامية حتّى أتبيّن دلالة اللفظ في اللغتين والفرق بينهما .

تعدّدت أسماء السكين بتعدّد أشكاله أو وظائفه أو حجمه ، فقد خصّوا للذبح سكينا سمّوه (شَفْرَة) وتكون حادّة جدّا ، وقد أوصى الشرع الإسلامي بأن تكون كذلك ، حيث قال الرسول الكريم (صلعم) : " فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُم شَفْرَتَهُ ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ " .. (7)

و" الخَنْجَر " كجعفر : السكينة ، أو العظيمة منها ، ويكسر خاؤه .. (8) وقال الثعالبي : " الخنجر : السكين الكبير " .. (9)

وقد ورد اللفظ في الحديث النبوي الشريف ، " قال الرسول (صلعم) لأم سليم : ما هذا

---

1) مقاييس اللغة .. 88/3
2) ج 12/19
3) لسان العرب : 212/13 ، وتهذيب الأزهري : 10/ 69
4) تهذيب الأزهري .. 10/69
5) شفاء الغليل .. ص 123
6) غرائب اللغة العربية ص 188
7) صحيح مسلم : 13/107 ، وكتاب " الكبائر " للإمام الذهبي ط/الجزائر 1987 ، ص205
8) القاموس المحيط .. 2/ 24
9) فقه اللغة للثعالبي ص 27

الخنجر ؟ قالت : اتخذته ، إن دنا منّي أَحَدٌ من المشركينَ بقرتُ بَطْنَه " .. (1)

ولم أجد أصل الكلمة لأتبيّن بوضوح علاقتها بالعربية .

و"الموسى " : آلة حادّة ، أو هي نوع من السكاكين ، يُضرب بحدّتِها المثلُ ، فيقال : - " أَحَدُّ مِنَ المُوسَى " .. (2) ، وتستعمل في حلاقة الشعر .. واسمها مشتق من " أَوْسَيْتُ رَأْسَهُ إِذا حلقتها بالموسى ، واختلفوا في تذكيره أو تانيثه ، فقال الكِسَائي : إنّها مؤنّثة ، على وزن فعلى وقال غيره : هذا موسى ، كما ترى هو مفعل " .. (3) وكانت عقيل البدوية تهمزه ، فتقول : - المؤسى بدلا من النطق الشائع الموسى .. (4) وتطوّر استخدامها في ميادين أخرى غير الحلاقة ، فكانت تستعمل للختان مثلا .. (5)

الإِزْميل : شَفْرَة الحذّاء .. (6)

قال الثعالبي : " المشرط : للحجّام ، المبضع : للفاصد ، المبزع : للبيطار " .. (7)

وقال ابن سيدة : " الصِّلت : السكين الكبيرة ، وجمعها أصلات ، وهي الصُّلْت ، والصَّلْت .. والصلت والمِصْلَتَة . والرميض : السكين الشديدة الحَدّ " .. (8)

وللفظ " السِّكين " مرادف حقيقي ، هو " المُدْيَة " (بالميم المثلّثة) ، وذكروا في سبب التسمية كذلك " أنه " بضمّ الميم وكسرها وفتحها ، سميت به لأنها تقطع مدى حياة الحَيَوان " .. (9)

ولم يأت لفظ المدية في القرآن الكريم ، ولكنّه ورد في حديث نبوي شريف ، رواه " مسلم " .. فقال : " إنّ رسولَ الله (صلعم) قال : يا عائشة هَلُمِّي المديةَ ، ثمّ قال : اشحذيها بحَجَر ، ففعلت " .. (10)

وأرى أنّ العلاقة بين " السكين " و " المدية " علاقة تطابق من حيث المعنى ، فالسكين يُسَكِّن حركة المذبوح فيموت ، والمدية تقطع مدى حياة الحيوان فَيَمُوت ، وبذلك يكون شرح السِّكِين بلفظ المدية سليما ، واعتبارهما مترادفين أمر وارد .

ويقولون : إنّ المدية في لغة " دوس " والسكين في لغة غيرهم .. (11)

---

1) صحيح مسلم .. 168/12

2) مجمع الأمثال .. 229/1

3) إصلاح المنطق .. ص 359 و صحاح الجوهري .. 1237/5

4) إبراهيم أنيس : اللهجات العربية ط/6 القاهرة 1984 ، ص 112

5) إصلاح المنطق .. ص 296

6) صحاح الجوهري .. 1718/4

7) فقه اللغة .. ص 20

8) المخصّص .. 36/6

9) صحيح مسلم .. 19/12

10) م . س .. 121/13

11) الرافعي : تاريخ آداب العرب ، ط / 1974 ، ج 192/1

" ويروى أنّ أبا هريرة لما قدم مثل " دوس " عام خيبر ، لقيَ النبي (صلعم) ، وقد وقعت منه السكين ، فقال له : ناولني السكين ، فالتفت أبو هريرة يمنة ويسرة ، ولم يفهم ما المراد بهذه اللفظة ! فكرّر له القول ثانية وثالثة ، وهو يفعل كذلك ، ثمّ قال : " المُدْيَة تُريد ؟ .. وأشار إليها ، فقيل له : نعم ! ، فقال : أوتسمّى عندكم سكينا ؟ .. ثم قال والله لم أكن سمعتُ بها إلا يومئذ " ! . (1)

وفي شفاء الغليل " أنّ السكين لغة قوم من بني ربيعة ، حكاه الفراء " .. (2) .. وقد سبق أن رأينا هذا المصدر (شفاء الغليل) وهو يعتبر لفظ السكين معرّبا دون تحديد اللغة التي جاءنا منها .. (3)

وإذن يمكن اعتبار لفظ " السكين " لفظا عامّا ، لأنّ كلّ آلة حادّة تستطيع أن تذبح .. وبقية الألفاظ الواردة أعلاه تدلّ على شكل من أشكاله الخاصّة تحدّدت بصفات تعرف بها كلّ آلة من تلك الآلات على انفراد .

وورد اللفظ في القرآن الكريم مرّة واحدة ، في قوله تعالى : " وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا ، وَقَالَتْ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ " .. (4)

وقال الزمخشري : " وآتتهنّ السكاكين ليعالجن بها ما يأكلن " .. (5)

فأرى أنّ الشرع قد ذكر استعمال " السكين " في عمل حضاري ، هو معالجة ما يؤكل بالسكين ، وهو تطوّر ملحوظ في وظيفة الآلة ، خروجا عن الوظيفة التي وجدت من أجلها ، كما أسلفنا القول في أصل التسمية .

كما رأيت اللفظ في الحديث الشريف ، فعن أبي هريرة عن النبي (صلعم) ، أنه قال : .. " بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما ، فقالت هذه لصاحبتها : إنما ذهب بابنكِ أنتِ ، وقالت الأخرى : إنما ذهبَ بابنكِ ، فتحاكما إلى داوود ، فقضَى به للكبرى ، فخرجتا على سليمان بن داوود عليهما السلام ، فأخبرتاه ، فقال : ائتوني بالسكين أشقّه بينكما ، فقالت الصغرى : لا .. يرحمك الله هو ابنُها ، فقضى به للصغرى .

قال أبو هريرة : والله إنْ سمعتُ بالسكين قطُّ ، إلاّ يومئذ ، ما كنّا نقول إلاّ المُدْيَة " .. (6)

---

1) عبدالحميد الشلقاني : رواية اللغة ط/ 1971 ، ص 326
2) شفاء الغليل للخفاجي .. ص 123
3) م . س والصفحة نفسها .
4) يوسف ، الآية : 31
5) الكشّاف للزمخشري .. 2/316
6) صحيح مسلم .. 12/19

ويتردّد د/ إبراهيم أنيس في قبول هذه الرواية ، لأنه - في رأيه - قد سبق نزول القرآن ، بالإشارة إلى هذا اللفظ، فيقول : " ولا أستطيع أن أتصوّر أن رجلا مثل أبي هريرة، وهو من هو في رواية الحديث والاتصال بالنبي ، ذلك الاتصال الوثيق، لم يكن على علم بما نزل في سورة مكية كانت تحفظ، وتدرس، ويتعبّد بها بين المسلمين في المدينة " .. (1)

ويستنتج ممّا جاء في المدلول أنّ السكين هي المدية في مفهوم أبي هريرة ، ولا فرق بينهما من حيث المدلول ، كما سبقت الإشارة .

كما أنّ اللفظ وارد في الأشعار العربية ، مستعمل شائع، كما مرّ بنا بلفظه "السكين" وأما لفظ المدية ، فقد جاء في قول الشاعر : _(الطويل)

وَكُنْتُ كَعَنْزِ السُّوءِ قَامَتْ إِلَى حَتْفِهَا * إِلَى مُدْيَةٍ تَحْتَ الثَّرَى تَسْتَثِيرُهَا .. (2)

ولفظ "السكين" أو "السكينة" شائع في البلاد العربية ، مستعمل معروف، ويغلب على الاستعمال العامي في الجزائر لفظ "الموسى"، وينطق باختصار "المُوسْ" . فكلّ ما نقطع به يسمّى كذلك بغضّ النظر عن أنواعه واستعمالاته، ويكون من ذلك تطوّر في الدلالة من الخصوص إلى العموم .. وقد سبقت الإشارة إلى أنّ "الموس" آلة حادّة لحلق الشعر .
كما أنّ لهجتنا في الجزائر لا تستعمل لفظ "المدية" أبدًا ، ولم أصادف أحدا من عامّة الناس كلّف نفسه باستعمالها .

واختلط لدى العامة ، فلم يميّزوا بين بين أنواع السكين وأشكالها ، فكانت نظرتهم إليها تعميمية ، فهم يرون هذه الألفاظ مترادفة ، وهي : سِكِين ، مُدية ، مُوسَى ، شَفْرَة ، خِنْجَر ، .. ومهما اختلفت نظرة أهل اللغة في وجود الترادف ، أو عدمه ، فإنّ هذه الألفاظ المدعوّة .. بـ(المترادفات) ذات فائدة كبيرة في توسيع آفاق الألفاظ الحضارية ، وسدّ الحاجة .

---

1) في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس .. ص 176 و 177
2) الماوردي : أبو الحسن علي البصري : أدب الدنيا والدين ط/ 1984 ، ص 332
والماوردي فقيه وأديب شافعي ، توفي 1058م

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : الثامنة .

الألفاظ : —

جفنة . قصعة . سكرجة . طبق .

جَفْنَة

تكرّر اللفظ في " البخلاء " سبع مرّات متتالية، وفي مناسبات مختلفة تباينت التعابير فيها بين الحقيقة والمجاز، وتداولت بين الإفراد والجمع.

ويمكن استعمال لفظ " الجَفْنَة " استعمالا مجازيا، حين يقال : " أَنْتَ الْجَفْنَةُ الْغَرَّاءُ، للجواد المضياف " .. (1)

وقالوا في تعريفها :-

* " والجَفنة معروفة، وتجمع جِفانًا، والعدد جَفَنَات " .. (2)
* " الجفنة كالقَصْعَة، والجمع الجِفَان، والجَفَنَات بالتحريك " .. (3)
* " الجفنة معروفة: أعظم ما يكون من القصاع، والجمع الجِفان، وجِفَن، عن سيبويه والعدد جَفَنَات " .. (4)
* " الجَفْنَة : القصعة، ج جِفَان وجَفَنَات " .. (5)

والملاحظ من هذه التعاريف أنها لم تذكر شكل الجفنة، وطبيعة صناعتها .. والواقع أن الجفنة آنية من أواني إعداد الطعام وتقديمه، وتصنع - غالبا - من الخشب أو الخزف أو النحاس، ويذكر الثعالبي أن " قِصَاع العرب كلّها من خشب " .. (6) وكلّ ما خرج عن هذه المادة يعدّ دخيلا، أي ما صنع من غير الخشب كان مولّدا .. كالجفنة المصنوعة من الفخّار (الطين) تسمّى (غضارة) .. يقول الثعالبي : " فأمّا الغَضَارة فإنها مولّدة لأنها من خزف (7)

ويقال إنه كان على خوان " الواثق " الخليفة العباسي التاسع أواني من ذهب، يؤكل ويشرب فيها، مثل الصحفة والسكرّجة، وحتّى الخوان " .. (8)

وقد نهى الرسول الكريم (صلعم) عن الأكل والشرب في أواني الفضّة والذهب .. فمن ذلك أنه قال عليه الصلاة والسلام : " الذي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ " .. (9) وفي رواية أخرى : " في إِنَاءٍ من ذَهَبٍ أو فِضَّةٍ " .. (10)

---

1) أساس البلاغة .. ص 96
2) تهذيب اللغة للأزهري .. 11/ 112
3) صحاح الجوهري .. 5/ 2092
4) لسان العرب .. 13/ 90
5) القاموس المحيط .. 4/209
6) فقه اللغة للثعالبي ص 168
7) م . س والصفحة نفسها .
8) السيوطي جلال الدين : تاريخ الخلفاء، تح/محمد محي الدين عبد الحميد، ط/ دار السعادة بمصر 1952، ص 343
9) صحيح مسلم .. 14/27
10) م . س .. 14/ 30

ورأيت ذكرا كثيرا لاستعمال خشب " الشيزى" في صناعة الجِفَان ، قال : " الشيز بالكسر خشب أسود للقصاع كالشيزى ، أو هو الآبنوس ، أو السَّاسَم ، أو خشب الجوز " .. (1) وكذلك خشب " الخَلَنْج " ، فهو لصلابته وجماله " كانت العادة أن يصنع منه أثاث المنازل في القرن الرابع الهجري ، وهو خشب أبيض مائل إلى الحمرة " .. (2) ، وجاء في القاموس ذكر " الخَلَنْج " في مادة (خلج) ، نكان : " والخلنج كسمند : شجر معرّب ، وجمعه خلانج " .. (3)

والجفنة لفظ مشتقّ من مادة (جفن) ، يقول ابن فارس : " ج ف ن : أصل واحد ، وهو شيء يطبق بشيء ويحتويه " .. (4) ، ومن هذا المعنى يمكن القول بأن " الجفنة " سُمّيت كذلك لأنها تحيط بالطعام ، وتحتويه .

وتعدّدت أسماء الجفنة بتعدّد أشكالها ومادّة صناعتها ، من ذلك أنهم أطلقوا لفظ .. (الخلنج) على الجفنة تبعا لمادّة صناعتها ، فعن أبي حنيفة أنه قال " الخَلَنْج إسفارسي يطلق على كلّ جفنة وصحفة وآنية صنعت من خَشَب " .. (5)

وسموا الجفنة باسم (الشِّيَزَى) ، ذلك الخشب الذي تصنع منه ، قال الشاعر حسان بن ثابت : ــ (سريع)

المَالِئ الشِّيزَى إِذَا أعصَفَتْ * غَبْرَاءُ في ذِي الشَّبِمِ المَاحِلِ .. (6)

وَنَظَرُوا إلى الحجم ، فقالوا : " جَفْنَةٌ رَدَاحٌ " .. (7) ، وهي " الجفنة العظيمة " .. (8) ثمّ حلّت الصفة محلّ الموصوف ، فاكتفوا بلفظ (رَدَاح) ليدلّ على لفظ الجفنة بعد حذفه .

والرداح لغة صفة تدلّ على الضّخامة ، " يقال : امراة رداح إذا كانت ضخمة العَجِيزة .. والكتيبة الرداح : الكثيرة الجيش " .. (9)

وجمع الشاعر اللفظين في بيت واحد : الرَّدَاح والشِّيزَى ، ليعبّر بهما معا عن " الجَفْنَة " ، في كلام يراد به المبالغة في المدح ، حيث قال : ــ (سريع)

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ * وآخَرُ فوقَ دَارَتِهِ يُنَادِي
إِلَى رُدُحٍ مِنَ الشِّيزَى عَلَيهَا * لُبَابُ البُرِّ يُلْبَكُ بِالشِّهَادِ .. (10)

---

1) القاموس المحيط .. 2/179
2) آدم متز : الحضارة الإسلامية .. 2/334
3) القاموس المحيط .. 1/186
4) مقاييس اللغة .. 1/465
5) لسان العرب .. مادة (خلج)
6) ديوانه ، ط/ بيروت 1974 ، ص 85
7) أساس البلاغة .. ص 227 و " تهذيب الأزهري " .. 4/411
8) القاموس المحيط .. 1/222
9) السيرافي : شرح أبيات سيبويه ، ط/دار المأمون للتراث دمشق 1978 ، ج 2/276
10) البيان والتبيين للجاحظ : 1/18 ، ولسان العرب مادة (شيز) ، وذيل الأمالي ص 38 ومعجم البلدان لياقوت الحموي .. 5/185

وصفة الاتّساع والضخامة في " الجَفْنَة " صفة محمودة تدلّ على كرم صاحبها ، وعكس ذلك مذموم ، يقولون : جَفْنَةٌ زَلْحَلَحَةٌ ، أو قصعة زلحلحة إذا كانت قلية العمق ، أو لا قعر لها .. وهذه لا تحمل من الطعام إلاّ القليل .. قال الشاعر : ـ (رجز)

ثُمَّتَ جاءُوا بِقِصَاعٍ مُلْسِ * زَلَحْلَحَاتٍ ظَاهِرَاتِ اليُبْسِ .. (1)

ويكون من ذلك أنّ " الرداح " هي الجفنة العظيمة ، والجمع رُدُحٌ .. " ومنه قيل للمرأة العظيمة رَدَاح ، وكذلك الكتيبة العظيمة ، والجمع رُدُحٌ " .. (2) أو هي الفتاة الجميلة .. قال الشاعر : ـ (متقارب)

تَرَكْتُ الخُمُورَ لأَرْبَابِهَا * وَأَصْبَحْتُ أَشْرَبُ مَاءً قُرَاحَا
وَقَدْ كُنْتُ حِينًا بِهَا مُعْجَبًا * كَحُبِّ الغُلاَمِ الفَتَاةَ الرَّدَاحَا
فَلَمْ يَبْقَ فِي الصَّدْرِ مِنْ حُبِّهَا * سِوَى أَنْ إِذَا ذُكِرَتْ قُلْتُ : آحَا .. (3)

وقد عقد الثعالبي فصلا في ترتيب الجفان ، سمّاه " فصل في ترتيب القصاع عن الأئمة " ، قال فيه : " أولها الفَيْخَة ، وهي كالسكُرّجة ، ثم الصُّحْفَة تشبع الرجل . ثم المِئْكلة تشبع الرجلين والثلاثة ، ثم القَصْعة تشبع السبعة إلى العشرة . ثمّ الجَفْنَة وهي أكبرها . وزعم بعضهم أنّ الدَّسِيعَة أكبرها " .. (4)

وأرى أنّ هذه الألفاظ ليست مترادفة ترادفا حقيقيا لما بينها من فروق دقيقة من حيث السعة والحجم .

ومن الألفاظ التي اشتركت مع " الجفنة " في لفظها وصيغتها ، واختلفت معها في المدلول ، وإن كان لها مادة اشتقاقية واحدة .. نذكر : ـ

الجَفنة : ضرب من أشجار العنب ، أو هي الكرمة .. (5)

الجفنة : الرجل الكريم المطعام ، سمي كذلك لأنه يضع الجفنة ويطعم الناس ، يقال : أنت الجفنة الغَرّاء ، وقال الشاعر : ـ (بسيط)

يَا جَفْنَةً كَإِزَاءِ الحَوْضِ قَدْ كَفَئُوا * وَمَنْطِقًا مِثْلَ وَشْيِ اليُمْنَةِ الحِبَرَهْ .. (6)

الجفنة والجفن : الخمر .. قال الشاعر : ـ (رجز)

تَسْقِي الضَّجِيعَ مَاءَ جَفْنٍ شَابَهُ * صَبِيحُ البَارِقِ مُثْلُونَ ثَلْجَا .. (7)

---

1) المخصص لابن سيدة .. السفر 579/5
2) م . ن .. 4/11
3) سمط اللآلي في شرح أمالي القالي .. 762/2
4) فقه اللغة للثعالبي .. ص 168
5 و 6) أساس البلاغة .. ص 96
7) لسان العرب : 90/13 ، وفي " تهذيب اللغة " : 112/11 ، إنه ضربٌ مِنَ العِنَب .

وقد بدا لي أن لفظ "الجَفْنَة" لفظ عام يمثّل الإناء الذي تندرج تحته مجموعة من الأشكال والأوصاف ، تعرف كلّ واحدة منها باسمها المنفرد ، وإن كانوا يرون أن الجفنة أعظم القصاع . كما سبق الذكر .. (1) ثمّ الجفنة وهي أكبرها .. في قول الثعالبي السالف الذكر .

ورد اللفظ في القرآن الكريم ، بصيغة الجمع "الجِفَان" في قوله تعالى : " وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ، اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا " .. (2)

وقال الزمخشري في شرح الآية : " والجَوابي : الحياض الكبار ، لأن الماء يجبى فيها ، أي يجمع .. جَعَلَ الفسَق لها مجازًا ،، قيل : كانَ يقعد على الجفنة ألف رَجل " .. (3) ويفهم من محى القول أنها آنية ، من الكبر والضخامة ، بحيث تكفي لإطعام ألف رجل ، وأرى هذا عجبا ! .

وفي الحديث النبوي الشريف ورد اللفظ ، ولكنّي وجدته عند "مسلم" مستعملا استعمالا غير الذي شرحنا .. فعن أبي هريرة انه قال : " تذاكرنا ليلة القدر عند رسول الله (صلعم) فقال : أيّكم يذكر حين طَلَعَ القمر ، وهو مثل شِقّ جَفْنَة " .. (4) ،، وفي رواية أخرى إنّ النبي (صلعم) " قام إلى القربة ، فأطلق شناقها ، ثمّ صبّ في الجفنة أو القصعة ، فأكبّ بيده عليها ثمّ توضّأ وضوءا حسنا " .. (5)

وجاء ذكر الجفنة في الأشعار العربية مقرونا بذكر الطعام ، والسخاء فيه ، مدحا للإكرام والإطعام .. قال النابغة الذبياني : ـــ(بسيط)

إِنِّي أُتَمِّمُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُمْ * مَثْنَى الأَيَادِي وَأَكْسُو الجَفْنَةَ الأُدُمَا .. (6)

وقال المُخَارِقُ بن شِهَاب : ـــ(كامل)

المُشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ * وَالمَالِي الجَفَنَاتِ لِلأَصْحَابِ .. (7)

وقال حسان بن ثابت : ـــ(طويل)

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى * وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا .. (8)

---

1) لسان العرب .. 90/13
2) سبأ ، الآية : 13
3) الكشّاف .. 282/3 ، 283
4) صحيح مسلم .. 65/8
5) م ،س .. 49/6
6) ديوانه ، شرح وتعليق الشيخ طاهر بن عاشور ، ص 218 ، والنابغة شاعر جاهلي ،، (536 ـ 604م)
7) ذيل الأمالي لأبي علي القالي البغدادي ، ط/ دار الآفاق الجديدة بيروت ، ب.تا ، ص 50
8) موشح المرزباني .. ص 69

وقال حسّان في موضع آخر ، يمدح ملوك غسّان : ــ (كامل)

يُغْشَوْنَ حَتَّى مَا تَهِرُّ كِلاَبُهُمْ * لاَ يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ المُقْبِلِ

أولادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمُ * قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ . . (1)

واستعمل اللفظ في البيت استعمالا مجازيا ، كما سبق القول في مقدّمة الحديث وهو كثير في مثل هذا ، من ذلك ما جاء " عن مُطَرِّف بن عبد الله ، عن أبيه أنه قال : " قدمنا على رسول الله (صلعم) في وَفْدٍ ، فقلنا : يا رسول الله أنت سيدُنا ، وأنت أطولنا علينا طولا ، وأنت الجفنة الغرّاء ، فقال رسول الله : أيها الناس قُولوا بقولكم ، ولا يستفزّنّكم الشيطان ، فإنما أنا عبد الله ورسوله " . . . (2)

واللفظ معروف مألوف ، شائع الاستعمال في عامية الجزائر الحالية ، وأعتقد أنه معروف كذلك في كثير من البلاد العربية بلفظه ومعناه ، دون تغيير في الصيغة والوزن .

ونعرف في بادية الجزائر ، وأخصّ شمال الصحراء شكلا من أشكال " الجِفَان " متوسّط الحجم مصنوع من الخشب ، له مقعد يوضع عليه ، وقد اختصّ بتقديم الثريد ، فسمي لذلك (مِثْرَدًا) ، وقد بدأ يختفي من حياة الناس ، كما اختفي كثير من الأواني التراثية الأخرى . . والجفنة الصغيرة ـ عندنا ـ تسمى أحيانا بلفظ (تَاجْرَة) ، ولا تستعمل إلا في تقديم الطعام . . ولم أفهم مصدر تسميتها بهذا الإسم .

---

1) الشعر والشعراء لابن قتيبة .. 1/ 305

2) البيان والتبيين للجاحظ .. 1/ 165

قَصْعَة

تكرّر اللفظ في " البخلاء " إثنتاعشرة مرّة ، في مناسبات جاء ذكر وضع الطعام فيها ، وتقديمه في القصاع . والتعابير كلّها حقيقية تتحدّث عن الأكل الواقعي الملموس.

ويستعمل اللفظ في التعبير المجازي ،كما جاء في عبارة قصيرة ، وردت في المقامة البكرية ، من مقامات الحريري ، قال فيها : " وَخُضْ في حَدِيثِ القِصَاعِ " .. (1) ،، وهي كِنَايَةٌ عمّا يؤكل في القصاع ، وما يدور حولها من كلام .

وقالوا في تعريفها : —

* " القَصْعَة معروفة ، والجمع قِصَع وقِصَاع " .. (2)
* " القَصْعَة الضخمة تشبع العشرة ، والجمع قِصَاع وقِصَع " .. (3)
* " القَصْعة : الصَّحْفَة ، ج قَصَعَات " .. (4)
* " القَصْعَة معروفة ، سميت بذلك للهَزْمَة " .. (5)
* " القَصْعَة : وعاء يؤكل فيه ويثرد ، وكان يتّخذ من الخشب غالبا - و(ج)قِصَاع ، وقِصَع ، وقَصَعَات " .. (6)

هذه تعريفات من مصادر وأزمان مختلفة ، وأرى أنّ أوفاها ما جاء في " المعجم الوسيط " على اعتبار أنّ اللفظ يدلّ على وعاء يؤكل فيه ويثرد .

وتصنع القصعة من المادّة نفسها التي تصنع منها الجفنة ، والمادّة - غالبا - ما تكون خشبا(7) ، وإن صنعت من موادّ أخرى غيرها .

ويلاحظ أنّ القصعة تستعمل في المواضع نفسها التي تستعمل فيها الجفنة ،أي إعداد الطعام وتقديمه .

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة (قصع) ، يقول ابن فارس : إنها " أصل صحيح يدلّ على تطامن في شيء ، أو مطامنة له . من ذلك القصعة ، وهي معروفة ، سميت بذلك للهزمة " .. (8) ،، ولكنّي رأيت لها معان أخرى في " أساس البلاغة " ، هي : " قَصَعَ : قَتَلَ ، وقَصَّعَ الرجلُ : لَزِمَ بيتَه ، وقَصَّعَ في ثوبِه : تَدَثّرَ فيه .. (9) ،، وذكر في سبب التسمية قوله للهزمة ،

---

1) مقامات الحريري ط/ بيروت 1978 ، ص 358
2) صحاح الجوهري .. 1266/3
3) لسان العرب .. 274/8
4) القاموس المحيط .. 69/3
5) مقاييس اللغة .. 92/5
6) المعجم الوسيط .. 740/2
7) انظر التعريف الخامس .
8) مقاييس اللغة .. 92/5
9) أساس البلاغة للزمخشري .. ص 511 ، و " تهذيب الأزهري " .. 177/1

والهَزْمُ بالفتح : ما اطمأنّ من الأرض، ومنها : اهتزموا ذبيحتهم ،أي بادروا إليها . . (1)

ورأى ابن فارس يحاول إرجاع لفظ " القَصْعَة " إلى المعنى العربي ويحتج له، **فإنْ كان المعنى المقصود** هنا هو اهتزام الطعام ،أي المبادرة إليه وأكله ، فالمعنى يكون **أقرب إلى المنطق السليم** ، ويكون أصل اللفظ عربيا أصيلا ، وهو مشتقّ من الفعل الحسّي المشهود .

ولكن بعض القدماء والمحدثين يعتقد بأنّ لفظ " القَصْعَة" ليس عربيا . **قال : إنّها فارسية معرّبة** ، وأصلها (كَاسَهْ) . . (2) ، وأعدّه الثعالبي من الألفاظ التي **تفرّدت بها الفرس، فاضطرت** العرب إلى تعريبها ، أو تركها كما هي . . (3) ، ويتردّد غيرهما ، **فيقول : " وهي معربة ، وقيل معرّبة** " . . (4)

ولم توضّح المراجع ـ التي رأيتها ـ شكل القصعة ، وحجمها غير محدّد ، فهي" **تشبع السبعة إلى العشرة** " . . (5) ، وجاء في القاموس المحيط أنّ " القَصْعَة : الصُّحْفَة" . . (6) ، **كأنّه جعل الصحفة مراد**فة للقصعة، فيفسّر بها ، مع أنّ الصحفة أقلّ حجما من القصعة **حسب ما يراه غيره ، فهي عند الثعالبي** " تُشْبِع الرجلَ" . . (7) ، أما القصعة فهي تشبع من السبعة **إلى العشرة كما رأينا** .

والقصعة لفظ خاصّ يندرج تحت **المفهوم الخاصّ** بـ"الجَفْنة" ، وتفسّر بها أحيانا ، **فالجفنة هي القَصْعَة** . . (8) ، أو الجفنة كالقصعة . . (9) **حتّى يكاد** ينطبق اللفظان على بعضهما ، **في تفسير بعض المعاجم**، ولكن هناك من يفرّق بينهما ، **فيقول : " أعْظَمُ القِصَاعِ الجَفْنَة**" . . (10)

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، وورد في الحديث النبويّ الشّريف، ليدلّ على **وعاء يقدم فيه الطعام**، فعن أنس أنّ رسول الله (صلعم) أَمَرَنَا أَنْ نَسْلُتَ القَصْعَةَ . . (11) ، **نَسَلْتُ القصعةِ**: أخذ ما عليها بالأصابع . . (12) ، وفي حديث عن أبي هريرة (ض) ، **قال : " وضعت بين يدي رسول الله** (صلعم) قصعة من ثريد ولحم " . . (13)

---

1) هذه المعاني من القاموس المحيط . . 4/ 160
2) المعرب للجواليقي . . ص 274
3) فقه اللغة للثعالبي . . ص 198
4) محيط المحيط . . 2/ 1721
5) فقه اللغة للثعالبي . . ص 168
6) ج 3 / 69
7) فقه اللغة للثعالبي . . ص 168
8) القاموس المحيط . . 4/ 209 ، والمعجم الوسيط . . 1/ 740
9) صحاح الجوهري . . 5/ 2082
10) لسان العرب . . 13/ 90
11) صحيح مسلم . . 13/ 207
12) أساس البلاغة . . ص 304
13) صحيح مسلم . . 3/ 69

وجاء ذكر اللفظ في الأشعار العربية ، فقد قال الْخَبَّل السَّعْدِي : ـ (طويل)

سَيَكْفِيكَ صَرْبَ الْقَومِ لَحْمٌ مُعَرَّضٌ ✕ وَمَاءٌ قُدُورٍ فِي الْقِصَاعِ مَشِيبُ .. (1)

وأرى أنه كلّما ذكرت القصعة انجذب الذهن إلى شكل (الجفنة) المعروف ، وتصوّرت وظيفتها في الأذهان .

وفي عامية الجزائر الحالية يعرف اللفظان : القَصْعَة والجفنة جنبا إلى جنب ، فكلاهما مستعمل شائع ، باختلاف طفيف بين مناطق الوطن الجزائري ، فهي هنا قصعة وهناك جفنة وقد يكونان معا في المنطقة نفسها .. ففي الجنوب أكثر ما يستعمل لفظ (القصعة) للدلالة على جميع أشكال الجفنة ، بغض النظر عن أشكالها وأغراضها ، ولا يكاد يعرف بيننا لفظ آخر غير هذين .

والظاهر أن العامّة في عهد ابن السكّيت كان تنطق الجفنة (بكسر الجيم) لذا نهى عن ذلك قائلا : " وتقول هي الجفنة ، ولا تقل هي الجِفْنَة " .. (2)

---

1) إصلاح المنطق لابن السكيت .. ص 143 ، والصَّرب : اللَّبن الحامض . والشاعر : ـ اختلف في إسمه ، وقالوا : هو شاعر فحل ، من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، (أغاني أبي الفرج الإصفهاني : 189/13)

2) م . س .. ص 165

سُكُرُّجَة

تكرّر اللفظ في " البخلاء" مرّتين ، جاءت في التعبير الأول مكبّرة ، وفي التعبير الثاني مصغّرة . . (أُسَيْكِرَة) . والمعنى في كليهما حقيقي ، يتحدّث عن تقديم الأكل .

وجاء في تعريفها :—

* " سُكُرُّجَة : إناء صغير ، يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم " . . (1)
* " سُكُرُّجَة : كل ما يوضع فيه الكوامخ ونحوها على المائدة ، حول الأطعمة ، لتشهّي والهضم " . . (2)

ولم أجد أثرا للفظ في كلّ من المصادر التالية :—

تهذيب الأزهري ، صحاح الجوهري ، القاموس المحيط ، مقاييس اللغة .

وفي التعريفين السابقين إشارة إلى الإناء دون تحديد شكله ، وطبيعة مادّته ، ولكنّي أعتقد أنّ صناعتها قد تتمّ من مادة صلبة قابلة للتّشكيل كالخشب ، والزجاج ، والخزف . . ويؤكل فيه الشيء القليل من الأدم على المائدة . . (3) ، وأراه من عائلة الجفنة ، لأنه يحيط بالأكل ويضمّه ، كما تفعل الجفنة ، ثمّ يقدّم إلى الآكلين . .

ولم أجد لها أثرا في " مقاييس اللغة" فأعرف منه مادتها الاشتقاقية . . وأعود بها إلى أصل اللفظ ، لكن من الهدا حثين من يقول : " إنّ اللفظ فارسي ، ومعناه (مُقَرِّب الخَلّ) ، وتكلّمت به العرب ، وهو في أصل لغته (سُكُرَه) " . . (4)

ويخرج عن الإجماع السابق في أصل اللفظ حين يزعم الأب رفائيل نخلة اليسوعي " أن أصل اللفظ آرامي ، وينطق في لغته (SAKROUGO) " . . (5)

ولم أجد لهذه الآنية أشكالا متعددة ، فتتعدّد الأسماء تبعا لذلك ، كما حدث مع بعض الأواني ، ولكن السكرجة يقابلها لفظ (الصحفة) في العربية ، لذا يفسّر بها — غالبا — في متون المعاجم .

ولم أجد للفظ ذكرا في القرآن الكريم ، ولكنه ورد في الأثر عن أنس بن مالك أنه قال : " ما أكل نبي الله (صلعم) على خِوَان ، ولا في سُكُرُّجة ، ولا خبز له مُرَقّق " . . (6)

1) لسان العرب . . 2/299
2) المعجم الوسيط . . 1/439 (3) الإفصاح في فقه اللغة . . 1/588
4 . الألفاظ الفارسية المعربة لادي شير ص 92 ، وشفاء الغليل للخفاجي . . ص 114 و 119 وتفسير الألفاظ الدخيلة لطوبيا العنيسي . . ص 36
5) غرائب اللغة العربية . . ص 188
6) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني ط/بولاق ب.ت . ج 9/464

وفهمت من الحديث أنّ اللفظ يدلّ على آنية يقدّم فيها الطعام، وفي غير هذا لم أصادف اللفظ في شعر ولا نثر .

لا نفهم في عامية الجزائر الحالية هذا اللفظ ، ولا نعرف لم مرادف يدلّ على هذه الآنية ، مع كثرة وجودها ، وتباين أوجه استعمالها .

واستخلص مما سبق أنّ اللفظ قليل التداول في المنظومة اللغوية العربية الحالية ، ويمكن أن يكون قد دخل العربية إبّان التوسّع الحضاري الذي عرفته الأمّة العربية في عصور ازدهارها ، وبقي استعماله محدودا لأسباب منها : إنّ اللفظ تميّز بصيغته الثقيلة وإن للعرب مرادفا يكاد يكون منطبقا على المدلول نفسه ، وهو (الصُّحْفَة) .
وتعدّد صيغ اللفظ عند تعريبه صعوبة أخرى جعلت الاتفاق على شيوعه أمرًا صعب الوقوع .

طَبَق

تـردّد اللفظ في" البخلاء" إثنتا عشرة مرّة ، في تعابير حقيقية ، كان الحديث فيها حول تقديم مأكولات غير مطبوخة ، مثل : الخبز ، والتمر ، والرُّطَب، والخوخ .

وقالوا في تعريفه :ــ

* " الطَبَقُ الذي يؤكل فيه ،أو عليه ، والجمع أطباق " .. (1)
* " الطَبَق الذي يؤكل عليه " .. (2)
* " الطَبَقُ : ظرف يطبخ فيه . والطَبَق : الإناء يؤكل فيه " .. (3)

وبملاحظة هذه التعاريف نجد أنها لم تحدّد شكله ولا مادّة صناعته، وجعلته مرّة يؤكل فيه، ومرّة عليه .

وأرى أنه يصنع من مادّة مختلفة ، وتفضّل صناعته من موادّ خفيفة . وفي المناطق الريفية عندنا في الجزائر يصنع من سعف النخل ، أو الحلفاء، أو من الخزف، ويقدّم فيه الخبز، أو التمر أو نحوهما ، ولا يمكن أبدا أن يحلّ محلّ الجفنة في إعداد الطعام وتقديمه .

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة (ط ب ق) التي يقول ابن فارس عنها إنّها" أصل واحد وهو يدلّ على وضع شيء مبسوط على مثله حتّى يغطّيه من ذلك الطَبَق " .. (4)

ومن هذا القول يمكن استنتاج أنّ اللفظ عربي أصيل ، لكن بعض المراجع ترجع أصله إلى الفارسية .. (5) ، "و" ربّما كان من تبوك، أي صينية من خشب" .. (6) ،، وقال غيره : " طابق فارسي (تَابَه) معناه مقلاة، وتركي طَاوَهْ معناه مِقْلَى " .. (7) ،، ويذكر الثعالبي أنّ" الطبق من الألفاظ التي تفرّدت بها الفرس دون العرب، فاضطرّت إلى تعريبها" .. (8)

ونلاحظ الخلط بين لفظ" الطابق" ولفظ" الطبق" في الأقوال السابقة ، وتطوّع صاحب كتاب " غرائب اللغة العربية" فبيّن الفرق بينهما ، إذ جعل" الطَابَق" إناء للطّبخ ، و"الطبق" ما يؤكل عليه .. (9)

---

1) لسان العرب .. 10 / 210
2) القاموس المحيط .. 3 / 255
3) المعجم الوسيط .. 2 / 551
4) مقاييس اللغة .. 3 / 439
5) أدب الكاتب لابن قتيبة . تح / محمد الدالي . مؤسسة الرسالة 1982م . ص : 501
6) غرائب اللغة العربية .. ص : 236
7) تفسير الألفاظ الدخيلة : طوبيا العنيسي ط/1932م . ص : 45
8) فقه اللغة العربية .. ص : 198
9) الأب رفائيل نخلة اليسوعي في كتاب" غرائب اللغة العربية " ، ص : 238

ولفظ الطبق لفظ خاص ، ولا أعرف له ألفاظا أخرى ترادفه، غير أن لهذ ألفاظا تشاركه في الصيغة ، وتخالفه في المعنى ، من ذلك : ـ

- الطَبَق : الأمة بعد الأمة .
- "- : سدّ الجراد عينَ الشمس .
- "- : انطباق الغيم في الهواء .
- "- : الدرك من أدراك جهنّم . . (1)

وفي أساس البلاغة : ـ(2)

طَبَقُ الإناءِ : غطاؤه، والسماء طَبَق فوقَ طبَق . وطبق على طبق : منزلة بعد منزلة "

والطَبَق : السماط ، وهو ما يبسط ليوضع عليه الطعام . أهل بغداد يسمون السماط طبقا ، قال الحَيْصَ بَيْص : ـ(بسيط)

رِفي كُلِّ بَيْتٍ خِوَانٌ مِنْ مَكَارِمِهِ * يَميرُهُمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُم إِلى الطَبَقِ . . (3)

وأعتقد أنه قد حدث تطوّر في دلالة اللفظ، من الدلالة على الإناء إلى ما يبسط تحته . وهو انتقال بالمجاورة .

والطبق والجمع أطباق : فقار الظهر . (4) ،، قال يزيد بن الخَذّاق : ـ(بسيط)

وَأَرْسَلُوا فِتْيَةً مِنْ خَيْرِهِمْ نَسَبًا * لِيَسْنُدُوا فِي ضَرِيحِ القَبْرِ أَطْبَاقِي . . (5)

ولم يَرِدِ اللفظ في القرآن الكريم بالمعنى المقصود في البيت ، ولكنه جاء بمعنى آخر، في قوله تعالى : " لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ " . . (6) ،، قال الزمخشري في شرح هذه الآية :ـ " أي حالا بعد حال ، كلّ واحدة مطابقة لأختها ، في الشدّة والهول . . ويجوز أن يكون جمع طبقة ، من قولهم هو على طبقات ، ومنه طبق الظهر لفقاره، الواحدة طبقة ، على معنى لتركَبُنّ أحوالا بعد أحوال هي طبقات في الشدّة ، بعضها أرفع من بعض، وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها " . . (7) ،، ويرى الجوهري في معنى " طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ " أنها حال على حال . . (8)

---

1) هذه الألفاظ المشتركة من " تهذيب الأزهري " . . 11/9
2) ص: 383 ، وفي " القاموس المحيط " : 255/3 طبق الإناء : غطاؤه .
3) شفاء الغليل للخفاجي : ص 148 ، والحَيْصَ بَيْص هو سعد بن محمد التيمي أديب بغداد (ت 1179م)
4) القاموس المحيط . . 258/3
5) شفاء الغليل . . ص 148
6) الانشقاق ، الآية : 19
7) الكشاف للزمخشري . . 236/4
8) صحاح الجوهري . . 1511/4

ولم أر اللفظ فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب "صحيح مسلم" .. أمّا في أشعار العرب فقد ذكرنا بعضا منها ،فيما مرّ من أبيات .

ولفظ " الطبق" بالدلالة المقصودة في شرحنا شائع معروف في عامية الجزائر الحالية، دون تغيير ولا تبديل، إنْ في الآنية ، وإنْ في صد لولها .. وقد أقرّ " مجمع اللغة العربية" المصري هذا اللفظ ،وجعله من ألفاظ الحضارة الحديثة .. (1)

1) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. ص24 . ط/1980م .

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : التاسعة .

ألفاظ : ـــ

خوان . مائدة .

خـــوان

تردّد اللفظ في البخلاء (27) مرّة ، في تعابير متنوّعة ، بين الحقيقة والمجاز وأغلبها حقيقي ، إذ لم يأت من المجاز إلاّ ستّ حالات . وكلّ هذه التعابير تناولت الحديث عن وَضْعِ الطعام وتقديمه للآكلين .

ومن استعمال المجاز للفظ " الخِوان " قوله : " قَالَ الخِوَانُ : وَيْلٌ مِمَّن قالَ لا أُرِيد " . (1) ومنه أيضا ، يقال : " فُلاَنٌ جَدِيبُ الخِوَانِ " إذا كان بخيلا بالطعام ، وهي صفة رذيلة يشمئز منها العربي ، وينفر بعيدا عنها ، قال الشاعر يُعَيِّر أحَدَهم :ـ (متقارب)

عَرِيضُ البِطَانِ جَدِيبُ الخِوَانِ * قَرِيبُ المَرَاثِ مِنَ المُرْتَعِ .. (2)

وكنّوا عن الخوان بأبي جامع ، لأنّه يجمع أصناف الطعام ، فاستوت له من ذلك كنية شيّقة . رأيت هذا في مقامة الحريري النّصيبية ، قال : " فاسْتَدْعِ أبا جامع ، فإنّه بُشْرَى كلّ جَائِع " .. (3)

وقالوا في تعريفه :ـ

* " وقال الليث : الخِوَان : المائدة ، معرّبة ، وهي الخُون والعدد أخْوِنَة " .. (4)
* " الخِوَان (بالكسر) : الذي يؤكل عليه ، معرّب ، وثلاث أَخْوِنَة ، والكثير خُون " . (5)
* " الخِوَان : الذي يؤكل عليه ، معرّب ، والجمع أَخْوِنَة في القليل ، وفي الكثير خُون .. والإِخْوَان كخِوَان لغة فيه " .. (6)
* " الخِوَان : ما يؤكل عليه الطعام كالإِخْوَان " .. (7)
* " الخِوَان : ما يؤكل عليه ، و (ج) : أَخْوِنَة ، وخُون ، وأَخَاوِين " .. (8)

والمراجعة الشاملة لكلّ هذه التعاريف لا تعطينا تصوّرا لشكل الخِوان ، ولا طريقة لاستعماله ، إلاّ ما جاء من قولهم : " يؤكل عليه " ، ونرى هنا تقييدا للدلالة . هذا هو المعنى المعجمي عند بعض القدماء والمحدثين .. (9)

---

1) البخلاء .. ص 117
2) البيان والتبيين للجاحظ .. 3/ 244
3) مقامات الحريري -/ دار بيروت للطباعة والنشر 1978 ، ص 159
4) تهذيب الأزهري .. 7/ 584
5) صحاح الجوهري .. 5/ 2109
6) لسان العرب .. 13/ 146
7) القاموس المحيط .. 4/ 220
8) المعجم الوسيط .. 1/ 263
9) انظر كذلك : إصلاح المنطق لابن السكيت ، ص106 و ص174 ، وتفسير الألفاظ الدخيلة وأقرب الموارد للشرتوني .. 1/ 311 .

ولا أرى للخوان شكلا خاصّا ولا مادّة معيّنة يصنع منها ، فقد يكون قطعة نسيج ، أو جلد ، يصفّف عليه الطعام ، أو يكون طاولة فاخرة في غاية الصنع والإتقان .. وقد صنعه المترفون من الفضّة ، وجعلوا عليه صحاف الذهب ، كما فعل مَرازِبَة الفرس ، فيما حكاه ابن خلدون .. (1)

وأعتقد أنّ في سبب التسمية أقوالا مختلفة ، فمن العلماء من يراه أعجميّا محضًا لذلك ، ومنهم من يراه أصيلا في العربية ، ويحتجّ لأصالته . فيذكر له مادّة عربية ، يعتقد أنه قد اشتقّ منها .. هذا ابن فارس يقول : " خ و ن : أصل واحد وهو التنقّص .. وأما الذي يؤكل عليه ، فقال قوم هو أعجمي .. سمعت علي بن إبراهيم القطّان يقول : سئل ثعلب ، وأنا أسمع ، فقيل : يجوز أن يقال أنّ الخوان يسمّى خوانا لأنّه يتخوّن ما عليه ، أي ينتقص؟ فقال : ما يبعد ذلك ، والله تعالى أعلم " .. (2)

ومن المادّة يقال : " تخوّن فلان حقّي إذا تنقّصه ، كأنّه خانه شيئا فشيئا ، وكلّ ما غيّرك عن حالِك فقد تخوّنك " .. (3)

فإذا كان التخوّن الذي هو التنقّص قد جعل المتلصرين يتحمّسون إلى ردّ الخِوان إلى الأصل العربي ، فإنّ كثيرا من الباحثين يعتبره لفظا أعجميا معرّبا ، وحدّد بعضهم أصله فارسيا .. فقالوا : إنّه من الفعل " (خُوَرْدَن) أي " أكل " ، وينطق (KHÂN) .. (4) ثمّ تطوّرت الدلالة من الأكل إلى ما يوضع عليه الأكل ، أي " ما يوضع عليه الطعام ليؤكل من سِمَاط ، أو مُلاءَة أو رَيطة أو صينيّة " .. (5)

وأرى أنه يتقارب الفعلان (خُوَرْدَن) أي " أكَل " بالفارسية ، و(خَوَنَ) أي تنقّص في العربية ، يتقاربان في الدلالة على الانتقاص ، فأكْلُ الشيء : انتقاصُه ، فكأنّ الخوانَ جاء ليربط بين الفعلين العربي والفارسي ربطا دقيقا في المعنى ، ويتطابق المعنيان العربي والفارسي ، حتّى أصبح " أصل معناه الطعام أو الوليمة " .. (6) ، ويبقى في العربية مقصورا على الشيء الذي يؤكل عليه ثمّ أطلق لفظ (المَائِدَة) على الشيء المأكول فوقه .. (7)

---

1) ابن خلدون : المقدّمة ، ط/دار الكتاب اللبناني بيروت 1967 ، ص 306
2) مقاييس اللغة لابن فارس .. 2 / 231 ، والمعرّب للجواليقي ص 129
3) أساس البلاغة .. ص 178
4) غرائب اللغة العربية . ص226
5) تفسير الألفاظ الدخيلة ..ص 25
6) الألفاظ الفارسية المعرّبة آدي شير ..ص58
7) انظر لفظ " المائدة " فيما سيأتي من شروح .

ولم يجزم الجواليقي بفارسية اللفظ (خِوَان) كما فعل غيره ، وتحفّظ إذ قال إنّه" معرّب" دون أن يحدّد أصل اللغة الأجنبية التي جاءنا منها ، وقال : " فيه لغتان جيدتان : خِوَان، وخُوَان ، ولغة أخرى دونَهما ، وهي إِخْــوَان " .. (1) ،، وأمّا الثعالبي فقد أكّد فارسيته ، وجعله من الألفاظ التي اختصّت بها الفرس دون العرب .. (2)

والتسميط هو تصفيف الأطعمة على الخِوَان ، وهو السِّمَاطُ الذي يُمَدّ عليه الطعام .. (3) ،، وجــاء في المقامة الصُّوريّة ، من مَقامات الحريري : " لأ فوزَ بِحَلَاوَة اللقاطِ ، وأَحُوزَحلواءَ السِّمَاطِ " (4)

ولم يــرد اللفظ في القرآن الكريم ، وجاء ذكره في " صحيح مسلم " في حديث عن ابن عباس أنه قال " إذ قُرِّب إليهم خِوَانٌ عليه لحمٌ " .. (5)

وما رأيته فيما رأيت من أشعار جاهلية ولا إسلامية إلا ما جاء من البيت الذي أورده الجاحظ آنفا ، ولم يــذكر قائله .. وأنا أعتقد أن اللفظ قد دخل العربية في أوجّ تطورها وازدهارها ، حينما أصبح العرب يستعملون الموائد والأخونة عند طعامهم، وأصبح مستعملا بشكل واسع.

ونحن في الجزائر لا نستعمل في عاميتنا لفظ الخوان ، ولا نفهم مدلوله، وكلّ من يعرفه فقد استاق معناه من المعجم ، وأعتقد أن تداول ... في عامية كثير من الدول العربية غير شائع .. ويستعيضون عنه بألفاظ أخرى جعلوها مرادفة له كالمائدة ، والسفرة ، واللفظ الأخير غيّرته العامّة عن مدلوله ، فهو يدلّ أصلا على "طَعَام السَّفَر " .. (6)

ويرى مجمع اللغة العربية المصري أن يسمّى السماط بمفرش المائدة ، أو مفرش السفرة ترجمة للفظ الأوروبي (NAPPE) الذي يــدلّ على ما تُغَطّى بــه المائدة . ويعتبره لفظا من ألفــاظ الحضارة الحديثة ، ويؤكد على استعماله .. (7) ،، وأما الخوان في رأي المجمع الأخير فهو :- " أثاث منزلي من الخشب أو المعدن يوضع عليه الطعام أو أدواته " .. (8)

أما في عامية الجزائر فمجهول ، وربما كان كذلك في عامية كثير من الدول العربية لثقله ، مما دفع إلى تعويضه بألفاظ أخرى أكثر سلاسة وانسيابا .. واعتبر المجمع اللغوي المصري لفظ الخوان من ألفاظ الحضارة الحديثة ، وأكّد على استعماله ، بتسجيله في معجمه الميسوم " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة " .. (9)

---

1) المعرب للجواليقي .. ص 129
2) فقه اللغة للثعالبي .. ص 188
3) القاموس المحيط .. 2 / 366
4) مقامات الحريري ..ص 240
5) ج 13 / 102
7) أساس البلاغة للزمخشري ..ص 297 ، والقاموس المحيط : 2 / 49
8) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ط / 1980 ، ص 26
9) م ص .. ص 19

مَـــائِـــدَة

تكرّر اللفظ في البخلاء (16) مرة في تعابير كلها حقيقية، تتحدّث عن دعوات الأكل الجماعي ، وكان الناس يجلسون حلقات، وتوضع لهم الموائد ، ووَضْعُ الطعام بهذه الصورة دالٌّ على يُسْرِ حال أصحابها ، وقدرتهم على الإنفاق، وهي صفة محمودة يتفاخر العرب بها .

واستعمل اللفظ مجازيا، فكان في الأمثال العربية واردا ، من ذلك " الأسواق موائد الله في أرضه" . . (1) ،، فكأنّ الله سبحانه وتعالى قد جعل من يؤمّ الأسواق يطلب رزقه، يتناول من هذه الموائد . . وفي مثل آخر: " لا تأكل خبزك على موائد غيرك" . . (2) " أي كن حذرا، فتتخلط أمورك ، وتكشف أسرارك .

وقالوا في تعريفها : —

* " المَائِدَة : خِوان عليه طعام، فإذا لم يكن عليه طعام فليس بمائدة، وإنّما هو خِوَان" .(3)
* " المَائِدَة : الطعام نفسه، وإن لم يكن هنالك خوان، مشتقّ من ذلك، وقيل : هي نفس الخِوان، وقال الفارسي : لا تسمّى مائدة حتى يكون عليها طعام، وإلاّ فهي خِيوان " . . (4)
* " المَائِدَة : الطعام، والمائدة : الخوان عليه الطعام، كالمَيْدَة فيهما" . . (5)
* " المَائِدَة : الخِوَان عليه الطعام والشراب، والطعام نفسه، (ج) مَوائِد" . . (6)

وبملاحظة التعاريف يتبيّن لنا ربطها بين الخوان والمائدة ربطا وثيقا ، فمن لا يعرف الخوان يكون فهمه ناقصا . . والاضطراب الواضح في تحديد (المَائِدة) ينتقل إلى فهمنا ، فيكون متردّدا في إظهار الفرق بين الخِوان والمائدة . . وإن اجتهد بعضهم في فصل الدلالتين فصلا جهدا، كما جاء في التعريف الثاني .

وليس للمائدة شكل محدّد ، ولا طريقة خاصّة في وضعها ، بل هي "خِوان عليه الطعام" .(7) وسبق أن رأينا الخوان وشكله واستعماله في أحواله البسيطة والمعقّدة . . والزيادة هنا الشرطية هي وضع الطعام، فإن لم يكن عليه طعام فليس بمائدة، كما سبق التعريف به في مقدمة الحديث.

ولفظ المائدة مأخوذ من المعنى العربي المشتقّ من مادّة" م ي د ، التي لها أصلان صحيحان

---

1) مجمع الأمثال للميداني . . 357/1
2) م . س . . 259/2
3) صحاح الجوهري . . 451/2
4) لسان العرب . . 411/3
5) القاموس المحيط . . 339/1
6) المعجم الوسيط . . 893/2
7) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة . . ص 27

أحدهما يدل على حركة في شيء ، والآخر على نفح وعطاء .. والأصل الثاني : المَيْد : مادَ ، يَميدُ : أطعَمَ ونفَعَ، ومادَني : أنعشني ، وقالوا : سُمِّيت المائدة منه، وكذلك المائد من هذا القياس" .. (1) قال : وماد زيد عمرا إذا أعطاه، وإنما سميت المائدة مائدة لأنه يزاد عليها .. قال أبوبكر . قال أبوعبيدة : سميت المائدة مائدة لأنها ميد بها صاحبها ، أي أعطيتها ، وتُفُضِّل عليه بها . والعرب تقول : مادَني فلانٌ يميدُني إذا أحسن إليّ . وقال الجرمي : يقال : مَائِدة ومَيْدة ، وأنشد : ـ (رجز)

"ومَيْدةٌ كَثيرةُ الألوانِ * تُصْنَعُ للإخوانِ والجيرانِ " .. (2)

وفي "الصحاح : " مادهم يميدهم : لغة في مارَهم من الميرة، والممتاد المفتعل منه ، ومنه المائدة " .. (3)

ويرى بعض الباحثين أن أصل اللفظ أعجمي ، وقد عرّب، مأخوذا من (مِيدَة) ، وهو خبز السميذ على الخوان ، وأطلقت أيضا (مِيدَة) في اللغة الفارسية على الخِوان .. (4) ، ويظنّ فرنكل لفظ (المائدة) معرّب من الحبشية، وهو فيها (MÂED) .. (5) ، ويوافقه في رأيه صاحب كتاب " غرائب اللغة العربية" ، ويكتبها هكذا (MA ʿEUD) .. (6) ،،

ويشترك مع لفظ المائدة في صيغته ومادته لفظ آخر هو (المائدة) بمعنى : العظيمة الكثيرة الخير . (7) . والمائدة والمائد من الأشجار والأغصان : المائل . (8)

ورد اللفظ في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ـ

" هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ " .. (9)

قال الزمخشري في شرحه : ـ

والمائدة الخوان إذا كان عليه طعام ، وهي من ماده إذا أعطاه ورفده، كأنها تميد من تقدّم إليه " .. (10)

وقال تعالى في آية اخرى : ـ

" قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا " .. (11)

ولم يشرح الزمخشري هذه الآية، وأراه اكتفى بالشرح الأول .. (12)

---

1) مقاييس اللغة لابن فارس .. 5/288

2) تهذيب اللغة للأزهري .. 14/219 ، ولسان العرب لابن منظور .. 3/411

3) ج 2/541

4) الألفاظ الفارسية المعرّبة .. ص 148

5) م. س والصفحة نفسها .

6) ص 285

7) لسان العرب .. 2/448

8) أساس البلاغة .. ص 609

9) المائدة ، الآية : 112

10) الكشّاف للزمخشري .. 1/654

11) المائدة ، الآية : 114

12) الكشاف .. 1/654

وورد اللفظ في " صحيح مسلم" وقصد به الطعام عموما ، ففي ابن عباس (ض) أنه "أَكَلَ الضَّبُّ عَلَى مَائِدَةِ رسول الله (صلعم) ،ولو كان حَرَامًا مَا أُكِلَ على مَائِدَتِه (صلعم) ".. (1)

وفي رواية أخرى" فغضب القاسم عليها (على عائشة أم المؤمنين) ، فلما رأى مائدة عائشة قد أُتِيَ بها قام. قالت : أين ؟ قال : أُصَلِّي ، قالت : اجْلِسْ غُدَر. إني سمعت رسول الله (صلعم) يقول : لَا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ الطَّعَامِ " .. (2)

وفي عامية الجزائر الحالية يُرَى اللفظ مستعملا شائعا ، ولا يكاد يعرف سواه، وهو بصيغته (مائدة) إلى جانب الصيغة الثانية (مَيْدَة) ، والأخيرة أكثر استعمالا من الأولى .

مع الملاحظة بأن الصيغتين فصيحتان ، قد استعملهما العرب استعمالا متباينا .. (3) ، ولم يطرأ على اللفظ تغيير يذكر . .

ويذكر مجمع اللغة العربية المصري المائدة في معجمه، ويعتبره من ألفاظ الحضارة الحديثة ، ذلك ترجمة للفظ الفرنسي (LA TABLE) ، ويفسره بأنه " خِوَان عليه الطعام وأدواته" .. (4)

وهو مستعمل في العربية منذ القدم ، عرفته الحضارة العربية واستعملته، ويؤكد الاستعمال اليومي صلاحيته، ومدى قابليته للبقاء في تغيرات الحياة المختلفة .

---

1) صحيح مسلم بشرح النووي .. 101/13

2) م . س . . 47/5

3) القاموس المحيط .. 339/1

4) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ص 35

الباب : الأول .

الفصل : الأول .

المجموعة : العاشرة .

الألفاظ : ـــ

قدح . كوز . كوب . كأس . جام . قعب . غمر .

قـدح

تكرّر اللفظ في البخلاء ثلاث مرّات ، في مناسبة ذكر الشراب، وفي تعابير حقيقية، دون الإفصاح عن نوع الشراب ، إلا في الثالثة فقد تقيّد المعنى بقوله : " بِقَدَحٍ من لَبَنِ الأوارِكِ " . (1) ، ولم أفهم المقصود من لبن الأوارك، ولا حقيقة شربه .

ويستعمل اللفظ استعمالا مجازيا في قولهم : " أنتَ القَدَحُ الفَرْدُ " كناية عن الإنسان الدّاعي" وفي قولهم : " لا تجعلوني كَقَدَحِ الراكب " . ومعناه : لا تجعلوني آخرا ، لأن الراكب يعلّق قدحه في آخر الرحل ، بعد فراغه من استصحاب الأهْبَة " . (2)

وقالوا في تعريفه : —

* " قال الليث : القَدَح من الآنية معروف، وجمعه أقداح ، ومتّخذه القدّاح ، وصناعته : القِدَاحة " . (3)
* " القَدَح : واحد الأقداح التي للشرب " . (4)
* " القَدَح : من الآنية مفرد الأقداح ، التي للشرب ، معروف ، قال أبوعبيد : يَرْوِي الرجُلَ وقيل : هو اسم يجمع كبارها وصغارها " . (5)
* " القَدَح : بالتحريك ، آنية ، تَرْوِي رَجُلَين ، أو إسم يجمع الصغار والكبار " . (6)
* " القَـدَح : إناء يشرب فيه الماء أو النبيذ ، أو نحوهما ، و(ج) أقداح " . (7)

وبملاحظة التعاريف يتّضح لنا عدم كفايتها لتوضيح شكلها وصورتها ، إلا ما جاء في تعريف مجمع اللغة العربية المصري ، فقد توخّى الدّقة في تحديد وظيفته ، وأرى أن صناعته من مواد مختلفة كالمعادن أو الخشب أو الزجاج أو الخزف ، وقد صنعه المترفون من الذهب والفضّة . ويظهر ذوق الناس في طبيعة اختيارهم للأقداح . فأقداح الخزف مناسبة للطبقة المتوسّطة من المجتمع ، لقلّة تكاليفها ، ووفرة مادّتها في محيطهم ، إنْ هُمْ أرادوا صنعها ، أو هي أقلّ ثمنا إن كانوا لها مشترين .

ومادّة البلّور المزخرف تناسب ذوق الأغنياء ، فتفنّنوا في اقتنائها ، واختيار أشكالها ، لتدور في

---

1) البخلاء .. ص 178
2) محيط المحيط .. 2/ 1671
3) تهذيب الأزهري .. 4/ 31
4) صحاح الجوهري .. 1/ 395
5) لسان العرب .. 2/ 554
6) القاموس المحيط .. 1/ 241
7) المعجم الوسيط .. مادة (قدح)

مجالس اللهو والمرح ، بأيدي جَوَارٍ مُدَرَّبات . ففي قصور الخلفاء العباسيين شيئا من ذلك ، يذكر السيوطي : " أن جارية من جواري الخليفة العباسي (الأمين بن هارون الرشيد) " قامت فعثرت في قدح بلّور له قيمة ، فكسرته " .. (1) ،، ويرى الثعالبي : " أن القدح يصنع من الزجاج ". (2)

ووصف أبو نواس الكأس التي تدور عليهم ، فقال : ـ (طويل)

تُدَارُ عَلَيْنَا الراحُ في عَسْجَدِيَّةٍ * حَبَتْهَا بِأَلْوَانِ التَصَاوِيرِ فَارِسُ
قَرَارَتُهَا كِسْرَى وَفي جَنَبَاتِهَا * مَهًا تَدَّرِيهَا بِالقِسِيِّ الفَوَارِسُ
فَلِلخَمْرِ مَازُرَّتْ عَلَيْهِ جُيُوبُهَا * وَلِلمَاءِ مَا دَارَتْ عَلَيهِ القَلَانِسُ .. (3)

والعَسْجَدِية منسوبة إلى العسجد ، وهو الذهب .

ويذكر في سبب تسمية هذه الآنية بالقدح ، أنها مشتقة من مادة " ق د ح "، التي لها .. " أصلان صحيحان ، يدل أحدهما على شيء كالهمز ، والآخر يدل على غرف شيء . والقدح من الآنية من هذا ، لأن به يغرف الشيء " .. (4)

ومن هذا نستنتج أن أصل اللفظ عربي ، وهو فصيح ، سهل النطق ، لبيان مخارج الحروف ، وتباعدها .

وتتمايز أشكال الأقداح بأحجامها ، وأشكالها ، ومواد صناعتها ، فتختلف تبعًا لذلك ، أسماؤها من ذلك : ـ

الصَّحْنُ : القدح العظيم ، وجمعه صُحُون ، يشرب منه قوم كثير .. (5) ،، قال عمرو بن كلثوم : ـ .. (وافر)

أَلا هُبِّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحِينَا * وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الأَنْدَرِينَا .. (6)

الفِرَاغُ : القدح الضخم .. (7) ، والجمع أفرِغَة .

المِرْفَد : هو القدح الضخم .. (8) ،، والرِّفْدُ كذلك .. (9)

الجُنْبُلُ : " القدح العظيم ، الجشب النحت الذي لم ينقّح ، ولم يُسَوَّ " .. (10)

1) تاريخ الخلفاء للسيوطي .. ص 300
2) فقه اللغة للثعالبي .. ص 168
3) ديوان أبي نواس ط / دار بيروت للطباعة والنشر 1982 ، ص 361
4) مقاييس اللغة لابن فارس .. 5 / 68
5) النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري .. ص 293 ، وشرح الزوزني على المعلقات .. ص 165
6) شرح الزوزني على المعلقات السبع .. ص 165
7) القاموس المحيط .. 3 / 111
8) النوادر اللغة .. ص 293
9) أمالي أبي علي القالي .. 2 / 6
10) م . س والصفحة نفسها .

وفي القاموس المحيط : هو قدح غليظ من خشب .. (1)

القَمْشَل والقُلْقُمُ : القدح الضخم، بلغة هذيل .. (2)

ومما مُيِّزَ بالنظر لصغر حجمه :ـ

الغُمَر : القدح الصغير، أو أصغر الأقداح .. (3)

القَعْب : يَرْوِي الرجلَ الواحد .. (4)

الناطِل : القدح الصغير الذي يَرى فيه الخمارُ النموذجَ. أي مكيال الخمر .. (5)

الوَأْبُ : القدح المقعّر .. (6)

ومما مُيِّزَ بالنظر لمادة صناعته :ـ

القَرْوُ : "قدح من خشب".

الفَسّ : القدح من خشب كذلك .

العُلْبَة : من أدم ، أي من جلد مدبوغ". (7)

وجاء لفظ (الزجاجة) بمعنى القدح في بيت لعنترة العبسي :ـ (كامل)

بِزُجاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةٍ ٭ قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ في الشَّمَالِ مُفَدَّمِ .. (8)

وقد خصّص فصلا سمّاه "فصل في ترتيب الأقداح" بيّن فيه ـ نقلاعن الايمّة ـ ترتيب الاقداح من الصغر إلى الكبر، ثمّ ذكر المادّة الصناعية لبعضها .. (9)

ومما مُيِّز بالنظر إلى شكله :ـ

الطَّاس : فنجان كبير بلا عروة، وهو "تشت" بالفارسية .. (10) ووذكره أبو نُوَاس في شعره فقال :ـ (هزج)

ومُجْرِيهِنَّ سَاقٍ يَبُـ ٭ ـثُّ الإبْرِيقَ والطَّاسَا .. (11)

---

1) ج 352/3

2) لسان العرب .. 140 / 87، واللهجات العربية لإبرهيم أنيس ط/ 6 ، ص 305

3) أمالي أبي علي القالي 2 / 6، وأساس البلاغة ص455، والقاموس المحيط 2/ 104، وفقه اللغة للثعالبي ص 168

4) فقه اللغة للثعالبي ص 168

5) م . س ص 26

6) مجمع الأمثال للميداني .. 2/294

7) فقه اللغة للثعالبي ص 168

8) معلّقة (عنترة) ، شرح الزوزني على المعلّقات ص 204، وأشعار الشعراء الستّة الجاهليين للأعلم الشنتمري ، ط/ دار الآفاق الجديدة ،بيروت 1981 ص117 ، و(صَفْرَاء) ذكرها الزوزني بكسر الهمزة، وذكرها الشنتمري بفتحها ، وهو الأصحّ ، فاللفظ ممنوع من الصرف لأنه مختوم بألف التأنيث الممدودة .

9) ص 168

10) غرائب اللغة العربية ص 238

11) ديوان أبي نُوَاس ص 371

ثمّ جـاء ذكر اللفظ في مقامات الحريري ، في بيت يقول :ـــ (رجـــز)

ولتجْهيزِهَا إلَى الكَاسِ والطَّا ﴿ بِن قِيَامِي الذِي تَرَى وَمَقَامِـي . . (1)

وقد انتقل لفظ (الطاس) إلى بعض اللغات الأوروبية :ـــ

" (tasse) = في اللغة الفرنسية .

- (taz) = في الروسيـــة .

- (tas) = في الارمنيـة .

- (tchécha) = في المجريّــة " . . (2)

والطاس في اللّغـــة الفرنسية" إناء صغير ، ذو عروة ، أو أذن يستعمل للشراب، ويصنع من موادّ مختلفة كالفخّار أو الفضّة " . . (3)

وأما الكاس والكوب، والكوز، والجام، فلنا معها وقفة خاصّة نتناول الحديث فيها بشيء مِـــن التّــوسّــع ، إن شـاء الله .

وجميع الألفاظ المذكورة سابقا تندرج تحت لفظ يضمّها هو القدح . فيكون مجموعها خاصّ ضمنه، وتدلّ على شكل من أشكاله، أو حالة من حالاته، ولا أرى أنها ألفاظ مترادفة له بالمفهوم العلمي لمصطلح الترادف.

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، ولكنّي رأيته في حديث نبوي شريف، رواه (مسلم) في "صحيحه" نصّه :" قال رسول الله (صلعم) : "بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُ قَدَحًا أُتِيتُ بِهِ، فِيهِ لَبَن فشربتُ منه". (4)

وأفهم من معنى الحديث أنه كان يستعمل لديهم استعمالا غير محدّد ، فكأنه لجميع مـــا يشـــرب، كاللبن وغيره، كأنّ يُغَسّل فيه مثلا ، فقد جاء في الحديث الشريف، عن عائشة أنهـــا قالت :" كان رسول الله (صلعم) يغسل في القدح ، وهو الفرق " وشرحه النووي فقال :" القدح هـــو الفـرق " . . (5)

ولم ترتبط دلالته باتّجاه معيّن في الاستعمال ، غير أنّ الأشكال تمايزت، ففي قول آخر عـــن أنس بن مالك (ض) أنّ النبي (صلعم) دَعَا بِمَاءٍ فَأُتِي بِقَدَحٍ رَحْرَاحٍ " . . ، والرحراح الواسع القصير الجدار . (6)

وعرف اللفظ قبل هنا في العصر الجاهلي ، إذ جاء في معلّقة عنترة العبسي ، حيث يقول :ـ(كامل)

رَبِذٍ يَدَاهُ بِالقِدَاحِ إِذَا شَتَا ﴿ هَتَّاكِ غَايَاتِ التِجَارِ مُلَوَّمِ . . (7)

---

1) مقامات الحريري . . ص 290

2) غرائب اللغة العربية . . ص 238

3) —Petit Robert 1 .édit. 1984 . P: 1927 .
مع الاعتراف بأن اللفظ مأخوذ من اللغة العربية .

4) ج 15 / 38

5) م . س 4 / 4

6) م . س 15 / 38

7) المعلقات السبع للزوزني . . ص 208

وأعتقد أن اللفظ منذ ذلك الحين إلى اليوم، لا يزال يُعرف، ولم تتغيّر دلالته تغيّرا مطلقا. أما في عامية الجزائر الحالية فإن اللفظ لا يكاد يستعمل، فكلّ قدح عندنا (كاس) .. ولكنّي رأيتُ في بادية الصحراء الجزائرية أُناسًا يسمّون إناء ضَخْمًا تحلب فيه المواشي بـ "القِدَح" صنعوه من الحلفاء خاصّة، أو من الخزف، ولايستعمل في المدلول الذي شرحناه.

وهو في اللغة العربية الفصيحة (المِحْلَب) .. قال ابنُ قتيبة: "فأما المِحْلَب فالقدح الذي يُحْلَبُ فيه" ..(1)

وفي معجم ألفاظ الحضارة الحديثة الذي أصدره المجمع اللغوي المصري: "القدح أو الفنجان (Tasse (F)) كوب ذو عروة يصنع من الخزف ونحوه يشرب فيه الشاي والقهوة ونحوهما من الأشربة" ..(2)

---

1) أدب الكاتب .. ص 389

2) ص 113. ط/1980م.

كـُـــوز

تكـرّر اللفظ في البخلاء ، خمس مـرّات ، في أماكن متقاربة ،كانت التعابير فيها حقيقة كلّها . وتناولت قضية الشـرب في هذه الآنية إلاّ مـا جاء في العبارة الأولى : " فرآني أتوضّأ في كـوز خـزف " ، فهو استعمال آخـر .

ويستعمل اللفظ في المجـاز ، فيقال : " رجل مكوّز الرأس، ومرطل الرأس: طويله " . . (1)

وقالوا في تعريفه : —

* " الكـوز : جمعه كِيزان وأكْوَاز وكوزه . . واكتاز الماء : أفرغه ، وهو افتعل من الكوز" . .(2)
* " الكُوزُ : من الأواني معروف، وهو مشتقّ من ذلك، والجمع أكْوَاز وكِيزان وكِوَزَه ، حكـاه سيبـويه " . . (3)
* " الكُوز : بالضمّ، جمعه أكْوَاز ، وكِيزَان وكِوَزَه" . .(4)
* " الكُوز : إناء بعروة يشـرب به الماء " . . (5)

وبملاحظة هذه التعابير يتبيّن تقصيرها في إظـهار شكله، وتحديد حجمه ، إلاّ ما جاء فـي التعريف الأخـير الذي أراه قد قدّم صـورة مبسّطة هي في حاجة إلى شرح وتوسيع .

كما أنّ المراجع لم تذكر المادّة التي يصنع منـها هذا الإناء، وأظنّها المادّة نفسـها التي تصنـع منها الأقـدَاح ،كالخزف والزجاج والمعادن .

ويفهم ممّا سبق من تعاريف أنّ استعمال الكوز متعدّد ، فهو للشرب وللوضـوء . . كما جاء في عـبارة " فَرآنِي أتوَضّـأُ فِي كُوزٍ " الواردة في كتاب البخلاء . . (6)

وفي أصل التسمية أقوال منها أنّ اللفظ مشتقّ مـن مادّة (ك و ز) " التي لها أصل صحيح ، يدلّ على الجمع، تكوّز القوم : تجمّعوا ، والكوز للماء من هذا ، لأنّه يجمع الماء" . . (7) . . " واكتـاز الماء : اغترفه، وهو افتعل من الكوز" . . (8) ،وفي أساس البلاغة : " اكتاز الماء : اغترفه بالكوز" (9) فيكون الفعل منه : " كاز يكوز، واكتاز يكتاز : إذا شَرِبَ بِالكوزِ " . . (10)

---

1) أساس البلاغـــة .. ص 553
2) صحاح الجوهري .. 893/3
3) لسان العــرب .. 402/4
4) القاموس المحيط .. 189/2
5) المعجم الوسيـط .. 804/2
6) ص : 17
7) مقاييس اللغة .. 146/5
8) صحاح الجوهري .. 893/3
9) ص 553
10) لسان العرب .. 402/5 ، وتهذيب الأزهري .. 319/10

ومن هنا يُـرَى أصـل اللفظ عربيا . . لكن هناك من يقول: إنّ " الكوز فارسيّ " . . (1) ويرى الثعالبيّ أنّ الكوز من ألفاظ الأواني التي تفرّدت بها الفرس، فاضطرّت العرب إلى تعريبها أو تركها كما هي . . (2) ،، وصاحب كتاب " غرائب اللغة العربية" يجعله فارسيا ، وأصله في لغته (كُـوَزَهْ) . . (3) ،، ويخالف هذا الرأي (القسّ طوبيا العنيسي) حين ينسب أصل اللفظ إلى الآرامية ، ويعتقد أنّه محرّف من (كسوس) التي تأتي بمعنى الكأس والقدح والمشربة . . (4)

وممّن أجزم بعربيّة اللفظ استنادا إلى معناه قوم قالوا إنّ " الكوز عربي ، من قولهم :- كوزت الشيء : جمعته . اكتاز الماء : اغترفه، وهو افتعل من الكوز " . . (5) وردّ ابن سيدة على من اعتقد بأعجمية اللفظ فقال : " وهذا القول لا يعرّج عليه بل الكوز عربي أصيل " . . (6) وربّما كان الأمر راجعا إلى توارد لغات .

ولفظ (الكوز) من الألفاظ الخاصّة التي يجمعها لفظ " القدح " ، ويختلف الكوز عن بقية الأقداح بشكله المميّز ، قال الثعالبي : " لا يقال كوز إلاّ إذا كانت له عروة وإلاّ فهو كوب " . . (7) . . وفي تحديد بعض الباحثين المحدثين إنّه " إناء له عروة وبلبل ، أو هو أصغر من الإبريق " . . (8)

ولم أجد للكوز ألفاظا مرادفة حقيقية ، واعتقادي أنّ لفظ الإبريق يقترب من ذلك ، ولا يحل محلّه . ف " الإبريق " لفظ من أصل فارسيّ ، ومعناه مركّب من (آب) وهو الماء ، و(ريز) فعل مشتقّ من الجذر (ريختن أي سكب) . . (9) ،، فيصبح اللفظ المركّب (آب ريز) ، يعني في العربية " سَكْبُ المَاءِ " ، وهي وظيفة يشترك فيها " الكوز " مع (الإبريق) . . هذا اللفظ الأخير الذي أصبح في العربية (الإبريق) .

ولعلّ لفظ " التّور " يعبّر عن شكل من أشكال الكوز . . فقد ورد اللفظ فيما ذكره (مسلم) ، ، قال : " فَلَمَّا تَزَوَّجَ النبيّ (صلعم) أَهْدَتْ له أمّ سليم حيْسًا في تَوْرٍ من حِجَارة " . . قال النووي : التور إناء من حجارة . . (10)

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، ولا رأيته فيما رأيت من أحاديث نبويّة شريفة ، في كتاب " صحيح مسلم " .

---

1) م . س (لسان العرب) ، والصفحة نفسها .
2) فقه اللغة للثعالبي . . ص 198
3) غرائب اللغة العربية . . ص 244
4) تفسير الألفاظ الدخيلة في العربية . . ص 65
5) صحاح الجوهري . . 893/3 و " لسان العرب " . . 402/5
6) لسان العرب . . 402/5
7) فقه اللغة للثعالبي . . ص 21
8) أقرب الموارد للشرتوني . . 1112/1
9) غرائب اللغة العربية . . ص 216
10) صحيح مسلم بشرح النووي . . 233/9

وأمّا في الأشعار العربية ، فلم أصادفه فيما قرأت من شعر العصر الجاهلي ، ولكن رأيت اللفظ في شعر العصر الإسلامي ، فقد جاء في شعر أبي إسحاق الصابي ، حيث يقول :ـ (خفيف)

لَهْفَ نَفْسِي عَلَى المُقَامِ بِبَغْدَا * دَ وَشُرْبِي مِنْ مَاءِ كُوزٍ بِثَلْجِ .. (1)

والأحظ من البيت أنّ اللفظ قد استعمل في الشراب ممّا يدلّ على أنّه كان معروفا لديهم شائعا ، يستخدم في الشراب، شراب الماء بالثلج وغيره .

ولا نعرف في عامية الجزائر الحالية لفظ (الكوز) ولا نستعمله إطلاقا .. وأعتقد أنّ مدلوله في بعض اللهجات العربية الحالية مجهول . وربّما كان شائعا يوما ما ، وبمرور الزمن انطوى اللفظ في المعاجم وبقي ينتظر من يخرجه للوجود ، ولم يقترح مجمع اللغة العربية المصري استعماله فيما اقترح من ألفاظ في معجمه الموسوم بـ" معجم ألفاظ الحضارة الحديثة" .(2)

---

1) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور الثعالبي ط/ دار الفكر بيروت 1973 ج: 2/265

والشاعر هو إبراهيم بن هلال الصابي الحراني ، ولد ومات ببغداد (925-964) كان مسيحيا ، يحفظ القرآن يدور على طرف لسانه ، وأحد شعراء عضد الدولة المقربين .

2) ط/ 1980م

كُـــوب

ورد اللفظ في البخلاء مرّة واحدة، في قوله: " يسعى إليه العبد بالكُوبِ" ، وهو في حالة المفردِ المذكّر . والتعبير حقيقي يصف تقديم الشراب في هذا الإناء.

وجاء في تعريفه : —

* " قال الفرّاء : الكُوبُ الكُوز المستدير الرأس الذي لا عروةَ لهُ " .. (1)
* " الكُوبُ : كوزٌ لا عروة له، والجمع أكواب " .. (2)
* " الكُوبُ : كوز، فإذا كان بعروة فهو كُوز " .. (3)
* " الكُوبُ : بالضم، كوز لا عروة له، ولا خرطوم، وجمعه أكواب " .. (4)
* " الكُوب : القدح لا عروة له ، والجمع أَكْوَاب " .. (5)
* " الكُوب : قدح من الزجاج ونحوه، مستدير الرأس لا عروة له، وهو من آنية الشراب، و(ج) أَكْوَاب وَأَكْوُب " .. (6)

وإذا أمعنّا النظر في هذه التعريفات وجدنا أغلبها يتحدّث عن الآنية ، ويحدّد شكلها ، بناء على معرفة سابقة بآنية أخرى هي الكوز .. فمن لا يعرف مدلول لفظ الكوز لا يعرف مدلول لفظ الكوب. وبهذا تكون هذه التعريفات ناقصة ، بل غامضة . إلاّ ما جاء في التعريف الأخير فقد كان أكثر وضوحا من غيره، بل وأكثر تحديدا ودِقّة .

وأرى أنّ الكوب يصنع من الزجاج ،كما سبقت الإشارة في التعريف الأخير، وقد يصنع من المواد التي يُصْنع منها القدحُ عمُوما . كالخزف والمعادن المختلفة الثمينة والبخسة .

ويستعمل الكوب في الشراب غالبا وقد عُرِفَ عند العرب منذ أمد طويل ، لأنّه موجود في أشعارهم القديمة .. وقد صنعوه من الزجاج البلّور خاصّة وشاع الشرب به ، حتّى سمي زجاجة الشراب .. وفي الفرنسية يعرف الكوب بأنّه: " زجاجة للشرب واسعة ذات عمق قليل ، ولها قاعدة تستريح عليها " .. (7)

---

1) تهذيب اللغة للأزهري .. 400/10
2) صحاح الجوهري — 215/1
3) لسان العرب .. 729/1
4) القاموس المحيط .. 126/1
5) مقاييس اللغة لابن فارس .. 145/5
6) المعجم الوسيط .. 803/2
7) (معجم فرنسي) — dict.; Petit Robert, P : 406 .

وأفهم من المقارنة بين ما في العربية والفرنسية أنّ المدلول بينهما متقارب، ولم أعثر عن رأي صريح في أسباب تسمية هذا الوعاء، فمن ابن عبّاس أنّ اللفظ مشتقّ من (ك و ب) إذ يقول : ـ "ك و ب كلمة واحدة هي الكوب: القدح لا عروة له" .. (1) ،، واستقوا منه فعلا، فقالوا : "كَابَ كَوْبًا : شَرِبَ بالكُوب" .. (2)

ونلاحظ أنّ ابن فارس لم يذكر أصل اللفظ، ولم يشِر إليه في هذا القول ممّا يدفع إلى الظنّ بأنّه معرّب من لغة أخرى .. وأنّه موجود في لغات متعدّدة، حتّى فسّر بعضهم هذه الظاهرة بتوافق اللغات .. (3) وحدّد بعضهم أصل اللفظة، فقالوا : "إنّها نَبَطِيّة" .. (4) ،، وذكر صاحب كتاب "غرائب اللغة العربية" "أنّ اللفظ لاتيني، ويعني برميل صغير، ويكتب (CUPA)(5) وذكر آدي شير : أنّه فارسي معرّب من (كوپ)، ثمّ صرّح بأنّه من توافق اللغات، فهو في التركية والكردية (كوب) وفي الرومية والفرنسية (COUPE) .. (6)

ولفظ الكُوب خاصّ يشمله اللفظ العامّ "القَدَح"، فهو شكل من أشكاله، تميّز بخاصّية ووظيفة ارتبط مدلوله بها، فالكوب شاع ذكره مع الشراب، وكان شكله مميّزا .. يقال : إنّه "مستدير الرأس، أو له عروة ولا خرطوم له .. (7) ،، وعن ابن جرير أنّ الأكواب" جرار ليست لها عرى" .. (8) وقالوا : "إنّه كوز لا عروة له" .. (9)

ويظهر أنّ الكوب قد اتّخذ أشكالا مختلفة في صناعته عبر الأزمان، فكان مرّة بعروة، وأخرى بدونها .. ومرّة ينفرد بشكله، وأخرى يشبه غيره من الأقداح .

وربّما ميّزوا الأشكال بأسماء خاصّة دلّت عليها، من ذلك أنّهم قالوا : "القَرْقَارَة كوب من زجاج، طويل العنق" .. (10)

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم مرّات متعدّدة، وفي آيات مختلفة، هي قوله تعالى : ـ

" يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ " .. (11)

قال الزمخشري في شرح الكوب : " الكوب: الكوز لا عروة له " .. (12)

---

1) مقاييس اللغة .. 145/5
2) القاموس المحيط 126/1 ، والمعجم الوسيط 803/2 ، وتهذيب اللغة 313/10
3) مقدمة كتاب "الزينة في الألفاظ الاسلامية" ط/ دار الكتاب العربي 1957 .. وص 138 منه .
4) الإتقان في علوم القرآن .. 137/1
5) ص 28
6) الألفاظ الفارسية المعرّبة .. 139
7) م.س والصفحة نفسها .
8) الإتقان في علوم القرآن .. 137/1
9) صحاح الجوهري 215/1 ، ولسان العرب .. 729/1
10) أساس البلاغة .. ص 501
11) الزخرف ، الآية : 71
12) الكشاف .. 495/3 .

وقوله تعالى : " يَطُوفُ عَلَيْهِم وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ ، بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِين " . . (1)

وقال الزمخشري : " الأكواب أوان بلا عرى وخراطيم ، والأباريق ذوات خراطيم " . . (2)

وقوله تعالى : " وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ، قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا " . . (3)

ولم يشرح الزمخشري معنى الأكواب هنا ، ولكنه شرح صفتها المميّزة ، فقال : "ومعنى قوارير من فضّة أنّها مخلوقة من فضّة ، وهي في بياض الفضّة وحسنها ، في صفاء القوارير وشفيفها " . . (4)

وقوله تعالى : " فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ " . . (5)

وكان من شرح الزمخشري قوله : " (مَوْضُوعَة) كلما أرادوها وجدوها ، موضوعة بين أيديهم " . . (6)

والاحظ لفظ الكوب فأجده في حالة الجمع ، وهي الحالة التي تناسب التعبير عن كثرة النعيم المقيم الذي يتمتّع به ساكنو جنّة الرضوان .

ولم أعثر على اللفظ فيما قرأت من أحاديث نبوية شريفة في كتاب (صحيح مسلم) .

أمّا في الأشعار العربية الجاهلية منها والإسلامية ، فقد رأيت اللفظ في قول الشاعر : ـ (سريع)

مُتَّكِئًا تُصْفَقُ أَبْوَابُهُ ، يَسْعَى عَلَيْهِ العَبْدُ بِالكُوبِ . . (7)

وأفهم من اللفظ دلالته على إناء الشرب ، هذه الدلالة التي بقيت إلى زمننا دون تغيير كبير .

واللفظ شائع الاستعمال في اللغة العربية القديمة منها والحديثة ، غير أنّ تداوله في العامية أصابه تغيّر تفاوت بين المقبول والمنكر ، فقد ثبت أنّ لفظ الكوب ينطق في عامية مصر الحالية (كُبّايه) أمّا في عامية الأندلس ، فقد ذكر الزبيدي أنّ العامّة تلحن في لفظ الكوب ، فتخرج بها إلى لحن منكر ، حتى تقول " قَبّ " . . (8) ، بدلا من (كُوب) ، وكان ذلك في القرن الرابع الهجري ، والعاشر الميلادي . . (9)

ثم تمّ إحياء اللفظ بدلالته الطبيعية التي وجدناها بفضل جهود الكتّاب واللغويّين حتى أصبح مستعملا مقرونا ، وخاصة بعد أن أكد مجمع اللغة العربية المصري حسن استعماله للدلالة على إناء الشرب . وذلك في معجمه (معجم ألفاظ الحضارة الحديثة) حيث قال : " الكُوبُ (لِلْمَاءِ) : ـ إناء من الزجاج أو غيره ، يصبّ فيه الماء للشرب " . . (10)

---

1) الواقعة ، الآية : 17 و 18

2) الكشّاف : 4 / 53

3) الإنسان ، الآية : 15 و 16

4) الكشّاف : 4 / 198

5) الغاشية ، الآية : 13 و 14

6) الكشاف : 4 / 247

7) صحاح الجوهري : 1 / 215 ، و "لسان العرب" 1 / 729 ، والبخلاء : ص 232 والبيت منسوب في لسان العرب لعدي بن زيد ، أما في "البخلاء" فمنسوب للأعشى ، وكلاهما جاهلي .

8) لحن العوام للزبيدي ، تح / د . رمضان عبد التواب ط / 1964م ، ج 4 / 186

9) توفي الزبيدي حوالي 380هـ / 989م

10) ص 26 ، ط / 1980م

كـــأس

تكـرّر اللفظ في البخلاء ثـلاث مرّات، في تعابير، إثنان منها حقيقية تتحدث عن شـــرب الخمر، مدحا وذمّـا، وثالثا مجازيا، في قوله: " يشرب بكأس الذلّ " .. (1)، وكثيرًا ما يستعمل الكأس مجـازا مع الذلّ أو الموت، أو الهوى، أو غير ذلك .. كالتعبير عن لازم الحدث في قـول الشـاعر :ـــ (بسيـــط)

مَـنْ لَم يَمُتْ غبطَةً يَمُتْ هَرَمًا * لِلْمَـوْتِ كَـأْسٌ فَالْمَرْءُ ذَائِقُـهَا .. (2)

ويستـعار لفظ الكأس في جميع ضـروب المكاره، كقولهم : " سقاه كأسا من الذلّ " .. وكأسا من الحبّ، وكـذلك في الفرقة والموت .. (3)

وقـالت عجـوز :ـــ (طويل)

جَرَيْتُ مَعَ الْعُشَّاقِ فِي حَلْبَةِ الْهَوى * فَفُقْتُهُمْ سَبْقًا وَجِئْتُ عَلَى رِسْـلِـي

فَمَا لَبِسَ الْعُشَّاقُ من حُلَلِ الْهَوَى * وَخَلَعُوا إلاّ الثِّيَابَ الَّتِي أبْلِـي

ولاَ شَرِبُوا كَأْسًا مِنَ الْحُبِّ مُـرَّةً * وَلاَ حُلْوَةً إلاّ شَرَابُهم فَضْـلِـي .. (4)

ومن الأمثال : " سُقُوا بِكَأْسِ حَـلاَقِ " يعني أنّهم استؤصلوا بالموت، وحلاق: إسم للمنية، لأنّـه يستأصـل الأحياء، كما يستاصل الحلق الشعر " .. (5)

وقالوا في تعريفه :ـــ

* " قال الزجاج : الكَأس : الإناء إذا كان فيه خمر، فهو كأس، ويقع الكأس لكلّ إناء مـع شَـرَابِـه " .. (6)

الكَأس : الزجاجة، ما دام فيها الشراب، وقال أبو حاتم : الكأس: الشراب بعينه، وهـو قول الأصمعي " .. (7)

* " الكَأس : الإناء يشـرب فيه، أو ما دام الشـراب فيه، موءنثة مهموزة، والشراب، (ج) : أكْؤُس، وكُؤُوس، وكَاسَات، وكِئَاس " .. (8)

* " فأما الكأس فيقال : هو الإناء بما فيه من خمر " .. (9)

---

1) البخـلاء .. ص 176
2) صحاح الجوهري .. 969/3
3) لسان العرب .. 190/6
4) أمالي أبي علي القالي .. 29/1
5) مجمع الامثال للميداني .. 342/1
6) تهذيب الأزهري .. 314/10
7) لسان العرب .. 186/6
8) القاموس المحـيط .. 244/2
9) مقاييس اللغـة .. 147/5

* " الكأس: القدح ما دام فيه الخمر، وهي مؤنثة، والخمر نفسه .. ويستعار الكأس في جميع ضروب المكاره، فيقال: سقاه كأسا من الذل والفرقة والموت " .. (1)

وألاحظ أن التعاريف السابقة لم تبين شكل الإناء ولا حجمه، فهي إناء أو قدح للشراب، حقيقة كان أو مجازا، وربطه بعضهم حينما قال: " ما دام فيه الشراب او الخمر" .. (2)

ويصنع الكأس من المادة نفسها التي يصنع منها القدح عموما، ولكني أعتقد أن اهتمام الناس بالكأس جعلهم يهتمون بشكله وزخرفته ليكون مناسبا لأماكن اللهو والزهو .

ورأيت الكأس تذكر مع شراب الخمر، وإن كانت التعاريف السابقة تذكر الشراب، دون أن تتفق على طبيعته، وأما "الزجاج" فقد أشار إلى الشراب ونوعه مصرحا: " الإناء إذا كان فيه خمر فهو كأس " .. (3)، وفسر الأخفش وابن عباس الكأس الواردة في القرآن بأنها الخمر .. (4)

ورأيت اختلافا في أصل التسمية ومصدرها، فمن القائلين بالأصل العربي للفظ من جعله مشتقا من " كاس فلان من الطعام والشراب إذا أكثر منه. وتقول: وجدت فلانا كاصا بزنة أي صبورا باقيا على شربه وأكله .. قال الأزهري: وأحسب الكأس مأخوذا منه لأن الصاد والسين يتعاقبان في حروف كثيرة لقرب مخرجيهما " .. (5) ..، وفي المقاييس: " كوس أصل صحيح يدل على صرع أو ما يقاربه، كاسه يكوسه إذا صرعه .. فأما الكاس فيقال هو الإناء بما فيه من خمر، وهو من غير الباب " .. (6)

والقائلون بأصل اللفظ الأعجمي ذكروا أن " الكاس": القدح، وهي بالفارسية (كاسه)، وبالكردية (كاسك)، وأظن الكلمة سامية الأصل " .. (7) وفي " غرائب اللغة العربية": أن أصل اللفظ آرامي، وينطق (Kaço) .. (8)

وأعتقد أن اللفظ معرب من أصل أعجمي، وهو من الألفاظ التي عربت قبل الإسلام، ونطق بها القرآن، ثم انتقل اللفظ من العربية إلى لغات أخرى، قال صاحب " غرائب اللغة العربية": لأن لفظ الكأس انتقل من العربية إلى اليونانية فكان فيها (kéces) ويعني طاس .. (9)

---

1) المعجم الوسيط .. 771/2
2) انظر التعاريف السابقة .
3) تهذيب الأزهري .. 314/10
4) الكشاف للزمخشري .. 340/3
5) لسان العرب .. 190/6
6) ج 147/5
7) الألفاظ الفارسية المعربة آدي شير .. ص 131
8) ص : 202
9) ص : 164

ولفظ " الكأس " لفظ خــاص يشمله لفظ عام هو القدح ، والفرق بينهما مبيّن بحالة الامتلاء أو الشـفـور، أو نوع المادّة التي يحتويـها . وإن كان من الائمة من اختلفوا في علامات التمييز بينهما . فقد ذكرت المعاجم أنّ "الكأس" لا تسمّى كأسا إلا وفيها الشراب " ـ(1) ،، وفي قول آخر : " الكأس: الزجاجة ما دام فيها الشراب، وقال أبو حاتم : الكأس الشراب بعينه، وهو قول الأصمعي " . . (2)

وأقهم من الأقوال المختلفة أنّ مدلول لفظ " الكأس " عند الكثير لم يكن محدّدا مما دفع إلـى ظهور اضطراب في الفهم، فهو مرّة " الكأس " بمعنى القدح ، ومرّة أخرى بمعنى الشراب . . ونظـرا لارتباط الدّال بالمدلول فقد كان الفصل بينهما عسيرا في كثير من مواقع الكلام الذي يعتبر شاهدا على استعماله . . فقد يكون " الكأس " بمعنى الظرف، أي القدح كما يفهم من اللفظ منذ أزمان ، قـال أحدهم : " فإذا تكامل الأنس، وطاب المجلس ، ولذّ السّماع، وضع في يد كلّ منهم كأس ذهب وزنه ألف مثقال مملوء شــرابا " . . (3)

فقول القائل : " كأس ذهب " يدلّ على القدح ذاته مصنوع من مادّة الذهب، هذا ولكن الثعالبي يقـول : " لا يقال كأس إلا إذا كان فيه الشراب، وإلا فهي زجاجة " . . (4) ،، ونذكر قول الزجاج " الكأس : الإناء ، إذا كان فيه خمر فهو كأس ، ويقع الكأس لكلّ إناء مع شربه " . . (5)

والخلاصة أنّ اللفظ قد أطلق على الإناء الفارغ مرّة ، وعلى محتواه، وعليهما معا ، حتّى جعل بعضهم يعتقد أنّ اللفظ من الأضداد ، إذ قال : " الكأس من الأضداد لأنّه يطلق على الإناء ذاته، كما يطلق على ما فيه من الشــراب " . . (6)

وأنا لا أرى هذا الرأي ، لأنّه عندي تطوّر دلالي تمّت فيه النقلة بالمجاورة، من الظرف إلـــى محتواه ، وهو جائز في كثير من التعابير البلاغية المعروفة بالمجاز المرسل .

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم ، في مواضع متعدّدة ، هي قوله تعالى : ـ

* " يُطَـافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِـنْ مَعِيـنٍ " . . (7)

وقال الزمخشري في شـرحها : " يقال : للزجاجة التي فيها الخمر كأس، وتسمّى الخمر نفسها كأسا " (8)

وقوله تعالى : ـ

* " يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيم " . . (9)

---

1) صحاح الجوهري .. 969/3
2) لسان العرب .. 188/6
3) الحضارة الإسلامية لآدم متز : ج 2/ 246 ، نقلا عن " يتيمة الدهر " .. 2/ 106
4) فقه اللغة للثعالبي .. ص 21
5) تهذيب الأزهري .. 10/ 314
6) رواية اللغة لعبد الحميد الشلقاني .. ص 336
7) الصّافات ، الآيــة : 45
8) الكشاف .. 3/ 340
9) الطّــور ، الآيتان : 23 و 24

وقال الزمخشري : " (يَتَنَازَعُونَ) : يتعاطون ، ويتعاورون ، هم وجلساؤهم من أقربائهم وأخوتهم ، .. (كأسا) : خمرا . (لا لغو فيها) : في شربها " .. (1)

وقوله تعالى :ـ

" بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ " .. (2)

ولم يشرحها الزمخشري .

وقال تعالى :ـ

" إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا " .. (3)

وقال الزمخشري : " يشربون فيها خمرا ، خَمْرَ عَيْنٍ " .. (4)

وقال تعالى :ـ

" وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا " .. (5)

وقال الزمخشري : " وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه ، أي يخلق الله طعمه فيها " .. (6)

وقال تعالى :ـ

" وَكَأْسًا دِهَاقًا " .. (7)

وقال الزمخشري : " الدهاق : المترعة ، وأدهق الحوض : ملأه " .. (8)

ويلاحظ من معاني الآيات أن اللفظ دال على ما يحتوي القدح من شراب، لا على الإناء بذاته ، لما كان اللفظ مهموزا ..

ولم أعثر على اللفظ فيما قرأت من أحاديث نبوية شريفة في كتاب " صحيح مسلم "

أما في الأشعار العربية فقد رأيت اللفظ في شعر عمرو بن كلثوم ، قال :ـ (وافر)

صَدَدْتِ الكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عمرو * وكَانَ الكَأْسُ مَجْرَاهَا اليَمِينَا .. (9)

وفي قول طرفة بن العبد : " مَتَى تَأْتِنِي أُصْبِحْكَ كَأْسًا رَوِيَّةً " .. (10)

وفي قول كعب بن زهير :ـ (طويل)

إِذَا عَلَّبَتْهُ الكَأْسُ لا مُتَعَبِّسٌ * حَصُورٌ وَلَا مِنْ دُونِهَا يَتَبَسَّلُ .. (11)

---

1) الكشاف .. 24/4
2) الواقعة ، الآية : 18
3) الإنسان ، الآية : 5
4) الكشاف -- 195/4
5) الإنسان ، الآية : 17
6) الكشاف .. 198/4
7) النبأ ، الآية : 34
8) الكشاف .. 210/4
9) معلقة (عمرو بن كلثوم) في "شرح المعلقات السبع" للزوزني .. ص 166
10) لسان العرب .. 504/2
11) ديوان كعب بن زهير ، رواية أبي سعيد السكري ، ط/ دار الفكر للجميع 1968م ، ص 35

ومن تفقّد ديوان أبي نُواس سيجد اللفظ مكررا في مواضعَ لا تحصى ، بصيغته ومعناه. هذا الواقع، لما اشتهر به الشاعر أبو نواس من حبّه للهو والشراب في شبابه، وأشعاره مبثوثة في كتب الأدب والشعر .. من ذلك قوله : — (كامل)

قَالُوا : كَبُرْتَ ، قلتُ : ما كَبُرَتْ يدي ✱ عَلَى أَنْ تَسِيرَ إِلَى فَمِي بِالْكَأْسِ

وهو بيت من قصيدة مطلعها :-

كَيْفَ النُّزُوعُ عن الصِّبَا وَالْكَاسِ ✱ قِسْ ذَا لَنَا يَا عَاذِلِي بِقِيَاسِ .. (1)

ورواة الديوان : - (كامل)

قَالُوا : شَمِطْتَ ، فقلتُ : ماشَمِطَتْ يَدِي ✱ عَلَى أَنْ تَحُثَّ إِلَى فَمِي بِالْكَاسِ .. (2)

وأرى أن الكأس قد بقيت على مدلولها حتّى عصرنا الحاضر، دون أن يطرأ عليها تغيير ..

فقد ذكر "أبو ماضي" الكأس وجمعها على " كَاسَات" في شعره مرّة ، فقال :— (رجز)

لَمْ يَبْقَ مَا يُسْلِيكَ غيرُ الكَاسِ ✱ فَاشْرَبْ، وَدَعْ لِلنَّاسِ مَا لِلنَّاسِ .. (3)

إلى أن قال :—

يَا أَيُّهَا السَّاقِي أَدِرْ كَاسَاتِهَا ✱ كَمَشَاعِلِ الرُّهْبَانِ فِي الأَغْلَاسِ .. (4)

ولاحظ كذلك بقاء مدلول الكاس على حاله، فهو مرّة يدلّ على الشراب ومرّة أخرى على الظرف، فكان الفصلُ بينهما صعبًا لدى كثير من المتكلّمين .. ولكن يعمد بعض الناطقين عند الحاجة إلى الوضوح إلى إضافة (الكأس) إلى محتواه، فقد ذكر أبو علي القالي : " أن أعرابية سمعت رجلا ينشد :— (طويل)

وَكَأْسٍ سُلَافٍ يَحْلِفُ الدِّيكُ أَنَّهَا ✱ لَدَى الْمَزْجِ ، مِنْ عَيْنَيْهِ أَصْفَى وَأَحْسَنُ .

فقالت : بلغني أن الديك من صالح طيركم، وما كان ليحلف حانثًا " .. (5)

ولا يزال اللفظ شائعا مستعملا في لهجتنا العامية الحالية ، غير أنهم يطلقون لفظ (الكاسه) على قدح الزجاج خاصّة ، دون النظر إلى حالة الشفور والامتلاء . كما أنّهم يخفّفون الطرف عن نوع المادة التي يحتويها ، فإذا أرادوا الوضوح قالوا : " نَاوِلْنِي كَاسَ مَاءٍ " أو " كَاسَ حَلِيبٍ " أو غيره ، ممّا أرادوا .

ويعتبر مجمع اللغة العربية المصري لفظ (الكَأس) من ألفاظ الحضارة الحديثة ، وينصح باستعماله، ويعرّفه قائلا : " الكَأسُ للشرابِ (Coupe (F)) : إِنَاء من الزجاج أو غيره للشراب " .. (6)

---

1) رسالة الغفران ، أبو العلاء المعرّي ، تح / د . عائشة عبد الرحمن ط/ 1974 ، ص 478

2) ديوان " أبي نواس " ، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر 1982 م ، ص 364

3) ابو ماضي : ديوان " الخمائل " ط/ دار العلم للملايين بيروت 1974 ، ص 69

4) م . س . ص: 72

5) أمالي أبي علي القالي .. 2/ 236 ، و"سمط اللالي في شرح أمالي القالي" :— للوزير "أبي عبيد البكري ، ط/ لجنة التاليف والترجمة والنشر ، 1936 ، ج 2/ 760

6) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ، ط/ 1980 ، ص 26

جــام

تكــرّر اللفظ في " البخلاء " ثلاث مرّات، في تعابير حقيقية كلّها، تناولت قضية الأكل والشراب، ولكن المتأمّل للمعاني الوارد فيها اللفظ يجد غموضًا في دلالة اللفظ راجعا إلى أنّ اللفظ قد استعمل في موضعين مختلفين، أحدهما يدلّ على أنّ "الجام" صحن يقدم فيه الأكل، لقوله : " ـ فَـأَتَوْنَا بِجَـامٍ فِيهَ بَيَاحٌ سَبَخِي " .. (1) ،، والبياح لون من السمك، والسبخيّ بسبة إلى المكان الذي استخرج منه .

وأمّا ثانيهما فمدلول اللفظ مقيّد بوظيفة تقديم الشراب، كقوله : " جَاءَنِي بِجَامِ لَبَنٍ وَطَبَقِ تَمْرٍ (2) ومن هنا يكون اللفظ ذا مدلولين متباينين .

ومن الاستعمال المجازي للفظ، ما يقال في الأمثال : " صَبَّ عَلَيْهِ جَامَ غَضَبِهِ " ، وهو مثل بيّن ما يفعله المرء عند غضبه عندما لا يدّخر شيئا من الانضباط .

وجــاء في تعريفــه :ــ

* " قال ابن الاعرابي : يقال يجمع الجام على الجامات، ومنهم من يقول جُوَمْ " .. (3) ولمشرحه :
* " الجَام : إناء من فِضّة، عربي صحيح، قال ابن سيدة : وإنما قضينا بأنّ ألفها واوٌ لأنّها عين . . ابن الاعرابي : الجام : الفاثور من اللجين، ويجمع على أَجْوُم . . جمع الجَام (جَامَات) ، ومنهم من يقول (جُوْم) . . " ابن برّي : الجَام جمع جامة ، وجمعها (جَامَات) ، وتصغيرها (جُوَيْمَة) ، قال : وهي مؤنثة، يعني الجَام" (4)
* " الجَــامُ : إناء من فضّة، (ج) : أَجْؤُمْ ، بالهمز، وأَجْوَامٌ، وجَامَات، وجُوم " .. (5)
* " الجَــام : إنَـاء للشراب والطعام، من فضّة أو نحوها ، وهي مؤنّثة . . وقد غلب استعمالها في قدح الشراب، ويقال : " صَبَّ عَلَيْهِ جَامَه " : غضب عليه واستفزّه ، (ج) . . جَامَات، وأَجْوَام، وجُــوم " .. (6)

وأرى أنّ هذه التعاريف لم تُعْطِ شكلاً محدّدا للجام، ولم تذكر أصله، إلا ما جاء في " لِسَان العرب" من أنّه عربي صحيح، ولنا في هذا الحكم آراء سنذكرها في مكانها .

كذلك فهم من أغلب المصادر أنّ (الجَام) يصنع من مادّة معيّنة، هي " الفِضّة " خاصّة، وربّما صنع من غيرها ، كان يصنع من الذهب، يقال : " إنّ أم جعفر بعثت بجام ذهب فيه دراهم إلى

1) البخــلاء .. ص 196
2) م.ص ص 123
3) تهذيب الأزهري .. 225/11
4) لسان العرب .. 112/12
5) القاموس المحيط .. 92/4
6) المعجم الوسيط .. 149/1

الفقيه أبي يوسف ، حينما أفتاها عمّا وافق مرادها ، وجام فضّة فيه دنانير ، وتخوت من ثياب" .. (1) ولكن الغالب عليه صناعته من الفضّة .. ومنها أيضا أن الجام من أواني الشرب، التي يستعملها المترفون ، وقد يستعمل في غير الشرب، كتقديم الطعام، كما هو مبيّن في قول الجاحظ. (2) وفي تعريف المعجم الوسيط .. الذي بسطناه في التعريف أعلاه .

وكما جاء في قول المأمون الخليفة العباسي ، حين قال : " يَاغُلاَمُ جَامَةً فِيهَا خَبِيصٌ" .. والخبيص: ضرب من الطعام يعمل من التمر والسمن " .. (3)

ولم أجد له أصلا في" المقاييس " حيث ينبغي أن يكون .. (4) ،، وتباينت الأقوال في أصل اللفظ أعربيا هو أم معرّبا ؟ .. فمن القائلين بالحكم الأول ابن منظور المصري في" لسان العرب" حيث كان حكمه صريحا بأنّه " عربيّ صَحيح" .. (5) ،، وخالفه كثير من الباحثين ، من ذلك ما جاء في كتاب " تفسير الألفاظ الدخيلة" بأنّ "الجام فارسي وهو الكوب " .. (6) ،، وفي رأي آخر أن الجام فارسي وهو الكاس" .. (7)

وأنا أرجح الأقوال الأخيرة لأنّني لم أجد سندا أقوى يؤصّل لفظ" الجام" في العربية ،كذلك لم يذكر التاريخ أنّ العرب قبل النهضة الإسلامية قد استعملوا أواني الفضّة والذهب، دون أن يستميروها من غيرهم، فحياة العرب حياة البساطة والسهولة. وحتّى بعد ظهور النهضة الإسلاميّة ، وبروز علامات الترف، فقد تجنّب الورعون استعمال هذه الأواني المصنوعة من الفضّة والذهب، لأن النهي عنها وارد في السنّة النبويّة الشريفة .. من ذلك ما جاء "عن أمّ سلمة ، زوج النبي (صلعم) أنّ رسول الله (صلعم) قال : الذي يَشْرَبُ في آنِيَةِ الفِضَّةِ إِنَّمَا يُجَرْجِرُ في بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ " .. (8) ،، وفي رواية أخرى" في إِنَاءٍ من ذَهَبٍ أَوْ فِضَّة " .. (9)

وأرى أن لفظ" الجام" لفظ خاصّ ، يشمله لفظ عام هو القدح ، وإنّما تميّز بخاصية صناعته من مادّة الفضّة ، وقال بعضهم" اللُّجَيْن" . ولا علاقة للإسم بحالته في الامتلاء أو الشفور ،كما رأينا في لفظ " الكاس" ، ولم تختلف الآراء في علامته ومميّزاته ،كما سبق القول في لفظ " الكوز" .

ولفظ" الجام" ليس من ألفاظ القرآن الكريم، ولم أجده فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في

---

1) مروج الذهب للمسعودي .. 340/3
2) ص : 196 من البخلاء .
3) تاريخ الخلفاء للسيوطي .. ص 326
4) مقاييس اللغة لابن فارس .. 417/1
5) ج : 112/12
6) ص : 21
7) غرائب اللغة العربية .. ص 222
8) موطّأ الإمام مالك، برواية يحي بن يحي الليثي ، ط/ دار النفائس 1977 ص 662
وصحيح مسلم .. 27/14
9) صحيح مسلم .. 30/14

كتاب "صحيح مسلم" ، سواء أكان اللفظ بمعنى القدح ، أو بمعنى الصحن .

أما في الأشعار العربية القديمة فلم أصادفه إلا في قول أبي بكر الخوارزمي لعَضُدِ الدولة بن بُوَيْه الديلمي : ـ (سريع)

كَأَنَّهَا وَهِيَ عَلَى جَامِهَا * لَآلِئٌ فِي جَامِ كَافُورِ .. (1)

وتكون الدلالة هنا على طبق أبيض من زجاج أو فضّة .

ولم يعد للّفظ استعمال شائع في المنظومة اللغوية العربية الحالية إلا أن يُقْصَدَ إليه قَصْدًا في كلام الأدباء والكتّاب .

أمّا في اللهجة الدارجة فإنّ عامية الجزائر ، وخاصّة شمال صحرائها لا تعرف مدلول اللفظ إطلاقا ، مثله كمثل كثير من ألفاظ عائلته (القدح ، الكوز ، الغمر ، القعب) فقد استعيض عنها جميعا بلفظ (الكاس) .

ولا أعتقد أنّ لفظ "الجام" شائع الاستعمال ، معروف في عامية من عاميات البلدان العربية الحالية كأنه قد ترك منذ أمد بعيد ، وأرجّح أنّ سبب الإهمال في الاستعمال الاجتماعي واللغوي راجع إلى خصائص اللفظ والإناء ، فهو أعجمي معرّب ، لا أصل لغوي في العربية يوثّقه ، ثمّ إنّه يصنع من مادة غالية الثمن يدلّ استعمالها على الترف والبذخ الذي نهى عنه الدين الإسلامي ، كما سبقت الإشارة ، حين الحديث عن مادّة الصناعة .

وألاحظ أنّ لفظ "الجام" فقد دوافع استعماله ، فحصل نسيانه ، وهو من الألفاظ الحضارية التي سكت عنها مجمع اللغة العربية المصري ، فلم ينصح باستعماله ، مثلما فعل مع كثير من الألفاظ التي دوّنها في "معجم ألفاظ الحضارة الحديثة" .. (2)

---

1) محيط المحيط لبطرس البستاني .. 1/322

2) ط / 1980م

قَــعْــب

ورد اللفظ في البخلاء مرّة واحدة ، في تعبير مجازي . قال : " وَقَعْبُكَ حَاضِرٌ " . (1) ويستعمل اللفظ ومشتقاته كثيرا استعمالا مجازيا ، من ذلك ماجاء في المثل : " أَتَاكَ رَيَّانَ بِقَعْبِ لَبَنٍ " . . ومنه : "إيَّاكَ والتَّقْعِيبَ في الكلامِ . . وفلان مُقَعِّبٌ للمتشدّق الذي يتكلّم بأقصى حلقه ، ويفتح فاه كأنّه قعب " . . (2)

وجاء في تعريفه :-

* " قال الليث : القَعْبُ قدح ضخم جاف غليظ . . وعن ابن الأعرابي : أوّل الأقداح : الغُمَر ، وهو الذي لا يبلغ الرّيّ ، ثمّ القَعْبُ وهو قدر رِيّ الرجل ، وقد يروي الإثنين والثلاثة . . " . . (3)
* " القَعْبُ : قدح من خشب ، مقعّر ، والجمع قِعَبَة " . . (4)
* " القَعْبُ : القدح الضخم ، الغليظ الجافي ، وقيل : قدح من خشب مقعّر ، وقيل : هو قدح إلى الصغر يُشَبَّه به الحافر ، وهو يروي الرجل ، والجمع القليل أقْعُب ، والكثير قِعَاب ، وقِعَبَة " . . (5)
* " القَعْبُ : القدح الضخم الجافي . . والجمع أقْعُب ، وقِعَاب ، وقِعَبَة " . . (6)
* " القَعْبُ : قدح ضخم غليظ ، (ج) قِعَابٌ وَأَقْعُب " . . (7)

وبملاحظة هذه التعاريف كلها يتّضح عدم كفايتها في تحديد شكله وطبيعته ، وأغلبها قد اتّفق على طبيعته ، فهو قدح ضخم غليظ ، جاف . إلا أنّه يستشفّ من التعريف الثالث بعض الغموض ، فهو يراه ضخما جافيا مقعّرا ، ثمّ يقول : إنّه إلى الصغر يشبّه به الحافر . . وهو يروي الرجلين ... ورأيت في " فقه اللغة" للثعالبي أنّ " القعب يروي الرجل الواحد " . . (8) ، وبمقارنة الأقوال بعضها ببعض نلاحظ تناقضا في تحديد شكله وحجمه ، ، ومنهم من يقول : إنّ " القعب إناء ضخم كالقصعة " . . (9) ، ،

ومادّة صناعته كانت الخشب - كما يفهم من التعريف السابق - فكأنّهم يأخذون خشبة مناسبة فينقرون فيها حتّى يستوي شكلها وحجمها . . ولعلّهم يصنعونه من موادّ أخرى غير ذلك ، ولكنهم

---

1) البخلاء . . ص 137
2) هذه التعابير المجازية من كتاب " أساس البلاغة" للزمخشري . . ص 515
3) تهذيب اللغة للأزهري . . 1/ 282
4) صحاح الجوهري . . 1/ 204
5) لسان العرب . . 1/ 683
6) القاموس المحيط . . 1/ 118
7) المعجم الوسيط . . 2/ 748
8) ص 168
9) الإفصاح في فقه اللغة : إحسان يوسف و عبد الفتاح الصعيدي . ط/ 2 ، ج 1/ 429

اقتصروا في تعريفهم على مادّة الخشب التي كان لها السبق في بيئتهم .

ويستعمل في جمع السوائل وشربها ، وجاء ذكره في جمع الحليب وشربه ، كما قال النجاشي الحارثي لابن مقبل العجلاني : _(طويل)

وَمَا سُمِّيَ العَجْلَانُ إلاّ لِقَوْلِهِ * خُذِ القَعْبَ وَاحْلُبْ أَيُّهَا العَبْدُ واعْجِلِ .. (1)

وتورد المعاجم اللفظ في مادّة (قعب) ولم أجد هذه المادّة في " المقاييس" ، كما لم أجد لها تفسيرا في " القاموس المحيط" .. (2) ، ولا في " أساس البلاغة" .. ولكنّه قال : " وفلان مُقَعِّب: للمتشدّق الذي يتكلّم بأقصى حلقه ، ويفتح فاه كأنّه قَعْب " .. (3) ، فيكون من هذا القول معنى للمادّة ، يُخَرَّج على النحو التالي : قعّب المتحدّث في كلامه : إذا قعّر وأخرج الكلام من قعر حلقه . وقعر الفم مُقَعَّر كالقعب . و" قَعَّرَ الكَلَامِ : غَوْرُهُ " .. (4) ، ومن هذا المعنى يكون القعب إناء مجوّفا أي به قعر ، وبذا استوى للإناء من هذه الصفة إسم أطلق عليه .. وعلى هذا يكون اللفظ عربيا أصيلا ، ولم أرَ في المراجع من دلّل على عجمته .

ومنه : " القَعْبَة : شبه حُقّة للمرأة ، أو حُقّة مُطْبَقَة للسّويق " .. (5)

والقعب لفظ خاصّ يشمله لفظ عام هو القدح ، لأنّ القعب شكل من أشكال الأقداح ، تميّز بشكله الخاص ، ومادّة صناعته الخشبية ، وحجمه الذي اختلفوا في تحديده ، كما سبق الذكر .

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، ورأيته في كتاب " صحيح مسلم " في حديث أبي بكر (ض) قال : " رأيت البرّاء يضرب بيده على الأخرى ينفض ، فحلب لي في قعب معه كثبة من لبن " .. (6) ونلاحظ الدلالة هنا على الإناء يحلب فيه اللبن ، وشرحه النووي بقوله : " القعب قدح من خشب معروف " .. (7) ، وفي حديث آخر عن أمّ الفضل (ض) قالت : " شكّ ناس من أصحاب رسول الله (صلعم) ، فأرسلتُ إليْهِ بقعب فيه لبنٌ ، وهو بِعَرَفَة فشربه " .. (8)

أمّا في الأشعار العربية فقد رأيت بيتا شاهدا ذكر في " لسان العرب " دون ذكر صاحبه ، قال : وأنشد : _ (طويل)

إذَا أتَتْكَ العِيرُ فَانْضَحْ فُتُوقَهَا * وَلَا تَسْقِيَنْ جَارَيْكَ مِنْهَا بِأَقْعُبِ .. (9)

1) اختيارات من كتاب " الممتع" : عبد الكريم النهشلي القيرواني ، ط/ الدار العربية للكتاب تونس ، 1978م . ص : 308

2) ج 1/ 118

3) ص : 515

4) القاموس المحيط .. 1/118

5) القاموس المحيط .. 1/118 و لسان العرب .. 1/684

6) صحيح مسلم .. 18/149

7) م . س والصفحة نفسها .

8) م . س .. 8/3

9) ج 1/683

وقال امرؤ القيس : ــ (متقارب)

لَـهَا حَافِرٌ مِثْـلَ قَعْبِ الْوَلِيـ ❊ ـدِ رُكِّبَ فِيهِ وَظِيفٌ عَجُرْ . . (1)

وقال إسحاق بن سُوَيد : ــ (خفيف)

فِي رِدَاءِ النَّبِيِّ أَقْوَى دَلِيـلِ ❊ ثُمَّ فِي الْقَعْبِ وَالْعَصَا وَالْقَضِيب . . (2)

وأرى أنّه لجفاء اللفظ وخشونته نطقا وطبيعة بدأ ينسحب من المنظومة اللغويّة شيئا فشيئا ، إلى أن انزوى تماما في عصرنا الحاضر، ولم يعرف إلاّ بين المثقّفين الذين يعرفونه عن طريق المعاجم .

كما أعتقد أنّ اللفظ الآن مجهول في كثير من عاميات العالم العربي ، ونحن في عامية الجزائر الحالية لا نستعمل اللفظ، ولا نفهم مدلوله، فقد عرضت اللفظ على عيّنة من تلاميذ الثانوية فلم يعرفوه . . ولكن الإناء في بادية الصحراء مستعمل معروف لحلب الغنم والإبل ، يدعى (الحَلَّاب) اشتقاقا من وظيفته التي وُجِد من أجلها ، ويصنعونه من الطين أو الحلفاء بشكل جميل بعيد عن الجفاء والفلظة التي رأيناها في القعب .

ولم يَدْعُ مجمع اللغة العربية المصري إلى إحياء هذا اللفظ لأنّه لا يعدّه من ألفاظ الحضارة الحديثة ولم يدوّنه في معجمه الذي أعدّه لذلك ، بعنوان " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة" .

غـــمـــر

ورد اللفظ في " البخلاء" مرّة واحدة في تعبير مجازي ، يقول : " ويكفي شربه الغُمَر " .. (1) كناية عن قلّة شربه، أو صغر حاجته للشراب. وهي جملة من بيت شعري ، يقول :ـ (بسيط)

تكفيه فِلْذَةُ كَبِدٍ إنْ ألَمَّ بِها * مِنَ الشِّواءِ ويكفي شُرْبَهُ الغُمَرُ .. (2)

ومن الاستعمال المجازي كذلك ماجاء بلفظه أو مشتقاته، وجاء في الأثر أنّه قال (صلعم) :ـ " لا تَجْعَلُوني كغُمَرِ الرّاكِب، صَلُّوا عَلَيَّ أوّلَ الدُّعاءِ، وأوْسَطَهُ ، وآخره " .. أراد أنّ الرّاكب يحمل رحله وأزواده، ويترك قعبه إلى آخر ترحاله، ثمّ يعلّقه على رحله كالعلاوة، فليس عنده بمُهِمّ، فنهاهم أن يجعلوا الصلاة عليه كالغمر الذي لا يقدم في المهام، ويجعل تَبَعًا " .. (3)

وجاء في الأمثال العربية : " تَغَمَّرْ كَانَ ولَيْسَ رَيًّا " مثل يضرب لمن تقلّد أمرا ثمّ لم يبالغ في إتمامه " .. (4)

وجاء في تعريفه : ـ

* " قال أبو عبيدة : الغُمَر : القَعْب الصغير " .. (5)
* " الغُمَر : القدح الصغير " .. (6)
* " الغُمَر : قدح صغير ،، وقيل : الغُمَر : أصغر الأقداح " .. (7)
* " الغُمَر : قدح صغير أو أصغر الأقداح .. وتغمّر شرب به " .. (8)
* " الغُمَر : القدح الصغير " .. (9)
* " الغُمَر : أصغر الأقداح ، وجمعه أغمار " .. (10)

وبمراجعة كلّ هذه التعاريف نلاحظ اتّفاقها على حجم القدح ونعته بالصغر، ولكنّها لا تعطي صورة لشكله ولا كيفيّة صناعته .. وأوجه استعماله .

وأعتقد أنّ الإناء من عائلة "القدح" ، وهو يصنع من الموادّ نفسها التي تصنع منها عادة الأقداح وهي تكون غالبا زجاجا أو خزفا أو بعض المعادن المختلفة كالحديد والنحاس، وربّما صنعت من الخشب .

---

1) البخلاء .. ص 119.
2) والبيت في "إصلاح المنطق" لابن السكيت ص4 و ص85 و ص 285 . ولسان العرب .. 31/5 وأمالي القالي : 1 / 16 ؛ وأمالي المرتضي : 1 / 96 . وصحاح الجوهري .. 2 / 772 .
3) لسان العرب .. 31/5
4) مجمع الأمثال .. 1 / 146
5) تهذيب الأزهري .. 8 / 129
6) صحاح الجوهري .. 2 / 772
7) لسان العرب .. 31/5
8) القاموس المحيط .. 2 / 104
9) مقاييس اللغة .. 4 / 394
10) المعجم الوسيط .. 2 / 661

والغمر للشراب كما أسلفنا ، وهو لصغره كان القوم يتصافنون به في السفر، إذا ما كان لهم من الماء إلاّ القليل ، يأخذون حَصَاة يلقونها في الإناء، ثمّ يصبّ فيه من الماء قَدْرَ ما يغمر الحصاة ، فيَتَعاطاها كُلُّ رجل منهم . (1)

ولفظ " الغُمَر" من مادّة "غ م ر"، قال ابن فارس : " غ م ر أصل صحيح يدلّ على تغطية وستر، في بعض الشدة . . فأمّا الغمر فهو القدح الصغير، وليس ببعيد أن يكون من قياس الباب كأنّ الماءَ القليل يغمره، ويجوز أن يكون شاذّا عن ذلك الأصل " . . (2)

ومن المادة : " الغمر : الماء الكثير " . . (3) ،، و" تَغَمَّر : شَرِبَ بالغُمَر " . . (4) ،، والتَّغَمُّرُ : الشراب دون الريّ . . (5) . والتغمّر : أقلّ شيء دون الريّ . . (6)

وبلا حظة قول ابن فارس نجدُ تردّدا في إثبات أصل اللفظ، وصريح نسبته إلى مادّة " غ م ر " ولكنّه بجهد كبير يمكن حمل اللفظ على المادّة باعتبار أنّ الغَمْر هو التغطية، وأنّ الماء القليل يمكن أن يغطّي جوف الإناء ويملأه ، ويكون بذلك أصل اللفظ عربيا صحيحا . وقد بحثت في مصادر تتحدّث عن الألفاظ الدخيلة، فلم أعثر له فيها عن أثر . (7)

ويعدّ الغمر أصغر الأقداح ،أو هو القدح الصغير . . (8) . ومن العبارة السابقة نفهم أنّ الأقداح أشكال وأحجام، وأنّ العرب قد عرفوا هذه الأحجام، واستعملوها، مع التمييز بينها ، بأسمائها المختلفة، مرتبة حسب أحجامها . . وقد خصّص الثعالبي في " فقه اللغة" فصلا في ترتيب الأقداح ، قال فيه : أوّلها الغُمَر، وهو الذي لا يبلغ الري . ثمّ القَعْب يروي الرجل الواحد ثمّ القَدَح يروي الإثنين والثلاثة، ثمّ العُسّ يعبّ في العدّة . ثمّ الرِفْد وهو أكبر من العُسّ. ثمّ الصحن وهو أكبر من الرفد . ثمّ التِّبْن وهو أكبر من الصحن. ثمّ العُلْبَة . ثمّ الجنبة . . قال : وهذه الفروق حكاها الأصمعي في كتاب الأبيات " . . (9)

---

1) لسان العرب .. 31/5
2) مقاييس اللغة .. 394/4
3) تهذيب الأزهري .. 129/8
4) القاموس المحيط : 104/2 ، و"صحاح الجوهري" : 772/2 ، و" المخصّص" .. 82/11 .
5) صحاح الجوهري .. 772/2
6) لسان العرب .. 31/5
7) تفسير الألفاظ الدخيلة : طوبيا العنيسي ـ والألفاظ الفارسية المعرّبة آدي شير . والمعرّب من كلام الأعجمي للجواليقي ـ وغرائب اللغة العربية ؛ رفائيل نخلة اليسوعي ، وشفاء الغليل للخفاجي .
8) إصلاح المنطق لابن السكيت : ص 364 . وفقه اللغة للثعالبي .. ص 26
9) فقه اللغة للثعالبي .. ص 168

وتختلف هذه الأقداح فيما بينها زيادة على تطوّر أحجامها بموادّ صناعتها . فقد قيل : إنّ القرو قدح من خشب . " (1) . " والقُلْبة من آدم ، والقدح من زجاج ، والقَسّ من خشب ، والمِركن من خزف (2)

وربّما سمي القدح بمادة صناعته تسمية مجازية . " قال أبوعبيدة : يقال للقدح زُجَاجة ، مضمومة الأوّل ، وإن شئت فمكسورة ، وإن شئت فمفتوحة " . . (3) ،، وقال الأخطل في ذلك : ـ (طويل)

إِذَا مَا نَدِيمِي عَلَّنِي ثُمَّ عَلَّنِي * ثَلاَثَ زُجَاجَاتٍ لَهُنَّ هَدِيرُ . . (4)

وأجد أنّ لفظ " الغمر " لفظ خاصّ يشمله لفظ عام هو القدح . وربّما أطلق على الإناء " القدح " على سبيل المجاز ، من باب إطلاق اللفظ العام على الخاصّ . كذلك مع جميع أفراد عائلة القدح التي سبق شرحها .

ليس الغمر من ألفاظ القرآن الكريم ، وقد رأيته في الحديث الشريف ، في أماكن مختلفة ، منها ما سبق ذكره . . (5) ،، وفي كتاب " صحيح مسلم " : " يَقُولُونَ يَا رَسُولَ اللهِ (صلعم) هَلَكْنَا ، عَطِشْنَا ! فقال : لاَ هُلْكَ عَلَيكم ، ثمّ قال : أَطْلِقُوا لِي غُمَرِي . قال : وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ ، فجعل رسول الله (صلعم) يصبّ ، وأبو قتادة يسقيهم ، فلم يَعْدُ أن رأى الناس ماءً في الميضأة ، تكابّوا عليه " . . (6)

أمّا في الأشعار العربية فقليل ، وأشهر بيت شاهد لذلك ما قاله أعشى باهلة ، فيما سبق ذكره عن لسان العرب . . (7) ،، وغيره .

ويظهر لي من كلّ ذلك أنّ اللفظ ومدلوله كانا معروفين جيّدا ، وبقي الحال هكذا زمنا طويلا ثمّ بدا يضمحلّ استعماله شيئا فشيئا حتّى أصبح مجهولا . ولا أعتقد أنّ العامية العربية الحالية أكثر حظّا في جهله من عامية الجزائر . . لأنّنا لا ندري ما يدلّ عليه اللفظ إذ لم يعد مستعملا ، لفظا ومعنى .

ولم يعتبره مجمع اللغة العربية المصري في عداد ألفاظ الحضارة الحديثة ، حينما لم يدوّنه في معجمه " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة . . " . . (8)

---

1) مجمع الأمثال .. 294/2

2) فقه اللغة للثعالبي .. ص 168

3) إصلاح المنطق .. ص 106

4) مجمع الأمثال .. 413/1

5) لسان العرب .. 31/5 و " أمالي المرتضى " .. 96/1 . وانظر توثيق اللفظ في بداية الحديث عن (الغُمَر) .

6) ج 5/ 186

7) انظر مقدّمة الكلام عن لفظ (الغُمَر) .

8) ط/ 1980م

الباب الأول

الفصل الثاني

ألفاظ :

مستلزمات الراحة والاستقرار

الباب : الأول

الفصل الثاني .

المجموعة : الأولى .

الألفاظ : ——

طست . إجانة . ضديل .

طَسْت

تكرّر اللفظ في " البخلاء" أربع مرّات في مناسبات اختلفت فيما بينها ، حسب استعمال الطست ، فهو مرّة للغسل بعد الأكل ، وأخرى للجلوس بغرض الاستحمام . وكلّ التعابير كانت حقيقية ، تناولت عمليّة الغسل التّنظيف الواقعي .

ويستعمل اللفظ مجازا ، كما في المثل : " أَنْقَى مِنْ طَسْتِ الْعَرُوس" . . (1) ، فالعروس تهتمّ بإعداده وإبرازه . ويضربُ المثل في وضوح الموقف ، وجلاء الأحكام .

وجاء في تعريفه : —

* " الطَّسْت : من الآنية الصفر ، أنثى ، وقد يذكّر " . . (2)

* " الطَّسْت : إناء كبير مستدير من نحاس أو نحوه يغسل فيه ، معرّب (تشت) بالشين ، يذكّر ويؤنّث ، (ج) طسوت . والطّسّ = الطست ، (ج) طُسُوس ، وأَطْسَاس " . (3)

ولم أجد له تعريفا شافيا في كلّ من تهذيب الأزهري ، وصحاح الجوهري ، ولسان العرب ، ومقاييس اللغة ، والقاموس المحيط . . وكلّ هذه المصادر الأخيرة ركّزت على صيغة اللفظ ، وجموعه دون أن تعير اهتماما إلى تحديد هويّته ، وبيان شكله ، بل ذهب ابن فارس إلى القول بأنّ " الطست معروفة " . . (4)

وأعتقد أنّ الناس كانوا في زمن مضى يعرفون جيّدا هذا الإناء ، ويقتنونه في بيوتهم ، حتّى أنّ هذه المعاجم لم تجد داعيًا لشرحه ، فهو معروف لدى الجميع . كذلك يفهم من وجوده لديهم أنّه علامة الترف أو التّرفاهية ويسر الحال ، والرقيّ الحضاري للفرد ، فالمناسبات تحتّم على أن يكون صاحب البيت على مستوى من الحفاوة بالمدعوّين ، فيقدّم لهم هذا الإناء ليغتسلوا أو ليغسلوا أيديهم فيه قبل الأكلُ .

ووجدت أنّ عملية غسل الأيدي نفسها عملية وليدة الدعوة الإسلامية منذ نشأتها ، وتدعّمت بالوعي الحضاري لأفراد الأمّة ، وأصبحت عادة اجتماعية متميّزة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري . . (5)

وكان الطست يصنع من مادّة (الصّفر) وهي النحاس . (6) كما جاء في تعريف " لسان العرب" السابق ، وتلك هي المادّة الشهيرة في صناعة هذه الآنية ، وهي إناء كبير مستدير الشكل غالبا أو هو على شكل صحن ذي عمق وسعة ، يتلقّى الماء المصبوب فوقه .

---

1) مجمع الأمثال .. 357/2
2) لسان العرب .. 58/2
3) المعجم الوسيط .. 557/2
4) مقاييس اللغة .. 456/3
5) الحضارة الإسلامية .. 239/2
6) القاموس المحيط .. 71/2

ولم تبيّن المصادرُ التي رأيتها كيفيّة التسمية، ولا أسبابها، وكلّ ما قاله ابن فارس في شأن مادّة اللفظ الاشتقاقية هو: "ط س ت: ليس بشيء إلاّ الطّست وهي معروفة" . .(1). وأفهم من تحليل القول أنّ ابن فارس لم يجد له مادّة توافقية، ممّا يفسح مجالا للقول بأنّ اللفظ أعجمي . . وبالفعل فقد رأيت آراء كثيرة قد اتّفقت كلّها على اعتبار لفظ "الطست" معرّبا، مع انحراف عن الصيغة الأصلية للفظ في لغته. وكلّ ما عرف ممّا يشبه المادّة الاشتقاقية للفظ، ما يقال: "طَسَّه في الماء، وطَسَّسَ وطَسَّسَ: ذَهَبَ. يقال: لا أدري أين طَسَّ. أي ذَهَبَ" . .(2)، ولعلّ الفعل الأوّل "طسّه في الماء" قريب من المعنى، لأنّ الاغتسال "طسّ في الماء" أي تغطيس فيه . . والله أعلم.

ويعتقد الثعالبي أنّ الفرس قد تفرّدت به دون العرب، فاضطرّت العرب إلى تعريبه . . (3) وابن قتيبة يرى اللفظ رومي الأصل . . (4)، ويقول أبو عبيد عن أبي عبيدة: أنّه ممّا دخل في كلام العرب "الطست" والتور، والطاجن، وهي فارسية كلّها . . (5)، و"والطست في الفرسية تشت إناء من نحاس" . . (6) وفي رواية أخرى أنّه كان أصله (طشت)، فقال العرب (طست)، (طسّ) والطّسّة) والجمع طسوس. (7)، فأبدلوا عند التعريب الشين سينا. وفي شفاء الغليل: "طست معرّب طشت بالأعجمية، وفي المغرب أنّها مؤنّثة أعجمية، وتعريبها (طسّ) وخطئ فيها، لأنّها معرب معرب (وطس)، مخفّف منها أو لغة فيها. وقال الجوهري: طست عربية، وأصلها طسّ، وهي لغة طيّ أبدلت إحدى السينين تاء، لدفع ثقل التضعيف. وردّ، وقال الفرّاء: طيّ تقول (طست)، وغيرهم يقول: (طس) وهم الذين يقولون لَتَت في لِصّ" . . (8)، وقال غيره: "الطّسّ: إناء من نحاس لغسل اليدين، تعريب "تشت"، والطسّ، والطشت، والطّسّة لغات فيه، ويشترك فيه السرياني، والتركي (تاس)، وتست، وتشت، والكردي تشت، وطشت وطست، وطاس" . . (9)

وفي "غرائب اللغة العربية": الطست فارسي الأصل . . (10)

والطست لفظ خاصّ بآنية التطهير، ولا تعرف في غير هذه الوظيفة، ولم تتعدّد أسماؤه تبعا لشكله ونوعه . . ويغلب عليه كونه من قطعتين؛ ولا هما يصبّ منها الماء على أيدي الغاسل ويكون على هيئة كوزلة عروة وخرطوم، وثانيهما لتلقي الماء المسبوب تحت الأيدي، وتكون على هيئة صحن دائري ذي عمق، هذا هو الشكل المعروفة عنه الآن في أوساطنا الشعبية الجزائرية. وهي في العرف

1) مقاييس اللغة . . 3/456
2) القاموس المحيط . . 2/226
3) فقه اللغة للثعالبي . . ص 198
4) أدب الكاتب . . ص 501
5) تهذيب الأزهري . . 12/274
6) تفسير الألفاظ الدخيلة: ص 46
7) إصلاح المنطق . . ص 117
8) شفاء الغليل للخفاجي ط/القاهرة 1864م، ص 147
9) الألفاظ الفارسية المعرّبة لادي شير: ص 112.
10) ص: 238

الشعبي رمز الطّهارة الجسميّة والنّفسية، فتعرض في البيوت بهاءً وجمالاً، وتحرص التقاليد الشعبية على جعله في جهاز العروس تَيَمُّناً بنظافته وجماله، حتّى ضرب به المثل في النّظافة .. (1)

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم، ورأيته فيما قرأت من أحاديث نبوية شريفة، في كتاب "صحيح مسلم"، حيث قال: "عن الأسود بن يزيد قال: ذكروا عند عائشة أن علياكان وَصِيا، فقالت متى أوصى إليه؟ فقد كنت مسندته إلى صدري فدعا بالطست، فلقد انخنث في حَجْري، وماشعرت أنّه مات، فمتى أوصى إليه" .. (2)

ولم أجد في شرح النووي تعرّضا للفظ (الطست) في هذا الحديث ..

وفي الأشعار العربية رأيته عند أبي نواس، حيث قال :- (رمل)

وَجَاءَ يَمْشِي مُطَهَّرَةً * فَخْمَةٌ فِي وَسَطِهَا طَسْتُ صُفُر .. (3)

ويفهم من هذا البيت أن القوم كانوا يجهّزون بيوتهم بوسائل ومستلزمات التنظيف، فيبنون المطاهر، وينصبون فيها الطّسوت، وهي بذلك تكون لديهم مستعملة في غسل اليدين والاغتسال وربّما في غسل الثياب كذلك. وبعبارة أخرى فالطست لديهم طستان: طست لغسل الأيدي وآخر للاستحمام.

وأرى أن اللفظ قد أصيب بتغيّرات متعدّدة في صيغة دون معناه، حتّى أصبحت العامّة في المشرق العربي تسمّيه (الدست)، وهي حلّة من نحاس كبيرة .. (4)

ولا يزال الإناء معروفا في الأوساط الشعبية الجزائرية، لكن إسمه يختلف باختلاف المناطق فهو معروف لدى جماعة بإسم (الطست)، وعند أخرى بإسم (مَحْبَس)، وأخرى بإسم (وَضَّايَة) .. وهكذا تعدّدت الأسماء والشيء واحد.

ولا أعتقد أن الآنية ما زالت تحتفظ بقيمتها الحضارية التي كانت عليها في العصور السالفة، ذلك لانقضاء الحاجة إليها، وتطوّر الحياة الاجتماعية نحو اختراع وسائل أكثر سهولة وملائمة للعصر الحديث، ممّا جعل إسمها (الطست) ينزوي شيئا فشيئا إلى أن أصبح مجهولا أو يكاد يكون كذلك في معظم البلاد العربية.

ولم يقترح إحياءه فيما اقترح مجمع اللغة العربية المصري في قاموسه الذي أعدّه لألفاظ الحضارة. (5)

1) أنظر المثل الشعبي الوارد في مقدّمة الحديث عن الطست،
2) صحيح مسلم بشرح النووي .. 1/ 89
3) البيت في البيان والتبيين للجاحظ : 2/ 228، ولم أجد في ديوانه، ط/ دار بيروت 1982م
4) تفسير الألفاظ الدخيلة في العربية، طوبيا العنيسي، ص 46
5) ط/ 1980م.

إجّــانـة

ورد اللفظ في البخلاء مرّة واحدة، ضمن تعبير حقيقي، ظهرت فيه الآنية، وهي وعاء وضعت فيه مادّة النورة. قال : " فإذا غبت عن إجّانة النورة مسح عانته وأرفاغه " .. (1)

ويمكن استعمال اللفظ استعمالا مجازيا، كمثل ما جاء على لسان إبراهيم بن المهدي، قال : " اطّلعت في القبّة فإذا أنا بأسود نائم، ثمّ أحسّ بي ففتح عينيه كأنّهما إجانتا دم " .. (2)

وقالوا في تعريفها :—

* " الإِجّانَة والإِنْجانَة، والأَجانة الأَجيزة طائيّة عن اللحياني : المِرْكَن " .. (3)
* " الإِجّانَة : إناء يغسل فيه الثياب، (ج) أَجَاجين " .. (4)

وفي بعض المعاجم الأخرى وجدت الحديث عن الإِجّانة لا يحدّد لها تعريفا لا شقا يدلّ على هويّتها وشكلها ووظيفتها. فمن بين ما قالوا : " الإِجّانَة واحدة الأَجَاجِين " .. (5) والإِجّانة بالكسر مشدّدة، والإِنْجانَة، وجمعه أَجَاجِين " .. (6)، إلّا ما جاء به ابن سيدة في (المخصّص)، حيث قال : " الإِجّانَة : قصعة شبه المطهرة، يؤكل فيها، ويتوضّأ " .. (7)

ونلاحظ من هذه التعاريف كلّها غموضا في تحديد شكلها وحجمها، ومادّة صناعتها، وطرق استعمالها .. وأعتقد بأنّ شكلها قريب من شكل القصعة مخصّصة غالبا للغسيل، جعلوها وعاء لحفظ بعض المادّة المساعدة على التنظيف، كما سبق في أوّل الكلام على لسان الجاحظ .. وعند بعض المحدثين أنّها : " إناء كبير تغسل فيها الثياب " .. (8) أو هي شبه القصعة، وقد يؤكل فيها ويتوضّأ .. (9)

ولم أجد سندا لتأكيد مصدر صناعتها، ولكنّي أعتقد أنّها تصنع من المعادن أوّلا، ثمّ من الخشب، إن أمكن ذلك.

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة (أ ج ن)، ولم يحدّد ابن فارس في معجمه " مقاييس اللغة " علاقة هذه المادّة بلفظ " الإِجّانة "، وقد قال : " الإِجّان : كلام لا يكاد أهل اللغة يحقّقونه " . (10)

---

1) البخلاء للجاحظ .. ص 44 . والنورة أخلاط تستعمل لإزالة الشعر .
2) مروج الذهب للمسعودي .. 347/3
3) لسان العرب .. 8/13
4) المعجم الوسيط .. 7/1
5) صحاح الجوهري .. 2068/5
6) القاموس المحيط .. 195/4
7) المخصّص لابن سيدة .. 56/5
8) أقرب الموارد للشرتوني .. 5/1
9) الإفصاح في فقه اللغة .. 429/1
10) مقاييس اللغة لابن فارس .. 66/1

ولم يتبيّن اللفظ ويحدّده . . ومنه " الآجن " : الماء المتغيّر الطّعم واللّون . . أجن أجْنًا وأُجونا " [1] و " الأجون " : تغيّر الماء طعما ولونا . " تقول : يفسد الرجلَ المجُونُ ، كما يفسد الماءَ الأجونُ [2]

ولا أرى علاقة لهذه المادّة بلفظ (الإجّانة) ، ممّا يرجّح عندي أنّ اللفظ معرّب ، وقد ورد عن بعض علماء العربية ما يؤكّد ذلك . من هؤلاء ابن منظور قال : " وهي بالفارسية إكّانَه " . [3]

وفي " غرائب اللغة العربية " إنّه يوناني الاصل ، وصورته في لغته (Anguiyon) ، ويراه إناء " لغسل الثياب " . . [4] ، وما رأيته في كلّ من " الألفاظ الفارسية المعرّبة " لأدي شير ، و " شفاء الغليل " للخفّاجي . و " المعرّب من كلام الأعجمي " للجواليقي . و " تفسير الألفاظ الدخيلة " لطوبيا العنيسي .

واشتقّوا من " الإجّانة " أفعالا ، فقالوا : " أجّنَ الثوبَ : دقّه " . . [5] ، ويفهم من معنى " دقّ الثوب غسّله " .

وللفظ مشترك هو " الإجّانَة " بمعنى الحوض حول الشجرة . . [6] ، وجمع الإجّانة أجاجين ، كما تبيّن في التعاريف السّابقة .

ولفظ " الإجّانة " لفظ خاصّ بآنية غسل الثياب ، ولم تتعدّد أشكالها ، فتتعدّد أسماؤه تبعا لذلك .

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، وما رأيته فيما قرأت من أحاديث نبويّة في كتاب " صحيح مسلم " كذلك ، لم أعثر عليه في الأشعار العربية الجاهليّة منها والإسلاميّة ، ممّا يرجّح عندي أنّ اللفظ قد دخل العربية في عصور متأخرة بعد تطوّر الحضارة العربية الإسلامية ، وظهور حاجة النّاس إلى هذه الآنيّة .

ونحن في عاميّة الجزائر الحاليّة لا نعرف لفظ " الإجّانة " ولا ألفاظها الأخرى ، وقد عرضت اللفظ على مجموعة من تلاميذ الثانوية ، فلم يعرفوه . . وآنية الغسيل عندنا في أوساط العامّة شمال صحراء الجزائر يصنعونها من قاعدة برميل حديدي ، يقدّونها ، فيكون من ذلك إناء يغسلون فيه ، ويغتسلون ويسمّونه " قصعة الحديد " ، وإذا ذكر اللفظ اتّجه الفكر تلقائيا إليها .

وأعتقد أنّ الإقبال عليها قد نقص ، وأنّها لم تبق على الشكل الذي كانت عليه من قبل ، لظهور أواني أخرى أكثر تطوّرا ، واختراع آلات الغسيل الحديثة ، كما أنّ مجمع اللغة العربية المصري ، لم يعتبرها من ألفاظ الحضارة الحديثة ، فيدعو إلى إحيائها كما فعل مع غيرها في معجمه ، رغم حاجة الناس الدائمة إليها .

---

1) القاموس المحيط . . 4 / 195

2) أساس البلاغة للزمخشري . . ص 12

3) لسان العرب . . 13 / 8

4) ص 251

5) القاموس المحيط . . 4 / 195

6) المعجم الوسيط . . 1 / 7

مِنـــديـــل

ورد اللّفظ في "البخلاء" خمس مرّات في مواضع ومناسبات مختلفة، استعمل فيها لفظ "المنديل" استعمالا حقيقيا. فهو لشدّ العيون ومنعها من النّظر، أو لحمل الطّعام، أو وضعه عليه أثناء الأكل، أو لمسح الأيدي، عقب الأكل، ولتغطية الطّعام، أو لارتدائه غطاء للرّأس.

ويمكن أن يستعمل اللفظ مجازيا، كقولنا: "عَصَبَ عَيْنَيْهِ بِالْمِنْدِيلِ" إذا منعه من رؤية الحقيقة الواقعة.

وجاء في تعريفه :-

* "المِنْديل : على تقدير مِفْعِيل، إسم لما يمسح به". (1)
* "المِنْدِيل : معروف، تقول منه: تندّلتُ بالمنديل وتمندلت". (2)
* "المِنديل : والمنديل، والمِنْدَل كلّه: الذي يتمسّح به". (3)
* "المِنْدِيل : الذي يتمسّح به". (4)
* "المَنديل : (بالكسر والفتح): نسيج من قطن أو حرير أو نحوهما، مربّع الشكل يمسح به العرق أو الماء، (ج) مَنَادِيل". (5)

وبملاحظة التعاريف السابقة نبيّن إهمالها لشكل المنديل ومادّته، إلاّ ما جاء في تعريف "مجمع اللغة العربية المصري"، وهو الأخير في ترتيب التعاريف، فقد كان دقيقا ومحدّدا. كما أنّ جلّ التعاريف الواردة في معاجم التّراث لم تحدّد المادّة التي يصنع منها، وما ذكره التعريف الأخير كان كافيا، وازداد ذكر المادّة التي يصنع منها، ويلمّح لبقيّة الموادّ دون ذكرها، كالصّوف أو الورق، كما هو الحال مع المناديل الورقيّة الحديثة التي يتمسّح بها في الظّروف السريعة الطّارئة.

وجاء في التّعاريف أنّ المنديل صنع لأجل التّمسّح به دون تحديد بعض الأغراض الأخرى التي يمكن أن يستخدم فيها كما ذكرنا في أوّل الكلام.

تدرج المعاجم اللفظ في مادّة (ن د ل)، ولم أجد اللفظ في "مقاييس اللغة" لابن فارس، ولا وجدت مادّته. وقيل في مادّته "ندل: نقل.. ندل التمر من الجلّة: غرفه بكفّه".(6)، ومنها..

1) تهذيب اللغة للأزهري .. 125/14
2) صحاح الجوهري .. 1828/5
3) لسان العرب .. 653/11
4) القاموس المحيط .. 56/4
5) المعجم الوسيط .. 911/2
6) القاموس المحيط .. 56/4

" تَـدَلَ الماءَ وغيره : نَقَله بسرعة، ومنه المنديل . . تندّلت بالمنديل : تمسّحت به، وندلت الخبز من السّفرة والتّمر من الجلّة، والدلو من البئر " . . (1)

ولم أتبيّن بوضوح علاقة هذه المادّة بالمنديل الذي يتمسّح به وغيره، " وقال الليث: النّدل كأنّه الوسخ، من غير استعمال في العربية، وتندّلت بالمنديل أي تمسّحت به من أثر الوضوء أو الطّهور ويقال أيضا : تمندلت " . . (2) ،، " وأنكر الكسائي تمندلت " . . (3)

ولحدّ الآن لم يَبْدُ لي جَلِيًّا سببُ التسمية ولا كيفيّتها ممّا يرجّح القول بأنّ وجود اللفظ في العربية يعتبر دخيلا معرّبا، وإن كان ابن منظور يقول : " وقيل إنّما اشتقاقه من النّدل الذي هو التّناول " . . (4) ،، وأفهم من استعمال لفظ (قيل) الوارد في أوّل الكلام أنّه غير متأكّد . ولعلّه يشير بذلك إلى رأي ابن جنّي حينما قال : " منديل من النّدل، وهو التناول " . . (5)

وبحثت عنه في الكتب التي تناولت الألفاظ المعرّبة، فوجدتها قد أهملته، إلاّ ما جاء في كتاب " غرائب اللغة العربية " فقد زعم أنّ لفظ " الندل " لاتيني الأصل، وهو مأخوذ من (Mantil) التي هي المنشفة . . (6) ،، ومن العربية انتقل اللفظ إلى لغات أوروبية، فقالوا في الإسبانية (Mandil)(7) وفي اليونانية (Mandili)(8) وقالوا : " la mandille " : معطف قصير، يرتديه الخدم وسواهم . . (9)

واختلفت أسماء المنديل باختلاف مواضع استعماله، فالمنديل المستعمل في تنشيف الماء، ربما سمي (نِشْفَة)، قال : " النّشفة: خرقة ينشّف بها ماء المطر، ويعصر في الأوعية " . (10)

ويقال : مَسَحَ يده بالمنديل ، ومَرَسَ يده بالمنديل ، ومَشَّها . . قال امرؤ القيس : ـ (طويل)

نَمُشُّ بأعْرافِ الجِيَادِ أكُفَّنَا * إذَا نَحْنُ قُمْنَا عَنْ شِوَاءٍ مُضَهَّبِ . . (11)

والمشوش ما مسحت به يدك " . . (12)

ولفظ " المنديل " كان خاصّا ثمّ أصبح عامّا لكلّ ما يمسح به، بغضّ النظر عن شكله، أو مادّة صناعته .

---

1) أساس البلاغة .. 626
2) تهذيب الأزهري .. 125/14
3) صحاح الجوهري .. 1826/5
4) لسان العرب .. 653/11
5) الخصائص لابن جنّي، تح / محمد علي النجار، ط/2 ب.تا، 120/1
6) غرائب اللغة العربية .. ص 280
7) م . س 146
8) م . س 165
9) المنهل : قاموس فرنسي عربي، ط/ دار العلم للملايين 1985م . ص 639
10) القاموس المحيط .. 199/3
11) صحاح الجوهري .. 170، واللحمُ المُضَهَّبُ: إذا شوي، ولم يبلغ في نضجه.
12) إصلاح المنطق .. ص 424

وأعتقد أنّه قد طرأ على وظيفته تطوّر عن طريق المجاز، فهُمْ حينما أخذوا قطعة مشبّهة بالمنديل، من حيث الشكل، وغطّوا بها رؤوسهم أسموها منديلا، كما هو الحال عندنا في عاميّة الجزائر، وخاصّة في شمال صحرائنا، حيث تغطّي النساء رؤوسهنّ به . وهو شبيه بالخِمار المعروف.

وفي المشرق العربي، وفي العراق خاصّة، وضع الرّجالُ على رؤوسهم ما يشبه المنديل أسموه : (كوفية) .

وأرى أنّ إطلاق لفظ "المنديل" على ما يوضع على الرّأس كان ملابسة .. ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم، ولكنّي رأيته في الحديث النبوي الشريف، حين قال النبيّ (صلعم) : " ولا يمسح يده بالمنديل، حين يلعق أصابعه، فإنّه لا يدري في أيّ طعامه البركة " .. (1)

ويلاحظ أنّ المنديل في الحديث قد استعمل لمسح الأيدي .

ولم أعثر على اللفظ فيما قرأت من أشعار عربية .

وفي العصر الحديث نجد اللفظ شائعا متداولا، إلى جانب استعمال ألفاظ تكاد تكون له مرادفة، ففي عامية الجزائر الحالية نسمّي المنديل الذي نتنشّف به بعد الغسل أو الاغتسال (مُنَشَّفَةً) وهو لفظ عربي فصيح . واللفظ نفسه يطلق على الخرقة التي تنشّف بها الأرض عند المسح . وأمّا ما يوضع في الجيب للتّمسّح به فهو منديل . ولم يطرأ عليه أيّ تغيير يذكر .

ولم يدوّن مجمع اللغة العربية المصري هذا اللفظ في معجمه الذي أعدّه للألفاظ الحضارية، ولكنه اقترح استعمال لفظ (فوطة) مقابل (Serviètte de table) باعتباره لفظا حضاريا، ويحدّده بقوله " هو قطعة من نسيج محدّدة الأطراف، لها شكل خاصّ، وتعتبر من أدوات المائدة " .. (2)

ورغم كونه من ألفاظ الحضارة القديمة، إلاّ أنّه لا يمكن الاستغناء عنه حاليا، فهو صالح للحضارة الحديثة كذلك .

---

1) صحيح مسلم بشرح النووي .. 205/13

2) " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. " .. ط/ 1980م، ص 25

الباب : الأول .

الفصل : الثاني .

المجموعة : الثانية .

الألفاظ :

بساط . حصير . بوري . قطيفة . سرير .

بســـــاط

ورد اللفظ في البخلاء مرّتين إثنتين ، في تعبيرين حقيقين ، يتحدّث أوّلهما عن كيفيّة المحافظة على البساط و صيانته بتقويّته وتبطينه . والثاني عن بسطه وفراشه .

يستعمل اللفظ مجازيا ، فيضرب به المثل إذ يقال : " أَذَلُّ مِن بِسَاطٍ "[1] فيضرب للذليل المستكين ، يخضع في كلّ حال ، كما يخضع البساط ، فهو يوطأ بكلّ رجل .

ومن المجاز : بسط عليهم العذاب . . وزاده الله بسطة في العلم ، والجسم أي فضلا . .[2]

وجـــاء في تعريفـــه : ـ

* " البِسَاط : مـا يُبسط " . .[3]
* " البِسَـاط : مـا بُسِط " . .[4]
* " البِسَـاط : (بالكسر) : ما بُسِط ، (ج) بُسُط " . .[5]
* " البِســاط : كـلّ مايبسط " . .[5]

وألاحظ أنّ هذه التعاريف قد قصّرت في إظهر حقيقة البساط ، وأهملت الحديث عن شكلــه ، وصناعتــه ، ولا أرى ذلك كافيا ، وكنّا ننتظر أن تكون المعاجم الحديثة أكثر وضوحا ، إلّا أنّها جاءت مسايــرة لما قبلـها . وفي غير المعاجم رأيت تعاريف جميلة ، قال أصحابها ، هو : " ضَرْبٌ مــن الفـرش ينسج من الصّوف ونَحْوَه ، وجمعه بُسُط " . .[7] ، وشكله طويل قليل العَرض . .[8]

ويصنع البساط من الصّوف ، أو القماش أو القطن ، أو أيّة مادّة أخرى ليّنة لطيفة ، يسهل نسجها ، ولكن البسط المعروفة مصنوعة عادة من الصّــوف . ويفرش للمجالس ، للاستراحة والنّوم .

وتدرج المعاجم لفظ " البساط " في مادّة (ب س ط) . يقول ابن فارس : " ب س ط : أصل واحد وهو امتداد الشيء في عرض أو في غير عرض ، فالبِسَاط ما يُبْسَط " . .[9] ، فالبساط من البسط الذي هو امتداد الشيء .

وقد رأيت أغلب المعاجم متّفقة على أنّ لفظ البساط من بَسَطَ الثوبَ والفِراشَ إذا نَشَرَه " . .[10]

---

1) مجمع الأمثال .. 285/1
2) أساس البلاغة .. ص 39
3) صحاح الجوهري ... 1116/3
4) لسان العرب .. 261/7 و المخصّص لابن سيده .. 73/4
5) القاموس المحـيط .. 350/2
6) المعجـم الوسيط .. 56/1
7) الإفصـاح في فقه اللغـة : 577/1
8) دائرة معارف القرن العشرين ، لأحمد فريد وجدي .. 187/2
9) مقاييس اللغـة .. 247/1
10) أساس البلا غة .. ص 39

وللمادّة معنى آخر لم أره في" المقاييس " . يقال : " فُرِشَ لي فِرَاشٌ لا يَبْسُطُني ، أي لا يكفيني[1] . أو " إذا كان ضيّقا .. [2] ،، و" وهذا فِراش يبسطك إذا كان واسعا " .. [3]

ومن هذا الشرح يفهم أصل اللفظ . فهو عربي أصيل ، مشتقّ من المعنى الحسّي الذي هو البسط، أي الفرش. يقال : " فرشتُ الشيء أفرشه فُرَاشا : بسطته " .. [4]

ويمكن أن تتعدّد الأسماء للبساط بتعدّد أحواله، وظروف استعمالاته . ومن ذلك .. ما جاء في المخصّص : ـ

- الفِـرَاش : ما افترشته، والجمع افرشة ، وفرش .. وإن شئت خفّفت، وهي لغة تميم "
- العَبقريّ : والعُبَاقِرِيّ ، والعَبَاقِرِي : البُسُط . "
- الرَّفْرَف : ثياب خضر، تُبْسَط، واحدته رَفْرَفَة . "
- النَّخّ : معرّب من كلام العجم، وهو بساط، طوله أكبر من عَرضه ، وجمعه نِخَاخ " . [5]
- الزِّرْبِيَّة : (مثلّثة الزاي) : بساط ذو خمل ملوّن . " وقال الفرّاء : هي الطّنافس التي لها خمل رقيق، والجمع زرابي . وقال المؤرّخ : زرابي النبت ما اصفرّ واحمرّ وفيه خضره ، فلمّا رأوا الألوان في البسط، والفرش شبهوها بزرابي النّبت " .. [6]

والزربية من ألفاظ القرآن الكريم، قال تعالى : " وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَة " .. [7]

وقد غلط الجوهري في تفسير الزرابي بالنمارق .. [8]

- الحِلْس : بساط المجلس .. [9]
- الطّنفسة : البساط ، وهو لفظ من أصل يونا ني (Tapis) .. [10]
- الدّرْنُوك : ضرب من البسط له خمل ، والجمع (دَرَانِيك) .. [11] "وجاء ذكره في المقامة الواسطية من ، مقامات الحريري .. [12]

---

1) م . س ، والصفحة نفسها ، وتهذيب الأزهري .. 12/346
2) صحاح الجوهري .. 3/ 1116
3) م . س والصفحة نفسها .
4) لسان العرب لابن منظور .. 7 / 261 . وصحاح الجوهري .. 3/1116
5) صحاح الجوهري .. 3/ 1014
6) فقه اللغة للثعالبي .. ص 158
7) الغاشية ، الآية : 16
8) صحاح الجوهري .. 1/143
9) فقه اللغة للثعالبي .. ص 158
10) غرائب اللغة العربية .. ص 262
11) صحاح الجوهري .. 4 / 1583
12) مقامات الحريري .. ص 137

والملاحظ من هذه الألفاظ أنها ليست مترادفة حقيقية لأنها تعبّر عن معانٍ متباينة، من حيث الشكل المميّز لنوع البساط.

وللّفظ مشترك له قليل في صيغته .. منه : -

- البِسَاط : وجه الأرض، وهو المعنى الوارد في الآية الكريمة : " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطًا " .. (1) ،، أي أن الله سبحانه وتعالى جعل الأرض مبسوطة " تتقلّبون عليها كما يتقلّب الرجل على بساطه " .. (2) ،، ثمّ استُعِير اللفظ " لكلّ شيء لا يتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم .. بَسَّط ، وَسَّع " .. (3)

وأرى لفظ " البساط " لفظا خاصّا ، يشمله اللفظ العام (الفراش) ، فكلّ بساط إنّما جعل فراشا في غرضه .

وقيل : البِسَاط إسم مبسوط .. و" استعار قوم البُسْط لكلّ شيء لا يتصوّر فيه تركيب وتأليف ونظم " .. (4)

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم ، كما سبقت الإشارة أعلاه . أمّا في الحديث النبويّ الشريف فقد جاء في (صحيح مسلم) : " قال كان الرسول (صلعم) أحسن النّاس خلقا ، فربّما تحضر الصلاة ، وهو في بيتنا ، فيأمر بالبساط الذي تحته ، فيكنس ، ثمّ ينضح ، ثمّ يؤمّ رسول الله (صلعم) ونقوم خلفه ، فيصلّي بنا ، وكان بساطهم من جريد النّخل .. (5)

ويفهم من الحديث أن النبي (صلعم) كان يجلس على البساط متواضعا ، ثمّ إن بِساط هؤلاء القوم كان منسوجا من جريد النخل .. ممّا يفسّر وجود بُسُط ، وقد صنعت من موادّ غير الصّوف .

ولم أر اللفظ في الأشعار الجاهلية التي قرأتها ، ولعلّ وجوده فيها نادرا . أمّا في الشعر الإسلامي فقد رأيته عند ذي الرمّة (6) مستعملا في معنى آخر من معاني البساط : قال : ــــ (طويل)

وَدَوِّيٍّ كَكَفِّ المُشْتَرِي غَيْرَ أَنَّـهُ * بِسَاطٌ لأَخْفَافِ المَرَاسِيلِ وَاسِـعُ .. (7)

ويظهر لي أنّ اللفظ مولّد في العصور القريبة من عصر الإسلام .

وفي عامية الجزائر الحالية نجد اللفظ شائعا معروفا ، وهو مصنوع في حاضرنا من نسيج منمّق جميل يفرش في بهو البيت ، معدّا للجلوس أو النوم ، ولم أعثر على اللفظ تغيير في الصيغة ، ولا تبديل في المعنى . وأعتقد أنّه معروف شائع في الأوساط الاجتماعية ، في المشرق العربي ، كما هو معروف في مغربه .

والبِسَاط من فرش الحضارة القديمة الذي لا يزال يساير الحضارة الحديثة ، ويستعمل فيها بتوسّع ، ومع ذلك لم أر معجم " المجمع اللغوي المصري " يعتبره من ألفاظ الحضارة الحديثة ، فيدوّنه في معجمه " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. " (8)

---

1) ن . . الآية : 19

2) الكشاف للزمخشري . . 4 / 160

3) المفردات في غريب القرآن : 46

4) م . س والصفحة نفسها .

5) ج 5/ 163

6) ذو الرمة شاعر أموي ، توفي حوالي (735م) .

7) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان . . 10 / 324

8) ط / 1980م .

حَصِير

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّتين ، في تعبيرين حقيقيين . في الأوّل نصح بتبطين الحصر ، كما فعل بالبساط قبل ، وكان اللفظ في حالة الجمع . وفي الثاني لَوْمٌ على بَسْطِ الحُصُرِ في السكك ، . . واستقبال الضّيوف . .

وجاء في تعريفه :ـ

* " الحَصِير : البَارِيَّة " . . (1)
* " الحَصِير : سقيفة تصنع من بُرْدِيٍ وأسل ثمّ تُفْرَش " . . (2)

وفي التهذيب ، الحصير : سفيفة من بُرْدِيٍ أو أسل " ويضيف المحقّق في الهامش أنّ قول " اللسان " سقيفة تحريف . ؛ (3)

* " الحَصِير : البساط المنسوج من أوراق البردي ، أو البَارِي أو نحوهما " . . (4)

والملاحظة حول ما جاء في معظم المعاجم أنّها متّفقة على الغموض في التعريف ، فهي لم تعط صورة كافية للحصير تجعل المطّلع راضيا عنها .

وتصنع الحُصُر من موادّ مختلفة ، منها أوراق البردي أو الأسل أو جريد النخل أو الحلفاء ، أو موادّ صناعيّة أخرى قديمة وحديثة . . وغالبا ما تصنع هذه الحصر ـ في العصور الأولى ـ من طرف نسوة خبيرات بهذا الفنّ . . قال كعب بن زهير يصف الطّريق ، وشبّهه بالحصير لاستوائه :ـ (طويل)

" ومُسْتَهْلِكٍ يَهْدِي الضَّلُولَ كَأَنَّهُ * حَصِيرٌ صَنَاعٍ بَيْنَ أَيْدِي الرَّوَامِلِ . . (5)

وفي بيت آخر :ـ (خفيف)

تَتَأَوَى إِلَى الثَّنَايَا كَمَا شَكَّتْ * صَنَاعٌ مِنَ العَسِيبِ حَصِيرًا . . (6)

وشكّت صناع : أي كما داخلت نسجا شيئا فشيئا . الصّناع : الحاذقة في العمل . والعسيب :ـ عسيب النخل تعمد إليه ، وهو أخضر ، فينقّى لحاؤه ، ثمّ ينسج سيورا من أدم ، وهو الحصير المديني (7)

ثمّ يستعمل الحصير " فراشا يلي خشونة الأرض . . (8) ، كأنّما يجعل وقاية للجسم من يبس أديم الأرض ، حتّى لا يؤثّر في جنب المضطجع عليه ، وربّما كان للحصير أثر في جنب المضطجع إن لم يكن بينه وبين الجسم حائل . ؛ قال عمر بن الخطّاب (ض) : " فدخلت على رسول الله (صلعم) ، وهو مضطجع

---

1) صحاح الجوهري .. 631/2
2) لسان العرب .. 196/4 . و " دائرة معارف القرن العشرين " .. 449/3
3) تهذيب الأزهري .. 233/4
4) المعجم الوسيط .. 179/1
5) ديوان كعب بن زهير .. ص 68
6) ديوانه .. ص 115
7) م . س والصفحة نفسها .
8) أقرب الموارد للشرتوني .. 199/1

على الحصير، فجلست ،فأدنى عليه إزاره، وليس عليه غيره، وإذا الحصير قد أثَّر في جنبه " .. (1)

تدرج المعاجم لفظ" الحصير" في مادّة (حصر) ،يقول ابن فارس: " حصر أصل واحد وهو الجمع والحبس والمنع " .. (2) ؛ ومنها : " حَصَرَه يَحْصره حَصْرا : ضيّق عليه وأحاطه به" . (3) والحصير هنا بمعنى المَحصور .. ويبدو أنّه قد سمي بذلك لأنّه يحصر ويحبس نسيجه بعضه إلى بعض، أو أنّه "سمي بذلك لأنّه يلي وجه الأرض وقيل : الحصير المنسوج سمي حصيرا لأنّه حصرت طاقته بعضها مع بعض" .. (4)

ومن هنا يمكن استنتاج أنّ أصل اللفظ عربي أصيل ،مشتقّ مِنَ المعنى الحسّي للحصر الذي هو الجمع والحبس والمنع .

ويشترك في صيغة "الحَصِير" معان أخرى ،نذكر منها بعضها جاء في معاجم اللغة ،فمن "الصحاح"

ـ الحَصِير والحَصُور : الضّيق البخيل "

ـ الحَصِير : الملك "لأنّه محجوب "

ـ الحَصِير : المحبس ،ومنه قوله تعالى : " وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا " ..(5)

ـ الحَصِير : الجنب، يقال : دابّة عريض الحصيرين أي الجنبين " .. (6)

" ويقال له الحصير لأنّ بعض أضلاعه محصور إلى بعض" .. (7)

ـ الحَصِيرة : موضع التمر " .. (8)

ومن" لسان العرب " : —

ـ الحَصِير : وجه الأرض والجمع أحْصِرَة وحُصُر "

ـ الحَصِير : البَارِية "

ـ الحَصِير : البساط الصغير من النبات " .. (9)

ونلاحظ أنّ هذه المفردات كلّها ذات أصل واحد من حيث المعنى ،فهي تتضمّن معنى المنع والحبس الذي تحدّث عنه ابن فارس. أي أنّ الأصل الاشتقاقي واحد .

1) صحيح مسلم .. 83/10
2) مقاييس اللغة لابن فارس .. 72/2
3) صحاح الجوهري .. 631/2
4) لسان العرب لابن منظور .. 196/4
5) الإسراء ،الآية : 8
6) صحاح الجوهري .. 196/4 ، و"أساس البلاغة" .. ص 129
7) هذا في تهذيب الأزهري . 234/4
8) كلّ هذه مأخوذة من صحاح الجوهري .. ج 631/2
9) ج 196/4 ،و"تهذيب الأزهري" .. 233/4

ولفظ الحصير لفظ خاصّ ، يشمله لفظ عامّ هو الفراش أو البساط ، فالحصير يفرش ويبسط . . فهو بمعنى فراش حصير ، أو بساط حصير ، بمعنى محصور ، فيكون أصله صفة أصبحت إسما لازما أطلق على هذا النوع من الفرش .

وليس لفظ " الحَصِير " من ألفاظ القرآن الكريم ، وما جاء في الآية الكريمة : " وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا " . . (1) ، الحصير بمعنى الحبس والسجن ، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك . . (2)

أمّا فيما أُثِرَ على الرسول الكريم (صلعم) ، فقد رأيت لفظ " الحصير " في أماكن مختلفة ، من كتاب (صحيح مسلم) . . نختار منها : ـ

1) عن أبي سعيد الخدري أنّه دخل على رسول الله (صلعم) فوجده يصلّي على حَصِير ، يسجد عليه . " . . (3)

2) عن زيد بن ثابت قال : احتجر رسول الله (صلعم) حُجَيرة بخَصَفة أو حصير ، فخرج رسول الله (صلعم) يصلّي فيها " . . (4)

3) عن سهل بن سعد في حديثه عن جرح رسول الله (صلعم) يوم أُحُد ، قال : " وكان علي بن أبي طالب يسكب عليها بالمجنّ ، فلمّا رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدّم إلّا كثرة أخذت قطعة حصير فأحرقتها حتّى صار رمادا ، ثمّ ألصقته بالجرح ، فاستمسك الدّم " . . (5)

4) وفي حديث آخر : " أفضل الجهاد وأكمله حجّ مبرور ، ثمّ لزوم الحصير " . . (6)

وأفهم من الحديث الأخير دعوة الرسول الكريم (صلعم) المؤمن بعد الحجّ أن يلزم بيته وألا يضيّع وقته بمخالطة ما لا ينفع ، فتضيع عنه فرصة التوبة . . فيكون استعمال الحصير استعمالا أقرب إلى المجاز منه إلى الحقيقة .

ورأيت لفظ " الحصير " في الشعر الجاهلي عند النابغة الذبياني ، حيث قال واصفا آثار الديار : ـ (طويل)

كَأَنَّ مَجَرَّ الرَّامِسَاتِ ذُيُولَهَا * عَلَيْهِ حَصِيرٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ . . (7)

قال شارح الديوان : " حَصِير : بساط من سعف وأدم . نمّقته : زيّنته " . . (8)

---

1) الاسراء ، الآية : 8

2) انظر الألفاظ المشتركة في الصفحة السابقة .

3) صحيح مسلم بشرح النووي . . 165/5

4) م . س . . 69/6

5) م . س . . 148/12

6) لسان العرب . . 196/4

7) ديوان النابغة الذبياني ، شرح وتعليق الشيخ طاهر بن عاشور . . ص 162

8) م . س ، هامش الصفحة . . 162

ويظهر من هذا البيت أنّ النّاس في الجاهلية كانوا يهتمّون بالحُصُر وتنميقها ، ويعجبون بجمالها ، وتقوم بذلك صوانع قد تمرّنت على هذا الفنّ .

وعند كعب بن زهير في وصف الطريق : — (بسيط)

وَلَاحِبٍ كَحَصِيرِ الرَّامِلَاتِ تَرَى × مِنَ الْمَطِيِّ عَلَى حَافَاتِهِ جِيَفَا .. (1)

وقد سبقت الإشارة إلى مثل هذا البيت في وصف الطريق .. (2)

وفي العصر العبّاسي كان الحصير نسيجا منمّقا بهيجا ، فقد يصنع عند المترفين من أغلى المواد وأنفسها .. يقال : إنّه في زواج المأمون من (بُوران) بنت الحسين بن سهل بسط لها فُرُشا كان الحصير منها منسوجا بالذّهب ، مكلّلا بالدّر والياقوت . قال المأمون حين رآه : قاتل الله أبا نُوَاس كأنّه أبصر هذا حين يقول في وصف الخمر : — (بسيط)

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا × حَصْبَاءُ دُرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ ذَهَبِ .. (3)

وفي رواية أخرى أنّ المأمون .. وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللّؤلؤ ، فنظر إليه منثورا على ذلك البِسَاط .. (4) ، فاستحسن المنظر ، وقال قولته المذكورة أعلاه .

ولا يزال لفظ " الحصير " معروفا في الحياة الاجتماعية بلفظه ومعناه . وفي عامية الجزائر الحالية نجده شائعا متداولا .. يصنع عندنا غالبا من أوراق الحلفاء ، وينمّق أحيانا بالألوان ، يفرش ويصلّى به .. ولم يطرأ عليه أيّ تغيير من حيث اللفظ والدّلالة ، إلّا أنّ الحياة الاجتماعية المعاصرة ، وما صاحبها من تطوّر جعل " الحَصِير " ينحصر استعماله على فئة معيّنة من المجتمع ، وخاصّة في عالم الرّيف والبوادي .. وأعتقد أنّه لا يزال معروفا في العالم العربي بأجمعه ، باختلاف تسميته ، وموادّ صناعته ، ففي الحجاز مثلا يصنع من الخُوص .. (5) ، والخُوص ورق النخل ، واحدتها خُوصَة .. (6)

والحصير من ألفاظ الحضارة القديمة ، ولا يزال مستعملا صالحا لحضارتنا ، ولكنّ مجمع اللغة العربية المصري لم يعتبره من ألفاظ الحضارة الحديثة ، لذا لم يسجّله في معجمه الذي أعدّه لذلك .. (7)

---

1) ديوانه .. ص 56
2) انظر مقدّمة الحديث عن الحصير وصناعته .
3) مقدّمة ابن خلدون .. ص 306
4) الكشّاف للزمخشري .. 4/199
5) محيط المحيط .. 1/403
6) صحاح الجوهري .. 3/1038
7) ط/1980م .

بُـــــوري

ورد اللفظ في البخلاء مرّة واحدة في تعبير حقيقي، ينصح المتحدّث أهله، فقال : " فَبطِّنوا . . " البُوْرِي " ، وبطّنوا الحُصُر، وبطّنوا البُسُط " . . (1) ،، واللفظ في حالة الجمع، ومفرده بُوري . . وله صيغ أخرى هي : البَارِيَاء، والبُورِيَاء، والبَارِي ، والبَارِيَة .

وجـاء في تعريفـه : —

* " البَارِيَّاء والبُورِيَاء : التي من القصب " . . (2)
* " البَارِي والبَارِيَة : الحُصُر المنسُوجة ، وقيل الطريق " . . (3)
* " البُوري ، والبُورِيَة ، والبُورِيَاء ، والبَارِي ، والبَارِيَاء والبَارِيَّة : الحَصير المنسوج " . . (4)
* " البَارِيَـاء : الحَـصِـير " . . (5)

ونلاحظ أنّ هذه المعاجم قد شرحت اللفظ بالحصير، فهو عندها شكل من أشكال الحصيـــر المنسوج . وهو من القصب عند الجوهري ، ثمّ تبعه بعض المعاجم المتأخّرة . . (6) ،، ويفهم مــــن صـناعته أنّه خَشِن يفرش، فَيلي خشونة الأرض.

وتدرِن المعاجم لفظ (البوري) في مادّة (ب و ر) . ولم أجد للّفظ أثرا في " مقاييس اللغـــة" حتّى أتبيّن علاقته بالمادّة في اللغة العربية .

وتبيّن من بعض المصادر أنّـها تنسبه إلى الأصل الأعجمي . قالوا : " البَارِيَاء : فارسيّ معرّب، وهي بالعربية بَارِي وبُوري " . . (7) ،، ويقول الجواليقي : إنّه (معرّب) دون الإشارة إلى اللغة التي ورد منـــها . . (8)

ومن معاني مادّة (ب و ر) في العربية الهَلاَك . . (9) ،، والبُطْلاَن . . (10) ،، ومن هنا لم يكـــن للفظ " البُوري " الدّال على الحصير أيّة صلة بالمادّة العربية .

---

1) البخــــلاء للجاحظ .. ص 104
2) صحاح الجـــوهري .. 598/2
3) لسان العـــرب .. 72/14
4) القاموس المحـيط .. 377/1
5) المعجــم الوسيــط .. 76/1
6) أقرب الموارد للشرتوني .. 67/1 . و" محيط المحيط " للبستاني .. 141/1
7) شفاء الغليل الخفّاجي .. ص 39 . و" صحاح الجـــوهري " .. 598/2
ولسان العرب .. 72/14 . و" والمعجم الوسيط " .. 76/1
8) المعـــرّب للجواليقي .. ص 46
9) أساس البلاغة للزمخشري .. ص 53
10) صـــحاح الجـوهـري .. 598/2

وعند تعريب اللفظ وجدت له صيغ مختلفة، ممّا يدلّ على اختلاف الناطقين بتعريبه .

والبوري في أصله حصير لا يختلف عن الحصير السابق الذّكر، إلّا أنّه نسيج من القصب خاصّة لذا فهو أحد عائلة الحصير، وجزء منه . . وليس له أسماء متعدّدة كما أنّه لفظ خاصّ، يشمله اللفظ العامّ (الحَصِير) .

ليس البوري من ألفاظ القرآن الكريم، ولم أصادفه فيما قرأت من ألفاظ الحديث النبوي الشريف. كما أنّني لم أجده في الأشعار العربية التي قرأتها، ممّا يرجّح لديّ اعتبار اللفظ مولّدا، أو هو من الألفاظ التي عرّبت متأخرة .

لا يعرف اللفظ في عامية الجزائر الحالية، ولعلّه كان موجودا ثمّ أهمل في العصور السالفة.

لفظ (البوري) من ألفاظ الحضارة القديمة، ولا يزال يصنع بطريقة تقليديّة في بلادنا، ولكنّهم يعرفونه بهذا الاسم، لذا فأنا أقترح إحياءه، وإطلاقه على هذا الحصير المصنوع من القصب عندنا .

ولم يعتبره مجمع اللغة العربية المصري من ألفاظ الحضارة الحديثة، فيدوّنه في معجمه .

قَطِيفَة

ورد اللفظ في " البخلاء" مرّة واحدة، في تعبير حقيقي، يصف رجلاً يتسوّل نقودا، يدّعي أنّه يجمعها لشراء قطيفة .

وجاء في تعريفها : —

* " القَطِيفة : دِثار مخمّل، والجمع قَطَائِف وقُطُف " .. (1)
* " القَطِيفة : دثار مخمّل، وقيل : كساء له خمل، والجمع القَطائِف والقُطُف " .. (2)
* " القَطِيفة : كساء له أهداب، ودثار أو فراش له أهداب، كأهداب الطّنافس. أو نسيج من الحرير أو القطن صفيق أو وبر تُتَّخذ منه ثيابٌ وفُرُش " .. (3)

ويلاحظ من هذه التعاريف أنّها أعطت للقطيفة معاني مختلفة، فكأنّ لفظ (القطيفة) يدلّ على أشياء منفصلة، فالقطيفة كساء، ودثار، وفراش، ونسيج .

ولم تعط المعاجم التي رأيتها ميزة خاصّة لشكل القطيفة ما عدا الخاصّية المميّزة التي هي الخمل .

وصناعتها كما هو مبيّن أعلاه من موادّ مختلفة كالصوف والقطن، والوبر، والحرير.. وهي متعدّدة الاستعمالات .. كساء وفراش وغطاء .

وتدرج المعاجم لفظ (القَطِيفة) في مادّة " ق ط ف" . يقول ابن فارس: " قطف أصل صحيح يدلّ على أخذ ثمرة من شجرة، ثمّ يستعار ذلك " .. (4)

ولم أجد معاني أخرى غير هذه فيما رأيت من مراجع ، ولم يذكر ابن فارس علاقة هذه المادّة بلفظ (القطيفة) حتّى يتّضح أصلها .. ولم أستطع أنا ربطا بين هذه المادّة واللفظ ولو على سبيل المجاز .. فلعلّ حلقة الربط هذه قد فُقِدت .

ومن هنا كان من الصعب إرجاع هذا اللفظ إلى أصله العربي، ممّا فسح المجال للقول بأنّ أصل اللفظ أعجميّ، وهو من الآرامية .. ويقرأ فيها هكذا : (Gtifta) .. (5)، ثمّ انتقل من العربية إلى بعض اللّغات الأوروبية، فكان في : —

— الإسبانية (alcatifa) .. (6)
— البرتقالية (alcatifa) .. (7)

---

1) صحاح الجوهري .. 1417/4
2) لسان العرب .. 286/9
3) المعجم الوسيط .. 747/2
4) مقاييس اللغة .. 103/5
5) غرائب اللغة العربية .. ص 201
6) م . س .. ص 145
7) م . س .. ص 147

ــ الرومانيـــــة (Catifea) .. (1)

ــ البلغـــاريـــة (Kadifé) .. (2)

ــ الألبانيـــــة (Kadife) .. (3)

ــ اليونانيـــــة (Katifès) .. (4)

ولم أعثر عليه فيما قرأت من مراجع تكلّمت عن الألفاظ الدخيلة في العربية، كـ(شِفَاء الغليل) و (المعرّب من كلام الأعجمي) . و (تفسير الألفاظ الدخيلة) .

وللقطيفة لفظ آخر يدلّ عليه باختلاف طفيف، قال : " القَرْطَفُ القَطِيفة" .. (5) ،، و" الخَمِيلة " اسم قالته أمّ سلمة، رضي الله عنها، حين الحديث عن القَطِيفة .. قالت : " بينما أنا مضطجعــة مع رسول الله (صلعم) في الخَمِيلة " .. (6) ،، وقال النووي في شرحه : " قال أهل اللغة (الخميلة والخميل بحذف الهاء هي القَطِيفة، وكلّ ثوب له خمل من أيّ شيء كان " .. (7)

ويدلّ لفظ (القَطِيفة) على معنى آخر هو "القَطَائِف التي تُؤكَل" .. (8) ،، ولعلّها هي القطائف المعروفة الآن، في شكل من أشكال الحلوى اللذيذة، وتشترك مع اللفظ في خملتها .

ولفظ (القطيفة) لفظ بين الخاصّ والعام لأنّه متعدّد المعاني، بين الكساء والدّثار والفراش، ففي كلّ معنى من هذه المعاني قد يكون له وضع خاصّ، ينظر إليه من خلاله . أمّا في الحالـــة المدروسة فإنّ القطيفة لفظ يدلّ على العموم . فالزبون يريد شراء قطيفة، ولا ندري في أيّ موضع سيستعملها .

وليس لفظ (القطيفة) من ألفاظ القرآن الكريم، ولكنّي صادفته فيما قرأت، ممّا أثر عن الرسول (صلعم)، في كتاب (صحيح مسلم)، من ذلك، ما جاء :ــ

ــ عن عائشة (ض) قالت : " وَكَانَتْ لَنا قَطِيفَةٌ، كُنّا نَقولُ عَلَمهَا حَرِير، فكُنّا نلبَسُهَا " .. (9)

ــ وعن ابن عبّاس (ض) قال : " اجْعَل فِي قبرِ رَسُولِ الله (صلعم) قَطِيفَةٌ حَمْرَاءَ " .. (10)

---

1) م . س .. ص 154

2) م . س .. ص 156

3) م . س .. ص 161

4) م . س .. ص 164

5) صحاح الجوهري .. 4 / 1415 . و " القاموس المحيط" .. 183/3

6) و(7) صحيح مسلم .. 206/3

8) صحاح الجوهري .. 1417/4

9) صحيح مسلم .. 87/14

10) م . س .. 34/7

ـ وعن أسامة بن زيد أنّ النبي (صلعم) ركب حمارا عليه إكاف تحته قطيفة فَدْكِيَّة " . . (1)

ويلاحظ من الأحاديث السالفة تعدّد الاستعمال للقطيفة ، فهي دِثار مرّة، وأخرى فراش .

وما أثر عليه (صلعم) ما رواه الزمخشري . . (2) ،، " أنّ النبي (صلعم) كان نائما بالليل متزمّلا في قطيفة، فنزلت عليه الآية الكريمة " يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً " . . (3) ،، وفي آية أخرى " يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّر قُمْ فَأَنْذِرْ " . . (4)

ولم أصادف لفظ (القطيفة) في الأشعار العربية التي قرأتها ، فلعلّ وجوده نادر .

ولا يزال لفظ (القَطِيفة) معروفا في عامية الجزائر، وقد كان اللفظ يطلق على نسيج تقوم المرأة في البيوت، تصنعه من الصوف، أو القماش، ويجعله الناس عادة فراشا ، يلي وجه الأرض، ثم أطلق من طريق المشابهة على نوع من النسيج له خمل يفصّل ملابس. ولم يطرأ على لفظ (القَطِيفة) تغيير من حيث المعنى أو المبنى .

والقطيفة من ألفاظ الحضارة القديمة الذي يجب إحياؤه، وإشاعته، ليدلّ على الفراش والكساء، فيكون اسما أفضل ممّا نسمّي به نوعا من الأغطية يمدّ في المصانع الحديثة، فهم يسمّونه في العامية (الزاوْرَة) أو (الكُوفِيرْطَة) ، تحريفا للفظ الفرنسي (Couverture) أي غطاء . . وهو ما يدعى في المشرق العربي بـ(البطّانيّة) .

ولم يعدّ مجمع اللغة العربية المصري لفظ القطيفة من ألفاظ الحضارة الحديثة، لذا لم يدوّنه في معجمه الذي أعدّه لذلك . (5)

---

1) م . س .. 157/12
2) الكشّاف للزمخشري .. 174/4
3) المزمّل ، الآية .. 1 و 2
4) المدثّر ، الآيتان .. 1 و 2
5) ط ، 1960م .

ســــريـــــر

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة، و تعبير حقيقي، قال : " فكان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشر " . . (1)

يستعمل اللفظ مجازيا ، فيقال : " زالَ عن سَريره : ذَهَبَ عِزّه " . . (2) ،، وقد يعبّر بالسرير عن الملك والنعمة . . قال الشاعر :— (طويل)

وَفَارَقَ مِنْهَا عِيشَةً دَغْفَلِيَّـــةً ، وَلَمْ يَخْشَوْهَا أَنْ يَزُولَ سَرِيرُهَا . . (3)

وجـــاء في تعريفـــه :—

* " والسَّـرِيرُ جمعه أَسِرَّة وسُرُر " . . (4)
* " السَّـرير : المضطجـع ، والجمع أَسِرَّة وسُـرُر " . . (5)
* " السَّـرير : المضطجـع " . . (6)
* " السَّريــر : المضطجع الذي يجلس عليه " . . (7)

ويلاحظ أنّ هذه التعاريف ناقصة لأنّـها لم تعط صورة واضحة عن هذا السرير، ولم تذكــر شكله، ولا طبيعة صنعــه . . ورأيت تعاريف جامعة في مراجع غير متخصّصة، منها ما قاله ابن خلدون " هي أعواد منصوبة أو أرائك منضّدة للجلوس والارتفاق عليـها " . . (8)

والعادة أنّ السرير يصنع من الموادّ الأساسية المتوفّرة في المحيط، كالحديد أو القصب أو أعواد الأشجار، وربّما من المعادن الثمينة كسرير الملك عند بعض الأمم المتحضّرة في العصور السالفة .

وتدرج المعاجم لفظ (السرير) في مادّة " سـرّ " ، قال ابن فارس: " مادّة " سرّ " وهو خفض عيش لأنّ الانسان يستقرّ عنده " . . (9)

ووجدت مادّة (سـرّ) في المعاجم، وقد حوت معاني متعدّدة ومختلفة المشارب، ولكن إذا صدق قـول ابن فارس: إنّ السرير من خفض العيش الدّاعي إلى السّرور، فإنّ اللفظ يكون من أصل عربي . . ولم أجد في المراجع التي رأيتـها ما خالف هذا الرّأي .

وقد قال الرّاغب الاصفهاني : " إنّ السرير من السّرور " . . (10) ،، وأعتقد أنّ اتّخاذ السّرير علامة الاطمئنان والاستقرار الاجتماعي والنفسي ، ولا يكون السرير إلّا مع سعة العيش، فهو إحدى علامات التّحـضّر والتّمـدّن .

---

1) البخلاء . . ص 102
2) أساس البلاغة . . ص 293
3) صحاح الجوهري . . 682/2
4) م . س . . 682/2
5) لسان العرب . . 356/4
6) القاموس المحيط . . 47/2
7) المعجم الوسيط . . 427/1

8) مقدمة ابن خلدون . . ص 461
9) مقاييس اللغة . . 69/3
10) المفردات في غريب القرآن . . ص 237

وقد عرف العرب السّرير قبل الإسلام وبعده، وكان للرّسول الكريم (صلعم) سرير" اشتراه فيما بعد معاوية، بواسطة أحد أصحابه، بعد وفاة عائشة (ض) بمبلغ أربعة آلاف درهم " .. (1)

وقد تختلف أسماء السّرير باختلاف أحواله وأشكاله .. من ذلك : —

- التّخت : سرير الملك أو السّلطان ، وهو " منضدة للجلوس، كان سنّة من سنن الملوك قبل الإسلام ، وفي دول العجم، وقد كانوا يجلسون على أسرّة الذّهب ، وكان لسليمان بن داود (ص) كرسيّ وسرير من عاج مُفَشّى بالذهب " .. (2)

- العَرْش : سرير الملك .. (3) ،، وقد جاء ذكره في القرآن الكريم، في قوله تعالى :" .. " وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا " .. (4)

وَوَضْعِ العرش، أو ثَلُّه كناية عن ذهاب الملك، جاء في المثل : " ثُلَّ عرشه" أي ذهب عزّه وساءت حاله . فإذا ثُلَّ عرش الملكِ فقد ذهب عِزّه .. (5) ،، وجاء في الدّعاء " يا أبتِ لا وُضِع عرشك، ولا رُفِع نَعْشك (6)

- الأَرِيكَة : سرير العروس .." ولا يقال : أَريكة إلّا إذا كان عليها حجلة وإلّا فهو سرير" (7)

- نَضَد : سرير الثياب .. (8) ،، وقيل (التخت) هو الذي يوضع عليه الثياب (9)

- نَعْش : سرير الميّت .. (10) ،و" سمي بذلك لارتفاعه، فإذا لم يكن عليه ميّت فهو سرير" (11)

ورأيت في شعر النابغة رأيا آخر .. قال النابغة : — (طويل)

أَلَمْ تَرَ خَيْرَ النَّاسِ أَصْبَحَ نَعْشُهُ * عَلَى فِتْيَةٍ قَدْ جَاوَزَ الْحَيَّ سَائِرَا .

قال شارح الديوان : " نعشه : سرير يحمل عليه المريض، كان الملك إذا مرض يحملونه على سرير على أعناق الرجال، يخرجون به إلى مواضع النزهة، لأنّه لا يستطيع المشي " .. (12) ،، فالنعش هنا يدلّ على سرير والمحمول عليه حيّ، لم يمت .

وللفظ (السرير) مشترك معه في الصّيغة ، مع اختلاف المعاني .. من ذلك : —

---

1) الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري : آدم متز ، ج 2/132 (الهامش) .
2) مقدّمة ابن خلدون .. ص 461
3) فقه اللغة للثعالبي .. ص 159
4) يوسف ، الآية : 100
5) مجمع الأمثال .. 1/778
6) مقامات الحريري .. ص 411
7) فقه اللغة للثعالبي .. ص 21 وص 159
8) م . س والصفحة نفسها .
9) القاموس المحيط .. 1/144 ، و" غرائب اللغة العربية " .. ص 221
10) انظر مقولة الحريري أعلاه .
11) صحاح الجوهري .. 3/1023
12) ديوان النابغة الذبياني .. ص 114

- سرير الرأس : مستقرّه .

- سرير العيش: خفضه واستقراره .

- سرير الأكمة : ما عليها من تراب .. (1)

وأراها ألفاظا قد اشتركت فيما بينها في الدلالة على الرّفعة ، وسموّ المكانة ، مع اختلاف في الأوضاع والمراتب بين المعنوي والحقيقي .

ولفظ (السرير) لفظ عام تندرج تحته مجموعة من الألفاظ ذات المعاني الخاصّة، تختلف فيما بينها اختلافا بيّنا يدركه من تفقّه في اللغة .

والسرير من ألفاظ القرآن الكريم، جاء ذكره في حالة الجمع .. قال تعالى : ــ
" وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ ، إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ " .. (2)

قال الزمخشري، عن مجاهد : " تدور بهم الأسرّة حيثما داروا ، فيكونون في جميع أحوالهم متقابلين " .. (3)

وقال تعالى : " عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ " .. (4)

وقال الزمخشري : " التّقابل أتمّ للسّرور والأنس " .. (5)

وقال تعالى : " وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ " .. (6)

ولم يشرح الزمخشري هذه الآية .

وقال تعالى : " مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ " .. (7)

ولم يشرح الزمخشري هذه الآية .

وقال تعالى : " عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ " .. (8)

وقال الزمخشري : " موضونة : مرمولة بالذهب، مشبّكة بالدرّ والياقوت، قد دوخل بعضها في بعض (9)

وقال تعالى : " فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ " .. (10)

وقال الزمخشري : " مرفوعة من رفعة المقدار ، أو السّمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوّله ربّه من الملك العظيم . وقيل : مخبوّة لهم من (رفع الشيء) إذا خبّأه " .. (11)

---

1) هذه الألفاظ من : صحاح الجوهري .. 683/2، و " لسان العرب " .. 356/4

2) الحجر ، الآية : 47

2 كشاف الزمخشري .. 340/2

4) الصافات ، الآية : 44

5) الكشاف .. 340/3

6) الزخرف ، الآية : 34

7) الطور ، الآية : 20

8) الواقعة ، الآيتان : 15 و 16

9) الكشاف .. 53/5

10) الغاشية ، الآية : 13

11) الكشاف .. 247/4

ورأيت لفظ (السرير) فيما جاء من أثر عن الرسول الكريم (صلعم) وكان اللفظ متعدّد الدلالة، حسب الظروف والأحوال .. من ذلك :-

قالت عائشة (ض) : " لقد رأيتني مضطجعة على السرير، فيجيء رسول الله فيتوسّط السرير، فيصلّي فأكره أن أسحنه، فانسلّ من قبل رجليّ حتّى انسلّ من لحافي " .. (1)

وقال (صلعم) : " نَاسٌ مِنْ أُمّتي عُرِضُوا عَلَيّ غُزَاةً في سبيل الله، يركبون ثَبَجَ هَذَا البحرِ (ظَهْرَه) مُلُوكًا على أسِـرّة " .. (2)

وعن مالك بن أنس أنّ عمر بن الخطّاب (ض) أرسل اليه، فجاءه حين تعالى النهار. قال: فوجدته في بيته جالسا على سرير " .. (3)

" وعن ابن عبّاس أنّ عمر بن الخطّاب قد وضع على السرير، فتكنّفه الناس يدعون، ويثنون ويصلّون عليه، قبل أن يُرفع " .. (4)

قال النووي في شرحه: " السرير بمعنى النّعش " .. (5)

ونلاحظ في هذه الأحاديث اختلاف الدّلالة في لفظ (السرير) باختلاف ظروف استعماله، دون أن يراعى في ذلك الأسماء الخاصّة التي سبق ذكرها .. فقد كانت في الأحاديث مرتّبة كما جاءت: سرير النوم، سرير الملك، سرير الميّت. فتكون على التوالي: المضطجع، العرش، النعش. وكان الحديث مرسلا دون مراعاة الفروق الأساسية بين الألفاظ، إذ عبّر باللفظ العام عن المعنى الخاصّ.

وورد اللفظ في الأشعار العربية الجاهلية منها والإسلامية باختلاف الدّلالات. فقد سبق أن رأينا في شعر النابغة الذبياني .. (6)، وفي قول أبي نُوّاس يمدح الخصيب :- (طويل)

زَهَا بالخَصِيبِ السيفُ والرمحُ في الوَغَى * وفي السِّلمِ يَزْهُو مِنْبَرٌ وَسَرِيرُ .. (7)

وقال إيليا أبو ماضي :- (خفيف)

فَإِذَا أَنْتَ في السَّرِيرِ مُسَجّى * صَامِتٌ كَالطُّيُوفِ في الْوَاجِمِ .. (8)

ويلاحظ استعمال (السرير) بالمعنى العام، ففي البيت الأوّل يدلّ على سرير الملك، أو السّلطان، وفي الثّاني يدلّ على النّعش.

ولا يزال لفظ (السرير) مستعملا في عامية الجزائر الحاليّة استعمالا عامّا، يطلق على المضطجع، ولا يكاد يعرف في غيره .. وسرير الميّت عندنا يسمّى (نعشا)، وما سوى ذلك من

---

1) صحيح مسلم .. 219/4
2) م.س .. 58/13
3) م.س .. 71/12
4) م.س .. 158/15
5) م.س والصفحة نفسها.
6) انظر مقدّمة الحديث عن السرير.
7) ديوان أبي نواس .. ص 330
8) ديوان الخمائل لإيليا أبي ماضي، ط/ دار العلم للملايين بيروت 1974م . ص 106

الألفاظ الخاصّة بمختلف معاني السرير مجهول .

والسرير من ألفاظ الحضارة القديمة ، الذي يزال يحتفظ بدلالته الاجتماعية ، ويمكن اعتباره من الألفاظ الحضارية الحديثة ، غير أنّ مجمع اللغة العربية المصري لم يعتبره كذلك ، فيدعو إلى إحيائه ، فيما دعا إليه في معجمه " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. " (1)

وعلاقة مجموعة الألفاظ فيما بينها علاقة وطيدة ومتكاملة ، فهي جميعها من وسائل الرّاحة .. والاطمئنان الجسدي والنفسي . وما بينها من فروق كتلك التي ترى بين فئات المجتمع ، من غنى وفقر وسعادة وشقاء .

وقد أحسّ الشاعر أبو الرقعمق .. (2) هذه الفروق فقال ساخرا :ـ (مجزوء الكامل)

كَتَبَ الحَصيرُ إلى السريرِ * أنَّ الفَصيلَ ابنَ البَعيرِ
فلأُشْقِيَنَّ جِمَارَتي * سَنَتَيْنِ مِنْ أكْلِ الشَعيرِ
لا هَمَّ إلاّ أنْ تَطِيـ * ـرَ مِنَ الهُزَالِ مَعَ الطُيُورِ .. (3)

وأفهم من هذا القول أنّ (الحصير) كناية عن الطبقة السفلى من المجتمع .. و (السرير) كناية عن الطبقة المترفة ، والعلاقة بينهما صراع دائم من أجل الحياة .

---

1) ط/1980م .
2) أبو الرقعمق أحمد بن محمد الأنطاكي ، كان ينظّم الشعر في مدح كبراء مصر ، توفى :ـ (399 هـ / 1008م) .. (تاريخ الأدب العربي ، كارل بروكلمان : 103/2)
3) معاهد التنصيص ، للشيخ عبد الرحيم العبّاسي ط/عالم الكتب بيروت 1947م . ج 254/2

البـــاب : الأوّل .

الفصـــل : الثانـــي .

المجموعـــة : الثالثـــة .

الأنماط : ــــ

مخـــدّة . مرفقـــة .

مخدّة

تكرّر اللفظ في " البخلاء " سبع مرّات، في تعابير حقيقيّة ، تناولت الحديث عن دور المخدّ وطرق استعمالها ، وأماكن استغلالها ، وكيفيّة صناعتها .. يقال في المجاز : " تَدَخَّلَ عَلَيْهِ فَأَظْهَرَ له المَوَدَّة ، وألقى إليه المِخَدَّة " .. (1)

وجاء في تعريفها : —

* " المِخَدَّة : (بالكسر) ، لأنّها توضع تحت الخدّ " .. (2)
* " المِخَدَّة : الوِسَادَة يوضع عليها الخدّ " .. (3)
* " المِخَدَّة : الوِسَادة ، لأنّها توضع تحت الخدّ " .. (4)
* " المِخَدَّة : المصدغة ، لأنّ الخدّ يوضع عليها " .. (5)

ولم أجد لها شرحا في كلّ من " تهذيب " الأزهري ، و" قاموس " الفيروزابادي ، وفي معاجم أخرى حديثة .

والمعروف أنّ المخدّة شكل من أشكال الوسائد ، تصنع عادة من قماش ليّن ، وقد تصنع من غيره بحسب ما تيسّر من ظروف الحياة .. وتصنع بأشكال وأحجام مختلفة ، والطريقة المعروفة لدينا أنّها تخاط على شكل كيس يحشى بمادّة ليّنة قد تكون صوفا أو قطنا أو إسفنجا ، وربّما كانت أشياء أخرى غير هذه .

وتدرج المعاجم لفظ (المخدّة) في مادّة " خ د " . يقول ابن فارس إنّها " أصل واحد وهو تأسّل الشيء وامتداده إلى السّفل ، فمن ذلك الخدّ ، خدّ الإنسان وبه سميت المخدّة " .. (6)

ومن هنا يكون إسمها مشتقا من الخدّ .. وسميت كذلك لأنّها " وسادة توضع تحت الخدّ " (7)

فيكون اللفظ - من هذا - عربيا أصيلا .. ولكن بعض علماء العربية يعتقد بغير ذلك !! فالخفاجي يرى أنّ اللفظ معرّب ، دون أن يصرّح بأصل اللّغة التي جاءنا منها ، ويعرّفها بالوسادة ، ثمّ يذكر من أمثال العامّة عندهم " خُذُونِي تَحْتَ رَأْسِكُم مِخَدَّة " ... (8) ، ويرى آدي شير أنّ أصل اللفظ فارسي ، وهي معرّبة من (مخت) .. (9) ، ثمّ انتقل اللفظ إلى بعض اللّغات الأوروبية

---

1) أساس البلاغة للزمخشري ... ص 154
2) صحاح الجوهري .. 2/468
3) المعجم الوسيط .. 1/220
4) محيط المحيط .. 1/508
5) أقرب الموارد .. 1/259
6) مقاييس اللغة .. 2/149
7) أدب الكاتب .. ص 391
8) شفاء الغليل .. ص 222
9) الألفاظ الفارسية المعرّبة ... ص 143

فكان في الإسبانيّة (Almohada) .. (1) ،، وفي البرتقاليّة (Almofada) .. (2) والمخدّة لفظ خاصّ ، يشمله لفظ عام هو الوِسَادة ..

وأمّا الوِسَادَة فلفظ يذكّر ويؤنّث ، يقال : وِسَادة ووِسَاد . ولها صيغ أخرى .. قال ابن ال هي " وِسَادة ، وإِسَادَة ، ووِسَاد ، وإِسَاد " .. (3) ،،

والوِسَادَة هو اللفظ المستعمل ـ غالبا ـ عند عموم الحديث، دون تمييز شكل ، ولا استعمال . فمن الوسائد ما يستند إليه، أو ما يجلس عليه. يقال : إنّ الإمام علي ـ كرّم الله وجهه ـ كان جالسا ، فدخل عليه رجلان ، فلمّا أراد تكريمهما رمى لهما بوسادتين ، فقعد أحدهما على الوسادة ولم يقعد الآخر ، فقال علي : اُقْعُدْ عَلَى الوِسَادَةِ ، لَا يَأْبَى الكَرَامَةَ إِلَّا حِمَارٌ ، فقعد الرجلُ على الوسادة .. (4)

ويكنى بالوسادة على النّوم .. قال أعرابي : ـ (رمل)

يَا لَيْتَنِي كُحِلَتْ بِالسُّهَادِ * وَلَجْنَبِي نَابِيًا عَنْ وِسَادِي .. (5)

" وعن عبد الله بن عمرو أنّ رسول الله (صلعم) ذُكِرَ لَهُ صَوْمِي ، فَدَخَلَ عَلَيَّ ، فَأَلْقَيْتُ لَهُ وِسَادَةً مِن أَدَم حشوُها لِيفٌ ، فجلس على الأرض، وصارت الوسادة بيني وبينه " .. (6)

وعن عائشة (ض) قالت : كان وساده (صلعم) التي يتّكئ عليها من أدم حَشْوُهَا لِيفٌ " .. (7)

فيكون من الحديث استنتاج أنّ الوسادة في عهد رسول الله (صلعم) قد تصنع من أدم ، وهو جلد أحمر مدبوغ ، ثمّ تحشى ليفا ، وهو شيء كالورق يؤخذ من النّخل ، قال : " اللّيف للنخل الواحدة ليفة " .. (8)

وتندرج تحت اللفظ العام للوسادة ألفاظ خاصّة منها : ـ

ـ المِخَدَّة : التي توضع تحت الخدّ .. (9) ،، وهي موضوع دراستنا .

ثمّ تليها مجموعة من أشكال الوسادة ، اختلفت أسماؤها تبعًا لوضعها .. قال الثعالبي : ـ

ـ المِصْدَغَة : والمخدّة للرأس ؛

ـ المِنْبَذَة : التي تنبذ ، أي تطرح للزّائر ، وغيره .

ـ النُّمْرُقَة : واحدة النَّمَارِق .

---

1) غرائب اللغة العربية .. ص 146

2) م . س .. ص 148

3) المخصّص لابن سيده .. 4 / 74

4) مجمع الأمثال .. 2 / 225

5) أمالي أبي علي القالي .. 1 / 31

6) صحيح مسلم .. 8 / 47

7) م . س .. 14 / 58

8) صحاح الجوهري .. 4 / 1429

9) انظر التعريف في مقدّمة الحديث .

- المِسْنَد : الوِسَادة ، التي يستند اليها .
- المِسْوَرَة : التي يتكأ عليها .
- الخُشْبَانَة : ماصغر منها .
- الوِسَادة : تجمعها كلّها .. (1)

وأضاف ابن سيده : أنّ النّمارق وسائد و الخُشْبَانَة : الوسادة الصّغيرة يجلس عليها . وعن ابن السّكّيت : وهي النّمرقة ، والنّمرقة المحسبة من أدم .. (2)

وجاء ذكر النمرقة في القرآن الكريم مجموعا ، قال تعالى : " ونَمَارِقُ مَصْفُوفَة " . (3)

وجاء ذكر النمرقة فيما أُثِرعن النبي (صلعم) . فعن عائشة (رض) أنّها اشترت نُمْرُقة فيها تصاوير فلمّا رآها رسول الله (صلعم) قام على الباب ، فلم يدخله ، فقال النووي في شرحها : هي بضمّ النون والراء ، ويقال بكسرهما ، ويقال بضمّ النون وفتح الراء ، ثلاث لغات ، ويقال (نمرق) بلا هاء ، وهي وسادة صغيرة وقيل هي مِرْفَقة " . (4)

واعتبر مجمع اللغة العربية المصري النمرقة من ألفاظ الحضارة الحديثة ، وعرّفها بقوله : " وِسَادَة صغيرة تتّخذ للجلوس أو الاتّكاء " .. (5)

ويشترك مع اللفظ في صيغته معنى آخر هو :—
- المِخَدَّة : حديدة تخدّ بها الأرض ، أي تشقّ . (6)

وليس لفظ المخدّة من ألفاظ القرآن الكريم ، ولم أصادفه كثيرا فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) . كذلك لم أجده فيما قرأت من أشعار عربية جاهليّة وإسلامية ، ممّا يدلّ على ندرة استعماله .

ولفظ " المخدّة " شائع معروف في عامية الجزائر الحالية ، في صيغته ومعناه ، ولم يطرأ عليه تغيير ، وتصنع عندنا من قماش يخاط ويزيّن وجهه بطرز جميل ، ولا نكاد نعرف أسماء أخرى من أسماء الوسادة الخاصّة ، كما نعرف المخدّة . وعند بعض العامّة عندنا كلّ وسادة مَخَدّةٌ .

والمخدّة من ألفاظ الحضارة القديمة ، الذي لا يزال يحتفظ بدلالته الاجتماعية ، وصالحا للحضارة الحديثة ، كما يرى مجمع اللغة العربية المصري ، إذ يقول : " المِخَدَّة : الوِسَادة (Oreiller) ما يوضع تحت الرّأس عند النّوم " .. (7)

---

1) فقه اللغة للثعالبي .. ص 159
2) المخصّص لابن سيده .. 74/4
3) الغاشية ، الآية : 15
4) صحيح مسلم .. 90/14
5) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. ص 31
6) صحاح الجوهري .. 468/2 و " لسان العرب " .. 160/3
7) معجم ألفاظ الحضارة .. ص 27

مِرْفَقَـــة

ورد اللفظ في "البخلاء" مرّتين ، في تعبير حقيقي ، يتحدّث عن المرفقة ، وضرورتها ، وسبيل تعويضها إن فقدت لدى الحاجة إلى النّوم .

وجـاء في تعريفـها : ــ

* " المِرْفقة : (بالكسر) المِخَدّة .. وتمرفق إذا أخذ مرفقة " .. (1)
* " المِرْفَق : والمِرْفَقَة (بالكسر) المتّكأ والمخدّة " .. (2)
* " المِرْفَقة : المِخَـدّة " .. (3)
* " المِرْفَقة : ما يرتفق عليه ، من متّكإ أو مخدّة " .. (4)

ونلاحظ أنّ هذه التعاريف ناقصة ، إذ لم تحدّد شكلها ، ولا حجمها ، ولا كيفيّة صنعها .. اعتمادا على كونها معروفة من العامّ والخاصّ .. وشرح المرفقة بالمخدّة شرح فيه تجاوز لأنه محا الفرق بينهما ، ذلك الذي ندركه جيّدا عند التّمعّن في اشتقاق كلّ لفظ منهما .. وقد عرفنا أنّ المخدّة مشتقّ من لفظ (الخدّ) الذي هو " ما جاور موءخّر العين إلى منتهى الشّدق ، أو اللـذان يكتنفان الأنف عن يمين وشمال ، أو من لدن المحجر إلى اللّحى " .. (5) ، والمخدّة توضع تحـت الخـدّ . أمّا المرفقة فاشتقاقها من شيء آخر غير هذا ، ولها وضع آخر بعيد عن وضع المخدّة .. (6)

وتصنع المرفقة ممّا تصنع منه المخدّة غالبا ، ولكنّا نعتقد أنّ المخدّة تكون من مادّة ألطف لأنّها تلي الوجـه .

وتدرج المعاجم لفظ (المرفقة) في مادّة " ر ف ق " . يقول ابن فارس: " ر ف ق أصل واحد يـدلّ على موافقة ومقاربة " .. (7) ، ولم يذكر لفظ (المِرْفَقة) .. وممّا جاء من هذه المادّة ، يقال : " أرْفَقْتُه أي نَفَعْتُه " .. (8) و " وفيه رفق ، وهو لين الجانب ولطافة الفعل " .. (9)

ولم تتّضح لي العلاقة بين لفظ (المرفقة) وهذه المادّة ومعانيها المختلفة ، والظّاهر أنّ المرفقة مشتقّة من المِرْفَق الذي هو " موصل الذراع في العضد " .. (10) ، واشتقوا منها فعلا فقالوا : " توكّأ على المرفقة ، وارتفق عليها " .. (11) ، أو " تَمَرْفَقَ أي أخَذَ مِرْفَقَةً " .. (12)

1) صحاح الجوهري .. 1482/4
2) لسان العرب .. 118/10
3) القاموس المحيط .. 236/3
4) المعجم الوسيط .. 362/1
5) القاموس المحيط .. 290/1
6) انظر الشرح في معرض الحديث عن الاشتقاق فيما سيأتي .
7) مقاييس اللغـة .. 418/2
8) صحاح الجوهري .. 1482/4
9) أساس البلاغـة .. ص 243
10) صحاح الجوهري .. 1482/4
11) المعجم الوسيط .. 362/1
12) محيط المحيط .. 801/1

والاتّكاء على المرفق أو الارتفاق بصاحبه حالة نفسية مرضيّة، ومن هذا المقصد جاء قول الشّاعر أميّة بن أبي الصّلت يمدح سيف الدّولة بن ذي يزن : ـ (بسيط)

فَاشْرَبْ هَنِيئًا عَلَيْكَ التَّاجُ مُرْتَفِقًا * فِي رَأْسِ غِمْدَانَ دَارًا مِنْكَ مِحْلَالًا .. (1)

ومن هنا يمكن الاستنتاج أنّ اللفظ عربيّ أصيل ، ولم أصادف من الآراء ما خالف هذا الحكم . وهو لفظ مشتقّ من الملاحظة الحسّية لطريقة الاستعمال .

والمرفقة شكل من أشكال الوسادة إلّا أنها تخصّصت في استعمالها تحت المرفق، كما فصل بأخواتها حين تخصّصت كلّ واحدة منها في وضع معيّن ، فسميت به .. فهذه مِخَدّة، وهذه مصدغة ، من الصّدغ ، وهلمّ جرّا .

والمِخَدّة لفظ خاصّ يشمله اللفظ العام (الوِسَادَة) . وليس له مرادف حقيقي ، ولكن أقرب القريب إليه هو " التُّكَأَة : ما يتوكّأ عليه " .. (2) ،، أمّا المُتَّكَأ في قوله تعالى : " وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً " .. (3) فقد قال الأخفش هو في معنى مجلس .. (4) ،، وعند ابن منظور " المتّكأ " قد تعني المرفقة أو المخدّة .. (5)

وفي " ألفاظ الحضارة الحديثة " يعني " مقعدا فسيحا ذي سندين وظهر " ترجمة للّفظ الأوروبي (Fauteuil). (6)

ولفظ المرفقة ليس من ألفاظ القرآن الكريم، ولا شاهدته فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة، في كتاب (صحيح مسلم) .

أمّا في الأشعار العربية، الجاهلية والإسلامية فلم أجد اللفظ بصيغته، وكان بمعناه، كما سبقت الإشارة في بيت أميّة بن أبي الصّلت .

ولا نعرف لفظ (المِرْفَقَة) في عامية الجزائر الحالية، ولكنّنا نستعمل لفظ " المَسْنَد " مكانه، وهو لفظ عربي أصيل من السَّنَد، يقال " فلان سَنَد أي معتمد " .. (7) ،، فيكون المسند للاعتماد عليه، والاستناد إليه، والمرفقة من ألفاظ الحضارة القديمة التي لا زالت صالحة للاستعمال في الحضارة الحديثة . ولكن مجمع اللغة العربية المصري لم يدع إلى إحيائه، واعتباره من ألفاظ الحضارة الحديثة .. (8)

---

1) الشعر والشعراء لابن قتيبة .. 462/1

2) صحاح الجوهري .. 82/1

3) يوسف ، الآية : 31

4) صحاح الجوهري .. 62/1

5) لسان العرب .. 118/10

6) معجم ألفاظ الحضارة .. ص 27

7) صحاح الجوهري .. 489/2

8) معجم ألفاظ الحضارة .. 7 ط / 1980م.

الباب : الأول .

الفصل : الثاني .

المجموعة : الرابعة .

الألفاظ : ____

مصباح . سراج . قنديل .

مصباح

ورد اللفظ في " البخلاء " عشرة مرّات في تعابير مختلفة، كلّها حقيقيّة، تتحدّث عن كيفيّات مختلفة للاتفاق بالمصباح، وطرق الاستفادة منه، وإصلاحه عند الضّرورة .

ويستعمل لفظ " المصباح " مجازيا للدّلالة على الشّهرة والتّفوّق .. قال البوصيري يمدح الرسول الكريم (صلعم) : ـ

أَنْتَ مِصْبَاحُ كُلِّ فَضْلٍ فَمَا تَصْدُرُ إِلَّا عَنْ ضَوْئِكَ الأَضْوَاءُ .

وقالوا في تعريفه : ـ

* " المِصْبَاح : السّراج بالمِسْرَجة، والمِصْبَاح نفس السراج، وهو القُرط الذي تراه في القِنْدِيل " .. (1)
* " المِصْبَاح : السِّراج " .. (2)
* " المِصْبَاح : السِراج " .. (3)
* " المِصْبَاح : السِراج " .. (4)
* " المِصباح : السِراج . و(ج) مَصَابِيح " .. (5)

ونلاحظ اتّفاق هذه المعاجم في تعريف المصباح، وهو تعريف لا أراه شافيا، لأنّه لم يعط .. صورة كاملة محدّدة، لهذه الأداة، وهي تعتبر المصباح مرادفا للسّراج لذا فسّرته به، ولكنّي أرى بين اللّفظين فروقا دقيقة تمنع اعتبارهما شيئا واحدا، وعليه فلا يجوز تفسير الأوّل بالثاني إلّا على سبيل التمرير . وسنحاول إظهار مميّزات كلّ لفظ على حدة في مكانه المناسب، وأحسن تعريف رأيته هو القائل : " المِصْبَاح سِرَاج ضَخْمٌ ثَاقِب " .. (6)، لأنّه فرّق بين السّراج والمصباح، ولم يجعلهما شيئا واحدا .

يتكوّن المصباح في زمن الجاحظ، وإلى حدّ قريب، من مجموعة أجزاء تنضمّ إلى بعضها بعض في تناسق وترتيب .. وأهمّ أجزائه هي : ـ

1) وعاء يوضع فيه الوقود المناسب، كالزيت أو النّفط وغيرهما .

2) فتيل ويصنع غالبا من مادّة ليّنة كالصوف أو القطن، في شكل جديل يمكن للوقود أن ينتقل فيه .

3) غطاء علوي يمرّ خلاله الفتيل .

---

1) تهذيب الازهري .. 4 / 266
2) صحاح الجوهري .. 1 / 380
3) لسان العرب .. 2 / 503
4) القاموس المحيط .. 1 / 233
5) المعجم الوسيط .. 1 / 505
6) محيط المحيط .. 2 / 1155

4) شُعَيْلة تمسك في الفتيل وتضيء .

وقد اختلفوا في تسمية كلّ جزء ممّا ذكرت أعلاه، فكان بينها تعسّف ، من ذلك أنهم قالوا : " المصباح الفتيلة المشتعلة " .. (1) ،، وقالوا : " المِسْرَجة التي فيها الفتيل " .. (2) ،، وقالوا : " الصّباح السراج بعينه " .. (3) ،، وقالوا : " المَسْرَجة التي تجعل فيها المِسْرجة " .. (4)

والهدف من جمع هذه الأشياء إلى بعضها هو الإنارة، والإضاءة المصابيح في البيوت عادة مستحدثة عند العرب، ولعلّ المصابيح قد انتشرت متأخّرة .. فقد ورد عن عائشة (ض) أنها قالت : " كُنتُ أنَام بين يدي رسولِ اللهِ (صلعم) ورِجْلاي في قبلته، فإذا سَجَدَ غَمَزَني ، فقبضتُ رجليّ وإذا قام بسطتّها ، قالت : والبيوت يومئذ ليس فيها مَصَابيح " .. (5)

ومن الجملة الأخيرة من الحديث نقدّم البرهان على قولنا بتأخّر استعمال المصابيح في بيوت العرب الأوّلين .. وليس معناه أنّ العرب لم يكونوا يعرفون شيئا عن أشكال المصابيح ، وإنّما نقصد انتشارها الانتشار الواسع .. أمّا معرفتهم بالمصباح فثابتة بالنّص ، فقد ورد اللفظ في الشعر الجاهلي ، ممّا يدلّ على معرفتهم به .. كما سنرى بإذن الله فيما سيأتي .

وتدرج المعاجم لفظ (المصباح) في مادّة " ص ب ح " . يقول ابن فارس : " ص ب ح أصل واحد مطّرد ، وهو لون من الألوان ، قالوا أصله الحُمْرة .. وسمي الصّبح لحمرته كما سمي المِصْباح مصباحا لحمرته .. قالوا ولذلك يقال : وجهٌ صَبِيحٌ " .. (6) ،، وفي الصّحاح : " الصّباحة الجمال .. والأصبح قريب من الأصهب " .. (7)

ولم أجد في المعاجم (أصبح) بمعنى (أضاء) ، فلا يقال : أصبحتُ المصباحَ ، وقد يقال : أسرجتُ المصباح .. ومن هذا المعنى يكون أصل اللفظ عربيا .. ولم أرَ في المراجع التي طالعتها تتحدّث عن الدخيل مايخالف هذا الحكم .

ومن الألفاظ الدّالة على شكل من أشكال المصباح نجد :—

ـ النّفّاطة : وهي نوع من السّرج يستضاء به .. (8)

ونلاحظ أنّ إسمه مشتقّ من النّفط الذي يوضع فيه بدل الزّيت المعتاد .. وأراه مولّدا ، فبعد أن اعتاد النّاس وضع الزيت في المصابيح ، استعاضوا عنه بالنفط، فكانت النفاطة ، وكان إسمها .

---

1) م.س والصفحة نفسها .
2) المخصّص .. 38/11 ، و" صحاح الجوهري " .. 322/1
3) م.س .. 39/11
4) م.س والصفحة نفسها .
5) صحيح مسلم .. 229/4
6) مقاييس اللّغة .. 328/3
7) صحاح الجوهري .. 380/1 وص 381
8) الإفصاح في فقه اللغة .. 585/1

ـ النِّبْرَاس : " وهو المصباح بالآرامية ، وينطق (Nebrecht) " .. (1)
ويمكن اعتبار هذا اللفظ مرادفا للمصباح إذا سكتنا على الفروق التي يمكن أن تظهر لنا عند التدقيق ، في الصنع والاستعمال .

ومن المشترك في الصّيغة مع لفظ المصباح ، قالوا : ـ

ـ المِصْباح : النّاقة التي تصبح في مبركها ، ولا ترتع حتّى يرتفع النّهار .. (2)

ـ المِصْبَاح : مصابيح النّجوم ، أعلام الكواكب ، واحدهما مصباح .. (3)

ـ المِصْباح : السّنان العريض . (4)

ـ المِصْباح : النّار المضيئة .. (5)

وأرى لفظ المصباح لفظا عامّا لكلّ ما يصطبح به أي ينار ، كيفما كان شكله أو نوعه . وتندرج تحته مجموعة الألفاظ التي تدلّ على شكل من أشكال المصباح أو هيئته .

والمصباح من ألفاظ القرآن الكريم ، وجاء ذكره في الآيات **التالية** : ـ

قال تعالى : " اللَّهُ نورُ السَّمَوَاتِ والأرْضِ مثلُ نُورِهِ كمشكَوْةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ (6) .

وقال الزمخشري : " (فِيهَا مِصْبَاحٌ) : سراج ضخم ثاقب . (في زُجَاجَة) : أراد قنديلا من زجاج شامي أزهر ، شبّهه في زهرته بأحد الدّراري ، من الكواكب ، وهي المشاهير ، كالمشتري والزهرة والمرّيخ ، وسهيل ونحوهما " .. (7)

وقال تعالى : " وَزَيَّنَّا السمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وحِفْظًا " .. (8)

وقال الزمخشري : " وكأنّه قال : وخلقنا المصابيحَ زينَةً وحفظًا " .. (9)

وقال تعالى : " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيح ، وجَعَلْنَاهَا رُجُومًا للشيَاطِينِ " .. (10)

وقال الزمخشري : " المصابيح : السّرج ، سميت بها الكواكب ، والناس يزيّنون مساجدهم ، ودورهم بأثقاب المصابيح . (بمصابيح) أي بمصابيح ، لا توازيها مصابيحكم إضاءة " .. (11)

ونلاحظ المصابيح في كلّ هذه الآيات ، وهي تدلّ على النجوم ، وأعلام الكواكب " .. (12)

---

1) غرائب اللغة العربية .. ص 207
2) تهذيب الأزهري .. 4 / 266
3) م.س والصفحة نفسها .
4) لسان العرب .. 2/503
5) هامش ديوان النابغة الذبياني ، تح / وجمع الشيخ طاهر بن عاشور . ص 124
6) النور ، الآية : 35
7) الكشاف .. 3/67
8) فصّلت ، الآية : 12
9) الكشّاف .. 3/447
10) الملك ، الآية : 5
11) الكشّاف .. 4 / 135
12) المفردات في غريب القرآن للرّاغب الاصفهاني .. ص 273

ورأيت اللفظ فيما أثير عن النبي (صلعم) في كتاب (صحيح مسلم) ، وقد سبق حديث لعائشة (ض) في أول الكلام .

ورأيت لفظ (المصباح) في الشعر العربي . قال أمرؤ القيس :ـ (طويل)

يُضيءُ سَنَاهُ أو مَصَابِيحُ رَاهِبٍ * أَمَالَ السَّلِيطَ بالذُّبَالِ المُفَتَّلِ .. (1)

وقال النابغة الذبياني ، في وصف الجيش : ـ (بسيط)

لاَ يَخْفِضُ الرِّزَّ عن أرضٍ أَلَمَّ بِهَا * وَلاَ يَضِلُّ عَلَى مِصْبَاحِهِ السَّارِي .. (2)

وقال شارح الديوان : " الرز : الصوت ، أي أصواتهم مرتفعة .. (ولا يضلّ على مصبحه الساري) كناية عن كثرة نيران هـذا الجيش وكثرتها كناية على كثرة العدد . والمراد بالمصباح جنس المصابيح ، والمصباح : النّار المضيئة " .. (3)

وفي شعر أبي نواس : ـ (طويل)

وَكَأْسٍ كَمِصْبَاحِ السَّمَاءِ شَرِبْتُهَا * عَلَى قِبلة أو موعد بلقاء .. (4)

وفي شعر إيليا أبي ماضي : ـ (طويل)

فَفِيهَا كَمَقْلُوعِ الوَرِيدَيْنِ صُفْرَةٌ * وَفِيهَا كَمِصْبَاحِ البَخِيلِ شُحُوبٌ .. (5)

ولم يعد لفظ (المصباح) مستعملا في عامية الجزائر الحالية استعمالا شائعا ، وقد حل محله لفظ معرّب عن اللغة الأوروبية ، فيقولون : " لاَمْبَة " تعريبا للفظ (Lampe) . ولعل بعض الجهات من الوطن الجزائري تستعمل اللفظ المرادف ، كالسراج وغيره .

والمصباح من ألفاظ الحضارة القديمة ، وقد تطورت دلالته تطورا كبيرا في العصر الحديث .. فأطلق على كلّ ما يشبه المصباح القديم من حيث الإنارة ، لا من حيث الشكل والمضمون ، فقد جدّت في القاموس الاجتماعي أشكال وأحجام ، لا تمتّ بصلة للمصباح القديم . ولذلك نقول : لأن لفظ (المصباح) من ألفاظ الحضارة القديمة والحديثة ، رغم أن " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة " الذي أعدّه مجمع اللغة العربية المصري قد أهمل الحديث عنه .. (6)

---

1) معلّقة امرئ القيس في شرح الزوزني للمعلّقات السبع .. ص 51
2) ديوان النابغة الذبياني .. ص 124
3) م . س والصفحة نفسها .
4) ديوانه .. ص 21
5) ديوان " الجداول " .. ص 19
6) ط/1980م .

سـراج

تكرّر اللفظ في " البخلاء " أربع مرّات، في تعابير حقيقيّة، تناولت مختلف المواضيع التي تهمّ السّراج وإصلاحه، وطرق الارتفاق به .

ويستعمل اللفظ مجازيا، ففي الأمثال : " كَذُبَالَة السِّراج تُضيءُ مَاحولها، وَتُحْرِق نفْسَها " .(1) ويضرب المثل لمن يتعب ويشقى لإسعاد غيره

وجاء في تعريفه : —

* " السِّرَاج : الزاهر الذي يزهر بالليل " .. (2)
* " السراج : معروف . " .. (3)
* " السراج : المصباح الزّاهر الذي يُسْرَج بالّليل " .. (4)
* " السراج : المصباح الزّاهر . (ج) سُرُج " .. (5)

ونلاحظ أنّ هذه التعاريف قد تشابهت في تحديدها للسّراج، فهي تراه مصباحا زاهرا، أي مضيئا، من قولهم : " زهرت النّار أي أضاءت " .. (6)، كأنّها تحدّده بالنّظر إلى حالته، وأراها قد قصّرت في تبيين طبيعة تكوينه، وطرق استعماله. ورأيت تعاريف أوضح من ذلك في أماكن أخرى، منها قولهم : " السّراج هو المصباح الزّاهر بفتيلة، ويعبّر به عن كلّ مضيء " .. (7) وقولهم : " المصباح إناء من الخزف تلقى فيه الفتيلة في الزيت، ويلهب طرفها ليستضاء به، (ج) سُرُج " .. (8)

يصنع السّراج - في رأي كثير من النّاس - مثلما يصنع المصباح .. (9)، وعند بعضهم أنّه إناء من خزف، ولكنّه قد يكون من الزجاج، كما هو معروف، ثمّ فتيلة وزيت للاستصباح، ثمّ لهب في طرف الفتيلة . وهذه هي مميّزات المصباح عموما في العصور المتأخرة، إلى أن صنع النّاس مصابيح متطوّرة. وقد تفسّر المعاجم المصباح بالسّراج .. (10)، ويكون عكس التعريف صحيحا .. وإذا تدبّرنا الأمر جيّدا تراءت لنا فروق دقيقة .

---

1) مجمع الأمثال للميدان .. 157/2
2) تهذيب الأزهري .. 582/10
3) صحاح الجوهري .. 322/1
4) لسان العرب .. 297/2
5) المعجم الوسيط .. 425/1
6) صحاح الجوهري .. 674/2
7) المفردات في غريب القرآن .. ص 229
8) محيط المحيط .. 943/1
9) انظر تكوين أجزاء المصباح فيما سبق من شرح .
10) تهذيب الأزهري .. 206/4، و" صحاح الجوهري .. 380/1 . و" لسان العرب .. 503/2 . و" القاموس المحيط .. 233/1 .

والسّراج للإضاءة ـ كما سبق الذكر ـ وأفضل السّرج ما كانت شعلته خالية من الدّخان . قال النّابغة الجعدي ـ (متقارب)

يُضيء كَضَوءِ سِرَاجِ السَّليـ ـطِ لم يجعلِ اللّهُ فيهِ نُحَاسَا . . (1)

والسليط : " الزيت عند عامّة العرب، وعند أهل اليمن دهن السّمسم " . . (2)

والنّحاس : دخان لا لهب فيه " . . (3)

وقد يسمّى السراج بالمِسْرجة، من باب تسمية الشيء بجزء منه ، أو دلالة الجزء على الكلّ .

والمِسرجة (بكسر الميم) وردت في البخلاء إحدى عشرة مرّة ، في تعابير مختلفة تتحدّث عن المسرجة ويقصد بها السّراج كلّه . . والمِسْرَجة من السّراج ، وهي "التي توضع فيها الفتيلة" . . (4)

ونراها مكسورة الميم في قول الأزهري ، أمّا " الجوهري " فقد أشكلها بفتح الميم . . (5) ، وهي بفتح الميم عند الأزهري ، ولكنّها تدلّ على " التي توضع عليها المِسرجة " . . (6) ، وأرى بين الرّجلين اختلافا جوهريا ، لا أعزيه لأيّ منهما ، ولكنّي اتّهم النّسّاخ بالتصحيف .

وفي " اللسان " المَسْرَجة (بفتح الميم) " هي القائمة التي يوضع عليها السّراج " . . (7) ، أو المِصباح .

وجاء في البخلاء : " إنّك متى وضعتَ مسرجةً فيها مصباحٌ ، وأخرى لا مصباحَ فيهَا ، لم تلبث إلا ليلة أو ليلتين حتّى ترى السّفلى ملأنة دهنا " . . (8)

ولمّا كان السّراج هو المصباح (عند الكثير) ، كانت المِسْرجة هي المِصْبح . . (9) ، وكانت تصنع في عصر الجاحظ ـ من الحجارة ، كما تصنع من الخزف . . قال : " عَاتَبْتَكَ في مَسَارِجِ الحِجَارة فَاعْتَبْتَني بِالخَـزَف " . . (10)

وأرى أفضَلَ مادّة لصنع المسرجة هي الزّجاج ، لأنّه شفّاف أملس لا يرشح ولا ينشف .

والمِسرجة لفظ مشتقّ مباشرة من السّراج ، لا من مادّة (س ر ج) كما يتبادر إلى الذّهن ، واللفظ صحيح الاشتقاق ، عربي صحيح المعنى والمبنى ، فهو مِسْرَجة على وزن مِفْعَلة إسم من أسماء الآلة . .

---

1) الشعر والشعراء . . 296/1 ، و " لسان العرب . . 112/8 ، و " الكامل للمبرد : 324 و " خزانة الادب لعبد القادر البغدادي ، 93/2 ، و "صحاح الجوهري . . 1134/3 .
2) صحاح الجوهري 1134/3 . /
3) م . س 981/3 . .
4) تهذيب الأزهري 582/10 . .
5) صحاح الجوهري 322/1 . .
6) تهذيب الأزهري 582/10 . .
7) لسان العرب 279/2 . .
8) البخـــلاء . . ص 20
9) لسان العـرب 503/2 . .
10) البخـــلاء . . ص 20

وتدرج المعاجم لفظ (السّراج) في مادّة " سرج " . يقول ابن فارس: " سرج : أصل صحيح يدلّ على الحسن والزّين والجمال ، من ذلك السّراج ، سمي بذلك لضيائه وحسنه " .. (1)

ومن هذا القول يمكن اعتبار لفظ (السراج) من أصل عربي أصيل . ولكن من ثمّة اللغة من يرى عكس ذلك ، فهذا صاحب " غرائب اللغة العربية " يعتقد بأنّ اللفظ آرامي الأصل ، وهو في أصله ينطق (Charg) من الأصل (Chrogo) أي أضاء .. (2)

ويرى آدي شير أنّ أصل اللفظ فارسيّ معرّب من (چراغ) ، ومنه التركي (چراغ) ، والكردي .. (چرا) ، وهو مأخوذ من الآرامية ، مشتقّ من الضّوء " .. (3)

وقد اتّفق الرجلان في أصل اللفظ ومعناه ، مع اختلاف بسيط في طريقة الشرح . فإن صدق قولهما يكون اللفظ قد مرّ أثناء تعريبه بمرحل معقّدة حتّى أصبح سهلا سلسا في اللغة العربية ، يتماشى مع البساطة والفصاحة العربية .

وتعدّدت دلالة اللفظ ، وتغيّرت عن طريق المجاز ، فاشتركت مع (السراج) في الصّيغة مجموعة من الألفاظ ، واختلفت معه في الدّلالة .. من ذلك ما جاء في " لسان العرب " قال :ـ

ـ " السِّراج : الشمس ، والهُدى سِراج المؤمنين على التشبيه " .. (4)

وفي " التهذيب " : " والشمس سراج النهار ، والهدى سراج المتّقين " .. (5)

وفي غيرهما : " وسراج الليل دابّة تجول في الليل ، وفي ذنبها مادّة ينبعث منها نور ، ويقال لها الحُباحِب " .. (6)

ويرى بعضهم أنّ النّبراس هو السراج .. (7) ، فيكون اللفظان عندهم مترادفين ، والنبراس لفظ من أصل آرامي ، ويكتب (Nebrechte) .. (8) ، وعند الجوهري : النِّبْراس هو المِصْباح .. (9) ، فيكون النبراس هو السراج ، وهو المصباح ، فالثلاثة إذا على دلالة واحدة ، فكأنّهنّ مترادفات .. وقال إيليا أبو ماضي :ـ (وافر)

خَبتْ نِبْراسُنا والليلُ داجٍ ＊ وَمَوّجُ الحادِثاتِ لَهُ التِطامُ .. (10)

وأرى لفظ (السراج) خاصّاً يشمله اللفظ العامّ (المِصْباح) .. وإنّ من المعاجم ما لم يُفرّق بين المصباح والسراج ، ويجعلهما مترادفين ، فيفسّر أحدهما بالآخر دون حرج .

---

1) مقاييس اللغة .. 156/3
2) ص 186
3) الألفاظ الفارسية المعرّبة .. ص 92
4) لسان العرب .. 298/2
5) تهذيب الأزهري .. 582/10
6) أقرب الموارد .. 508/1
7) تهذيب الأزهري .. 155/13
8) غرائب اللغة العربية .. ص 207
9) صحاح الجوهري .. 981/3 و " المخصّص لابن سيدة " .. 38/11
10) ديوان الخمائل .. ص 161

والمصباح هو اللفظ العربي الأصيل ، أمّا "السراج" فمغموز في نسبه، لذا فأنا أفضّل لفظ "المصباح" على سواه، وأعتبره هو الأصل ، و"السّراج هو الفرع، وإن كان فصيحا ، ،

وقد نطق به القرآن في الآيات الكريمة التّالية : — قال سبحانه وتعالى :

— " تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بروجا ، وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا " . . (1)

وقال الزمخشري : " والسراج : الشمس ، كقوله تعالى : " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " . . وقرئ " سُرُجا " وهي الشمس والكواكب الكبار معها " . . (2)

— وقال تعالى : " وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا " . . . (3)

وقال الزمخشري : " جلّى به ظلمات الشرك ، واهتدى به الضّالّون ، كما يجلى ظلام اللّيل بالسراج المنير ، ويهتدى به " . . (4)

وقال ابن منظور : " إنّما يريد مثل السراج الذي يستضاء به ، أو مثل الشمس في النّور والظّهور " (5)

وقال تعالى : —

— " وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا " . . (6)

وقال الزمخشري : " يبصر أهلُ الدّنيا في ضَوْئِهَا ، كما يبصر أهلُ البيتِ في ضوءِ السّراجِ ما يحتاجون إلى إبصاره " . . (7)

ووجدتّ اللّفظ فيما أثر عنه (صلعم) من أحاديث شريفة قرأتها في كتاب (صحيح مسلم) . . :

فعن جابر عن رسول الله (صلعم) أنّه قال : " غطّوا الإناءَ ، وأوكوا السّقاءَ ، وأغلقوا البابَ ، ، وأطفئوا السراجَ ، فإنّ الشيطانَ لا يحلّ سقاءً ، ولا يفتحُ بابًا ، ولا يكشفُ إناءً " . . (8)

ووجدتّ لفظ " السراج " في الشعر العربي ، في جميع أعصره . . من ذلك قول الشاعر النابغة الذبياني : — (بسيط)

وَتَخَالُهَا فِي الْبَيْتِ إِذْ فَاجَأْتَهَا * قَدْ كَانَ مَحْجُوبًا سِرَاجَ الموقِدِ . . (9)

وفي شعر أبي نواس : — (بسيط)

كَأَنَّ كَاسَاتِهَا وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرٌ * سُرْجٌ تَوَقَّدُ فِي مِحْرَابِ شَمَّاسِ . . (10)

---

1) الفرقان ، الآية : 61
2) الكشّاف . . 93/3
3) الأحزاب، الآية : 46
4) الكشّاف . . 266/3
5) لسان العرب . . 298/2
6) نوح ، الآية : 16
7) الكشّاف . . 163/4
8) صحيح مسلم . . 184/13
9) ديوانه . . ص 95
10) ديوانه . . ص 367

وقال إيليا أبو ماضـــــي : ـ (كامل)

وإذا سِراجي قدْ وَهَنَتْ وَتَلجلجَتْ * أنفاسُه لكأنّه المَنْذُور .. (1)

ولا يكاد اللفظ يعرف في عامّية الجزائر الحالية، لأنّه قد أهمل استعماله منذ أمـــد بعيد، فنُسِيَ، لتخلّي الناس عن استعمال هذه الأنواع من السُّرُج .

وأعتقد أنّه لا يزال معروفا في عاميّات العالم العربي، وإن غطّت الوسائل الحضارية الحديثة من آلتـه ولفظـه .

ويعتبـر السراج من ألفاظ الحضارة القديمة، وقد تجاوزت الحضارة الحديثة استعمال آلتـه، وأقترح إحياؤه، وإطلاقه على أنواع من المصابيح الحديثة تماشيا مع إمكانية تطوّر الدّلالة من حال إلى حـال .. كأن يطلق اللفظ على مصابيح السيارة ..

ولم أجده في " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. " الذي أصدره مجمع اللغة العربية المصري في طبعته 1980م .

1) ديوان الجداول .. ص 183

قنديل

تكرّر اللفظ في "البخلاء" أربع مرّات، في تعابير حقيقيّة، تتحدّث عن اتّخاذ القنديل، وبيان فضله، وطرق إصلاحه .

يستعمل اللفظ مجازيا استعمالا قليلا بالمقارنة إلى المصباح، والسراج .. وممّا جاء فيه من المجاز كناية عن الرّشوة، إذ يقولون : "صبّ في القِنْديلِ زيتًا"، وربّما قالوا "القَنْدَلَة" ..(1)

وجاء في تعريفه :-

* " القِنْدِيل : معروف، وهو فِعْلِيل " ..(2)
* " القِنْدِيل : مصباح كالكوكب في وسطه فتيل، يملأ بالماء والزيت، ويشعل، .. (ج) قَنَادِيل " ..(3)

ولم أستطع العثور في المعاجم القديمة التي اعتمدتّ عليها على شرح شاف للّفظ، فالتّعريف قد تطابقت، واتّفقت على قولها "القِنْدِيل مَعْرُوف" ..(4)، وقصّرت المعاجم المتقدّمة والمتأخرة على إظهار هيئته، وتوضيح طريقة صنعه والاستفادة منه .. فإذا عرّفته المعاجم قالت : "هو معروف" أو "هو مصباح" ..(5)

وتتمّ صناعة القناديل بالصورة ذاتها التي تصنع منها بقيّة المصابيح، وباستخدام المادّة نفسها، وتركيب أجزائها .. ولكن القنديل يتميّز بصناعته من مادّة الزّجاج ..(6)، ويستعمل للاستصباح، وإنارة البيوت وغيرها ..

" ولأنّ الفتيلة إنّما تكون في وسطه، فلا تحمى جوانبه بوهج المصباح، كما تحمى بموضع النار من المسرجة، وإذا وقع شعاع النار على جوهر الزجاج صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا" ..(7)

وتدرج المعاجم لفظ "القنديل" في مادّة (قندل)، وهي مادّة قليلة التفريع، لم أجدها في "مقاييس اللغة". ومن معانيها "القندل العظيم الرأس من الانسان والدّوابّ" ..(8)، ولا أرى أيّة علاقة بين هذا المتفتّق، ودلالة لفظ "القنديل" في القاموس الاجتماعي . لذا زعم بعض أئمّة اللّغة العربية أنّ "القنديل" معرّب عن اللاتينيّة، فهو فيها (Candela)" معناه شمعة

---

1) شفاء الغليل للخفّاجي .. ص 181
2) صحاح الجوهري .. 1805/5
3) المعجم الوسيط .. 762/2
4) صحاح الجوهري .. (أعلاه)، و"لسان العرب" 570/11، و"القاموس المحيط" 41/4
5) أقرب الموارد .. 1043/2 ، و "محيط المحيط" .. 2/ 1764
6) الإفصاح في فقه اللغة لعبد الفتّاح الصعيدي .. 585/1
7) البخلاء للجاحظ .. ص 21
8) تهذيب الأزهري .. 412/9

يستضاء بها ، مرادفه مصباح ، وسراج " .. (1) ،، ووافقه في هذا الرأي صاحب غرائب اللغة العربية " .. (2)

وقالوا : " الصَّمَج القناديل ، واحدها صَمَجة " .. (3) ،، رومي معرّب .. قال الشماخ : (رجز)

يَمْشِي إِذَا نَامَ بَنُو الزَّيَّاتِ * والنَّجْمُ مِثْل الصَّمَجِ الرُّومِيَّاتِ " .. (4)

وقال صاحب العين : المَشَاعِل : القناديل " .. (5)

وهناك " الفَانُوس " الذي هو قنديل المركب " .. (6)

وأعتقد بأن لفظ " القنديل " لفظ خاص ، يشمله اللفظ العام (المِصْبَاح) .. وقد تخصص اللفظ بالمصابيح المصنوعة من الزجاج .

ولهس القنديل من ألفاظ القرآن الكريم .. وقد أُثِر عن الرسول الكريم (صلعم) أن أرواح الشهداء " في جوف طير خُضْرٍ لها قناديل معلّقة العرش ، تَسْرَحُ في الجَنَّةِ ، حيث شاءت ، ثم تأوي إلى تلك القناديل " .. (7)

ولم أعثر على اللفظ في الأشعار العربية الجاهلية ، ممّا يدل على قلّة استعماله في الشعر .. واستعاضوا عنه بما يحقّق المعنى ، كلفظ السّراج أو المصباح ، وبدا لي عند أبي نواس ، حيث يقول :- (سريع)

كَأَنَّمَا الكَأْسُ إِذَا صُفِّقَتْ * قَنَدِيلُ قَسٍّ وسط مِحْرَابِهِ .. (8)

ونلاحظ أن الشاعر هنا قد جعل النّبراس من حاجات القسّ المتعبّد .

ويعرف لفظ " القنديل " في عامية الجزائر الحالية ، ولكنّه قليل الشيوع ، ويكاد يكون مهملا هذا الزمن ، لأن ظروف استعماله ، والحاجة إليه قد ولّت ، واستعاض النّاس عنه بالمصابيح الحديثة ، فلهجد سهل المنال ، ومن احتفظ به جعله في البيوت تحفة وذكرى .

وهو من ألفاظ الحضارة القديمة ، ويمكن بعث اللفظ وإطلاقه على بعض أنواع المصابيح المصرية ، ولم يعدّه " مجمع اللغة العربية المصري " من ألفاظ الحضارة الحديثة ، فيدوّنه في معجمه الذي أعدّه لذلك .. (9)

---

1) تفسير الألفاظ الدخيلة .. ص 59
2) ص .. 279
3) المخصّص .. 39/11 ، و " القاموس المحيط " : 197/1
4) صحاح الجوهري .. 325/1
5) المخصّص .. 39/11
6) المزهر للسّيوطي .. 124/2
7) صحيح مسلم .. 33/13
8) ديوانه .. ص 50
9) [illegible]

الباب : الأول .

الفصل : الثاني .

المجموعة : الخامسة .

الألفاظ : —

أسرة . مسألة .

إبــــرة

ورد اللفظ في "البخلاء" مرّة واحدة، في تعبير حقيقي، ينصح صاحبه أحد أصدقائه بإصلاح فتيلة المصباح باستعمال إبرة أو مِسَلّة، بدل استعمال العود، لأنه يشرب الزيت، وينقص منه أو يؤثر في الفتيلة فيرفعها أكثر ممّا يجب أن ترفع .. قال: "اربطْ -عافاكَ اللهُ- بدلَ العودِ إبرةً أو مِسَلّةً صغيرةً" .. (1)

ويستعمل اللفظ مجازيا، جاء في الأمثال: "أضيَقُ مِنْ خُرْتِ الإبرةِ، ومن سُمِّ الخِياطِ" .. (2) وقالوا: "أنفَذُ من إبْرَة" .. (3)، ويراد به القدرة على سرعة التدبير .. قال القطامي: (وافر)

وَقَوْلُ المَرْءِ يَنفُذُ بعدَ حينٍ * أماكِنَ لا تُجاوِزُها الإبارُ .. (4)

يعبّر الشاعر عن حسن الفصاحة، ونفاذ القول في مجرى الأمور.

وجاء في تعريفها:—

* "ويقال للمخيط إبْرَةٌ، وجمعها إبَر" .. (5)
* "الإبْرَةُ واحدة الإبَر" .. (6)
* "الإبْرَة: مِسَلّة الحديد، والجمع إبَر، وإبَار" .. (7)
* "الإبْرة: مسلّة الحديد، والجمع إبَر، وإبَار" .. (8)
* "الإبْرَة: أداة أحد طرفيها محدّد، والآخر مثقوب يخاط بها" .. (9)

ونلاحظ أن المعاجم القديمة كان تعريفها ناقصا بالمقارنة إلى ماجاء بعدها من معاجم في العصور الحديثة، وأحسن تعريف ما قاله "المعجم الوسيط" ويأتي بعده في الوضوح قولهم:—

"الإبْرَة آلةٌ للخياطةِ والتطريزِ ذات سمّ ورأس مدبّب، و(ج) إبَر، وإبَار" .. (10)

وتصنع الإبرة من مادة صلبة، و"يميز المتأمل في الإبرة ثلاثة أجزاء: رأسها، وجسمها، وطرفها المدبّب. فالإبرة الجيدة تكون تامة الاستدارة، طويلة الرأس، وأقوى في جهتها العليا ممّا هي في جهتها السّفلى، وأن تكون عينها في وسط رأسها تماما" .. (11)

1) البخلاء للجاحظ .. ص 19
2) و (3) مجمع الأمثال .. 427/1
4) لسان العرب .. 3/4
5) تهذيب الأزهري .. 262/15
6) صحاح الجوهري .. 574/2
7) لسان العرب .. 3/4
8) القاموس المحيط .. 361/1
9) المعجم الوسيط .. 2/1
10) محيط المحيط .. 4/1
11) دائرة معارف القرن العشرين، لأحمد فريد وجدي .. 9/1

ويظهر أنها تصنع منذ القدم من مادة الحديد، لقولهم : " مسلّة الحديد " .. (1) وذكرت المعاجم استخدامها للخياطة والتطريز .. وقد تطوّر استعمال الإبرة بعد أن أخذت أشكالا ومهمّات أخرى غير التي عرفها أسلافنا .

وتدرج المعاجم لفظ " الإبرة " في مادّة (أ ب ر) . يقول إبن فارس : " أ ب ر : يدلّ بناؤها على نخس الشيء بشيء محدّد . قال الخليل : " الإبْرَةُ مَعْرُوفَة " .. (2) ، ومن معاني المادّة فيها النّخس والإصلاح ، يقال : أَبَرَ الشيءَ : أَصْلَحَه .. (3) " وأبر فلان نَخْلَه أي لَقَّحه وأَصْلَحَه " .. (4) و " أَبَرَ إذا آذى ، وأَبَر إذا اغْتَاب " .. (5)

ومن هذه المعاني التي ذكرنا يمكن استنتاج أصل اللفظ ، فهو أداة للخياطة ، وفي خياطة الثوب إصلاحه ، ويلاحظ صدور " النخس " (6) عنها ، ولئن لم تكن وظيفة الإبرة متميّزة عند أسلافنا من العرب ، إلّا أنها عمليّة معروفة في الطّب الصيني القديم والحديث : وقد انتشرت حديثا ، وأصبحت وسيلة من وسائل العلاج في مستشفياتنا الجزائرية .

ويمكن أن يكون للفظ (الإبرة) مرادف ، وهو المِخْيَط أو الخِيَاط ، وهو لفظ مشتقّ من ملاحظة الوظيفة الأساسية للإبرة التي هي الخياطة ، ولا تطلق على الإبر التي لا تكون وظيفتها هذه .

والمِخْيَط أو الخِيَاط مشتقّ من مادّة (خ ي ط) ، والفعل منه (خَاطَ الثَّوْبَ وَخَيَّطَهُ) .. (7) وهو إسم لما يخاط به .. نطق به القرآن الكريم في قوله تعالى : —

" حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ فِي سَمِّ الخِيَاطِ " .. (8)

" وفي المعنى مبالغة وهي إخراج الممكن إلى الممتنع " .. (9) ، وقال الزمخشري : " الخِيَاط : ما يخاط به ، وهو الإبرة " .. (10) ، وقال الرّاغب الأصفهاني : " الخِيَاط : الإبرة التي يخاط بها " .. (11)

وجاء ذكر اللفظ في الحديث الشّريف ، قال الرسول الكريم (صلعم) : " مَنْ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَى عَمَلٍ ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا فَمَا فَوْقَه كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَة " .. (12) ، وفي حديث قدسي يقول تبارك وتعالى : " فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَه ، مَا نَقَصَ مِمَّا عِنْدِي شَيْءٌ ، إِلَّا كَمَا ينقص المِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ البَحْرَ " .. (13)

---

1) انظر التعاريف السابقة .
2) مقاييس اللغة .. 1/66
3) تهذيب الأزهري .. 15/263
4) صحاح الجوهري .. 2/574 و " القاموس المحيط " .. 1/361
5) تهذيب الأزهري .. 15/263
6) النخس : غرز شيء مدبّب ينفذ في غيره . و " نخسه بعود ينخُسُه وينخِسُه نخسًا (الصحاح)
7) أساس البلاغة .. ص 179
8) الأعراف ، الآية : 40
9) أبو الحسن الرماني : النكت في إعجاز القرآن .. ص 105
10) الكشاف .. 2/78
11) المفردات في غريب القرآن .. ص 191
12) صحيح مسلم .. 12/222
13) م . س .. 16/133

ويستعمل اللفظ مجازيا ، فيقال في الأمثال : " لا أفعل كذا حتى يلج الجَمَلُ في سم الخِيَاطِ " . .
قال : يقال للإبرة : الخِيَاط والمِخْيَط . . (1)

ويشترك مع اللفظ في صيغته مجموعة ألفاظ ، وتختلف معه في الدّلالة ، ولعلّها تولّدت من تطوّر دلالة الابرة ، عن طريق المشابهة ، من ذلك ما جاء في " التهذيب " : ـــ

ـــ الإِبْرة : " إبرة الذّراع : طرف الذّراع الذي من عنده يذرع الذراع " . . (2)

- وفي المعجم الوسيط : ـــ

ـــ الإِبْرة : من العقرب ، أو النحلة : ما تلسع به " . .

ـــ الابرة : من القرن طرفه " . . (3)

- وفي لسان العرب : ـــ

ـــ الإبرة : عظم وتر العرقوب ، وهو عُظَيْم لاحق بالكعب " . . (4)

وأعتقد بأنّ لفظ " الابرة " لفظ عام ، وتندرج تحته مجموعة من الألفاظ الخاصّة ، بمختلف أنواع الابر ذات الاستعمال الواسع . . من ذلك ما يعرف بـ " الإِشْفَى " الذي للإسكافي ، وهو المِخْرَزُ ، و المِثْقَب الذي تخرز به الأسَاقِي والمَزاوِد وغيرهما ، يذكّر ويؤنّث . والمِخْصَف للنّعال . . (5)

ولفظ (الابرة) ليس من ألفاظ القرآن الكريم ، وما وجدتّه فيما قرأت من أحاديث شريفة في كتاب (صحيح مسلم) . . وهو موجود في أشعار العرب ، في الاستعمال الحقيقي والمجاز ، من ذلك ما وجدتّه في شعر " السّرِيّ الرّفّاء " يشتكي الزّمن : ـــ (سريع)

وَكَانَتِ الإِبْرَةُ فِيمَا مَضَى * صَائِنَةً وَجْهِي وَأَشْعَارِي
فَأَصْبَحَ الرِّزْقُ بِهَا ضَيِّقًا * كَأَنَّهُ مِنْ ثُقْبِهَا جَارِي . . (6)

ولفظ الابرة معروف شائع الاستعمال في العاميّات القديمة والحديثة ، وفي عاميّة الجزائر الحالية نجد اللفظ شائعا دون تغيير في صيغته ، ولا في معناه .

والابرة من ألفاظ الحضارة القديمة والحديثة ، مع تشعّب في الدّلالة على أشكال متعدّدة من الابر ، لم تكن معروفة في الأزمان الغابرة .

ولم يدوّن مجمع اللغة العربية المصري لفظ الابرة في معجمه الذي أعدّه لألفاظ الحضارة الحديثة . . (7)

---

1) مجمع الأمثال .. 220/2
2) تهذيب الأزهري .. 263/15
3) المعجم الوسيط .. 3/1
4) لسان العرب .. 3/4
5) صحاح الجوهري .. 2394/6 ، و " القاموس المحيط " .. 349/4 .
وشرح المفصّل لابن يعيش .. 116/6
6) يتيمة الدّهر .. 117/2
7) ط / 1980م

مِسَلّة

ورد اللفظ في "البخلاء" مرّة واحدة في تعبير حقيقي مقرونا بلفظ بالابرة .. (1)

وجاء في تعريفها :—

* "المِسَلّة : (بالكسر)، واحدة المَسَالّ، وهي الابر العظام ".. (2)
* "المِسَلّة : (بالكسر)، واحدة المسالّ، وهي الإبَر العظام، وفي "المحكم" :— مِخْيَطٌ ضَخْم ".. (3)
* "مِسَلّة : (بكسر الميم) : مِخْيَط ضَخْم ".. (4)
* "المِسَلّة : الابرة الضخمة ".. (5)

ونلاحظ هذه التعاريف وقد ركّزت على تحديد حجمها، وجعلها شكلا من أشكال الإبَر .. وقصرت في تبيين وظيفتها، ومادّة صناعتها .

ورأيت معاجم أخرى تحدّد مجال استعمالها حين تقول: "المِسَلّة: الإبْرة العَظيمة، تُخَاط بها العُدُول ونحوها، (ج) مَسَلّات ومَسَالّ ".. (6) بما وتصنع من المادّة نفسها التي تصنع منها الإبر، وتخاط الأشياء التي تحتاج إلى خياطة بعضها إلى بعض، كالجوالق، والأكياس وغيرهما .

وتدرج المعاجم لفظ "المِسَلّة" في مادّة (س ل ل) . يقول ابن فارس: "س ل أصل واحد، وهو مدّ الشيء في رفق وخفاء .. ثم يحمل عليه .. ومنه المِسَلّة، لأنها تسلّ الخَيْطَ سَلّاً ".. (7)

ومنها "سللت الشيء أسلّه سلّا . يقال: "سَلَلْتُ السيفَ واستَلَلْتُه بمعنًى ".. (8) و"سَلّ الشعرةَ من العجين فانسلّت انسلالاً ".. (9)

واعتقاد ابن فارس قد يكون في محلّه لتطابق الدّال على المدلول، من حيث الاشتقاق .. فالمسلّة من السَّلّ، وهو هنا مدّ الخيط في رفق وخفاء .. وبهذا يمكن القول بأن أصل اللفظ عربي صحيح .. وتشترك المَسَلّة مع الإبْرة التي رأيناها في سلّ الخيط، ونجد الابرة أكثر رفقا من المسلّة لذا انطبقت الدّلالة عند بعضهم، فقالوا: "الإبْرة مِسَلّة الحَدِيد ".. (10)

---

1) انظر مقدّمة الحديث عن الابرة .
2) صحاح الجوهري .. 1731/5
3) لسان العرب .. 342/11
4) القاموس المحيط .. 397/3
5) المعجم الوسيط .. 445/1
6) محيط المحيط .. 986/1 . و"أقرب الموارد" .. 536/1 . والعُدُول مفرده عِدْل : "نصف الحِمل" .. (القاموس المحيط: 13/4)
7) مقاييس اللغة .. 60/3
8) صحاح الجوهري .. 1731/5
9) أساس البلاغة .. ص 305
10) لسان العرب : 4/3 . و"القاموس المحيط": 361/1 . و"أقرب الموارد": 2/1

ومن أئمّة اللغة العربية من يقول بأنّ أصل لفظ " الِمسَلّة " آرامي بمعنى إبرة كبيرة ، ويكتب (M' chalto) .. (1)

أفلا يمكن أن تكون الآرامية هي التي أخذت اللفظ من العربية ، وغيّرت بناءه . وذلك فِعْلُ جارٍ بين كثير من اللغات ذات الأصل الواحد .

وللمسلّة مشترك في لفظه قليل ، منه : —

— مِسَلّة فِرْعَون : عمود على هيئة المِسَلّة .. (2)

وأرى لفظ (المسلّة) لفظا خاصّا بالإبْرة الضّخمة ، ويشمله اللفظ العام (الإبْرَة) .. فكلّ مسلّة إبرة ، وليست كلّ إبرة مسلّة ، بالتعريف الذي رأيسنا .

ولفظ المسلّة ليس من ألفاظ القرآن الكريم ، ولا رأيتُه فيما قرأتُ من أحاديث نبويّة شريفة ، في كتاب (صحيح مسلم) .

وأعتقد أنّه نادر الوجود في أشعار العرب الأوّلين والآخرين .

ولفظ المسلّة لا يزال شائعا معروفا في أوساط العامّة الجزائرية ، بالمبنى والمعنى ، مع تغيير طفيف في شكله ، فهو يلفظ بسكون الميم ، كما يحدث في كثير من الألفاظ الأخرى ، وهي خاصّية من خاصّيات العامية الجزائرية الحالية .

وربّما كان لها أسماء أخرى في عامية الجزائر ، حسب مناطق الوطن ، فقد سألت أحدهم عن المسلّة فلم يفهم اللفظ ، وعند إظهار الآلة ، قال : " إنّها الطّرّاح " .. ويفهم منه أنهم كانوا يخيطون به مَطَارِحهم ، لذا أطلقوا عليه هذا الاسم .

وقد استغنى كثير من جوانب الحياة ، في المدن على استعمال المسلّة ، بالطرق التقليدية ، لذا يجهلها كثير من الشباب ، لعدم الحاجة إليها في حياتهم .

والمسلّة من ألفاظ الحضارة القديمة ، لا زالت الحاجة إليه ماسّة ، ومع ذلك لم أجد له أثرا في " معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. " الذي أصدره " مجمع اللغة العربية " المصري .. (3)

1) غرائب اللغة العربية .. ص 118
2) أقرب الموارد .. 9/ 536 . و" المعجم الوسيط " .. 1/ 445 .
3) ط/ 1980م .

الباب الأول

الفصل الثالث

المضاظ :

أوعية حفظ المواد ونقلها

الباب : الأول .

الفصل : الثالث .

المجموعة : الأولى .

الألفاظ : ــــ

جرّة . حبّ . قلّة . دنّ . خابية . مزمّلة .

جَـــرَّة

تكـرّر اللفظ في " البخلاء" إحدى عشرة مرّة ، في تَظاهر حقيقيّة ، تناولت الحديث عن الجرّة في ظروف مختلفة ، كاستعمالها في تبريد الماء ، وفي حالة انكسارها ، وفي رشحها ، وفي أماكن وجودها ، وبيان قيمتها ، وطرق العناية بها .

ويمكن استعمال اللفظ مجازيا ، كما جاء في المثل العامّي : " ما كُلُّ مرّةٍ تَسْلَمُ الْجَرَّةُ " .

وجاء في تعريفها :

* " قال الليث: الجَرُّ آنية من خزفٍ، الواحدة جَرَّة ، والجمع جِرَار " .. (1)
* " الجَرَّة من الخزف ، والجمع جَرّ وجِرَار " .. (2)
* " الجَرَّة من الخزف ، وجمعه جَرّ " .. (3)
* " الجَرَّة : إناء من خزف ، (ج) جَرّ وجِرّار " .. (4)

وإذا لاحظنا هذه التعاريف المتتالية وجدناها اعتمدت على تحديد الجرّة بمادّة صنعها ، دون إيضاح لشكلها ، ولا لحجمها ، بل أهملت تبيين ميدان استعمالها ، فتكون هذه التعاريف قاصرة عن استيفاء حقّ الإناء من التوضيح والبيان .

ومن المعاجم الحديثة ما كان أكثر بيانا من المعاجم القديمة ، يقول بعضهم : " الجَرَّة إناء من خزف له بطن كبير وعروتان وفم واسع ، وجمعه جَرّ وجِرّار " .. (5)

وتصنع الجرار من مادّة الطّين (الخزف) ، وتستعمل في نقل السوائل وحفظها .. وأعتقد أنه قد تخصّص في صناعتها وتجارتها قوم عرفوا بحذقهم وبراعتهم في ذلك .. نذكر من هؤلاء .. الشاعر أبا العتاهية ، فقد كان " وأهله يعملون الجِرَار الخضر .. قال الخليل بن أسد : كان أبو العتاهية يأتينا ، فيستأذن ويقول : أبو إسحاق الخزّاف " .. (6)

ولكنّي أعتقد بأنّ أصل الإناء معروف عند العرب منذ زمن طويل ، وفي أصل اللفظ وردت آراء مختلفة ، نذكر منها .. أنّ ابن فارس قال : " جرّ : أصل واحد ، وهو مدّ الشيء وسحبه ويقال : جررت الحبل .. والجرّة من الفخار ، لأنها تجرّ للاستقاء أبدا " .. (7)

---

1) تهذيب الأزهري .. 473/10

2) صحاح الجوهري .. 611/2

3) القاموس المحيط .. 388/1

4) المعجم الوسيط .. 116/1

5) محيط المحيط .. 236/1 ، و " أقرب الموارد " .. 114/1

6) أغاني أبي الفرج الأصفهاني ، ط/ دار الفكر للجميع بيروت 1970م ، ج 3 / 127
و " معاهد التنصيص " .. 285/2

7) مقاييس اللغة .. 413/1

ومن هذا القول نفهم أنّ أصل اللفظ عربيا ، وأنّه اشتُقّ من المعنى المحسوس، لكنّ الجَرّ قد يكون مجازيا ، لأنّه لا يعقل أن تجرّ الجَرّة لأنّ في جرّها فسادا لها . فهي إذن توخذ للاستقاء لأنّها تُقاد وتُجَرّ .

وبحثتُ عنه في كتب الدّخيل ، فوجدتّه معدودا عند بعضهم في الألفاظ الدخيلة ، ففي " شفاء الغليل " أنّ الجرّة لفظ معرّب ، دون الإشارة إلى أصل اللغة التي وردت منها . (1) ، وفي مكان آخر أنّ الجرّة معرّبة من أصل فارسي ، وهي إناء من خزف ، وهو في لغته الأصليّة (جَـرَّه) (2) . وفي " غرائب اللغة العربية " أنّ الجرّة انتقلت من العربية إلى لغات أوروبية ، دون الإشارة إلى أصلها . . قال : هي في الفرنسية (Jarre) ، وفي الانجليزية (Jare) وفي الارمنية (Jaras) . . (3) ،، وفي المعجم الفرنسي اعتراف صريح بأنّ أصل لفظ (الجرّة) عربي (4) . .

وتندرج تحت اللفظ مجموعة من الأواني تمايزت ، فانفردت بأسمائها مثل : القُلّة ، والدّنّ ، والخابية ، والمُزمّلة ، ولنا عند كلّ واحدة من هذه وقفة خاصّة ، إن شاء الله .

ويكون بذلك لفظ (الجَرّة) لفظ عامّ . قال النووي : " الجَرّ بمعنى الجِرار الواحدة جَرّة ، وهذا يدخل فيه جميع أنواع الجِرار ، من الحَنْتَم وغيره " . (5) ،، وبقية الألفاظ خاصّة .

ويشترك مع اللفظ في صيغته " الجَرّة " معان متعدّدة ، نذكر منها : —

— الجَرّة : الوَهْدة من الأرض .

— الجَرّة : الزّبيل .

— الجِرّة : (بالكسر) : هيئة الجَرّ .

— الجُرّة : (بالضمّ) وبفتح : خشبة في رأسها كِفّة يصاد بها الظباء . . (6)

لم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، ولكنّي رأيته في الحديث الشريف ، حيث قال عليه الصلاة والسلام : اشترى رجلٌ من رجلٍ عقارا ، فوجد الرجل الذي اشترى العقار ، في عقاره جَرّة فيها ذهب ، فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك . إنّما اشتريت منك الأرض وما فيها ، ولم أبتع منك الذّهب ، فقال الذي شرى . (7) الأرض : إنّي بعتك الأرض وما فيها . قال : فتحاكما إلى رجل ، فقال الذي تحاكما إليه : ألكما ولد ، فقال أحدهما : لي غلام ، وقال الآخر :

---

1) شفاء الغليل . . ص 126

2) الألفاظ الفارسية المعربة . . ص 39

3) غرائب اللغة العربية . . ص 134

4) معجم فرنسي _ Petit robert/1 . dictin. franç. p : 1042

5) صحيح مسلم . . 167/13

6) ينظر في هذه الألفاظ وغيرها ، القاموس المحيط . . 388/1 . والمعجم الوسيط . . 116/1

7) شرى : بمعنى باع .

لي جارية. قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدّقا " .. (1)

ونلاحظ أن الجَرَّة في هذا الحديث قد استُعمِلت في غير حفظ السّوائل أو نقلها. فهي في الحديث "مَمْلُوءة ذهبا"، وفي أحاديث أخرى للرّسول (صلعم)، وقد استعملت في حفظ الخمر أو النّبيذ .. فقد حرّم الرسول الكريم (صلعم) "نَبِيذَ الجَرّ" .. (2)، وعن "أنس بن مالك (ر) أنه قال: كنتُ أسقي أبا عبيدة بن الجرّاح وأبا طلحة وأبيّ بن كعب شرابا من فضيخ. (3) وتمر، فأتاهم آتٍ، فقال: إنّ الخمرَ قد حُرِّمت، فقال أبو طلحة: يا أنس قم إلى هذه الجرّة فاكسرها، فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله، حتّى تكسّرت " .. (4)

ويظهر أنه كان لهم في هذا العهد أنواع من الجرار تمايزت بتمايز أشكالها وأوصافها .. فعن "أبي هريرة عن النبي (صلعم) أنّه نهى عن المُزَفَّت والحَنْتَم والنَّقير. قال، قيل لأبي هريرة ما الحَنْتَم؟ قال: الجِرَار الخُضْر " .. (5)

ويفهم من لفظ "المُزَفَّت" أنهم كانوا يطلون الجرار بالزفت، أما الحَنْتَم فقد قيل: إنّها "الجَرّة الخضراء" .. (6)، وعن ابْنِ عمر" قال: نهى رسول الله (صلعم) عن الحَنْتَمَة. فقلت: ما الحنتمة؟ قال: الجَرّة " .. (7)

وأرى أنّ النهي هنا وارد عن الانتباذ في هذه الجَرّة، لأنّ الاختمار يسرع إلى ما فيها، فيكون بذلك شرابها حراما .. قال الأزهري: " وفي الحديث النهي عن شرب نبيذ الجرّة. أراد أن ينبذ في الجرار الضّارية (الجرار المدهونة) لأنّها أسرع في الشدّة والتخمير، يدخل فيهما الحَنَاتم وغيرُها " .. (8)

والنقير: "أصلُ خَشَبة ينقر، فينبذ فيه، فيشتدّ نبيذه " .. (9)

أمّا في الأشعار العربية التي اطّلعت عليها فلم أجد له أثرا.

واللفظ شائعٌ معروف في عاميات العرب الحديثة .. وهو معروف لدينا في عامية الجزائر الحالية ولكن يغلب على الإناء لفظ (القُلّة) .. ولم يطرأ عليه وعلى الآنية تغيير يذكر .. ولا زالت الآنية تصنع عندنا، وتسوّق، وخاصّة في الريف حيث توجد الحاجة، والموادّ الأوّلية للصّنع.

والآنية من أدوات الحضارة القديمة، وهي لا زالت صالحة للاستعمال في عصرنا .. ولم يعدّها مجمع اللغة العربية المصري من ألفاظ الحضارة الحديثة حين لم يدوّنها في معجمه الذي أعدّه لذلك.

---

1) صحيح مسلم .. 20/12
2) م . س .. 163/13
3) فضيخ: شراب يتّخذ من البسر المفضوخ .. (أساس البلاغة: 475)
4) صحيح مسلم .. 151/13
5) م . س .. 158/13
6) القاموس المحيط .. 102/4
7) صحيح مسلم .. 165/13
8) تهذيب الأزهري .. 473/10
9) القاموس المحيط .. 147/2

حُـــب

تكرّر اللفظ في " البخلاء " ثماني مرّات، في تعابير أغلبها حقيقي . تناولت الحديث عن " الحب من حيث استعماله لحفظ السوائل . والماء فيها خاصّة . وتعبير واحد مجازي ، يقول : " امْـــلأْ حُبّك من أوّل مَطْرَة " . .(1) ،، وأراه ينصح بعدم تفويت الفرصة . ومنه يقال : " شَرِبَ حَتّى تَحَبَّبَ، أي انتفخ كالحبّ " . .(2)

وقالوا في تعريفه :ـــ

* " الحُبّ : (بضمّ الحاء) : الخابية ، والجمع حِبَاب و حِبَبَة " . .(3)

* " الحُبّ : الجَرّة الضخمة ، والحبّ الخابية . . وقال ابن دريد : هو الذي يجعل فيه الماء فلم ينوّعه . قال : وهو فارسي معرّب . وقال أبو حاتم : أصله (حُنْب) فعُرِّب ، والجمع أحْبَاب وحِبَبَة وحِبَاب " (4)

* " الحُبّ : الجَرّة أو الضخمة منها " . .(5)

* " الحُبّ : وعاء ماء كالزّير والجرّة . (ج) أحْبَاب ، وحِبَبَة ، وحِبَاب " . . (6)

وبملاحظة التعاريف يتبيّن قصرها عن توضيح معالم هذا الإناء توضيحا كافيا ، ويمكن معرفة حجمها ، فهي جرّة ضخمة ، ومرّة خابية ، ومرّة أخرى كالزير . . ونضيف أنها الجرّة ذات العروتين وتصنع " الحُبّ " من المادّة نفسها التي تُصْنع منها الجرّة ، أي أنها من الخزف غالبا . وتستعمل لحفظ السوائل ، وخاصّة ماء الشرب .

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة (ح ب ب) . ولم أعثر على اللفظ في " مقاييس اللغة " حتّى استدلّ على معاني مادّته . . ومن المعاني الأخرى للمادّة : " حَبَّ الشيءَ : عَلِقَه " . . و " حَبَّ امرأةً : عَلِقَها " (7) ولا أرى علاقة بين هذا المعنى ، والمعنى الذي اشتقّ منه لفظ " الحُبّ " بمعنى الجَرّة .

وعلى هذا فقد اعتقد بعض الباحثين أنّ أصل اللفظ أعجميّ . قال آدي شير : " إنّ أصل اللفظ فارسي ، وهو يعني " الخابية " معرّب خُم " . .(8) ،، وعند غيره : الحبّ من أصل آرامي ، تعني جرّة كبيرة ، وتكتب و Hoßba) . .(9) ،، وفي " شفاء الغليل " : " الحبّ (بضمّ الحاء) معروفة للماء . قال أبو منصور : مولّدة ، وهو معرّب " خُنب " ، وهو بمعنى المَحَبّة عربي فصيح " . .(10)

---

1) البخلاء للجاحظ . . ص 190

2) أساس البلاغة . . ص 109

3) لسان العرب . . 1 / 295 . ونقل اللسان المعرّب قول أبي حاتم باختصار . . ص 120

4) القاموس المحيط . . 1 / 51 .

5) المعجم الوسيط . . 1 / 115

6) أقرب الموارد . . 1 / 154

7) القاموس المحيط . . 1 / 51

8) الألفاظ الفارسية المعرّبة . . ص 50

9) غرائب اللغة العربية . . ص 178

10) شفاء الغليل . . ص 78

وأرى في القول الأخير اضطرابا في فهم أصل اللّفظ ، والثابت لديّ أنّ كتاب " شفاء الغليل " قـــد خصّص للألفاظ الدخيلة ، كما يدلّ عليه إسمه الكامل (شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الد والكاتب قد اعترف بأنّ اللفظ معرّب ، دون الإشارة إلى لغته الأصلية التي جاءنا منها . وإن لم يكن الاعتراف صريحا ، فإنّه ضمني ، بدليل إدراجه في كتابه الخاصّ بالألفاظ الدخيلة .

وقال أبو حاتم : إنّ أصل " الحبّ " خُنْب ، وهو لفظ معرّب ، ولم يذكر اللغة التي جاءنا منها . (1) وفي " الصّحاح " " أنّه فارسيّ معرّب . (2) ، وقال ابن دريد : هو فارسي معرّب . . (3) ، ويقول الجواليقي : " الحُبّ : الذي يجعل فيه الماء ، فارسي مولّد " . (4) ، ثمّ يعقّب المحقّق قائلا : " ثمّ إنّ دعوى عجمة الكلمة لم يقم عليها دليل يعتمد عليه ، فأصل المادّة كلّها عربي " . (5)

ويشترك في لفظ " الحبّ " معان أخرى ، منها أنّ " الحُبّ " الخشبات الأربع التي توضع عليها الجرّة ذات العروتين . (6) ، وأراه تطوّرا في الدّلالة قد طرأ على اللفظ عن طريق المجاورة . . ومن المعاني المجرّدة " الحُبّ : الوِدَاد كالحِبَاب " . (7)

والحبّ ليس من ألفاظ القرآن الكريم ولم أجده ، بهذه الدلالة ، فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة ، في كتاب (صحيح مسلم) . وورود ه في الأشعار العربية بهذه الدلالة نادر الوجود .

وكما عرف إناء "الحُبّ" في المشرق العربي ، عرف في المغرب ، ففي الأندلس يقولون لـ"لحُبّ" الذي يجعل فيه الماء خاصّة " جِرَاب " وليس كذلك " . (8)

والملاحظة أنّهم قد انحرفوا عن صيغة اللفظ إلى صيغة أخرى ، ممّا كان سببا في إهمال لفظ " الحبّ " وتركه ، وهذا ما يفسّر غياب اللفظ من الاستعمال اللغوي شيئا فشيئا ، حتّى أصبح اليوم نادر الوجود . إذ أنّنا لا نعرف له مدلولا غير المعنى القريب الذي يتبادر إلى الذهن ، حين ذكر "الحبّ" ، وهـــو المودّة والتّعلّق العاطفي .

أمّا الجرّة الضّخمة عندنا ، في عامية شمال صحراء الجزائر فيطلق ـ غالبا ـ عليها لفظ (الزّير) وتستعمل في (تخليل) بعض المواد الغذائيّة . . ومن معاني (الزير) في العربية " الحُبّ " . (9) وبهذا يكون أصل لفظ (الزّير) عربيا صحيحا . ولأنّ عاميتنا تستعمل مرادفا صحيحاً .

وأعتقد أنّ لفظ "الحُبّ" بالمدلول المشروح مجهول في كثير من عاميات الدول العربية الحالية ، ورغم أنّه من ألفاظ الحضارة القديمة ، فإنّ الآنية التي يدلّ عليها لا زالت مستعملة متداولة في كثير من مجالات الحياة الريفية خاصّة . . ورغم ذلك فإنّ مجمع اللغة العربية المصري لم يذكره في ألفاظ الحضارة الحديثة .

---

1) لسان العرب 295/1 .
2) صحاح الجوهري 106/1 .
3) انظر التعريف السابق عن القاموس المحيط 51/1 .
4) المعرب من كلام الأعجمي على حروف المعجم ، أبو منصور الجواليقي ، ط/طهران 1966م ص : 120 .
5) هامش ص : 120 .
6) تهذيب الأزهري 9/4 .
7) القاموس المحيط 50/1 .
8) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان : لابن مكّي الصقلّي 224/10 .
9) القاموس المحيط 42/2 .

قـلّـة

ورد اللفظ في" البخلاء " مرّة واحدة، في تعبير حقيقي ، يتحدّث عن استعمال القلّة في تقديم الماء للشرب . قال : "أتاهُ بِقلّةٍ على قَدْرِ الرّيِ " ..(1)

وقالوا في تعريفها :ـ

* " القُلّـة : إناء للشرب كالجرّة الكبيرة، وقد يجمع على قُلل " ..(2)
* " القُلّـة : الحبّ العظيم ، وقيل : الجرّة العظيمة، وقيل : الجرّة عامّة ، وقيل :ـ الكوز الصغير، والجمع قُلَل وقِلال " ..(3)
* " القُلّة : الحُبُّ العظيم ،أو الجرّة العظيمة ،أو عامّة ،أو من الفخار، والكوز الصغير (ضدّ) . (ج) قُلَل كصُرَد " ..(4)
* " القُلّة : إناء من الفخار، يشرب فيها . (ج) قُلَل وقِلال " ..(5)

ويلاحظ من هذه التعاريف تقصيرها في تبيان هيئتها ،واضطرابها في تحديد حجمها، فهي عظيمة ،وأخرى تشبه الكوز الذي يشرب منه . . أو بين هذا وذاك . . حتّى قال ابن سيده :ـ " القِلال : دون الحِباب العِظام " ..(6)

وقول الجاحظ : "أتاه بقلّة على قدر الشّرب" على أنها لديهم صغيرة الحجم، ليسهل الاتيان بها ،والشرب منها . . وقال بعضهم: " القُلّة هي الكوز الصغير، فجعلوا اللّفظ من الأضداد " ..(7)

تصنع القلّة من مادّة (الجِرار) ـ غالبا ـ التي هي الخزف، وتستعمل لنقل الشراب ماءً وغيره، وقد خصّصت في كثير من المناطق بماء الشرب نقلا وشربا .

تدرج المعاجم لفظ (القُلّة) في مادّة " قلل" .قال ابن فارس: " قلّ: أصلان صحيحان يدل أحدهما على نزارة الشيء ، والآخر على خلاف الاستقرار، وهو الانزعاج ... إنّ القلّة ما أقلّه الانسان من جَرّة أو حُبّ، وليس في ذلك عند أهل اللغة حدّ محدود " ..(8)

ويفهم من هذا القول أنّ القلّة عنده من أقلّ الشيء واستقلّه: حمله ورفعه ..(9) فتكون القلّة الإناء الذي ينقل، فهو عربي صحيح . وقال ابن منظور: " القلّة إناء للعرب، كالجَرّة الكبيرة" ..(10) فكانت إناء مائهم" يأتون بها من ناحية اليمن، تسع خمس جرار أو ستّ . . قال أحمد بن حنبل:ـ

---

1) البخلاء .. ص 96
2) صحاح الجوهري .. 5 / 1804
3) لسان العرب .. 11 / 565
4) القاموس المحيط .. 4/40
5) المعجم الوسيط .. 2/756
6) المخصص .. 11 / 83
7) م . س .. 11 / 84 و " القاموس المحيط .. 4/40 ولسان العرب .. 11/565
8) مقاييس اللغة .. 5/3
9) القاموس المحيط .. 4/40
10) صحاح الجوهري .. 5/1804 و " لسان العرب" .. 11/565.

" قدر كلّ قلّة قربتان . . وهي معروفة بالحجاز، وقد تكون بالشام " . . (1)

ويزعم صاحب "غرائب اللغة العربية" أنّ لفظ " القلّة " آرامي الأصل ، ويعني " جرّة كبيرة " . . ويكتب (Goûlto) . . (2) ، ولم أجد في بقية المراجع التي رأيتها ، مثل " شفاء الغليل " و"الألفاظ الفارسية المعرّبة" و" والمعرّب من كلام الأعجمي " ما يؤكد هذا الرأي أو ينفيه . . وأنا أميل إلى الأصل العربي للتّخريجات التي رأيتها .

ويشترك في اللفظ مجموعة من المعاني المختلفة ، نذكر منها :-

- قُلّة الجبل : أعلاه ، . . ورجل طويل القلّة ، وهي القامة " . . (3) ،،

- قُلّة الرّأس ، والسنام . . أو كلّ شيء ، والجماعة منّا " . . (4)

وأرى هذه المعاني مشتركة في دلالتها على شيء فيه علوّ وارتفاع ، ويقترب المعنى من لفظ " القلّة " (الجرّة) إذا اعتبرناها من أصل " أقَلّ واسْتَقَلّ الشيء إذا رَفَعَه " . . وتكون المعاني المذكورة في نحو واحد من الدلالة .

ويمكن أن نقول - استنادا على ما سبق - بأنّي أعتقد أنّ لفظ القلّة قد اختلفت النظرة إليه من جهة العموم والخصوص ، فكان مرّة خاصّا ، ومرّة عامّا .

ولم يرد اللفظ في القرآن الكريم ، ولكنّي رأيته في الحديث النبويّ الشريف . . فعن أنس بن مالك (ض) أنّه قال : " إِنّي لَقَائِمٌ أَسْقِيهَا أَبَا طَلْحَة ، وأَبَا أَيُّوب ، ورِجَالاً من أصحاب رَسُولِ اللهِ (صلعم) في بيتنا ، إذْ جَاءَ رجلٌ ، فقال : هَلْ بَلَغَكُم الخَمْرُ؟ قلنا : لا . قال : فإنّ الخمرَ قد حُرِّمَت . فقال : يا أنس ، أَرِقْ هَذِهِ القِلاَلَ " . . (5)

ويفهم من الحديث أنهم كانوا يستعملون " القِلاَل " في غير حمل الماء : فهي هنا للخمر . وفي حديث آخر عن جابر ، قال : " لقد رأيتُنَا نَغْتَرِف من وَقْبِ عَيْنِهِ بالقِلال الدُّهْن " . . (6) . . والوَقْب من معانيها البئر . . (7) ،، أو عين الماء ، فيكون الاستعمال هنا للماء . . ويشرح النووي قائلا :- " القِلال بكسر القاف ، جمع قُلّة ، وهي الجَرّة الكبيرة التي يُقِلُّها الرّجلُ بين يديه ، أي يحملها " (8) وفي حديث آخر : " إذَا بَلَغَ الماءُ قُلَّتَيْن لم يَحْتَمِل خَبَثًا " قال أبو عبيد في قوله قُلّتين ، يعني هذه

1) لسان العرب .. 565/11 . و" تهذيب الأزهري " .. 288/8
2) ص : 202
3) أساس البلاغة .. ص 521
4) انظر في ذلك : القاموس المحيط .. 40/4
5) صحيح مسلم .. 149/13
6) م . س .. 87/13
7) القاموس المحيط .. 137/1
8) صحيح مسلم .. 87/13

الحباب العظام ، واحدتها قُلّة " .. (1)

وفي الشعر العربي نجد اللفظ في شعر حسّان بن ثابت .(2) حيث قال : ــ (طويل)

وأَقْفَرَ مِنْ حُضَّارِهِ وِرْدُ أَهْلِهِ * وَقَدْ كَانَ يُسْقَى فِي قِلَالٍ وَحَنْتَمِ ..

وقال جميل بن معمر(3) :ــ (خفيف)

فَظَلِلْنَا بِنِعْمَةٍ وَاتَّكَأْنَا * وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ .. (4)

وقال الأخطل : ــ (كامل)

يَمْشُونَ حَوْلَ مُكَلَّمٍ قَدْ كَدَّحَتْ * مَتْنَيْهِ حَمْلُ حَنَاتِمٍ وَقِلَالِ .. (5)

ولا يزال اللفظ متداولا معروفا في عامّية الجزائر الحالية ، وهو لفظ عامّ يطلق على مختلف أنوا ع الجرار ، وأحيانا يخصّصون ، فتكون "القُلّة" جرّةً صغيرةً يشرب منها .

ولا زالت القلّة تصنع عندنا في الريف خاصّة ، وتستعمل في الشرب ، ونقل المياه ، وتصنع من الخزف ، وقد تسوّق ، ويُقْتَنَى شكلٌ منها باعتباره تُحفة تذكارية لبعض المناطق الاثرية المتميّزة .

وأعتقد أن الآنية لا تزال مستعملة في البلاد العربية ، مع اختلاف في أسمائها وأشكالها . .

وعليه تكون القلّة من ألفاظ الحضارة القديمة ، لا زالت مستعملة في الحياة الريفية ، حيث يحتاج الناس إلى نقل المياه إلى بيوتهم .. وقد أكّد "مجمع اللغة العربية المصري" على أن القلّة من ألفا ظ الحضارة الحديثة ، ويقول عنها : " هي آنية للشرب ، من الفخار ، طويلة العنق " .. (6) ، وهو بهذا التعريف يأتي على وصف "القلّة" المستعملة لدينا في نقل الماء وشبهه .

---

1) تهذيب الأزهري .. 8/287 و " لسان العرب " .. 11/566

2) شاعر مخضرم ، أعجب به النبي (صلعم) ، وجعله شاعره المفضّل . توفي بالمدينة حوالي :ــ 674م .

3) شاعر أموي ، من بني عذرة ، توفي في مصر حوالي 701م .

4) البيتان ، هذا والذي قبله في أساس البلاغة : 521 .

5) تهذيب الأزهري .. 8 2877 . والأخطل شاعر أموي ، توفي حوالي 708م .

6) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .." ، ط/1980م ، ص 25

دَنّ

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة، في تعبير حقيقي يذكر رجلاً " اصطبغ من دنّ خلّ، وهو قائم حتّى فَنِي " .. (1) ،، واستعمال اللفظ في المجاز قليل ..

ومنه قول الشاعر أبي نواس :ــ (بسيط)

مَا زِلْتُ استَلُّ رُوحَ الدَّنِ فِي لَطَفٍ * وَأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَوْفِ مَجْرُوحِ
حَتَّى انْثَنَيْتُ وَلِي رُوحَانِ فِي جَسَدِي * وَالدَّنُّ مُنْطَرِحٌ جِسْمًا بِلاَ رُوحِ .. (2)

وجـاء في تعريفـه :ــ

* " الدّنّ : واحد الدِّنَان، وهي الحِبَاب " .. (3)
* " الدّنّ : ما عظم من الرَّوَاقِيد، وهي كهيئة الحُبّ، إلاّ أنه أطول مستوى الصنعة في أسفله كهيئة قوس البيضة، والجمع الدّنان .. وهي الحباب، وقيل الدّنّ أصغر من الحُبّ، له عُسْعُس، فلا يقعد إلاّ أن يُحْفَرَ له " .. (4)
* " الدَّنّ : الرّاقود العظيم، أو أطول من الحُبّ، أو أصغر له عسعس، لا يقعد إلاّ أن يحفر له " .. (5)
* " الدَّنّ : وِعَاء ضخم للخمر، ونحوها " .. (6)

ونلاحظ في هذه التعاريف اتفاقها على الشكل والهيئة، فهو مرّة " حُبّ " وفي الأخرى أنه أصغر منه، أو هو وعاء ضخم .. والجميل في كلّ ذلك هو محاولة إزالة الغموض عن شكله وهيئته بإعطاء صورة مبسّطة عنه .

تصنع الدّنان ـ عادة ـ من مادّة الخزف أو موادّ معدنية معيّنة، تلك المادّة نفسها التي تصنع منها الجرار، وربّما صنع من الخشب .. وغلب عليه الاستعمال في خزن ونقل الخمر . والمتصفّح لديوان أبي نواس يلمس ذلك واضحاً . وقد يستعمل في غير ذلك .. (7) ،،

قال أبو نواس :ــ (مجزوء الرمل)

لَمْ تَزَلْ فِي قَعْرِ دَنٍّ * مُشْعَرٍ زِفْتًا وَقَارَا .. (8)

---

1) البخلاء .. ص 138
2) تهذيب الأزهري .. 2114/5
3) تهذيب الأزهري .. 2114/5
4) لسان العرب .. 159/13
5) القاموس المحيط .. 223/4
6) المعجم الوسيط .. 298/1
7) انظر قول الجاحظ أعلاه .
8) ديوان أبي نواس، ط/ دار بيروت للطباعة والنشر . 1982م . ص : 245
والزفت هو " القير أو القطران " (أساس البلاغة : 271)

يتحدّث الشاعر عن الخمر ساكنة الدّن . والدّن هنا به القار و الزفت ، ممّا يدلّ على أنّهم كانوا يطلونه بهما ، ليسرع للخمر اختمارها ، ولعلّها المزفّتة" التي نهى عنها النبيّ (صلعم) في رواية أبي هريرة للحديث الذي سبق ذكره في شرح" الجِرَار ".

وتدرج المعاجم (الدّن) في مادّة " د ن ن" . يقول ابن فارس إنّها " أصل واحد يدلّ على تطامن وانخفاض " .. (1) ،، والظّاهر أنّ لهذه المادّة معانٍ متباينةً أوردتها القواميس، من ذلك " بيت أدَنّ : متطامن" و" أدَنّ : أقام" و "دَنّ الذباب، ودَنْدَنَ : صوّت وطنّ ، وفلان نَغَم ، ولا يفهم منه كلام " .. (2) ،، ولم أستطع إدراك العلاقة بين معاني هذه المادّة ومعنى لفظ" الدّن" .. الذي نحن بصدده .. ولعلّ انخفاض هذا الإناء وتطامنه إلى الأرض ورقوده فيها هو أصل هذا المعنى .. لكن بعض الباحثين يرى اللفظ أعجميّ الأصل ، وينسبه إلى الآراميّة ، فيقول : "السقّن جرّة كبيرة ، تركز في حفرة ، وكان أصله في لغته (dano) .. (3)

ولم أصادف فيما راجعت من مصادر ما يؤيّد هذا الرأي أو ينفيه .

والدّن لفظ تخصّص للخمر في أغلب استعمالاته ، وأعمّ منه لفظ " التّاجود" . ورد في المخصّص:

" التاجود : كلّ إناء يجعل فيه الشراب " .. (4)

وقال أبو نواس يصف الخمر في وعائها :ــ (رمل)

أَخَذَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَوْنَهَا * فَهِيَ فِي نَا جُودِيهَا قَوْسُ قُزَح .. (5)

وقال غيره :" الدّن : ما عظم من الرواقيد ، وجمعه دِنَان " .. (6) ،، ومفرد الرواقيد (رَاقود) وهو " دنّ كبير ، أو طويل الأسفل ، يُسَيَّع داخلُه بالقار " .. (7) ،، وهذا الوعاء ليس خاصّا بالخمر فقد يقال :" عِنْدِي رَاقُود خَلّ ، وهُو نحو الإرْدَبّة ، يُسَيَّع داخله بالقار " .. (8)

وقال أبو نواس :ــ (بسيط)

اسْتَوْدَعَها رَوَاقِيدًا مُزَفَّتَةً * مِنْ أَغبَرٍ مِنْهَا وَغَبْرَاء .. (9)

وهو يتحدّث عن الخمر في هذا البيت .

و" الرَّاقُود : من آنية الشراب، أعجميّ معرّب، وهو دنّ كهيئة الإرْدَبّة ، يسيّع باطنه بالقار ، وجمعه الرواقيد " .. (10)

---

1) مقاييس اللغة .. 261/2
2) هذه الأمثلة من" القاموس المحيط .. 223/4
3) غرائب اللغة العربية .. ص 181
4) ج 11/ 82 . و " فقه اللغة العربية" للثعالبي .. ص 16
5) ديوانه ، ص 152
6) المخصّص .. 83/11
7) القاموس المحيط .. 195/1
8) أساس البلاغة .. ص 245
9) ديوانه : 11 . وفي البيت أجازة للشاعر بجواز صرف ما لا ينصرف .
10) المعرّب للجواليقي .. ص 160

وليس الدّن من ألفاظ القرآن الكريم .. ولا رأيته فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) .

وفي الأشعار العربية الجاهلية لم أجد له أثرا كبيرا ، ما عدا قول الشاعر المخضرم كعب بن زهير حيث يقول : — (طويل)

وَرَأْسًا كَدَنِّ التَّجْرِ جَأْبًا كَأَنَّمَا * رَمَى حَاجِبَيْهِ بِالْجَلَامِيدِ رَاجِمُ .. (1)

- والتَّجْرُ والتُّجَّار : الخمّارون .

أمّا في الأشعار الإسلامية ، فقد رأيت اللفظ عند الشاعر ابن ميّادة : — (كامل)

وَمُعَتَّقٍ حرم الوُفُودَ كَرَامَةً * كَدَمِ الذَّبِيحِ تَمُجُّهُ أَوْدَاجُهُ
ضَمِنَ الكُرُومُ لَهُ أَوَائِلَ حَمْلِهِ * وَعَلَى الدِّنَانِ تَمَامُهُ وَنِتَاجُهُ .. (2)

والمتصفّح لديوان الشاعر أبي نواس يجد اللفظ متواترا في شعره ، مقرونا بذكر الخمر واللهو بها .. قال أبو نواس : — (رمل)

اتْرُكِ الرَّبْعَ وَسَلْمَى جَانِبًا * واصْطَبِحْ كَرْخِيَّةً مِثْلَ الْقَبَسِ
بِنْتُ دَهْرٍ هُجِرَتْ فِي دَنِّهَا * وَرَمَتْ كُلَّ قَذَاةٍ وَدَنَسِ .. (3)

ولا يزال لفظ (الدّن) مستعملا في الفصحى حقيقة ومجازا .. قال إيليا أبو ماضي : — (طويل)

وَكَانَتْ دِنَانِي بِالسُّرُورِ مَلِيئَةً * فَطَاحَتْ يَدٌ عَمْيَاءُ بِالْخَمْرِ وَالدَّنِّ .. (4)

وفي عامية الجزائر الحالية لا تعرف مدلول اللفظ ولا تستعمله إطلاقا ، لا للخمر ، ولا لغيرها . ولعلّه كان معروفا ثمّ ذهب .. وعرضت اللفظ على مجموعة من العامّة ، فلم يستطيعوا له فهما . والآنية من أدوات الحضارة القديمة ، ولم يعد لفظها مستعملا مع أواني الخمر في العصر الحديث إذ لم يشر إليه (معجم ألفاظ الحضارة الحديثة) الذي نشره مجمع اللغة العربية المصريّ وأرجو بحيث هذا اللفظ ليدلّ على ما كان يدلّ عليه ، أو نقل دلالته إلى ما يجاور هذا المعنى .

---

1) ديوان كعب بن زهير .. ص 105

2) البيتان في البيان والتبيين للجاحظ .. 3/350 . والشاعر هو : الرّمّاح بن أبرد ، وأمه : ميّادة ، من شعراء الدولتين الأموية والعباسية . مات في صدر خلافة المنصور (الأغاني : 2/85)

3) ديوانه : 366 . . وتوفي أبو نواس حوالي 199هـ/814م .

4) ديوان الخمائل .. ص 110

خابية

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّتين ، كان التعبير فيهما حقيقيا ، ففي الأوّل دارَ حديثُ المتكلّم حول الفخر بإعداد الخمر للأصدقاء ، يُؤتى بِها من الخابية . أمّا في الثّاني فقد كان الحديث عن " المُفَنّي الكِنَاني " الذي أُهْدِيَت له خَابِيةٌ فارغة ، فراح يدحرجها حتّى بيته . . (1)

ويستعمل لفظ (الخَابِية) استعمالا مجازيا حينما يقولون : " بِنْتُ خَابِيَة " وهم يريدون الحديث عن الخمر .

وجاء في تعريفها :ـ

* " الخَابِيَة : الحُبّ " . . (2)

** " الخَابِيَة : وعاء الماء الذي يُحْفَظ فيه . (ج) خَوَابِي . وأصل الخابية الخَابِئَة وأصل الخَوَابي الخَوابئ ، سهلت الهمزة فيهما للتخفيف " . . (3)

ولم أجد شيئا مهمّا يمكن ذكره في كلّ من " تهذيب الأزهري " و " قاموس الفيروزآبادي " . . لأنّ التعاريف قد تشابهت عند البعض دون إظهار الشكل والحجم ، ما عدى التعريف الأخير الذي حاول إدراك النّقص بإعطاء أوضح صورة ممكنة لهذا الإناء .

ويفهم من الخابية أنّها وعاءُ لِحَبْءِ الماء . . وربّما استعملت في حفظ سوائل أخرى غير الماء كالخمر مثلا ، ذلك ما يفهم من بيت الشاعر أبي نواس :ـ (بسيط)

لِشُرْبِ صَافِيَةٍ مِنْ صَدْرِ خَابِيَةٍ * تَغْشَى عُيُونَ نَدَامَاهَا بِلَأْلاءِ . . (4)

وعند بعض الأئمّة أنّها شكل من أشكال الدّنان . . قال ابن سيده : " الخَابِيَة : ما خَبِيءَ من الدِّنَان " . . (5) ، وعند المحدثين أنّها الجَرَّة الضَّخْمَة " . . (6) ، والتعريف الأخير يدلّ على " الحُبّ " كما عرفنا أثناء الحديث عن " الحُبّ " وأشكاله .

وأراها تصنع من المادّة نفسها التي تصنع منها باقي أنواع الجرار ، فهي غالبا من الفخار ، وقد يصنعونها من مادّة صلبة معدنية كانت أو خشبية . . وهذا ما فهمته من قول الجاحظ السابق من أنّ المغنّي أُعطي خَابِيَةً ، فدحرجها من مكان إلى آخر ، فلو كانت هشّة ما أمكنه أن يوصلها إلى بيته بهذه الكيفيّة الخطيرة ، فهي معرّضة للتهشيم أثناء الدَّفَعَاتِ الأُولى .

1) البخلاء للجاحظ . . ص 164 و 200
2) صحاح الجوهري . . 6/2325
3) المعجم الوسيط . . 1/213
4) ديوانه . . ص 15
5) المخصّص . . 11 / 83
6) محيط المحيط . . 1/609 ، و " أقرب الموارد " . . 1/256

تدرج المعاجم اللغة في مادة (خبأ) . قال ابن دريد : "خ ب والحرف المعتل (خبأ) تدلّ على ستر الشيء ، فمن ذلك : خَبَأْتُ الشيءَ ، أَخْبَأُه خَبْأً ، ومن الباب الخِبَاء " . . (1) ، ومن هذا يكون أصل اللفظ عربيا قلبا وقالبا .

وإن كنت أعتقد بأنّ أصل اللفظ عربيا - اعتمادا على ما تقدّم - لكن من الباحثين العرب المحدثين من يعتبر اللفظ أعجميّا ، ويرجعه إلى الأصل الآرامي ، ويكتبه هكذا (Hobite) . (2) وبالعودة إلى كثير من المراجع التي تناولت اللفظ الدّخيل في العربية لم أجد من يساند هذا الرأي .

ولفظ (الخابية) لفظ خاصّ بكلّ ما يمكن أن يخبّأ فيه ، من جرار ، دون النظر إلى أغراض الاستعمال المتعدّدة ، فهي صالحة لكلّ من الخمر والخلّ والزيت ، وغيره من السوائل ، وربّما جعل فيها شيء آخر غير هذا كلّه .

ويمكن أن تتعدّد أسماؤها تبعا لتعدّد أحوال صناعتها ، من ذلك ما قاله الجوهريّ :-

"الجَوْنَة : الخابية المطليّة بالقار ، قال الأعشى :- (متقارب)

فَقُمْنَا وَلَمَّا يَصِحْ دِيكُنَا * إلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَّادِهَا . . (3)

والجونة لفظ مأخوذ من (الجَوْن) الذي هو السّواد ، من قولهم : جَانَ وَجْهُه أي أسْوَدّ " . . (4) كأنّهم اشتقّوا اسمها من ملاحظة لون القار بها .

ليس لفظ (الخابية) من ألفاظ القرآن الكريم ، ولم أعثر عليه فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب "صحيح مسلم" .

ولم أعثر عليه - كذلك - فيما قرأت من أشعار جاهليّة ، وهذا ما يرجّح لديّ احتمال كون اللفظ مولّدا .

ولا يزال اللفظ معروفا شائعا في أوساط العامّة الجزائريّة ، باختلاف طفيف في طريقة النّطق والاستعمال ، فالمعروف عند سكّان شمال صحراء الجزائر - إلى حدّ قريب - صنعهم الخابية من مادّة الجبس ، ثمّ يخبّئون فيها نوعا من التمر معروفا لديهم بـ(الغَرْس) ، وفي جهات أخرى من الوطن يمكن أن يخبّأ فيها الزيت ، أو العسل وغيرهما .

والملاحظ أنّها تنطق لدينا مخفّفة غير مهموزة ، على عادة بعض اللهجات العربية القديمة في الشرق العربي ، جاء في "لسان العرب" قال سيبويه : "ليس أحد من العرب إلاّ ويقول (تَنَبَّأَ مُسَيْلِمَةُ) بالهمز ، غير أنّهم تركوا الهمز في النّبي ، كما تركوه في الذّريّة والبريّة والخابية ، إلاّ أهل مكّة فإنّهم يهمزون هذه الأحرف ، ولا يهمزون غيرها ، ويخالفون العرب في ذلك " . . (5)

ويعتبر الخابية من الأوعية المستعملة في الحضارة القديمة ، وهي لا تزال صالحة للحضارة الحالية ، غير أنّ المجمع اللغوي المصري لم يعتبره من ألفاظ الحضارة الحديثة .

---

1) مقاييس اللغة . . 2/244
2) غرائب اللغة العربية . . ص 179
3) صحاح الجوهري . . 5/2096
4) القاموس المحيط . . 4/211
5) لسان العرب . . 1/157

مُـزَمَّـلة

ورد اللفظ في " البخلاء" مرة واحدة ، في تعبير حقيقي ، قالت : " بَلَغَنِي أَنَّ عِنْدَكَ مُزَمَّلَةً ، ويوما حَارٌّ ، فابعث إليّ بِشَرْبَةٍ منها فِي هذَا الكوزِ " .. (1)

وجـاء في تعريفـها :ـ

* " مُزَمَّلة : كمعظّمة التي يبرّد فيها الماء ، عِرَاقِيَّةٌ " .. (2)

ولم أجد اللفظ في أغلب المعاجم التي اعتمدت عليها ، فقد أهمله كلّ من الأزهري في تهذيبه ، والجوهري في صحاحه ، وابن منظور في لسانه .. وكنت آمل لقاءه في " المعجم الوسيط" .. (3) فلم أوفّق ، فقد أهمله بدوره .. واكتفت هذه المعاجم كلّها بذكر مادّته دون الإشارة إلى بغيتنا .

ويقول بعض المحدثين: إنّ المزمّلةَ عند البغداديين : جَرَّةٌ أو خَابِيَةٌ خَضْرَاءُ في وسطها ثقب مركّب فيه قصبة من الفضّة أو الرصاص يُشْرَب منها ، سميت بذلك لأنها تلفّ بشيء من الخيش أو غيره ، ويجعل بينها وبين خزفها التبن ، تكون في دورهم أيام الصيف ، يبرّدون الماء ليلا بالمرّادات ، ثمّ يصبّ في هذه المزمّلة فيبقى فيها باردا " .. (4)

ويفهم من التعريف الأخير أنّ مادّة صناعتها هي الخزف ، وأنّ شكلها شكل جرّة أو خابية ، وقد خصّصت لتبريد الماء دون غيره ، كما أنها تبدو إقليمية المنشإ والاستعمال ، فقد خصّصها المتحدّث للعراقيين ، ثمّ للبغداديين خاصّة .. (5)

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة " ز م ل " . يقول ابن فارس: " ز م ل لها أصلان ، أحدهما يدل على حمل أثقال ، والآخر صوت " .. (6) ، ولم يذكر المزمّلة ، ولا ذكر صلتها بهذه المادّة ، وأنا لم أستطع ربط هذه بتلك ، غير أنّ الأزهري يقول : " تَزَمَّلَ فلانٌ إذا تَلَفَّفَ في ثيابه ، وكل شيء لُفَّ ، فقد زُمِّلَ " .. (7) ، وفي صحاح الجوهري : " زَمَّلَهُ في ثَوْبِهِ أي لَفَّهُ ، تَزَمَّلَ في ثِيَابِهِ أي تَدَثَّرَ " .. (8) وفي القاموس المحيط : " التزميل الإخفاء واللّفّ في الثوب " .. (9)

ومن هذه يمكن القول بأنّ المزمّلة من الفعل (زمّل) ، وهي على وزن مفعّلة إسم مفعول ، وقع عليه التزميل الذي هو الإخفاء واللّف في الثوب ، وثوبها هو الخيش الوارد أعلاه . فالمعنى إذن

---

1) البخلاء للجاحظ .. ص 113
2) القاموس المحيط .. 3/390
3) المعجم الوسيط ، أصدره مجمع اللغة العربية المصري . ط/ دار المعارف بمصر 1973م .
4) محيط المحيط .. 1/884 . وأقرب الموارد " .. 1/474 .
5) انظر تعريف القاموس المحيط ، ثمّ تعريف محيط المحيط بعده .
6) مقاييس اللغة .. 3/25
7) تهذيب الأزهري .. 13/[illegible]
8) صحاح الجوهري .. 4/1718

عربيّ صحيح ، وأصله " جَرَّة مُزَمَّلَة " ، فحذف الاسم وحلّت الصفة محلّه ، فدلّت عليه . فيكون اللفظ قد اشْتُقّ من المعنى الحسّي لعمليّة التزميل المشاهدة .

والغريب أنّ الخفّاجي صاحب كتاب " شفاء الغليل " يدرج اللفظ في مؤلّفه الذي أعدّه للدّخيل في العربية ، أن يحدّد أصل اللغة الذي جاءنا منها ، وكلّ ما قاله كان شرحا لأصل اللفظ اللغوي ، مع بيان حدّ الآنية واستعمالها . .(1) ،، وهو اعتراف منه ضمنيّ بأنّ اللفظ دخيل في العربية .

وربّما كان الخفاجي يريد القولَ بأنّ اللفظ مولّد ، وهذا هو الرّاجح عندي لعدم وجوده في أمّهات المعاجم القديمة التي اطّلعت عليها . . (2)

وأعتقد بأن لفظ " المُزَمَّلة " لفظ خاصّ في المفهوم الاجتماعي للأداة ، أمّا الجانب اللغوي فإنّ المُزَمَّلة لفظ يكاد يكون عامّا لكلّ ما يزمّل . سواء قصد به الوعاء ذاته موضوع دراستنا ، أم قصد به غير ذلك .

ليس لفظ المزمّلة من ألفاظ القرآن الكريم ، ولكنّه ورد شيء من التزميل ، لا يراد به ما نريد نحن ، فقد جاء في الذكر الحكيم : " يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّل " . .(3) ،، قال الزمخشري : " والمزّمّل والمتزمّل : هو التّلف في ثيابه وتزمّل فيها " . .(4) ،، ولم أجد هذا اللفظ في الحديث الشريف ، فيما قرأت في كتاب (صحيح مسلم) ، ولئن كانوا يعرفون عمليّة التزميل تبريد الماء التي وجدت عملية من أجله بطريقة مختلفة . ففي حديث جابر : " وكان رجل من الأنصار يبرّد لرسول الله (صلعم) الماء في أشجاب له على حِمَارة من جريد " . قال النّووي : " الأشجاب جمع شَجْب وهو السّقاء الذي قد أخلق وبلي ، وصارشنّا ، يقال : شَاجِب أي يابس ، وهو من الشَّجْب الذي هو الهَلاك . ومن حديث ابن عبّاس " قام إلى شَجْب ، فصبّ منه الماء وَتَوَضّأ " . .(5)

وبحث عن اللفظ في الأشعار العربية الجاهلية فلم أعثر عليه ، ثمّ تتبّعته في الأشعار الإسلاميّة فوجدته عند الحريري . .(6) في مقاماته وقد ألغز فيه . . فقال : — (طويل)

وَمَسْرُورَة مغموصة طُولَ دَهْرِهَا * وَمَا هِيَ تَدْرِي مَا السرور وَلاَ الغَمّ

تُقَرَّبُ أَحْيَانًا لأَجْلِ جَنِينِهَا * وَكَمْ وَلَدٍ لَوْلاَهُ طلّقت الأُمّ . . (7)

---

1) شـفاء الغليـل . . ص 220

2) انظر المعاجم المعتمدة في تعريف الأداة .

3) المزمّل ، الآية : 1

4) الكشاف للزمخشري . . 4 / 1718

5) صحيح مسلم . . 18 / 145

6) الحريري : القاسم بن علي من أدباء بدء عصر الانحطاط ، من أصل عراقي ، أشهر مؤلفاته " المقامات " توفي حوالي (1122م) .

7) مقامات الحريري ، المقامة النجرانية ، ط/ بيروت 1978م . ص: 342 .
ومسرورة : ذات سرة ، بمعنى بها ثقب .
ومغموصة : أي مستورة بما لف عليها .
وأراد بجنينها الماء البارد الذي في باطنها .

ويظهر لي أن شيوع لفظ " المُزَمَّلَة " محدود جدّا .. ونحن في عامّية الجزائر الحالية .. لا نعرف هذا اللفظ ولا نستعمله، ولكن كان لدينا أشكال من الأوعية التي تشبه ذلك، وقد زُمّلت بالخيش لغرض التبريد في أوان الحرّ، كلّ ذلك في الريف والبوادي الجزائرية حيث يحتاج الناس إلى مثل هذه الأوعية، قبل انتشار المبرّدات العصرية .

ولم يذكر "معجم ألفاظ الحضارة الحديثة " الذي أصدره المجمع اللغوي المصري هذا اللفظ، ولم يعتبره من ألفاظ الحضارة الحديثة، ولكنّه ذكر شيئا آخر أكثر تطوّرا من المزمّلة، وسمّاه " المَبْرَدَة " وذكر مقابله الأوروبي (ICE BOX (E)) ، وهو " صندوق يوضع فيه الثلج لتبريد الأشياء " .. (1)

---

1) ط/ 1980م . ص 129

الباب : الأول .

الفصل : الثالث .

المجموعة : الثانية .

الألفاظ : —

رق . قربة .

زق

تكرّر اللفظ في "البخلاء" مرّتين(1) في تعبيرين حقيقيين، تحدّث الأوّل منهما عن هدايا جاءت للوالي (بن أبي دُؤاد) أتته من البصرة، فيها زِقاق دِبْس، والدِّبْس "ما يسيل من الرُّطب" .. (2) أو هو "عُصارة الرطب" .. (3)، أما في التعبير الثاني فلأنّ الحديث للشاعر (النمر بن تولب) يفتخر بأنّه يشتري الخمر لأصحابه في الزقاق، ويقدّمها لهم .. يقول: "إنّي سَبَأْتُ لِفِتْيَةٍ زِقًّا وخابيةً" (4)

ويمكن استعمال لفظ (الزّق) استعمالا مجازيا، كقولهم: "دَمُ الزِّقّ" أو "روح الزِّق". ففي المعنى الأوّل، قال الشاعر يزيد بن الطثرية :— (طويل)

"ويَوْمٍ كَظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ ✱ دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصْطِكَاكُ الْمَزَاهِرِ" .. (5)

وفي المعنى الثاني، قال أبونوس :— (بسيط)

"ما زِلْتُ أسْتَلُّ رُوحَ الزِّقِّ في لَطَفٍ ✱ وأَسْتَقِي دَمَهُ مِنْ جَفْنٍ مَجْرُوحِ" .. (6)

ويقال: "وما هو إلّا زقّ منفوخ" .. (7)

وجاء في تعريفه :—

* "الزِّقّ : السقاء، وجمع القلّة أَزْقَاق، والكثير زِقَاق وزُقَّان" .. (8)
* "وقال أبو حنيفة : الزِّقّ هو الذي ينقل فيه، وفي بعض النسخ تنقل، أي الذي تنقل فيه الخمر، والجمع أزقاق وأزْقُق، وزقاق وزُقّان، من سيبويه" . (9)
* "الزِّق : السقاء، أو جلد يجزّ ولا ينتف للشراب وغيره" . (10)
* "الزِّقّ : وعاء من جلد يجزّ شعره ولا ينتف للشراب، وغيره. (ج) أَزْقَاق وزُقَّان" .. (11)

ونلاحظ من هذه التعريف إهمالها الحديث عن شكله، وتركيزها على طبيعة وظيفته مع الإشارة إلى طريقة إعداده .

وعند بعض المحدثين أنه : "كلّ وعاء اتّخذ للشراب، وقد صنع من الإِهَاب" .. (12)

---

1) البخلاء للجاحظ .. ص 62
2) صحاح الجوهري .. 926/3
3) أساس البلاغة للزمخشري .. ص 182
4) البخلاء .. ص 164
5) مجمع الأمثال للميداني .. 437/1
6) معاهد التنصيص .. 155/2 . ورواية الديوان : "مازلت استلّ روح الدّن" ..ص 153
7) أساس البلاغة .. ص 272
8) صحاح الجوهري .. 1491/4
9) لسان العرب لابن منظور .. 143/10
10) القاموس المحيط .. 241/3
11) المعجم الوسيط .. 396/1
12) أقرب الموارد .. 470/1 . والإهاب: الجلد مالم يدبغ (الصحاح : 89/1).

كما نلاحظ صناعته وقد تمّت من مادّة محدّدة هي الجلد ، بشكل خاصّ، بل قيّدوا الزّق بشروط يراعى عند الصناعة، فقيل : " لا يسمّى زقّا حتّى يُسْلَخَ من قِبَل عنقه،وتَزْقيقُه سلخه من قبل رأسه على خلاف ما يسلخ الناس اليوم " .. (1)

وكان الزّق متعدّد الاستعمال ،ثمّ تخصّص استعماله للخمر. قال الثعالبي :" الزِّق والزُّكْرَة للخمر والخلّ " .. (2) ،، وفي صحاح الجوهري : " الزكرة : زُقَيْق للشراب " .. (3) ، ويفهم من قول ابن منظور: " لا يسمّى زقّا حتّى يسلخ من قبل عنقه " الوارد أعلاه، أنّ الإسم ذو أصل عربي وهو مشتقّ من التزقيق السابق شرحه. فيكون اللفظ مشتقّا من معنى حسّي ملموس .

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة (ز ق ق) ، ولم أجده في" مقاييس اللغة" حتّى أتبيّن رأي ابن فارس في معاني المادّة .. وفي الصّحاح : " زقّ الطائر فرْخَه يزقّه،أي أطعمه بفيه " . (4) ولم يشرح لفظ (الزق) ، وكلّ ما وضّحه هو أنّ الزّق سِقَاءٌ . (5)

فيكون لفظ (الزّق) مستنبطا من المشابهة بين" زقّ الطائر فرخه أي سقاه" والزّق إذا سقى الشاربين ، فكأنّما زقّهم كما يزقّ الطائر فرخه ؟ ! ، ورأيي أنّ حلقة الربط بين المعنيين ضعيفة . ذلك ما دفع بعض الباحثين إلى الاعتقاد بأنّ اللفظ أعجميّ الأصل . فهذا صاحب كتاب " غَرائِب اللغة العربية " يقول بأنّ " الزّق " آرامي الأصل ، وهو في لغته (Zégo) ،ويعني به جلدا يجزّ ويستعمل لحمل الماء .. (6)

وتختلف أسماء الزّق باختلاف أشكاله وظروف استعماله، نذكر من ذلك ما قاله الجوهري :

* الوَطْب : " سقاء اللّبن خاصّة . قال ابن السّكيت : " هو جلد الجِذع فما فوقه " .. (7)
* شِكْوة : جلد الرّضيع، يجعل فيه اللّبن (8) وعند الثعالبي : " الشكوة القربة الصغيرة" . (9)
* عُكّة : ويقال لمثل الشكوة ممّا يكون فيه السّمن " .. (10) ،، ويمكن استعمال العكّة للعسل ،كما هو الحال في حديث عائشة (ض) قالت : " فَدَخَل على حَفْصَة .. فاحتبس عندها أكثر ممّا كان يحتبس، فسألت عن ذلك، فقيل لي : أهدت لها امرأة من قومها (عكّة) عسل .. (11)

---

1) لسان العرب .. 143/10 . و" صحاح الجوهري " .. 1491/4
2) فقه اللغة للثعالبي .. ص 167
3) ج 771/2
4) ج 1491/4
5) م . س والصفحة نفسها . وانظر التعريف في بداية الحديث .
6) غرائب اللغة العربية .. ص 184
7) صحاح الجوهري .. 233/1
8) م.س والصفحة نفسها .
9) فقه اللغة للثعالبي .. ص 26
10) صحاح الجوهري .. 233/1
11) صحيح مسلم .. 75/10

قال الثعالبي :ـ

" السِقَاء والقِرْبة للماء .

ـ الوطب والمِحْقَن للّبن .

ـ الحَمِيت والمِسْأب للزّيت .

ـ الهَدِيع للعسل . . (1)

وقال ابن قتيبة :ـ

ـ الحُمْت بزقاق السمن ، واحدها حَمِيت ، وتكون للعسل . . (2)

وعند الثعالبي " الحَمِيت الزّق الصغير . . (3)

وقال ابن قتيبة أيضا :ـ

ـ الذَوَارِع : زقاق الخمر . ولم أسمع لها بواحد . . (4)

ومن ظاهر ما تقدّم يبدو لفظ (الزّق) لفظا عامّا . . قال ابن قتيبة : " الزّق إسم يجمع ذلك كلّه " . . (5) ،، وفي " الكليات : الزّق إسم عامّ للظرف " . . (6)

وكثيرا من المعاجم يفسّر (الزّق) بلفظ السّقاء ، والأخير من السّقي الذي هو تناول الشراب أو إعطاؤه .. وعند المقارنة بين اللفظين يتّضح أنّ لفظ السقاء أكثر فصاحة وسلاسة من (الزّق) بل وأكثر تداولا منه . .ولئن جرى على (السقاء) حكم التخصيص لأوعيّة الماء عند بعض أئمّة اللغة العربية ، فيما سبق من أحكام . . (7) ،، ولكن ابن السّكّيت يقول : " السقاء يكون للّبن وللماء ، والجمع القليل أَسْقِية وأَسْقِيَات ، والكثير أَسَاقٍ " . . (8) ،،فجعل لفظ السقاء لأنّه متعدّدة الاستخدام .

وليس لفظ " الزّق " من ألفاظ القرآن الكريم ، ولم أصادفه فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة ، في كتاب (صحيح مسلم) .

كذلك هو الحال في الأشعار العربية الجاهلية ، فلم أتمكّن من ملاقاته ، ثمّ بدأ يظهر جليّا ، ، فكان عند النّمر بن تولب ، حيث قال :ـ (كامل)

قَامَتْ تبَاكى أَنْ سَبَأْتُ لِفِتْيَةٍ ... زِقًّا وَخَابِيَةً بِعَوْدٍ مُقْطَعِ . . (9)

وجاء اللفظ في قول يزيد بن الطثريّة :ـ (طويل)

وَيَوْمٍ كَظِلِّ الرُّمْحِ قَصَّرَ طُولَهُ ... دَمُ الزِّقِّ عَنَّا واصْطِكَاكُ الْمَزَاهِرِ . . (10)

---

1) فقه اللغة للثعالبي .. ص 167
2) أدب الكاتب لابن قتيبة .. ص 179
3) فقه اللغة للثعالبي .. ص 26
4) أدب الكاتب .. ص 179
5) م س والصفحة نفسها .
6) محيط المحيط .. 883/1 ، و " أقرب الموارد " .. 468/1
7) انظر قول الثعالبي السابق ذكره .
8) صحاح الجوهري .. 2379/6
9) الشعر والشعراء ، تح /أحمد محمد شاكر ـ ط/دار المعارف مصر 1966م .ج 2/ 309 والشاعر كان جوادا ، ويسمى الكيس لحسن شعره ، وهو جاهلي وأدرك الاسلام فأسلم .
10) البيان والتبيين للجاحظ .. 216/1
والشاعر هو : يزيد بن سلمة بن سمرة ، والطثرية أمه ، كان جميلا وسيمًا ، شريفا مِتْلافًا ، توفي :ـ 126هـ .

ثمّ شاع فأصبح معروفا في الشعر العبّاسي ، عند أولئك الذين عرفوا بذكر الخمرة في أشعارهم، مثل أبي نواس، فإنّ شعره لا يكاد يخلو من هذا اللفظ، والمتصفّح لديوانه يتأكد من ذلك بأدنى جهد .. ومن ذلك قَوْلُه :ــ (بسيط)

قَدْ أَسْحَبُ الزِّقَّ يَأْبَانِي وَأُكْرِهُهُ * حَتَّى لَهُ في أَدِيمِ الأَرْضِ أُخْدُودُ .. (1)

وأعتقد أنّ كثيرا من الشعراء قد تحاشوا استعمال هذا اللفظ لارتباطه بطيف الخمرة، ولأنّ مشاعر المسلمين تزورّ عنه، فكان ذلك سببا غير مباشر في خلوّ المنظومة الشعرية منه ، وابتعاد ذوق المجتمع عنه .

ولا يزال اللفظ مستعملا في الأشعار العربية المعاصرة، فقد رأيته في شعر إيليا أبي ماضي موظّفا توظيفا مجازيا .. حيث قال :ــ (رمل)

وَإِلَى كُلِّ تَاجِرٍ حَرَّمَ النَّوْ - مَ زِقَّيْنِ مِنْ عَصِيرِ الكَذَّابِ .. (2)

ولم يطرأ على اللفظ تغيير كبير من حيث المبنى والمعنى ، غير أنّ مكانته في الاستعمال بدأت تتناقص بسبب تغيّر ظروف الحياة الاجتماعية، واتّجاه النّاس إلى استعمال أوعية لا تعرف بخصائص الزّقّ التي شرحناها . والنّاس في الأوساط العامّيّة الجزائرية لا يعرفون لفظ (الزّقّ) .. ولا يستعملونه .. وكلّ من كان له به معرفة فقد جاءته من طريق المعاجم الخاصّة .

واللفظ من ألفاظ الحضارة القديمة، الذي لم يدع مجمع اللغة العربية المصري إلى إحيائه فيما دعا إليه في معجمه الذي أعدّه لذلك .. (3)

---

1) ديوان أبي نواس .. ص 187
2) ديوان الخمائل، ط/ دار العلم للملايين بيروت 1974م. ص 48
3) ط/ 1980م .

قِرْبَة

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة في تعبير حقيقي ، تحدّث فيه صاحبه عن زيارة قام بها إلى صديق له ، وقد حمل إليه قربة نبيذ . قال : " وحملتُ مَعي قِرْبَةَ نَبيذٍ " .. (1)
قد يستعمل اللفظ مجازيا بإضافته إلى لفظ آخر .. يقال : " لقيت منه عَرَقَ القِرْبَة " . قال الأصمعي : " لقيتُ منه الشّدةَ " .. (2)

وجاء في تعريفها :-

* " القِرْبَة : ما يستقى فيه الماء ، والجمع في أدنى العدد قِرَبات ، وقِرَاب وقِرْبَات ، والكثير قِرَب " .. (3)
* " القِربة : الوَطْب من اللّبن ، وقد تكون للماء ، وقيل : هي المخروزة من جانب واحد " (4)
* " القِرْبة : ظرف من جلد ، يخرز من جانب واحد ، ويستعمل لحفظ الماء أو اللبن ، ونحوهما " .. (5)

ولم أجد تعريفا وافيا في كلّ من " تهذيب الأزهري " و " أساس البلاغة " و " القاموس المحيط " .. وقد كانت المعاجم المعتمدة ترتكز على كون القربة وعاء يستعمل للسّوائل خاصّة الماء منها ، ثمّ اللّبن بعد ذلك . عند بعض أئمّة اللغة . وزادوا في إيضاح شكلها ، فكانت لديهم مخروزة من جانب واحد .. (6)

وتصنع القربة لديهم من جلد بطريقة تجعله صالحا لنقل الماء وتقريبه إلى البيوت وحفظه ، وقد تكون للسّمن ، أو النّبيذ ، ولكن الشّائع أن القربة للماء .. والقربة وعاء ضروريّ لنقل الماء وحفظه في حياة البدويّ ، منذ الأزمان السّالفة ، وإلى يومنا هذا .

وتدرج المعاجم لفظ " القِرْبَة " في مادّة " ق ر ب " التي من معانيها " القَرَبُ طلب الماء " . (7) و " نَقْرب أي نطلب ، والأصل فيه طلب الماء ، ومنه ليلة القَرَب ، وهي الليلة التي يصبحون منها على الماء ، ثمّ اتّسع فيها ، فقيل : فلان يَقْرَب حاجتَه أي يطلبها " .. (8) ، ويقول ابن فارس :- " ق ر ب أصل واحد يدلّ على خلاف البعد " .. (9) ، ولم أجد ذكرا للقربة في هذا المرجع .

---

1) البخلاء .. ص 130
2) مجمع الأمثال .. 250/2
3) صحاح الجوهري .. 199/1
4) لسان العرب .. 667/1
5) المعجم الوسيط .. 723/2
6) انظر لسان العرب المرجع السابق .
7) القاموس المحيط .. 114/1
8) لسان العرب .. 683/1
9) مقاييس اللغة .. 80/5

ويظهر لي ممّا تقدّم من شروح أنّ أصل اللفظ عربيّ أصيل ، ولم أجد في المراجع التي تحدّثت عن الدخيل في اللغة العربية ما يناقض هذا الرأي .

وتعدّدت الأسماء للقربة بتعدّد أحوالها وظروف استعمالها ، فقالوا من ذلك :ـ

ـ السَّحْبَل : القربة العظيمة .. (1)

ـ الشِّكْوة : القربة الصغيرة .. (2)

وقال ابن السّكّيت : " ويقال لجلد الرضيع الذي يجعل فيه اللبن شِكوة " . (3)

وهذا اللفظ معروف لدينا في بادية الجزائر بهذه الدلالة المدروسة ، مستعملا في نقل اللّبن وحفظه .. وقال الجوهري : " الشِّكوة : جلد الرضيع، وهو للّبن ، فإذا كان جلد الجذع، فما فوقه سمي وَطْبًا " .. (4)

ـ القَسّة : بلغة أهل السّواد : القربة الصغيرة، والجمع قِسَاس " .. (5)

ـ المَزَادة : وهي زِقّ الماء خاصّة ، قال الحارث بن حلّزة اليشكري :ـ (خفيف)

وَصَتِيتٍ مِن العَوَاتِكِ كَمَا يَخْـ * ـرُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزَادَةِ المَاءُ .. (6)

ـ الخُبْر : وجمعه خُبُور، وهي مزادة الماء . قال النابغة الذبياني :ـ (طويل)

مُقَرَّنَةً بِالعِيسِ وَالأُدْمِ كَالْقَطَا * عَلَيْهَا الخُبُورُ مُحْقَبَاتِ المَرَاجِلِ .. (7)

ـ الشَّنّ : القربة الخلق ، وهي الشَّنّة أيضا ، وكأنّها الصغيرة ، والجمع الشِّنَان " .. (8)

وهم يحرّكونها إذا أرادوا حثّ الإبل على السّير ، ليفزع فتسرع .. قال النابغة الذبياني :ـ (وافر)

كَأَنَّكَ مِنْ جِمَالِ بَنِي أُقَيْشٍ * يُقَعْقَعُ خَلْفَ رِجْلَيْهِ بِشَنِّ .. (9)

وضُرِب بذلك المثلُ فقيل : " ما يُقَعْقَعُ خَلْفَه بِالشِّنَانِ " . يضرب لمن لا يتّضع لما ينزل به من حوادث . (10)

ـ السِّقاء : يكون للّبن والماء ، والجمع القليل أَسْقِيَة وأَسْقِيَات ، والكثير أَسَاقٍ " .. (11)

ويستعمل اللفظ حقيقة ومجازا ، قال الشاعر :ـ (بسيط)

إِذَا وَجَدْتُ أُوَارَ الحُبِّ فِي كَبِدِي * أَقْبَلْتُ نَحْوَ سِقَاءِ القَوْمِ أَبْتَرِدُ

هَذَا بَرَدْتُ بِبَرْدِ المَاءِ ظَاهِرَهُ * فَمَنْ لِحَرٍّ عَلَى الأَحْشَاءِ يَتَّقِدُ .. (12)

---

1) فقه اللغة للثعالبي .. ص 127
2) " " .. ص 126
3) إصلاح المنطق .. ص 375
4) صحاح الجوهري .. 2395/6
5) المخصص .. 4/10
6) شرح المعلّقات السبع .. ص 229 . والشاعر جاهلي .
7) ديوان النابغة الذبياني .. ص 200 . والشاعر جاهلي .
8) صحاح الجوهري .. 2146/5
9) ديوان النابغة الذبياني .. ص 252
10) مجمع الأمثال .. 261/2
11) صحاح الجوهري .. 2378/6 . و" إصلاح المنطق " .. ص 375
12) أمالي أبي علي القالي .. 31/1

وأرى أنّ هذه الألفاظ قليل من كثير، تدلّ على مجموعة من المعاني تكوّن فيما بينها علاقة في الأصل، وتختلف من حيث الدلالة الجوهريّة .لذا لا يمكن بأيّ حال اعتبارها ألفاظاً مترادفة حقيقيّة .

وبالملاحظة يتّضح لدينا أنّ لفظ (القِربة) لفظ عامّ تندرج تحته مجموعة من الألفاظ الخاصّة دلّ كلٌّ منها على معنىً معيّنٍ، يختلف عن الآخر اختلافاً بيّناً .

وليس لفظ (القِربة) من ألفاظ القرآن الكريم، ولكنّي صادفته في الأحاديث النّبويّة الشريفة التي قرأتُها في كتاب (صحيح مسلم) .. وقد ذكرت القربة مرّة بمعناها العام، وأخرى بالمعنى الخاصّ، بحسب أماكن استعمالها، من ذلك ما رواه أنَس بن مالك (ض) يوم أُحُد، قال : " ولقد رأيتُ عائشةَ بنتَ أبي بكر، وأمّ سليم وإنّهما لمشمّرتان أرى خَدَم سوقِهما، تنقلان القِرَب على متونهما ثمّ تفرغانه في أفواههم، ثمّ ترجعان فتملآنها " ..(1)

وفي حديث آخر عن ابن عبّاس(ض) أنّ النّبي (صلعم) قام فأتى القربة، فأطلق شناقها، ثمّ توضّأ " .. (2)

وجاء في الحديث استعمال لفظ (المَزَادة) لأغراض أخرى غير الماء، كالخمر مثلاً .. " قال رسول الله (صلعم) : إنّ الذي حرّم شُربَها، حرّم بيعَها، قال : ففتح المَزادةَ حتّى ذَهَبَ ما فيها " .. (3)

وعن أَنَس بن مالك (ض) قال : " إنّي لأسقي أبا طَلْحَة، وأبا دُجانة وسُهيل بن بيضاء من مزادة فيها خليطُ بُسْرٍ وتَمْر " .. (4)

كما وردت في حديث أبي طلحة العطاردي عن عمران بن الحصين، قال : " فبينما نحن نَسيرُ إذا نحن بامرأةٍ سادِلَةٍ رجليها بين مزادتين، فقلنا لها : أين الماءُ؟ فقالت : أيْهاهْ . أيْهاهْ لا ماءَ لكم ! " (5)

وقد ورد لفظ القربة في الأشعار العربية الجاهليّة والإسلامية عند شعراء مختلف العصور .. فقد قال امرؤ القيس :- (طويل)

وقِرْبَةِ أقْوامٍ جَعَلْتُ عِصامَها * عَلَى كاهِلٍ مِنّي ذَلُولٍ مُرَحَّلِ .. (6)

---

1) صحيح مسلم .. 189/12

2) م . س .. 44/6 . والشناق الخيط الذي تربط به في الوتد، وقيل الوكاء . (هامش صحيح مسلم في الصفحة نفسها .)

3) م . س .. 4/11

4) م . س .. 151/13

5) م . س .. 181/5

6) شرح المعلّقات السبع للزوزني .. ص 37 . والشاعر جاهلي .

ويلاحظ من المعنى أن القربة كانت تحمل على الكواهل، ولكن المعروف عندهم أنه يحملها أناس امتهنوا بهذا العمل. قال الأصمعي: "القِرَبُ تماتحملها الإماءُ الزَّوَافِرُ، ومن لا معين له. وربما افتقر الرّجل الكريم إلى حملها بنفسه، فيعرق لما يحمله من المشقّة والحياء من النّاس". [1]

ويفهم من نقل امرئ القيس للقربة - وهو الرجل الكريم في قومه - أنه تواضع منه من وزّة، وبذا يكون قد تمدّح بخدمة الرفقاء في السّفر، بحمله سقاء الماء على كاهل قد مُرّن عليه.

وذُكِرَت ألفاظ أخرى من عائلة القربة، كالشّنّ، والمزادة، والسقاء في أشعار مختلفة الأزمان. [2]

ولا تزال القربة معروفة بشكلها ووظيفتها في بادية صحراء الجزائر، وقد خصّصت للماء، دون أن تصرف لغيره، فما كان منها لِلّبن سمي (شِكْوَة). ولا زالت القربة محافظة على قيمتها الحضارية، لعدم انقضاء الحاجة إليها، رغم تطوّر الحياة الاجتماعية في شتّى الميادين.

وأعتقد أن القربة لم تفقد مزاياها الحضاريّة في العصر الحديث، ورغم بساطة الصنع والسهولة فإنّ الحاجة إليها مازالت ماسّة. كما أعتقد - أيضا - أنّ الناس في الريف حيث تنعدم الوسائل الحضارية الحديثة ما يزالون في حاجة إليها. لذا أعتبرها من الألفاظ الحضارية القديمة التي احتفظت بقيمتها حتّى هذا الزمن.

ورغم ذلك فإنّ "مجمع اللغة العربية المصري" لم يعدّها من ألفاظ الحضارة الحديثة، ولم يدوّنها في معجمه الذي أعدّه لذلك. [3]

---

1) مجمع الأمثال .. 150/2

2) انظر الأبيات التي سبق ذكرها في هذا العرض.

3) ط/ 1980م.

الباب : الأول

الفصل : الثالث .

المجموعة : الثالثة .

الألفاظ : ــــ

قارورة . دبة .

قـــــارُورَة

تكرّر اللفظ في " البخلاء " ثلاث مرّات ، في تعبيرين حقيقيين ، وثالث مجازي . قال : " ولتماتخرّجان جميعًا من قارُورَة واحِدة ". (1)

ويستعمل اللفظ مجازيا بالاسناد إلى غيره . " وتقول للعاجز عن جواب سؤالك قد تكسّرت به قواريرك ". (2) ، ووصف النّساء بالقوارير لضعفهنّ ، ففي الحديث الشريف " رُوَيْدَكَ سَوْقَك بالقَوَارِير (3) والعرب تسمي المرأة قارورة . . (4) ، وفي الأمثال : " فلان يدهن من قارورة فارغة . أي أنه يتمدّح بما لا يفعل " . . (5)

وجـاء في تعريفها :ــ

* " القَـارُورَة : واحدة القوارير من الزّجـاج " . . (6)
* " القَارُورَة : واحدة القوارير من الزجاج ، وقيل لا تكون إلّا من الزجاج خاصّة " . . (7)
* " القَارُورَة : ماقرّ فيه الشراب ونحوه . . أو يخصّ بالزجاج " . . (8)
* " القَارُورَة : وعاء من الزجاج تحفظ فيه السوائل ؛ ، والقاروة وعاء الطيب " . . (9)

ويلاحظ عدم كفاية هذه التعاريف في ايضاح شكل هذا الاناء وحجمه ، وقدركّزت في أغلبها على مادّة الصّناعة التي هي الزجاج ، فكأنّما ذهبت إلى العموم الداعي إلى الغموض ، غير أن المرجع الأخير قد حاول استدراك ما فات المعاجم السابقة ، فأعطى توضيحا أكثر بيانا من غيره .

والقارورة تصنع من مادّة الزجاج ذلك ما أقرّه معظم أئمّة اللغة العربيّة في معاجمهم ، ويتحدّد استعمالها في "إناء يقدّم فيه الشّراب ونحوه " . . (10)

فممّا يستعمل فيه غير الماء : الطّيب ، والرطب والتمر . (11) والخلّ والبِزْر . . (12) والزيت . وفي هذا الحـال كلّ وعاء قديكون له إسم خـاصّ سنعرفه في موضعه ــ إن شـاء الله .

وتورد المعاجم لفظ (القارورة) في مادّة " قرّ " التي وجدتّها مختلفة المعاني . قال ابن فارس : " قر : أصلان صحيحان يدلّ أحدهما على برد والآخر على تَمَكّن . يقال : قَرّ واسْتَقَرّ . . (13)

---

1) البخـــلاء .. ص 114
2) أساس البلاغة .. ص 501
3) صحيح مسلم .. 80/15
4) لسان العرب .. 80/5
5) شفاء الغليل .. ص 245
6) صحاح الجوهري .. 789/2
7) لسان العرب .. 80/5
8) القاموس المحيط .. 115/2
9) المعجم الوسيط .. 725/2
10) المخصـــص .. 86/11
11) محيط المحيط .. 1688/2 ، و "أقرب الموارد" .. 982/1
12) البزر : دهن ، وهي التوابل .. (صحاح الجوهري : 589/2)
13) مقاييس اللغة .. 8/5

والقرار في المكان والاستقرار فيه، تقول منه : " قَرَرْتُ بالْمَكان ، أَقِرُّ قرَارًا " . . (1)

واختلفوا في أصل التّسمية ، فهي عند البعض" قال أبو إسحاق : القارورة من القرار، كــأنّ الشراب استقرّ فيها على ما تقدّم " . (2) ،، وأنكر ابن فارس هذا الرأي ، فقال : " فأمّا أن نتعدى وَنَتَحَمّل الكلام كما بلغنا عن بعضهم سميت القارُورة لاستقرار الماء فيها وغيره فليس هذا من مذ هبنا " (3)

وأكد ابن منظور هذا الرأي فقال : " القارورة سُمِيت بذلك لاستقرار الماء فيــها " . . (4)

وأعتقد أنّ مثل هذه الأفكار كانت مطروحة للنّقاش، فأفرزت اتّجاهات في الرّأي مختلفة كانت عاملا مساعدا على بعث عجلة البحث في أصول معاني الألفاظ . وأنا أساند الرأي القائل بأنّ القارورة من استقرار الشيء فيها ، فهو عندي أقرب إلى الفهم من غيره، ثمّ إنّ ابن فارس لم يقدّم بديلا عن المعنى الذي رَفَــضَه، ولا برّر موقفه منه .

ونجد من بين الباحثين المعاصرين من يزعم بأنّ أصل اللفظ أعجميّ ، فهذا صاحب كتاب :ـ " غرائب اللغة العربية" يقول بأنّ (القارورة) لفظ آراميّ وأصله في لغته (Gorofiro) . . (5)

ولم أجد في المراجع التي رأيتها تتحــدّث عن الدخيل من أيّــد هذا الرّأي إلّا أنّ الخفاجي فــي " شــفاء الغليل" ذكر اللفظ دون الإشــارة إلى أصل لغته التي جاءتا منها . . ونظنّه يعتبــر اللفظ دخيلا ، وإلّا ما كان ليدرجه في كتاب خصّصه للألفاظ الدخيلة في العربية . . (6)

ويمكن أن تتعدّد أسماء القارورة بتعدّد أحوالها وظروفها ، فممّا جاء في ذلك :ـ

ـ البَطّــة : إناء كالقارورة شامية . . (7) . وقال الجواليقي : " البطّة : إناء كالقارورة ، وهــي صحيح ، أحسبه لغة شآمية . . وهي بلغة أهل مكّة ، لأنّها تعمل على شكل البطّة من الحيوان " . . (8) ،، وأفهم من قول الجواليقي هاهنا عدم استقراره على أصل التسمية ، فهو ينسبها مرّة للشّام ، ومرّة أخرى لمكّة ، وهي مدينة بالحجاز ، في شبه الجزيرة العربية .

ـ الحَوْقَلَة : القارورة الطّويلة العنق . . (9) ،، ولم أجد هذا اللفظ بالمعنى المطلوب في (صحاح الجوهري) مادّة " حوقل " . . (10)

ـ الحَوْجَلة : القارورة العظيمة الأسفل . . (11)

ـ الغَدَرَة : القارورة الصغيرة . . (12)

---

1) صحاح الجوهري .. 790/2
2) المخصص .. 86/11
3) مقاييس اللغة .. 80/5
4) لسان العرب .. 80/5
5) غرائب اللغة العربية .. ص 200
6) شفاء الغليل .. ص 245
7) المخصص .. 85/11
8) المعرب .. ص 64
9) المخصص .. 85/11
10) ج 1671/4
11) المخصص .. 86/11
12) لسان العرب .. 80/5

ـ **القَاقُزَة** : الصغيرة من القوارير، أو مشربة، أو قدح ، ويقال أيضا القَاقُزّة للصّغير من القوارير، وهو لفظ مولّد .. (1)

وقد تستعمل للخمرة ،كما يفهم من قول الشاعر الأقيشر الأسدي : ــ (بسيط)

أَفنَى تِلَادِي وَمَا جَمَّعْتُ مِنْ نَشَبٍ * قَرْعُ القَوَاقِيزِ أفْوَاهَ الأَبَارِيقِ .. (2)

وممّا جاء مشتركا مع اللفظ قولهم :ــ

ـ **القَارُورَة** : حدقة العين ،على التشبيه بالقارورة من الزجاج لصفائها ،وأنّ المتأمل يرى شخصه فيها .. (3)

ـ **القَارُورَة** : وعاء الطيب .. (4)

ــ **القَارُورَة** : وعاء الرطب والتمر .. (5)

ــ **القَارُورَة** : المرأة على التشبيه بها في سهولة الكسر .. (6)

ــ **القَارُور** : (اللفظ مذكّر) : الماء البارد يغتسل به .. (7)

وبملاحظة كلّ ما تقدّم يتّضح أنّ لفظ " القارورة" لفظ عامّ قد اندرج تحته مجموعة قليلة من الألفاظ الخاصّة ، ثمّ إنّه يشترك مع غيره في معان أخرى متباينة . أمّا عن الألفاظ التي تبدو مترادفة فإنّها ليست كذلك في حقيقتها لوجود فروق دقيقة بينها من حيث الدلالة على أوانيها المختلفة الأشكال والصنع.

وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم للدّلالة على معان مخالفة للمعنى الذي شرحناه ، وكان اللفظ فيه واردا في صيغة الجمع (قوارير) .. قال تعالى : ــ

" وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا " .. (8)

وقال الزمخشري في شرحها : " ومعنى قوارير من فضّة أنها مخلوقة من فضّة ، وهي مع بياض الفضّة وحسنها ، في صفاء القوارير وشفيفها " .. (9)

وقيل إنّ قول الله تعالى : " قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ " أي أواني يقرّ فيها الشراب ، وقيل بل المعنى أواني فضّة في صفاء القوارير وبياض الفضّة ، وهذا أعجب التفسيرين " .. (10)

وقال تعالى : " قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً ، وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا ، قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ " .. (11)

---

1) الافصاح في فقه اللغة .. 586/1
2) إصلاح المنطق .. ص 338
3) لسان العرب .. 80/5
4) المعجم الوسيط .. 725/2
5) محيط المحيط .. 1688/2 . و " أقرب الموارد " .. 982/1 .
6) المعجم الوسيط .. 725/2 . و " لسان العرب " .. 80/5
7) صحاح الجوهري .. 789/2 . و " اساس البلاغة " .. ص 501
8) الانسان ، الآية : 15 و 16
9) الكشاف .. 198/4
10) المخصص .. 86/3
11) النمل ، الآية : 44

وقال الزمخشري : " الصَّرْحُ القَصْرُ، وقيل : صَحْنُ الدَّارِ، والمُمَرَّد المُلَمَّس " .. (1)

ويفهم من الشّرح ها هنا أنّ القارورة تعني الزجاج الصّافي الشفّاف .. فكأنما القارورة هي الزجاجة، عند انتقال الدلالة من مادّة الصناعة إلى الإناء نفسه .

ورأيت لفظ القارورة فيما قرأت من حديث نبوي شريف في (صحيح مسلم)، وقد وظّف توظيفا مجازيا . فعن أنس بن مالك (ض) أنّه قال : " قال رسول الله (صلعم) : يَاأَبَا أَنْجَشَةَ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بِالْقَوَارِيرِ " . فقال النووي : " يعني ضعفة النساء، أي ارفق في سوقك بالقوارير، قال العلماء سمي النساء قوارير لضعف عزائمهنّ، تشبيها بقوارير الزجاج لضعفها " .. (2)

ولم أر اللفظ في الشعر العربي الذي قرأته، ولعلّه نادر الوجود .

ولم يعد اللفظ شائعا في عامية الجزائر الحالية، وإذا ذكر لم ينتبه له إلا المثقفون الذين سبق لهم الاطّلاع عليه من خلال الدراسة، وقد يكون من بين الناس من يعرفه جيّدا، وهو عندي قليل .

وشاع هذا اللفظ حديثا - بعد الاطّلاع - فقد أصبح يطلق على زجاجة صغيرة - غالبا - يوضع فيها الدواء، يقال : خذ قارورة من دواء كذا .. وهذا الاستعمال أصبح معروفا في أوساطنا المثقفة، وبذلك يكون قد أصاب اللفظ تطوّر دلالي جعله خاصا بعد أن كان عامّا، كما سلف الذكر.

والقارورة من وسائل الحضارة القديمة التي لا زالت مستعملة في عصرنا، والحاجة إلى إحياء هذا اللفظ ماسّة، ورغم ذلك فإنّ " مجمع اللغة العربية " المصري لم يدع إلى إحيائه، إذ سكت على تدوينه في معجمه الذي أعدّه لألفاظ الحضارة الحديثة .

---

1) الكشاف .. 151/3

2) صحيح مسلم .أ 80/15

د بّـة

تكرّر اللفظ في " البخلاء " مرّتين ، في تعبير حقيقي واحد ، قال : " فَأَخَذَ دَبَّةً وَجَعَلَ فِيهَا حَصًى ، فَإِذَا قَعْقَعَتِ الدَّبَّةُ بِالحَصَى نَفَرَ الفَرَسُ " .. (1) ، يتحدّث عن رجل يضع الحصى في الدبة فإذا اقترب المتطفّل منه راكبا فرسا قعقع الرجل الدبّة بالحصى فينهزم الفرس بما عليه ، ويتخلّص الرجل من مضايقات المتطفّل الذي يريد مشاركته في أكله .. ولم أجد للفظ استعمالا مجازيا .

وجاء في تعريفها :-

* " الدَّبّة : التي للدّهن " .. (2)
* " الدَّبّة : التي يجعل فيها الزيت ، والبزر والدهن ، والجمع دِبَاب ، عن سيبويه " . (3)
* " دَبّة : (بالفتح) : ظرف للبزر والزيت ، ويكة من الزجاج خاصّة " .. (4)
* " دَبّة : قارورة الزيت ، ونحوه " .. (5)

ولا حظ من هذه التعاريف كلّها تقصيرها في تعيين وتحديد شكلها وحجمها ، واكتفاء بعضها بالتعميم ، حينما جعلها للزيت ونحوه .

تصنع الدبّة من مادّة الزجاج ، فهي عندهم من عائلة القارورة . متعدّدة الاستعمال ، صالحة للزيت والدهن والبزر ، وأشياء أخرى من السوائل كالخلّ والخمر ، وغيرها . ويمكن تحديد الدّلالة بإضافة الآنية إلى محتواها ، كقولنا " دَبّة الخَلِّ " و " دبّة الدُّهْن " و " دبّة البَزْر " .. ولعلّ البزر هنا دهن يستخرج من بذور بعض النباتات . قالوا : " زار رجل أبا العتاهية (الشاعر المعروف) فوجده يأكل . قال : " فدعاني ، فمددت يدي معه ، فإذا بثريدة بخلّ وبزر بدلا من الزيت ، فقلت : أتدري ما تأكل ؟ قال : نعم . ثريدة بخلّ وبزر ، فقلت : وما دعاك إلى هذا ؟ قال : غلط الغلام بين دبّة الزيت ودبّة البزر ، فلمّا جاءني ، كرهت التجبّر ، وقلت : دهن كدهن ، فأكلت ، وما أنكرت شيئا " .. (6)

وتدرج المعاجم لفظ " الدبّة " في مادّة " د ب ب " . يقول ابن فارس إنّها : " أصل واحد صحيح منقاس ، وهو حركة على الأرض أخفّ من المشي " .. (7) ، ولم أجد فيه ذكرا للفظ المدروس وبالتأمّل في العلاقة بين معاني المادّة ودلالة هذه الآنية فما اتّضحت لي صلة . ممّا يرجّح

---

1) البخلاء .. ص 153

2) صحاح الجوهري .. 1/124

3) لسان العرب .. 1/372

4) القاموس المحيط .. 1/65 ، و " أقرب الموارد " .. 1/316

5) المعجم الوسيط .. 1/268

6) أغاني أبي الفرج الاصفهاني ، ط/ دار الفكر للجميع 1970م ، ج 3/133

7) مقاييس اللغة لابن فارس .. 2/264

اعتبار لفظ (الدبّة) أعجميّ الأصل ، مِصْداقًا لِقَوْل مَنْ قَالَ بأعجميّته . ففي كتاب " غرائب اللغة العربية " : " الدَبّة فارسية : إناء للزيت وغيره " . (1) ، وقال آدي شير : إنّ الدبّة تعريب (دَبَا) ، وهي الدَبّاء ، والدَبّة ، وهو القَرْع " . (2) ، ولا ندري مدى مطابقة الدّال للمدلول في كلتا اللغتين العربية والفارسية حتّى نتبيّن العلاقة واضحةً .

وللّفظ بعض الاشتراك في معان مختلفة ، منها :

— الدَبّة : الموضع الكثير الرّمل ، يضرب مثلا للدهر الشديد . (3)

— الدَبّة : بَطّة من الزجاج خاصّة . (4)

— الدَبّة : الزَغب على الوجه . (5)

— الدَبّة : القَرْع . (6) ، هكذا وجدت اللفظ في معجم عربي ، ولم أتبيّن المقصود من معنى القرع ، حتّى وجدته في " صحاح الجوهري " بمعنى (حمل اليقطين) الواحدة قرعة . (7)

وعند المحدثين : " القرع أو القرعة بمعنى وعاء يجعل فيه السمن أو التمر " . (8) ، ولعلّها أخذت إسمها (القَرْع) من التشابه بين الإناء وثمرة اليقطين ، المشروحة أعلاه .

ويظهر لي أنّ لفظ (الدَبّة) لفظ خاصّ بشكل من أشكال القوارير الممتدّة التي تصنع من الزجاج خاصّة . (9) ، واللفظ العام له هو القارورة .

وليس لفظ (الدَبّة) من ألفاظ القرآن الكريم ، ولكنّي رأيته فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) . قال : " نهى رسول الله (صلعم) عَنِ الدُبّاء ، والمُزَفَّت أن يُنْتَبَذ فيه " . (10)

وأعتقد أن لفظ (الدَبّة) قليل الورود في الشعر العربي إذ لم أصادفه فيما قرأت من شعر جاهلي وإسلامي ، ممّا يرجّح لديّ ميل العرب إلى استعمال غيره مرادفًا له كان شائعا ثمّ ركد ، أو أنّهم كانوا يستغنون بلفظ (البَطّة) على استعمال لفظ (الدَبّة) ذات الحروف المتقاربة المخارج ، فينفر منها الذوق العربي الأصيل الذي يفضّل الألفاظ الفصيحة المتباعدة المخارج . ثمّ إنّي أرجّح دخول لفظ (الدَبّة) إلى العربية مع مجيء أشكال جديدة من القوارير إلى الحياة الحضارية العربية .

---

1) غرائب اللغة العربية .. ص 227
2) الالفاظ الفارسية المعربة .. ص 60
3) لسان العرب .. 1/372
4) القاموس المحيط .. 1/65
5) محيط المحيط .. 1/630 ، و " القاموس المحيط " .. 1/65
6) أقرب الموارد .. 1/316
7) ج 3 / 1262
8) أقرب الموارد .. 1/316
9) القاموس المحيط .. 1/65
10) صحيح مسلم .. 13/158

ولم يعد لفظ (الدَبَّة) شائعا معروفا في المنظومة اللغوية العربية الحالية ، فكثير من الناس يجهل مدلول اللفظ الآن ، إلّا إذا عادوا إلى معجم ينجدهم .. ولم يعد معروفًا في عامية الجزائر الحالية ، فمثله كمثل القارورة ، مع فارق طفيف ، حتّى أنهم إذا أرادوا التعبير عن الآنية هذه قالوا : إنّها (قَرْعَة) ، فكلّ زجاجة عندنا قرعة ، بغضّ النظر عن أشكالها وأنواعها . والملاحظ أنّ (القَرَعَة) أو (المُقَرَّعَة) لفظ أطلقه العرب على " الدَبَّة " أو " الهَكَّة " ، كما سلف الحديث عنها في مكانه .. فيكون تعبيرنا عن " الدَبَّة " بلفظ (القَرْعة) مسايرا لكلام العرب .. ونسمّيها (الهَكَّة) كذلك ، ويجعل فيها الزيت وغيره ، وتلك تسمية عربية فصيحة .

أمّا في المشرق العربي فإنّ العامّة تسمّي الدَبَّة (دُبَيَّة) .. [1] ، وتكون قد انحرفت باللفظ انحرافا منكرا ، بعُدت به عن صيغته العربية الأصيلة .

والدبّة لفظ من ألفاظ أواني الحضارة القديمة التي لا زالت صالحة للاستعمال في حضارتنا الحالية ، فينبغي بعثها من جديد .. ولكن مجمع اللغة العربية المصري لم يَدْعُ إلى إحياء هذا اللفظ ، ودعا إلى استعمال لفظ آخر أكثر تعقيدا من لفظ (الدَبَّة) ليدلّ على مايدل عليه لفظ (الدَبَّة) في الأصل العربي ، وذلك حينما اقترح ترجمةً للفظ الأوروبي (Huillier) (حاملة الزيت) ، وقال هي : " زجاجة ذات شكل خاصّ ، يوضع بها زيت الطعام ، ومثلها للخل أحيانا " .. [2] ، ولا أراه إلّا قاصدا الدبّة أو الهكّة ، ذلك اللفظ العربي مع تغيير طفيف في شكل الآنية ، دعت إليه ظروف الحياة الحضارية الحديثة .

---

1) محيط المحيط لبطرس البستاني .. 630/1

2) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة .. ط/1980م . ص 18 .

البـــــاب : الأول .

الفصـــــل : الثـالث .

المجمـــــوعة : الرابعـــة .

الألفـــــاظ : ـــ

خزانة ، جراب ، جسّلة ، حقيبة ، زبيل ، سلّة ، كيس ، صندوق .

خـــزانـــة

تكـرّر اللفظ في "البخلاء" مرّتين ، في تصوير حقيقي ، يتحدّث الأول عن وصف لمحتويات الخزانة ، ويوضّح للمتفقّد كيف يأخذ حاجته منها ، والثاني يلوم على مبذّر يتلف أمواله [illegible] خزائنه .

ويستعمل لفظ الخزانة استعمالا مجازيا ، كما جاء في حكمة لقمان " إِذَا كَانَ خَازِنُكَ حَفِيظًا وخزانتك أمينةً رشدتَ في دنياكَ وآخرتِك " .. (1)

وجـاء في تعريفها :ـ

* " الخِزانة : إسم المكان الذي يُخْزَن فيه الشيء " .. (2)
* " الخِزانة : واحدة الخَزائن " .. (3)
* " الخِزانة : إسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء " ،، والخِزانة واحدة الخَزائن" . (4)
* " الخِزانة : مكان الخَزْن ، (ج) خَـزائن " .. (5)

ونلاحظ أن هذه التعاريف قد وضّحت جانبا من حدود الخزانة دون بيان الشكل أو الحجم وأهملت الحديث عن صناعتها .

وبحثت كثيرا لأعرف مادّة صناعة الخزانة في العصور الأولى للإسلام فلم أعثر على طائل ، ولكني أعتقد أنها كانت تصنع ممّا يصنع منه الأثاث في ذلك الزمن ، كالخشب ، خاصّة ما يسمّى بالخَلَنْج وهو خشب صلب جميل " كانت العادة أن يصنع منه أثاث المنازل في القرن الرابع الهجري ، وهو خشب أبيض مائل إلى الحُمرة " .. (6) ،، وقد تصنع من موادّ أخرى غير هذه دون أن تمّن لنا المراجع التي رأيتها طبيعة أو مصدر استخراجها .

وتستعمل الخزانة أساسا في خزن الأشياء ، وتعدّدت وظائفها في العصر الحديث إلى خزن أشياء أكثر أهمّية كالمعدّات والآلات الدقيقة المختصّة بالأعمال العلميّة ، كخزانة الاحتراق في علم الهندسة والميكانيكا ، وهي الفراغ الداخلي الذي يحدث فيه الاحتراق .. (7)

وتدرج المعاجم لفظ " الخِزانة" في مادّة " خ ز ن " . يقول ابن فارس: " خزن : أصل واحد يدلّ على صيانة الشيء " .. (8)

---

1) أساس البلاغة .. ص 162
2) تهذيب الأزهري .. 208/7
3) صحاح الجوهري .. 2108/5
4) لسان العرب .. 139/13
5) المعجم الوسيط .. 233/1
6) الحضارة الإسلامية .. 334/2
7) المعجم الوسيط .. 233/1
8) مقاييس اللغة .. 178/2

ومن هذا المعنى يكون الغرض من الخزانة صيانة الأشياء والمحافظة عليها ، ولكنّي أعتقد أنّ لمادّة " خ ز ن " معان أخرى غير الأصل الواحد الذي ذكره ابن فارس. فقد جاء في " التهذيب " " خَزَنَ الشيءَ يخزنه خَزْنا ، إذا أحْرَزه في خزانته " . . [1] و " خَزِنَ اللحم : أنتن . .

قال طرفة : — (رمل)

ثُمَّ لا يَخْـزَنُ فِينَا لَحْمُهَا * إِنَّمَا يَخْزَنُ لَحْمُ المُدَّخِـرْ " . . [2]

ويلاحظ أنّ لفظ " الخزانة " مشتقّ من المادّة التي ذكرها ابن فارس بمعنى الحفظ والصيانة ، وأراه إسما عربيا أصيلا . ولم أجد في المراجع التي رأيتها ما يخالف هذا الرأي .

ومن العربية انتقل اللفظ إلى اللغة الإسبانية ، فكان فيها (ALACENA) . . [3]

والخزانة لفظ عامّ ، تندرج تحته مجموعة من الألفاظ الخاصّة لشكل من أشكال الخزانة ، ويمكن أن تتعدّد أسماؤها بتعدّد وظائفها . . من ذلك : —

— العَيْبَة : ما يجعل فيه الثياب . . [4] ، وجاء ذكرها فيما أثر عن عائشة أمّ المؤمنين (ض) أنها قالت لعمر بن الخطّاب : " مَالِي وَمالكَ يا ابنَ الخَطّاب ، عليكَ بعيبتِك " ، فقال النووي شارحًا : " المراد عليك بوعظ ابنتك حفصة . قال أهل اللغة : العَيْبَة في كلام العرب وعاء يجعل فيه الإنسان أفضل ثيابه ، ونفيس متاعه ، فشبّهت ابنته بها " . . [5]

— المَخْزَن : ما يخزن فيه الشيء . . [6]

وللفظ " الخِزَانة " معان أخرى غير هذه ، نذكر منها : —

— الخِزَانة : عمل الخازن . . [7]

— خِزَانَةُ : الإنسانِ قلبُه . . [8]

— خِزَانَة : آيات القرآن الكريم خزائن . قال سفيان بن عيينة : " إنّما آيات القرآن خزائن ، فإذا دخلت خزانة فاجتهد ألّا تخرج منها حتّى تعرف ما فيها " . . [9]

وقد وردت الخزانة في القرآن الكريم . . قال تعالى : —

" قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ " . . [10]

1) تهذيب الأزهري .. 208/7
2) صحاح الجوهري .. 2108/5 . و " أساس البلاغة " .. ص 162
3) غرائب اللغة العربية .. ص : 144
4) صحاح الجوهري .. 190/1
5) صحيح مسلم .. 82/10 (الهامش)
6) صحاح الجوهري .. 2108/5
7) تهذيب الأزهري .. 208/7
8) لسان العرب .. 139/13
9) تهذيب الأزهري .. 208/7
10) الأنعام ، الآية : 50

وقال الزمخشري : "أي لا أدّعي ما يُستبعد في العقول ، أن يكون لبشر من ملك خزائن الله ، وهي قسمة بين الخلق وأرزاقه " .. (1)

وقال تعالى : " وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ " . (2)

وما شرح الزمخشري شيئا منها .

وقال تعالى : " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ " .. (3)

وقال الزمخشري : " ولّني على خزائن أرضك فإني أمين أحفظ ما تستحفظنيه ، عالم بوجوه التصرف فطلب التولية ابتغاء وجه الله ، لا لحب الملك والدنيا " .. (4)

وقال تعالى : " وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ، وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ " .. (5)

وما شرح الزمخشري شيئا منها .

وقال تعالى : " أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ " .. (6)

وقال الزمخشري : " يعني ما هم بمالكي خزائن الرحمة ، حتى يصيبوا بها من يشاء ، ويصرفونها عمن شاءوا ، ويتخيروا للنبوة بعض صناديدهم ، ويترفعوا بها عن محمد (صلعم) ، وإنما الذي يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه ، الوهاب الكثير المواهب ، المصيب بها مواقعها ، الذي يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله " .. (7)

وقال تعالى : " أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ " .. (8)

وقال الزمخشري : " الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاءوا ، أم عندهم خزائن علمه ، حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة " .. (9)

وقال تعالى : " وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ " .. (10)

وقال الزمخشري : " وبيده الأرزاق والقسم ، فهو رازقهم منها ، وإن أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ، ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون " .. (11)

وجاء في الأثر عن ابن الخطاب (رض) أنه قال : " تفرّست ببصري في خزانة رسول الله (صلعم) فإذا أنا بقبضة شعير نحو الصاع " .. (12)

---

1) كشاف الزمخشري .. 20/2
2) هود ، الآية : 31
3) يوسف ، الآية : 55
4) الكشاف .. 328/2
5) الحجر ، الآية : 21
6) ص ، الآية : 9
7) الكشاف .. 361/3
8) الطور ، الآية : 37
9) الكشاف .. 26/4
10) المنافقون ، الآية : 7
11) الكشاف .. 111/4
12) صحيح مسلم .. 83/10

وقال رسول الله (صلعم) : " بُعِثت بجوامع الكلم ، ونُصِرْتُ بالرعب ، وبينا أنا نائم أُتيتُ بمفاتيح خزائن الأرض فوُضِعَتْ في يدي " . . (1)

وقال عليه الصلاة والسلام : " لا يَحْلُبَنَّ أحدٌ ماشِيةَ أحدٍ إلّا بإذنِه ، أيُحِبُّ أحدُكم أنْ تُؤتَى مَشْرَبَتُه ، فتُكسَرَ خزانتُه ، فيُنتَقل طعامُه ، إنّما تخزن لهم ضُروعُ مَواشِيهم أطعمتَهم ، فلا يَحْلُبَنَّ أحدٌ ماشيةَ أحدٍ إلّا بإذنه " . . (2)

والملاحظة التي نستنتجها أنّ الخزانة في عهد رسول الله (صلعم) كانت تستعمل حقيقة ومجازا ، وهي معروفة لحفظ المادّة وصيانتها ، كما هو معروف الآن .

ولم أتمكّن من إيجاد اللّفظ فيما قرأت من أشعار عربية .

وفي عامية الجزائر الحالية نجد اللفظ شائعا معروفا . . والخزانة من ألفاظ الحضارة القديمة الذي لا يزال صالحا للحضارة الحديثة . . ومجمع اللغة العربية المصري ترجم اللفظ الفرنسي (Coffre-fort (F)) بالخزانة ، ويقول معرّفا هو " صوان من الحديد الثقيل . . محكم الإغلاق ، تحفظ فيه الأشياء الثمينة التي يخشى عليها من الضياع أو السرقة ، كالنقود والجواهر والوثائق " . . (3)

غير أنّ التسمية ناقصة على اعتبار أنّ لفظ الخزانة لفظ عامّ ، لا يفي الدلالة حقّها . . وأعتقد أنّ لفظ " الخزانة الحافظة " أكثر مناسبة من لفظ الخزانة وحده . . والله الموفّق .

---

1) م . س 5/3 . .

2) م . س 29/12 . .

3) معجم ألفاظ الحضارة الحديثة . ط/ 1980م . ص 19.

جـــراب

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة، في تعبير حقيقي يتحدّث عن صناعة الجِرَاب، وكيفيـــة استغــــلال الجـلـد في ذلك .

وفي المجـاز، قالوا عن دِعبِل .. (1) : إنّه يُدخِل يدَهُ في الجِرَاب، ولاَ يُخْرِجُ شَيئًا" .. (2)

وجـاء في تعريـفه :-

* " الجِرَاب معروف، والعامّة تفتحه، والجمع أَجْرِبَة وجُرُب وجُــرُب " .. (3)
* " الجِرَاب : الوعاء المعروف، وقيل هو المِزْوَد، والعامّة تفتحه فتقول الجَرَاب .. والجِراب: وعاء من إهاب الشّاء، لا يوعى فيه إلاّ اليابس " .. (4)
* " الجِـرَاب : المِزْوَد أو الوِعَـاء " .. (5)
* " الجِرَاب : وعاء يحفظ فيه الزّاد ونحوه .. (ج) أَجْرِبَة وجُرُب " .. (6)

ونلاحظ أن هذه المعاجم قد حاولت إعطاء صورة واضحة لهذا الوعاء، ولكنّها أهمـلـت تحديد المادّة التي تصان فيه . أمّا تخصيصها للشيء اليابس، فهو ضرب من الإبهام .
والجراب وعاء للعرب كانوا يصنعونه من - غالبا - من جلد الشاء، ثمّ تطوّرت صناعته من موادّ أخرى كالصوف والشعر وغيرهما، ثمّ تعددت الأسماء تبعا لذلك، كما سيظهر أمامنا في مكانه، إن شاء الله .

قال ابن منظور : " لا يحمل فيه إلاّ اليابس " . وقال غيره : " يحفظ فيه الزّاد " ومن هـنـا يمكن استنتاج طبيعة هذا الوعاء وأماكن استعماله .

وتدرج المعاجم هذا اللفظ في مادّة (ج ر ب) . يقول ابن فارس: " ج ر ب : أصــلان : أحدهما الشيء البسيط يعلوه كالنبات من جنسه . والآخر شيء يحتوي شيئا، فالأوّل الجَرَب وهو معروف، وهو شيء ينبت على الجلد من جنسه، والأصل الآخر الجراب وهو معروف " .. (7)
ومن المعنى الثاني يكون اللفظ عربيّا أصيلا ،، ولم أجدْ في المراجع التي رأيتها ما خالف هذا الحكم .

---

1) الشعر هو : دِعْبِل بن علي بن رزين الخزاعي، ويكنى أبا علي، شاعر مطبوع متقدّم، هجّاء، خبيث اللسان، توفي (240هـ) . (معاهد التنصيص .. 2/190) .
2) موشّح المرزباني .. ص 493 .
3) صحاح الجوهري .. 1/98 .
4) لسان العرب .. 1/261 . و" تهذيب الأزهري " .. 11/52
5) القاموس المحيط .. 1/45 .
6) المعجم الوسيط .. 1/114 .
7) مقاييس اللغة .. 1/450 .

وانتقلت دلالة اللفظ إلى معاني أخرى مجاورة، فكان من ذلك ألفاظ، نذكر منها :-

- جِرَاب البئر : جَوْفُها واتّساعها . . (1)، وجوفها من أعلاها إلى أسفلها . . (2)

- جِرَاب السيف : قِرابه . . (3)

وأرى لفظ الجراب لفظا خاصّا .

وليس الجراب من ألفاظ القرآن الكريم، ولكنّي رأيته فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) . من ذلك :-

عن جابر قال : " بعثنا رسول الله (صلعم) وأمّر علينا أبا عبيدة، نلتقي عِيرًا لقريش، وزوّدنا جِرَابا من تمر" . . (4)، وعن عبد الله بن مغفّل قال : " أصبت جِرَابا من شحم يوم خيبر، قال : فالتزمته، فقلت : لا أعطي اليوم أحدا من هذا شيئا . قال : فالتفتّ، فإذا رسول الله (صلعم) متبسّما " . . (5)

ويفهم من هذه الأحاديث أنّ الجِرَاب كان معروفا في عهد النبي (صلعم) وأنّ استعماله كان متعدّدا، فقد ورد للتمر، كما ورد للشّحم، ولعلّه يستعمل لأغراض أخرى غير هذه، كحمل الحبوب بأنواعها .

ولم أعثر عليه فيما قرأت من أشعار عربية، ولكن كان مستعملا في كلام العرب وأقوالهم . . قال الجاحظ : " دخل عمير بن سعد على عمر بن الخطّاب حين رجع إليه من عمل حمص، وليس عليه إلا جِرَاب وإِدَاوَة وقَصْعَة وَعَصَا، فقال له عمر : ما الذي أرى بك من سوء الحال أو تصنّع؟ قال : وما الذي ترى بي، ألست صحيح البدن، معي الدنيا بحذافيرها ؟ قال : وما معك من الدنيا ؟ قال : معي جِرَابي أحمل فيه زادي، ومعي قصعتي أغسل فيها ثوبي، ومعي إِدَاوَتي أحمل فيها مائي لشرابي ومعي عصاي إنْ لَقِيتُ عدوّا قاتلته، وإن لقيت حيّةً قتلتها . وبقي من الدنيا فهو تَبَعٌ لما معي" . . (6)

ولا نعرف في عامية الجزائر الحالية لفظ " الجِرَاب"، أو هو ليس متداولا معروفا لدى كافّة الناس، وإن وجد من قبل فقد أصبح مهملا .

والجراب من ألفاظ الحضارة القديمة الذي لا يزال صالحا للاستعمال في الحضارة الحديثة، ولكن مجمع اللغة العربية المصريّ لا يعتبره من ألفاظ الحضارة الحديثة، فلم يسجلّه في معجمه الذي أعدّه لذلك .

---

1) القاموس المحيط . . 45/1
2) صحاح الجوهري . . 98/1 و"كتاب البئر" لابن الأعرابي . . ص 58
3) أقرب الموارد . . 112/1
4) صحيح مسلم . . 84/13
5) م . س . . 102/12
6) البيان والتبيين للجاحظ . . 43/3

جُلَّة

ورد اللفظ في " البخلاء" مرّة واحدة، في تعبير حقيقي، يتحدّث عن رجل زار أحد أصدقائه فرأى عنده " جُلَّةَ تَمْرٍ يأكل منها .

وجاء في تعريفها :—

* " الجُلَّة : تتّخذ من الخوص وعاءً للتمر يكنز فيها، وجمعها جِلَال " — .(1)
* " الجُلَّة : وعاء للتّمر " .. (2)
* " الجُلَّة : وعاءٌ يُتَّخَذ من الخوص، يوضع فيه التمر يكنز فيها، عربية معروفة " .(3)
* " الجُلَّة : (بالضّم) : قفّة كبيرة للتّمر " — .(4)
* " الجُلَّة : قُفَّة التمر . (ج) جِلَال " .. (5)

ونلاحظ أنّ هذه التعاريف حاولت إعطاء صورة كاملة للوعاء، ومادّة صناعتها، وميدان استعمالها، ولكنّها قصّرت في بيان شكلها وحجمها .. ويظهر أنّها تصنع من مادّة الخوص، وأرى إمكانية صناعتها من موادّ أخرى غير هذه كالحلفاء .. وتستعمل في حمل التمر وكنزه، كما ورد أعلاه .. كما أعتقد بإمكانية استعمالها في أماكن أخرى غير هذه .

وتدرج المعاجم " الجلّة" في مادّة (ج ل ل) . ولم أجد لها شرحا في " مقاييس اللغة" لابن فارس ممّا يبعث على الاعتقاد بأنّ أصل اللفظ غامض. ولكن ابن منظور يقول : إنّها " عربية معروفة " .. (6) ،، وبحثت في مراجع تناولت اللفظ الدخيل في العربية، فلم أجد لهذا اللفظ أثرا فيها .

ويمكن أن يكون للجلّة أسماء أخرى حسب الاستعمال ، أو الشكل أو الصناعة .. من ذلك :—

— النَّوْطُ : جُلّة صغيرة فيها تمر تعلّق على البعير .. (7) ،، وجاءت في المثل : " ضُغْثٌ فَزِدْهَا نَوْطًا " . يضرب لمن يتكلّف حاجة فلا يضبطها، فيطلب أن يخفّف عنه، فيزداد أخرى .. (8)

ومن هنا يكون لفظ " الجُلَّة" لفظا عامّا .. تندرج تحته مجموعة ألفاظ خاصّة، تدلّ على شكل

---

1) تهذيب الأزهري .. 10/489

2) صحاح الجوهري .. 4/1658

3) لسان العرب .. 11/118

4) القاموس المحيط .. 3/350

5) المعجم الوسيط .. 1/131

6) لسان العرب .. 11/118

7) صحاح الجوهري .. 3/1165، و" فقه اللغة للثعالبي " .. ص 26

8) مجمع الأمثال .. 1/422

من أشكال " الجلّة " تبيّن ظروف الاستعمال وأنواعه .

ولفظ " الجلّة " ليس من ألفاظ القرآن الكريم، ولا رأيته فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) .

وما رأيت اللفظ في الأشعار العربية التي قرأتها، غير أنّ ابن منظور يستشهد لشرح الجلّة ببعض الأبيات، دون الإشارة إلى أصحابها . . من ذلك أنّه قال : ـ (طويل)

بَاتُوا يُعَشُّونَ القُطَيْعَاءَ جَارَهُمْ * وَعِنْدَهُمُ البَرْنِيُّ فِي جُلَلٍ دُسْمِ . . (1)

و " الجُلّة" لفظ غير معروف في عاصمة الجزائر الحالية، وقد يكون مهملا منذ أمد طويل، بالرّغم من أنّ المقيمين على النّخل في وقتنا هذا يصنعون " الجُلّة" كما وصفت في شرحنا . . يصنعونها من جريد النخل، أو من الحلفاء، وعلى شكل قفّة كبيرة الحجم، يستعينون بها في أعمالهم الفلاحية وغيرها، ولكنّهم لا يسمّونها " الجُلّة" بل هي القفّة فحسب ممّا يدفع إلى الاعتقاد بأنّ اللفظ كان معروفا، ثمّ أهمل، بحثا عن الاقتصاد اللغوي والاختصار في الكلام . . ولعلّ بعض جهات الوطن ما زالت تستعمل اللفظ، ولكنّه لم يتناه إلى مسمعي .

والجلّة من ألفاظ الحضارة القديمة الذي لا يزال صالحا للاستعمال في الحضارة الحديثة، ولكنّ مجمع اللغة العربية المصري لم يشر إليه في معجمه الذي أعدّه لذلك . (2)

---

1) لسان العرب 11/118 . .
والقُطَيْعَاء : ضرب من التمر . والبرني كذلك (صحاح الجوهري : 3/1267 .
و ج : 5/2077 .)

2) ط/ 1960م .

حقيبـــة

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّتين في تعبيرين مجازيين ، تضمّنهما بيتان من الشعر ، لشاعرين مختلفين ، أوّلهما للشاعر نصيب يمدح صاحبه بالكرم ، فقال :ـــ (طويل)

فَعَاجُوا فَأَثْنَوا بِالذي أَنْتَ أَهْلُهُ * وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ . . (1)

وفي الثاني ، للشاعر الفرزدق يفتخر بنفسه قائلا :ـــ (طويل)

لَسْتُ بِسَعْدِيٍّ عَلَى فِيهِ حَبْرَةٌ * وَلَسْتُ بِعَبْدِيٍّ حَقِيبَتُهُ التَّمْرُ . . (2)

وجـــاء في تعريفهـــا :ـــ

* " الحَقيبةُ : واحدة الحَقائِب " . . (3)
* " الحَقِيبَة : كَالبَرْذَعة ، تتّخذ للحلس والقَتَب ، الحَقيبة الرِّفادة في مؤخر القَتَب ، وكلّ شيء شدّ في مؤخرة رَحْل أو قَتَب ، فقد احْتُقِبَ . الحقيبة هي الزيادة التي تجعل في مؤخرة القَتَب . والوعاء الذي يجعل الرجل فيه زاده " . . (4)
* " الحَقيبَة : الرِّفادة في مؤخّر القَتَب " ـ . . (5)
* " الحَقِيبَة : ما يُجْعَل فيه المتاعُ أو الزادُ ، والجمع حَقَائِب " ـ . . (6)

وأفضَلُ ما جاء من تعاريف ، هو الأخير الذي يبدو لي أنّه أكثر وضوحا وملاءمة . ولعلّ ذلك ناتج عن التطوّر الملحوظ في المعاجم العربية ، ونظرتها إلى دلالة الألفاظ الاجتماعية .

ولم تحدّد المعاجم صناعتها ، ولا كيفيّة تشكيلها ، والغالب لدينا أنّها كانت تصنع من موادّ جلديّة أو صوفية ، ثمّ تطوّرت الحياة الاجتماعية بعدها ، فأصبحت تصنع من موادّ أخرى غير هذه كالمعادن المختلفة .

والحقيبة وعاء يوضع فيه المتاع في حالة الحلّ والترحال ، ولكن المفهوم المستنبط ممّا أتـــت به المعاجم السابقة هو استعمالها في حالة الترحال فحسب .

وتدرج المعاجم لفظ (الحَقيبة) في مادّة " ح ق ب " . قال ابن فارس : " ح ق ب : أصـــل واحد ، وهو يدلّ على الحبس . والحقيبة معروفة " . . (7) ، فكأنّما الحقيبة سُمِّيَت كذلك لأنّها

---

1) البخلاء .. ص 206
2) م.س .. ص 234
3) صحاح الجوهري .. 1/114
4) لسان العرب .. 1/325
5) القاموس المحيط .. 1/57
6) المعجم الوسيط .. 1/187
7) مقاييس اللغـــة .. 2/80

تحبس ما فيها . ومن هنا يكون أصل اللفظ عربيا أصيلا ، مشتقا من الملاحظة الحسّية لوظيفة هذا الوعاء .

واشتقّوا من المادّة معاني أخرى ، فقالوا : " احْتَقَبَه واسْتَحْقَبَه بمعنًى أي احْتَمَلَه " .. (1) و " أَحْقَبَ زَادَه خَلْفَه على راحلته أي جعله وراءه في حقيبته " .. (2) ،، "وكلّ ما حُمِل وراء الرّحل فهو حَقيبة " .. (3)

وممّا تقدّم يمكن اعتبار لفْظ (الحقيبة) لفظا خاصّا بالوعاء الذي يحمل فيه المسافر زاده وحاجته في سفره .

وليس لفظ (الحقيبة) من ألفاظ القرآن الكريم ، ولكنّي رأيته في كتاب (صحيح مسلم) .. فعن " أسماء بنت أبي بكر " أنّها كلّما مرّت بالحجون ، تقول : " لقد نزلنا معه هاهنا ، ونحن يومئذ خِفافُ الحَقائب ، قليلٌ ظَهْرُنا ، قليلةٌ أزوادُنا " .. (4)

ونلاحظ لفظ (الحقائب) ، وقد استعْمل مجازيا ، فهي تعني بخفاف الحقائب لا متاع لنا .

واستعمال لفظ (الحقيبة) في الشعر العربي شائع معروف ، بلفظه ومشتقاته .. من ذلك قول النابغة الذبياني : ـــ (كامل)

رَهْطُ ابْنِ كوز مُحْقِبُو أدْراعِهِمْ * فيهم ، وَرَهْطُ رَبيعَةَ بْنِ حَذارِ .. (5)

وذكر الجوهري بيتا لشاعر مجهول ، هو : ـــ (طويل)

بالدَّهْنا خِفافًا عِيابُهُم * وَيَخْرُجْنَ مِن دَارِين بُجْرَ الحَقَائِبِ .. (6)

وقال الطائي : ـــ (طويل)

وَما أنا بِالطّاوي حَقيبَةَ رَحْلِها * لأبْعَثَها خِفًّا وأَتْرُكَ صَاحِبي .. (7)

وقال امرؤ القيس ـــ (كامل)

وَاللهُ أَنْجَحُ مَا طَلَبْتَ بِهِ * وَالبِرُّ خَيْرُ حَقِيبَةِ الرَّحْلِ .. (8)

---

1) صحاح الجوهري .. 114/1
2) لسان العرب .. 325/1
3) أساس البلاغة .. ص 134
4) صحيح مسلم .. 223/8
5) ديوان النابغة الذبياني .. ص 106
6) صحاح الجوهري .. 1827/5
7) أساس البلاغة .. ص 134
8) م . س .. ص 135

وبهذا حفظ استعمال اللفظ مربوطا بحالة الترحال على ظهور الإبل . . وأفهم من أصل الكلام أنّ (الحقيبة) تطلق على العَجُز ، أو هي عَجِيزَة المَطَايَا ، ثمّ سمي ما يحمل خلف الرّاكب :- (حقيبة) مجازا ، لأنّه محمول على العَجُز . ويكون في المعنى تطوّر دلاليّ من المكان إلى ما عليه ، ثمّ سار في تطوّره شوطا بعيداً ، فنسي الأصل وبقي الفرع . . وأصبح اللفظ الآن شائعًا ، معروفا يدلّ على وعاء يمتاز بشكله وحجمه ، يحمل المسافر فيه ما يحتاج إليه من ملابس وغيرها . .

وفي عامّية الجزائر الحالية يستعمل لفظ (الحقيبة) استعمالا ضيّقا لدى طبقة من النّاس مثقّفة ، ويبقى أغلبيّة الناس تستعمل لفظا معرّبا تعريبا مُشَوَّها عن اللفظ الفرنسي (VALISE) فيقولون (فَلِيزَة) . . وفي المشرق العربي يستعملون لفظ (الشَّنْتَة) بدل الحقيبة . . ولا أدري من أين جاءت !.

وأعتقد أنّ لفظ (الحقيبة) أفصح ممّا تستعمله العامّة في المشرق العربي ومغربه . فالحقيبة من ألفاظ الحضارة القديمة الذي يجب إحياؤه ، والعمل على شيوعه وتداوله . . فهو صالح للحضارة الحديثة ، والحاجة إليه ماسّة ، والغريب أنّ معجم المجمع اللغوي المصري قد أهمل الإشارة إلى هذا اللفظ .

=-=-=-=-=-=

زبيـــل

تكرّر اللفظ في " البخلاء " مرّتين في جملتين متتاليتين . . (1) في تعبير حقيقي ، يصف خادمة جاءت سيّدها تحمل زبيلاً ظرفا لتجلس وتعزل من الكُسَاحة ما يعادل حمل الزبيل، ثمّ راحت تفتّشه بحثا عن أشياء مفيدة .

وجاء في تعريفه : —

* " الزَّبيل : الجِرَاب " . . . (2)
* " الزَبيل : والزِّنْبيل الجِرَاب ، وقيل : الوعاء يحمل فيه " . . (3)
* " الزبيل : القفّة ، أو الجِرَاب أو الوعاء . و(ج) زُبلان " . . (4)
* " الزَبيل : القفّة . (ج) زُبُل ، وزُبْلَان . والزِّنْبيل : القفة . (ج) زَنَابيل " . . (5)

ونلاحظ أنّ هذه التعاريف حاولت أن تكون دقيقة في الإحاطة بدلالة اللفظ دون الإشارة إلى أصله أو شكله أو مادّة صناعته، ممّا يفتح المجال واسعا لتصوّر مفهومه لغويا واجتماعيا .

وأنا أعتقد أنّ صناعته تمّت من موادّ مختلفة، أهمّها الخُوص، أو سَعَف النخل، والحَلْفَاء . . وغيرها . وتنقل فيه مختلف المَوَادّ على عاتق الإنسان أو ظهور الحيوانات المعدّة لذلك .

وفي التعاريف الأخيرة ممّا سبق ذكره أنّ أصلّ الزبيل " قفّة أو هو على شكل قفّة ، ودلالته مرّت بمراحل في تطوّرها المعجمي . وقالوا عن القفّة إنّها " القَرْعة اليَابِسَة، وربّما اتّخذت من خوص ونَحْوه كهيئتها تجعل فيه المرأة قطنها " . . (6) ولها معان أخرى غير هذه تراها في المعاجم مبثوثة . . (7) ،، ثمّ أصبح "القفّة" الآن يُطلق على وعاء تحمل فيه الأشياء، وتصنع من الحلفاء أو الخوص أو غيرهما ، وقد تطلق على شيء آخر غير ذلك . ." قال الأصمعي قولهم : " كَبُرَ حَتّى صَارَ كأنّه قُفَّة " هي الشجرة اليابسة " . . (8)

والزبيل يجعل بشكل قفة لها عرى . . وتمرّ صناعته بمراحل مختلفة ، وربّما اكتفي بإحدى هذه المراحل ، فكان له إسم فيها يَخُصّه . . قال الثعالبي : " إذا كان منسوجا من الخوص قبل أن يسوّى منه زبيل فهو سَفيفَة . فإذا سوّي ولم يجعل له عرى فهو قَفْعَة ، فإذا جعلت له

---

1) البخلاء .. ص 142
2) تهذيب الأزهري .. 25/13
3) لسان العرب .. 300/11
4) القاموس المحيط .. 381/3
5) المعجم الوسيط .. 388/1
6) صحاح الجوهري .. 1418/4
7) انظر مثلا القاموس المحيط .. 186/3
8) إصلاح المنطق .. ص 314

عروتان فهو مُحْصَن ومُكْتَل ، فإذا كان كبيرا من جلود فهو حَفْص " .. (1)

وقيّدت المعاجم التي رأيناها استعماله في حمل التمر . من ذلك أنّه جاء في " أساس البلاغة " قوله : " عِنْدَه زُبُل من التمر وزَنابِيل " .. (2)

وتدرج المعاجم لفظ (الزنبيل) في مادّة " ز ب ل " . ولم أجد لها أصلا في " مقاييس اللغة " حتّى أتبيّن علاقتها بالمعنى العربي . وبحثت في معاجم مختلفة ، فما رأيت علاقة للمادّة بهذا اللفظ المدروس ، ومن بين معاني المادّة التي وجدتها قوله : " زَبَلْتُ الأرضَ سَمَدْتُّها ، أزْبِلُها ، واجتمع له زِبْلٌ كَثِير " .. (3)

ويعتقد أنّ أصل اللفظ أعجميّ لذا كانت صلته بالمعنى العربي ضعيفة .. هذا يعني أنّ اشتقاقه من المادّة العربية بعيد ، فيكون من أصل أعجميّ ، وقد تمّ تعريبه صيغة ودلالة . قال الجوهري : " ليس في الكلام فَعْلِيل بالفتح " .. (4) ، وقال الجواليقي : " إنّه معرّب عن الفارسية ، ونقل عن الأصمعي قوله : " وهو بالفارسية (زِينْ فَالَه) : وعاء . ثمّ عقّب المحقّق بقوله : " أرجّح أن هذه الكلمة هي التي حرّفها العامّة إلى زِنْبِيل ، فعادوا بها إلى قريب من لفظها الفارسي . والرّاجح أنّ أصلها بالباء الفارسية ، فتعرّب مرّة بالباء ، ومرّة بالفاء " .. (5)

ويعتقد أدي شير أنّ الزنبيل معروف ، وأنّه مأخوذ من الفارسية (زنبيل) و (زنبير) لغة في الفارسية ، والأصل مأخوذ من السريانية " .. (6)

ونلاحظ اختلاف الرّأيين في أصل اللفظ داخل لغته ، فهو عند أحدهما (زِينْ فَالَه) ، وعند الآخر (زنبيل أو زنبير) . ولم أجد رأيا ثالثا يحكم بينهما .

وفي " غرائب اللغة العربية " اللفظ من أصل فارسي ، ويعني قفّة .. (7) ، ثمّ انتقل اللفظ من العربية إلى اللغة الرومانية عن طريق التركية ، فكان فيها (ZAMBIL) .. (8)

واختلاف صيغ اللفظ في حالة الإفراد والجمع علامة على أنّ تعريب اللفظ كان ارتجاليا ، فهو في المفرد (زبيل ، و زَنْبِيل وزِنْبِيل والجموع زُبُل وزُبْلان وزَنابِيل .. (9)

---

1) فقه اللغة للثعالبي .. ص 168 و 169
2) أساس البلاغة .. ص 266
3) م.س والصفحة نفسها .
4) صحاح الجوهري .. 4/ 1715
5) المعرّب للجواليقي .. ص 170
6) الألفاظ الفرسية المعرّبة .. ص 80
7) غرائب اللغة العربية .. ص 232
8) م.س .. ص 155
9) انظر التعريف في مقدّمة الكلام .

ويمكن أن تتعدّد أسماء (الزبيل) بتعدّد أشكاله ووظائفه، من ذلك أنّهم قالوا :ـ

ـ القَثِيَة : زبيل من أَدَم ينقل فيه الزرع المحصود إلى الجرين في لغة همذان" .. (1)

ثمّ ينظر إلى مراحل صناعته ، فيكون له في كلّ حال إسم . (2) ،، ويكون لفظ (الزبيل) لفظا عامّا ، وقد اندرجت تحته مجموعة من الألفاظ الخاصّة التي تبيّن حالة من حالاته .. ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال اعتبارها ألفاظا مترادفة لما بينها من فروق دلالية دقيقة ،تدرك عند التمعّن والتدبّر .

ولفظ الزبيل ليس من ألفاظ القرآن الكريم، ولم أجده فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة، في كتاب (صحيح مسلم) . . وأعتقد أنّ وروده في الأشعار العربية قليل .

أمّا في عامية الجزائر الحالية فاللّفظ مستعمل شائع .. ونسمّي في عامية الجزائر الحالية نوعا من الزبلان بـ(الشّـوال) . وأرى اللفظ من الأصل العربي الفصيح ،فهو من" شَـالَ الشيء يشُولُه أي رَفعَه، ومنه" شِلْتُ بالجَرَّة أَشُولُ بِهَا شَوْلاً : رَفَعْتُهَا " .. (3) ،، و" شَالَ الميزانُ : ارتفعت إحدى كفّتيه " ـ. (4)

ومن هذا المعنى يكون أصل اللفظ عربيا أصيلا من الشَّوْل الذي هو الرفع، وفي الشّـوال رَفْعٌ للأشـياء وَحَمْلٌ لـهَا .

والزبيل من ألفاظ الحَضارة القديمة، ولا يزال صالحا للاستعمال في الحضارة الحديثة ، ولكن " مجمع اللغة العربية " المصري لم يذكره في مُعْجَمِهِ الذي أعدّه لذلك .

---

1) اللهجات العربية لابراهيم أنيس .. ص 251 . و"لسان العرب" .. 125/2
2) انظر ما سبق شرحه نقلا عن الثعالبي في " فقه اللغة " ص 168 و 169 .
3) صحاح الجوهري .. 1741/5
4) أساس البلاغة للزمخشري .. ص 341

سَـلّـة

ورد اللفظ في " البخلاء " مرّة واحدة ، في تعبير حقيقي ، يعبّر عن رجل رأى شيئا ، فسأل عنه ، قائلا : " جُعِلْتُ فِدَاكَ، أيُّ شَيْءٍ في تِلْكَ السَّلّةِ ؟ " . .[1]

وجاء في تعريفها :— * " السّلّةُ : سلّة الخبز معروفة " . .[2]

* " السَّلّة : وعاء يصنع من شقاق القصب ونحوه، تحمل فيه الفاكهة ونحوها " . .[3]

ورأيت التعاريف متشابهة في كثير من المعاجم القديمة كـ " تهذيب الأزهري " و " القاموس المحيط " وغيرهما . . وكانت أحيانا مبهمة، كما جاء في قول الجوهري أعلاه ، اعتمادا على أنها معروفة في زمانه .

وأعتقد أن المعاجم القديمة قد قصّرت في تعريفها وبيان حدودها ، وطريقة صناعتها ، وميدان استعمالها المختلف، وأفضل تعريف رأيتُه هو ما قاله المعجم الوسيط .

تصنع السلّة من موادّ مختلفة ؛ أهمّها القصب، وسعف النخل ، وربّما كانت من الحلفاء، ثمّ من موادّ صناعيّة حديثة كالحديد والبلاستيك .

وتمدّدت استعمالاتها في العصر الحديث فهي للفاكهة ، والخُضَار، وهي للأوراق وحتّى في الألعاب الرياضيّة، كما هو الحال في لعبة (كرة السلّة) .

وتدرج المعاجم اللفظ في مادّة " س ل ل " . ولم أجدها في مقاييس اللغة لابن فارس، حتّى أتبيّن رأيه في علاقة اللفظ بالمعنى العربي .

ومن معاني المادّة : " انْسَلَّ بِكَذَا : ذَهَبَ بِهِ خِفْيَةً " . .[4] ، و " سلّ فلان ، وبه سُلٌّ ، وسُلَال ؛ وقد سَلّه الداء " . .[5] ، وسللت السيف واستللته إذا أخرجتُه من غِمْده . .[6]

ولا أجد صلة بين هذه المعاني وبين لفظ (السَّلّة) التي نحنُ في صدد دراستها . .

وليست العلاقة واضحة عندي ممّا فسح المجال للاعتقاد بأنّ اللفظ أعجميّ معرّب .

وبحثتُ في مَرْجعٍ تتحدّث عن الدخيل في العربية فلم أعثُر عليه؛ إلّا ما كان من كتاب " غرائب اللغة العربية " فإنّه قال : " السلّة آرامية، وهي في أصلها (SALTO) " .[7] ، وقال قبله ابن دريد : " لا أحسب السلّة عربية " . .[8] ، دون الإشارة إلى أصل اللغة التي جاءتنا منها .

---

1) البخلاء .. ص 179
2) صحاح الجوهري .. 1731/5
3) المعجم الوسيط .. 445/1
4) أساس البلاغة .. ص 305
5) م . س .. ص 306
6) صحاح الجوهري .. 1730/5
7) ص 188
8) لسان العرب .. 342/11

ومشترك في لفظ (السَّلّة) معان أخرى منها :ـ

ـ السَّلّة : السرقة . والسرقة الخفية " .. (1)

ـ السَّلّة : الدفعة، يقال : فرس شديد السَّلّة "ـ . (2)

ـ السَّلّة : الناقة التي سقطت أسنانها . " و" السلّة : شقوق في الأرض تسرق الماء " . (3)

ونظرا لتعدد وظائف (السلّة) فإنه يمكن اعتبار إسمها لفظا عاما . أما عند الأولين الذين خصصوا السلّة للخبز فإن اللفظ لديهم خاص، وبذلك يكون اللفظ قد مرّ في تطوره من حالة الخصوص إلى العموم ، وهي حركة كثيرًا ما نلحظها في الألفاظ أثناء التطوّر الدلالي .

وليست السلّة من ألفاظ القرآن الكريم، ولا رأيتها فيما قرأتُ من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) .

ورأيتُ اللفظ في الأشعار العربية، ولكن المَعْني مخالفة لدلالة اللفظ المقصود . كأن يقصد بها معنًى من المعاني المشتركة التي مرّ ذكرها .. كقول الشاعر :ـ (طويل)

فَلَسْنَا كَمَنْ كُنْتُمْ تُصِيبُونَ سَلَّةً * فَنَقْبَلَ ضَيْمًا أَوْ نُحَكِّمَ قَاضِيَا .. (4)

والمقصود هنا بالسلّة السرقة في غفلة . والله أعلم .

ورأيت لفظ (السلّة) في شعر إيليا أبي ماضي ، حيث قال :ـ (خفيف)

إِلَى كُلِّ شَاعِرٍ عَرَبِي * سَلَّةً مِن فَوَاكِهِ الأَلْقَابِ .. (5)

ونلاحظ استعمال السلّة للفاكهة ، وإن كان المعنى مجازيا .

وفي عامية الجزائر الحالية نعرف لفظ (السلّة) ، وهو لفظ شائع عندنا معروف، لم يطرأ على مدلوله تغيير في المعنى ولا في المبنى .. وتصنع عندنا تقليديا من شقاف القصب خاصة ، وربما صنعت من غيره . وتباع في الأسواق لحمل الفاكهة والخبز وغيرهما ، وهي ذات أشكال وأنواع وألوان مختلفة ، ولكن استعمالها مازال مُهِمًّا رغم انصراف كثير من الناس إلى أوعية أخرى أكثر تطوّرا ومتانة .

والسلّة من ألفاظ الحضارة القديمة، ولا زالت صالحة للحضارة الحديثة، ورغم ذلك فإن مجمع اللغة العربية المصري لم يدوّنها في معجمه الذي أعدّه لألفاظ الحضارة الحديثة .. (6)

---

1) أساس البلاغة .. ص 305 . و" صحاح الجوهري " .. 5 / 1730 و" القاموس المحيط" .. 3/397 .
2) صحاح الجوهري .. 5/1731 .
3) لسان العرب .. 11/342
4) أساس البلاغة .. ص 305
5) ديوان الخمائل .. ص 47
6) ط/ 1980م .

كِيس

ورد اللفظ في " البخلاء" خمس مرّات في تعابير حقيقيّة تتحدّث عن الكِيس ووضعه أمام الإنسان وخوفه عليه، وحرصه على اقتنائه .

وجاء في المجاز: " نفضت الأكياس " كناية عن فراغ القَوْل " .. (1)

وجاء في تعريفه :—

* " الكِيس : الذي تُحْرَز فيه النّفقة " .. (2)
* " الكِيس : واحد أكيسا من الدّراهم " .. (3)
* " الكِيس : من الأوعية : وعاء معروف تكون فيه الدراهم والدنانير والدرّ والياقوت والجمع كِيَسَةْ " .. (4)
* " الكِيس : للدراهم لأنّه يجمعها . (ج) أكْيَاس وكِيَسَه " .. (5)
* " الكِيس : وعاء معروف للدراهم والدنانير و الدرّ والياقوت " .. (6)

ونلاحظ هذه التعاريف وقد قصّرت عن تبيان مادّة صناعتها ، وأصل اشتقاقها . وكان من المعاجم للمتأخرة من كان أكثر وضوحا .. جاء في بعضها : " الكِيس ما يخاط من خرق للدراهم وغيرها ، مأخوذ من الكَيْس بمعنى الجمع، لأنّه يجمع ما يجمع فيه " .. (7) ،، وقال غيره: " الكِيس ما يخاط من خرق، وأمّا ما يشرج من أديم وخرق فلا يقال له كيس بل خريطة " .. (8)

ويظهر أنّهم كانوا يصنعون الأكياس من الخرق والجلود لتوضع فيها الأشياء الثمينة، كما هو الحال في استعمالها اليوم. ثمّ انتقل استعمال لفظ الكيس إلى أشياء غير هذه .

وتدرج المعاجم لفظ (الكيس) في مادّة "ك ي س" . يقول ابن فارس: "كي س: أصل يدل على ضمّ وجمع ، من ذلك الكيس، يسمّى بذلك لأنّه يضمّ الشيء ويجمعه " .. (9)

وللمادّة معان أخرى غير هذه .. تقول : كَاسَ الْوَلَدُ يكيس صار ظريفا .. والرجل كَيِّس مُكَيَّس أي ظريف ، والتكيّس التظرّف .. (10) ،، وجاء في الحديث: " أكْيَسُ الكَيْسِ التُّقَى ، وأحْمَقُ الحُمْقِ الفُجُور " .. (11)

---

1) مقامات الحريري .. ص 293
2) تهذيب الازهري .. 314/10
3) صحاح الجوهري .. 973/3
4) لسان العرب .. 202/6
5) القاموس المحيط .. 248/2
6) المعجم الوسيط .. 807/2
7) محيط المحيط .. 1860/2
8) أقرب الموارد .. 1116/2
9) مقاييس اللغة .. 140/5
10) صحاح الجوهري .. 972/3
11) أساس البلاغة .. 554

وعليه يكون لفظ (الكيس) ذي أصل عربي ، فهو مشتق من الجمع والضمّ -على رأي ابن فارس • وقد أخذ إسمه بملاحظة وظيفته التي وجد من أجلها • • ولكنَّ بعض الباحثين يرى اللفظ معرّبا وينسبه إلى الآرامية ، ويكتبه فيها هكذا (Kîç o) • • (1)

ومن العربية انتقل اللفظ إلى بعض اللغات الأوروبية ، فكان في الكرواطية (kesa) (2) • وفي البلغارية (kecia) • • (3)

ويرى آخرون أنّه في الفارسية (كيسَه) ، وفي اليونانية (كِيس) دون الإشارة إلى أصله ، إن كان فيهما أصلية ، أم انتقل إليهما من العربية • • (4) ،، والكِيس (caisse) في الفرنسية هو " صندوق كبير مصنوع من الخشب أو المعدن ، يستعمل في التغليف أو في نقل السلع ، وينسب أصله إلى اللاتينيّة " • • (5)

ويمكن أن يرادف لفظ (الكيس) في معناه ألفاظ أخرى تجتمع معه في الوظيفة العمليّة ، مثل لفظ (الصُّرَّة) • قال : " الصرّة للدراهم " • • (6) ، وأراها مشتقّة من " الصَرَّة : الجماعة " • • (7) ومنه صررت الصرّة : شددتها ، فيكون من معانيها الجمع والشدّة اللذان يؤدّيان إلى المنع والصيانة • وهنا يلتقي لفظ (الكيس) ولفظ (الصرّة) وينطبقان ، فيصحّ أن يكون أحدهما مرادفا للآخر •

وجاء لفظ الصرّة في كتاب (صحيح مسلم) بمعنى (الكيس) ، فعن أبيّ بن كعب أنّه وجد (صُرّة) فيها مائة دينار على عهد رسول الله (صلعم) فأتى بها إليه ، فقال له : عَرِّفْهَا " • (8)

والخَرِيطَة : وهي وعاء يصنع من سيور متداخلة من خرق وجلود ، وأصله أعجمي وعرّب ، من أصل فارسيّ ، ويعني (كيس) • • (9) ، وفي "الصحاح" : " الخَرِيطَة : وعاء من أدم يُشْرَجُ على ما فيها " • (10)

والجَوَالِق : " كيس من صوف أو شعر ، أو هو كيس كبير ، فارسي الأصل • • (11) وجمعه جُوَالِق وجَوَالِيق • • (12)

والغرارة : وعاء أو كيس يصنع من الشعر أو الصوف ، قال الجوهري : " الغرارة واحدة الغرائر التي للتبن ، وأظنّه معرّبا " • • (13)

---

1) غرائب اللغة العربية • • ص 204
2) م • س • • ص 157
3) م • س • • ص 158
4) محيط المحيط • • 1860/2
5) (معجم فرنسي) Petit Robert, dict. fraç. édit. 1984; p : 235
6) صحاح الجوهري • • 711/2
7) المصدر السابق • • 710/2
8) صحيح مسلم • • 26/12
9) غرائب اللغة العربية • • ص 225
10) ج 3 / 1123 • ويشرج من التشريج : الخياطة المتباعدة أو المتداخلة (الصحاح) 324/1
11) غرائب اللغة العربية • • ص 224
12) صحاح الجوهري • • 1454/4
768/2 • •

ويشترك مع اللفظ في صيغته مجموعة ألفاظ مختلفة المعاني ، منها : ـــ

ـــ الكَيْسُ : العقل ، والكيس الجمّاع وطلب الولد . . (1)

ـــ الكِيسُ : صرّة مقدّرة من المال متداولة التعامل ، تقول : اشتريت بخمسة أكياس . وغشاء يكون فيه الولد . وهو المشيمة . . (2)

ويمكن القول استنتاجا مما سبق : إنّ الكيس لفظ عام تندرج تحته ألفاظ خاصّة تدلّ على صفة من صفاته .

ليس الكيس من ألفاظ القرآن الكريم ، ولكنّي رأيته فيما أثر عن الرسول الكريم (صلعم) من أقوال وأفعال في كتاب (صحيح مسلم) ، ففي حديث أنّ رسول الله (صلعم) قال لبلال : " أعطيه أوقيّة من ذهب وزده ، قال : فأعطاني أوقيةً من ذهب ، وزادني قيراطا ، قال : فقلتُ : لا تُفَارقني زيادةُ رسول الله (صلعم) . قال : فكان في كيس له ، فأخذه أهل الشام ، يوم الحرّة " . . (3)

وأرى أنّ الكيس كان معروفا في عهد النبي (صلعم) ، وأنّه مستعمل للدراهم ، وغيرها من الذهب ، وأشياء ثمينة .

وهو مستعمل معروف في شعر العرب ونثرهم ـ فقد ورد ذكره مقامات الحريري . . (4) ، وفي شعر أبي نواس : ـــ (وافر)

عُنِيتُ بِمُرْكَبِ البِرْذَوْنِ حَتّى * أَضَرَّ الكيسَ إِغْلاءُ الشَّعِيرِ . . (5)

وفي شعر إيليا أبي ماضي : ـــ (خفيف)

وَكَسَا الخَزَّ جِسْمَهُ فَتَبَاهَى * وَحَوَى المَالَ كِيسُهُ فَتَمَرَّدْ . . (6)

واللفظ غير معروف في عامّية الجزائر الحاليّة إلّا لدى فئة مثقّفة التي عرفته عن طريق التعليم وفي غير هؤلاء يكاد يكون مجهولا . . ولعلّ لفظ (الصرّة) أكثر تداولا في الأوساط الشعبية من لفظ الكيس الذي يصبح غريبا في كثير من الأحيان .

ولفظ الكيس من ألفاظ الحضارة القديمة ، ولا يزال صالحا للحضارة الحديثة . ولم يدوّنه مجمع اللغة العربية المصري في معجمه الذي أعدّه لذلك .

1) تهذيب الازهري .. 313/10
2) المعجم الوسيط .. 807/2
3) صحيح مسلم .. 33/11
4) ص 204
5) ديوان أبي نواس .. ص 345
6) ديوان الجداول .. ص 29

صُنْـدُوق

ورد اللفظ في " البخلاء" مرّة واحدة، في تعبير حقيقي يتحدّث عن رجل يذكر المال، وطرق المحافظة عليه . " وإنَّمَا المَالُ لمَنْ حَفِظَه، وإنّما الغِنَى لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، ولِحِفْظِ المَالِ بُنِيَت الحيطانُ، وعلِّقَتِ الأَبْوَابُ، واتّخِذَت الصَّنَادِيق، وعُمِلَت الأقفالُ " . (1)

وجاء في تعريفه :-

* " قال الليث : الصُّندوق : لغة في السُّندوق، ويجمع صَنَادِيق " .. (2)
* " قال يعقوب: هي الصندوق بالصاد ، والجمع الصَّنَادِيق " .. (3)
* " الصُّنْدوق : الجَوَالق " .. (4)
* " الصُّنْدوق : وعاء من خشب أو معدن ونحوهما، مختلف الأحجام، تحتفظ في الكتب والملابس ونحوهما " .. (5)

وبملاحظة هذه التعاريف يتبيّن قصورها عن إعطاء صورة واضحة عن الصندوق، ما عدى التعريف الأخير فإنّه حاول أن يكون دقيقا، ومع ذلك فإنّه قد أهمل الحديث عن شكله وهيئته. وكنّا ننتظر منه أن يكون أكثر دقّة ممّا سبق بحكم حداثته، وقدرة مؤلفيه على الإحاطة بالمعارف.

ورأيت تعريفا جميلا في معجم أقدم، قال : " الصُّنْدُوق، والصَّنْدوق والزُّنْدوق والسُّنْدُوق :- وعاء من خشب على هَيْئَة بيت مستطيل توضع فيه الثياب وغيرها، وجمعه صَنَادِيق " . (6)

وأهملت المعاجم التي شاهدتها الحديث عن أصل اللفظ وصلته بالمادّة الاشتقاقية العربية وقد ذكرت مادّة الصناعة، فكانت عندهم خشبا أو معدنا، والحقيقة أنّه يصنع من موادّ مختلفة، كالبلاستيك، وغيرها ممّا نعرف وما لا نعرف .

وهو وعاء لحفظ المادّة، وإن اختصّ عند بعضهم بحفظ بعض الأشياء كالكتب والملابس، وكلّ ما يراد حفظه .

وتدرج المعاجم لفظ (الصندوق) في مادّة (ص د ق) . ولم أجد لهذه المادّة أثرا في " مقاييس اللغة " حتّى أتبيّن صلتها بالعربية ، وتعليل ذلك في رأي ابن فارس .

ويزعم بعض أئمّة اللغة العربية أنّ أصل اللفظ أعجميّ . وقال في كتاب " غرائب اللغة العربية " إنّ الصندوق فارسيّ الأصل .. (7)

1) البخلاء .. ص 91
2) تهذيب الأزهري .. 9/386
3) صحاح الجوهري .. 4/1506
4) لسان العرب .. 10/207
5) المعجم الوسيط .. 1/525
6) محيط المحيط .. 2/1211
7) غرائب اللغة العربية .. ص 237

وقال آدي شير عن الصندوق : " وهو معروف ، وهو أيضا صندوق بالفارسية " . . (1)

ثمّ انتقل اللفظ من العربية إلى بعض اللغات الأوروبية الشرقية ، فكان :-

- في القرواطيّة : (SANDUK) - (2)

- وفي الهلفارية : (SANDEUK) . . (3)

- وفي الألبانية : (SENDUK) . . (4)

وفي " أدب الكاتب " أشار ابن قتيبة إلى اللفظ دون ذكر الأصل ، وعقّب المحقق بأنّه أعجمي (5) ولم أجد في المراجع التي اطّلعت عليها غير هذين من أشار إلى اللفظ وأصله . . (6)

ويمكن أن يكون لفظ (الصندوق) من الألفاظ العامّة لأنّ دلالة الاستعمال أصبحت واسعة فكلّ وعاء مربّع الشكل تحفظ فيه المواد يعتبر صندوقا ، وذلك ترجمة للمعنى من اللغات الأوروبية خاصّة . . فهذا صندوق البريد ، وهذا صندوق السرعة في السيارات مثلا ، وأحيانا يقولون عُلْبَة بدلا من الصندوق . . والعُلْبَة في حقيقتها صندوق صغير أو هي ذات أشكال مختلفة ، وأحجام محدودة . هذا الذي يفهم الآن من لفظ العُلْبَة . أمّا قديما فقد كان لفظ (العُلْبَة) يدلّ على " مِحْلَب من الجلد ، والجمع عُلَب وعِلاب " . . (7)

والصندوق ليس من ألفاظ القرآن الكريم ، ولا رأيته فيما قرأت من أحاديث نبويّة شريفة في كتاب (صحيح مسلم) . .

أمّا في الأشعار العربية فيبدو نادرَ الوجودِ . . ورأيت اللفظ في شعر إيليا أبي ماضي ، حين قال :- (كامل)

عَجَبًا لِمَنْ أَمْسَى وَكُلُّ فَخَارِهِ * بِنَضَارَةِ المَخْبُوءِ في الصَّنْدُوقِ . . (8)

والصندوق في عامية الجزائر الحالية شائع معروف بمبناه ومعناه ، ويلفظ بالصاد المفتوحة ، يقال : (صَنْدوق) . وهو استعمال عربي فصيح ، كما سبقت الإشارة إلى شكل اللفظ . . كما أتت لفظ مذكّر ، وأجاز ابن السكيت تأنيثه ، فمن الجوهري أنّ ابن السكيت قال : " وهي الصندوق " (9) مسبوقة بضمير مؤنّث . ولكنّي رأيت ابن السكيت في مكان آخر وهو يقول : " هوَ الصندوق " . . (10) ولعلّ قول الجوهري قد صُحِّفَ ، ولم ينتبه محقّق (الصحاح) إلى إصلاحه .

---

1) الالفاظ الفارسية المعرّبة . . ص 108
2) غرائب اللغة العربية . . ص 157
3) م . س . . ص 158
4) م . س . . ص 162
5) أدب الكاتب . . ص 387
6) انظر قائمة المراجع المعتمدة في آخر المؤلّف .
7) صحاح الجوهري . . 1/189 . و " فقه اللغة للثعالبي " . . ص 168
8) ديوان الخمائل . . ص 95
9) صحاح الجوهري . . 4/1506
10) إصلاح المنطق . . ص 185

وذكروا في لفظ (الصندوق) لهجات ، فقالوا : هو الصندوق لغة في السندوق .. (1) وكانت العامّة في عهد ابن السكيت تتكلّم بالصاد سينا : قال في باب (ما يتكلّم به العامّة بالسين وهو بالصّاد) : " ويقال هو الصندوق بالصّاد " .. (2) ، ومرّة يبدلون الصاد زايا فيقولون : " زَنْدُوق " بدل الصندوق .. (3)

والواقع أنّه كان من بين اللهجات العربية من تناوب بين الصاد والسين والزاي ، وما اللهجات الحديثة إلى التخلّص من الأصوات المفخّمة . أمّا اللهجات العربية البدويّة ، فتؤثر التفخيم : فقد روي أنّ بني العنبر من تميم كانوا ينطقون بكلمة (الساق) قائلين (الصاق) وبنو العنبر ممّن توغّلوا في البداوة ، فمالوا إلى تفخيم الأصوات " .. (4) ، ومالت لهجة الحضر إلى الرّقة فاختارت الأصوات المهموسة ، فأبدلوا الصاد المفخّمة سينا مهموسة ، ف(الصدغ) عند ينطق بالسين فيقولون (سَدَغ) .. (5)

ويمكننا القول بأنّ لفظ (الصندوق) كان ينطق في الأوساط الحضرية (سندوق) ، ولا في ذلك ، فهي سنّة التطوّر في اللغة ، ممّا يفسّر لنا وجود هذا العدد من الصيغ المختلفة .

وأمّا في عامية الجزائر الحالية فإنّ اللفظ معروف بمعناه ومبناه .. ولكن بعض الجهات يقولون (السندوق) بدلا من الصندوق . وهذه الفئة الناطقة بهذه الكيفية معروفة بتوغّلها في التحضّر ، وفساد اللسان .

والصندوق من ألفاظ الحضارة القديمة ، ولا يزال صالحا للاستعمال في الحضارة الحديثة ولكن مجمع اللغة العربية ... لم يدوّنه في معجمه الذي أعدّه لذلك .

---

1) تهذيب الأزهري .. 9 / 386
2) إصلاح المنطق .. ص 165
3) القاموس المحيط .. 3 / 255
4) اللهجات العربية لإبراهيم أنيس .. ص 130
5) م س .. ص 292

الباب الثاني

الإحصاء اللفظي

ودراسة تحليلية لجداول الألفاظ

الباب الثاني

الفصل الأول

الأصيل والدخيل

الأَصِيلُ وَ الدَّخِيلُ

إنّ الثروة اللفظية لأيّة لغة من اللغات تتشكّل عبر قرون كثيرة ممتدّة ، وهناك طريقتان أساسيتان لتعاظم هذه الثروة ، هما :ـ

1) طريقة مباشرة ونعني بها تولّد وتكاثر ما يسمّى بالألفاظ الأصيلة للغة بواسطة العناصر الكامنة فيها .

2) طريقة الاقتراض الذي بواسطتها تدخل مفردات جديدة من اللغات الأخرى ، وعليه فإنّ مفردات أيّة لغة من اللغات نوعان : أصيلة ، ومقترضة أي دخيلة .

أ) الأَصِيل

وقد حاولت توزيع هذه الألفاظ المدروسة في جدولين ، مبتدئين بدراسة جدول الأصيل ، وهذه ألفاظ اتفقت المصادر التي رأيتها على اعتبارها أصيلة .

1) إِبْرَة	13) قَدَح
2) بُرْمَة	14) قَدَّاحَة
3) بِسَاط	15) قِرْبَة
4) جِرَاب	16) قَعْب
5) جَفْنَة	17) كَانُون
6) جُلَّة	18) مِجَفَّة
7) حَطَب	19) مِرْفَقَة
8) حَصِير	20) مُزَمَّلَة
9) حَقِيبَة	21) مِصْبَاح
10) خِزَانَة	22) مِقْلَى
11) سَرِير	23) مِنْحَاز
12) غُمَر	24) وَقُود

ونقصد بالأصيل ما هو من كلام العرب ولغتهم ، ولنابع في بيئتهم ، وتتميّز بخصائصها ... لأنّ اللغة العربية تحيي مثل حياة العرب وتستمدّ منها وجودها وطابعها .

تحديد مفهوم المعرب والدخيل

اختلفوا في أصل تسمية المعرب بهذا الاسم ، ولكنّهم قالوا : " أَعْرَبَ كَلاَمَهُ إذا لم يلحن في الإعراب وأعرب بحجّته أي أفصح بها " . (1)

1) صحاح الجوهري .. 1/179

فهل يكون أصل التسمية من هذا أي أنهم سمّوا بذلك لأنهم قد أعربوا بألسنتهم، فأبانوا أفكارهم، وأعربوا عن مرادهم بوجوه من الاختصار المفيد، أم أن الكلمة مُرتجلة، كما يعتقد بعض المفكرين .. (1)

والاعتقاد عندي أن أصل لفظ "العَرَب" مجهول، والمعروف عنهم الاشتقاق منه، قالوا: "أعرَبَ يُعْرِبُ" لِمَنْ وضّح كلامه وأبانه، كما يفضل العرب الذين عرف عنهم الفصاحة والبيان.

ومادّة "ع ر ب" لها ثلاثة أصول: —

"الإبانَةُ والإفصاحُ، النشاطُ وطيب النفس، وفَسَادٌ في عضوٍ أو جسم .. فأمّا الأمة التي تسمّى العرب، فليس ببعيد أن تكون سميت عربا من هذا القياس. لأن لسانها أعرب الألسنة، وبيانها أجود بيان، وممّا يوضّح هذا، الحديث الذي جاء: "إنّ العربية ليست بابا واحدا، لكنّها لسان ناطق" .. (2)

والعربية لغة هؤلاء القوم أعربوا بها عن مكنون نفوسهم، واشتقوا إسمها من إسمهم، فكانت رسما صادقا يبرز مميّزاتهم الخَلْقية والخُلُقية.

واعتقد بعضهم أن الإسم إنّما أتاهم من جدّهم الأول الذي يدعى "يَعْرُب"، وهو الذي يزعم العرب أنه أصل اللغة الفصحى .. (3) و "أول من تكلّم العربية" .. (4)

مسكنهم

قال ياقوت الحموي: "جزيرة العرب تدعى (عَرَبة) ومن هنا قيل للعربي عربي، كما قيل للهندي هندي، ويصحّ من هذا أن كلّ من سكن الجزيرة ونطق بلسان أهلها فهم العرب سمّوا عربا بإسم بلدهم (العَرَبات)" .. (5)

ثمّ انتشروا في شبه الجزيرة العربية وما حولها، فلم تعد جزيرة العرب وحدها هي مسكنهم، فقد كانت لهم مساكن فيما حولها، ولكن جزيرة العرب مسكن أكثرهم، وأهمّ مساكنهم فأضيفت إليهم .. (6)

فقد كانت لهم إمارات متاخمة على حدود بلادهم الأصلية، ومجاورة لمن حولهم من الأمم، فقد كان الغساسنة في بصرى وغيرها من حُوران على حدود الشام، والمناذرة بنو لخم في الحيرة على حدود العراق، وكان الغساسنة عمّال الروم في الشام، وبنو لخم عمّال الفرس في العراق، ولم يكن هؤلاء العرب يحبّون الروم ولا الفرس" .. (7)، وبقي جلّهم يسكن الجزيرة العربية،

1) تاريخ آداب العرب للرافعي .. 53/1
2) مقاييس اللغة .. 299/4
3) تاريخ آداب العرب للرافعي .. 51/1
4) معجم البلدان .. 98/4
5) معجم البلدان .. 97/4
6) فجر الاسلام لأحمد أمين .. ص1
7) تاريخ التمدن الاسلامي جرجي زيدان .. 69/1

ثمّ تحضّر من حولهم ، وتخلّفوا هم ، وقد تحضّر سكّان الفرات ، وتحضّر وادي النيل ، وظلّ العرب تغلب عليهم البَدَاوة لطبيعة بلادهم الصحراوية . . (1)

وبملاحظة الجدول العام للألفاظ يتّضح لنا أنّ نسبة الألفاظ الأصيلة إلى الألفاظ الدخيلة نسبة قليلة ، ولعلّ ذلك يعطي صورة عن الحياة في المجتمع العبّاسي الذي غلبت عليه وسائل الحضارة المستوردة ، بعد تفتّح المجتمع العربي على العناصر الأجنبية بخيرها وشرّها .

تعريف اللفظ الأصيل ومميّزاته

اللفظ الأصيل في العربية هو ذلك الذي صحّت نسبته إليها ، ويقابله اللفظ الدخيل ، فالأصل هو النسب ، يقال : " رجل أصيل ، وقد أَصُلَ أَصَالَةً ، وَمَجْدٌ أصيل ذو أصالة ، الأصل هو النسب (2) كما يقال : " أثيل وَمُؤَثَّل ، والتأثيل التأصيل " ، (3) ، وأَثَلَ تأثَّل وتأصّل . . (4) ، ويقال : إنّ لفظ أَثِيل يوناني الأصل (ESTHLOS) ومعناه : نَزِهُ الخُلُق وَشَرِيفٌ . . (5)

وتتميّز الألفاظ الأصيلة عن الدخيلة بمجموعة من المميّزات العقلية والفنية ، نذكر منها :

1) إنّ اللفظ الأصيل بمادّته التي قد اشتقّ منها ، فهو يعلن عن أصله العربي باشتقاقاته المتعدّدة ، وبصيغته العربية المتميّزة . ونلاحظ وجود بعض الألفاظ المشتركة التي يظنّ البعض أنّ أصلها عربي ، والحقيقة أنّها ألفاظ مشتركة بين بعض اللغات السامية ، حتّى يصبح من العسير معرفة في أيّة لغة يكون الأصل الثنتين .

وتنطبق قاعدة الاشتقاق لمعرفة الأصل على كثير من الألفاظ الأعجمية التي يتعذّر الاشتقاق والتصريف منها ، نذكر مثلا من ألفاظنا : إِجّانَة ، طَسْت ، حُبّ ، سُكُرّجة ، قَارُورَة ، نَرْجِسًا ، هاوون . . . إنّه لو حاولنا الاشتقاق منها لتعذّر الأمر ، فإنّه لا يمكنني القول مثلا : طَسَّتَ يُطَسِّتُ ، ولا سَكْرَجَ يُسَكْرِجُ . . لأنّ هذا التصريف لم يأتِ به الفصيح من العرب . ومن فعل هذا يكون قد أتى بما لم تقله العرب في لغتها .

ولكن الفصحاء من العرب القدماء عاملوا كثيرا من الألفاظ الأعجمية بعد تعريبها معاملة اللفظ الأصيل ، حين قاسوه على كلامهم ، فأعربوه ، واشتقّوا منه أفعالا ، فقالوا : غَرْبَلَ يُغَرْبِلُ غَرْبَلَة من لفظ (غِرْبَال) ذي الأصل الآرامي (ARBOLO) (6) وقالوا : أَسْرَجَ يُسْرِجُ أيضا من السِّراج مُعرّب (CHROGO) الآرامي الأصل . . (7)

---

1) فجر الإسلام .. ص 4
2) صحاح الجوهري .. 4/1623
3) س .. 4/1620
4) القاموس المحيط .. 3/327
5) تفسير الألفاظ الدخيلة .. ص 1
6) و (7) أنظر كل لفظ من ألفاظ الأمثلة في مكانه في الباب الأول من بحثنا هذا .

ومن الألفاظ الأعجمية المعرّبة ما اشتبهت مادّته بمادّة الألفاظ العربية الأصيلة ، حتّى اعتقد بعض علماء العربية الأقدمين بأصالته اعتمادا على جانب الاشتقاق من ذلك : الخابية ، السِكّين ، السَلّة ، القارُورَة ، الجَرّة ، المِخَدّة ، المائِدة . . . فهذه ألفاظ أصيلة عندهم لأنّها مشتقّة على التوالي من موادّ : خَبَأَ ، سَكَنَ ، سَلّ ، قَرّ ، الخَدّ ، مَادَ .

وكثيرا من الألفاظ الأعجمية قبل التعريب كان في صورة موافقة للأوزان العربية ، متمتّعة بجمال الجرس والفصاحة ، مثل : جَام ، طَشْت ، تَبُوك ، . . فالأوزان فَعْل ، وفَعُول ، هي من الصيغ العربية الفصيحة .

2) البحث التاريخي في أصل اللفظ يساعد على معرفة أصله ، ذلك بالعودة إلى النظر في ثنايا المعاجم القديمة ، ويُعَوّل في ذلك على ماقاله المعجمون الأوّلون من العرب ، فهم أعلم باستعماله ، وممّا يؤسف له حقّا أنّ العربية لم تتوفّر على معجم تاريخي للألفاظ ، مع اعترافنا بأنّ هذا العمل من أوكد الصعاب في العربية وفي غيرها من لغات الدنيا .

3) وممّا هو مؤكّد عقلا أنّ كلّ لفظ لم يثبت أنه دخيل بالطرق المتّفق عليها لتحديد معالمه يمكن اعتباره أصيلا .

وإنّه لمّا كان من الصعب إرجاع كثير من الألفاظ إلى أصولها ، فقد التبس الأمر على كثير من علماء العربية قديما فظنّوا بعض الألفاظ أصيلة ، وأثبت البحث الحديث أنّها دخيلة ، مثل : تَنُّور ، جَام ، جَرّة ، خَابِيَة ، سِكّين ، قَارورَة ، قَصْعَة ، كَأس ، كُوز ، مَائِدَة ، مِخَدّة ، مِسَلّة ، مِنْدِيل ، هَاوُون . . .

فهذه الألفاظ عندهم أصيلة ، عربية صميمة ، اعتمادا على مادّة الاشتقاق التي تشبه المادّة العربية ، أو أنّهم اعتمدوا على تذوّقهم لفصاحتها ، وجمال جرسها ، دون الانتباه إلى أصلها الأعجمي ، لقلّة اطّلاعهم ، أو ضعف وسائل البحث لديهم . .

وربّما كانت بعض الألفاظ من مادّة مشتركة بين بعض اللغات كالتنور ، فقد قيل إنّه بكلّ لسان[1] ووجدنا من العلماء من يقول بأراميته . وقد يكون في الفارسية ، ولكنّه أتاها من الآرامية ، والله أعلم .

أو أنّهم اعتقدوا بأصالة هذه الألفاظ بالنظر إلى تداولها في لهجة عربية عند قبيلة من القبائل العربية الفصيحة ، كما زعموا في (الطست) أنه « طَسْت في لغة طَيّ ، وغيرهم طَسّ ، وهم الذين يقولون : لَصْتٌ ولِصّ . . [2] » ، وقالوا : الطسْت هو الطّس بلغة طيّ ، بإبدال إحدى

---

1) أدب الكاتب لابن قتيبة . . ص 496

2) تهذيب الأزهري . . 274/12

السينيين شاء للاستشقاق .. [1] ومادّة (ط س ت) تملن عن أصله الأعجمي .. قال في المقاييس : " ط س ت : ليس بشيء إلا الطست، وهي معروفة " .. [2] ، ونكر بعض اللغة في التركية والسريانية والكردية بصيغ مختلفة .. [3] ، ويعتقد الجوهري أن : " الطست عربية وأصلها طَسّ " .. [4] ، كأنه توهّم أن اللفظ أصيل في لغة طيّ . وبحثت عن اللفظ في معجم الجوهري ، فوجدته يقول : " الطسّ والطسّة لغة في الطست " .. [5] ، والطست الطسّ بلغة طيّ [6] دون الإشارة إلى أصله أعجمي هو أم عربي .. ؟

1) لسان العرب .. 363/2
2) ج 3 / 363
3) آدي شير .. ص 112
4) شفاء الغليل .. ص 147
5) صحاح الجوهري .. 943/3
6) م س .. 258/1

جدول بيان أصول الألفاظ الدخيلة ، وصورة نطقها في لغتها الأصلية

المراجع المعتمدة حسب التسلسل التاريخي ، من الحديث إلى القديم .

1) غرائب اللغة العربية : اليسوعي .
2) الألفاظ الدخيلة : المنيسي .
3) الألفاظ الفارسية المعربة : آدي شير .
4) شفاء الغليل : الخفاجي .
5) الإتقان في علم القرآن : السيوطي .
6) لسان العرب : ابن منظور .
7) المعرّب من كلام الأعجمي : الجواليقي .
8) فقه اللغة : الثعالبي .
9) مقاييس اللغة : ابن فارس .
10) الصحاح : الجوهري .
11) التهذيب : الأزهري .
12) أدب الكاتب : ابن قتيبة .

ترتيب	اللفظ ونطقه العربي	اللفظ ونطقه في أصله	سامية: آرامي	سامية: حبشي	هندية أوروبية: فارسي	هندية أوروبية: لاتيني	هندية أوروبية: يوناني	دخيل دون تحديد	مختلف في أصله بين العربي والأعجمي
01	أجانة	إكانة (ف) anguiyon (ي)			6		1		
02	بوري	باريا (ف)			10 ، 4			7	
03	تنور	(أ) tanoûro	2 ، 1		7 ، 5				بكن لسان : 11 ، 12
04	جام	جام (ف)			3،2،1				عربي صميم :
05	جرة	جيره (ف)			3			4	عربي صميم : [illegible]
06	حب	خب ، حنب (أ) hoûbo	1		7 ، 3 ، 10			6 ، 4	
07	خابية	(أ) Hobîto	1						عربي صميم : 10
08	خوان	(ف) khân			8،3،1			7	
09	دبة	دبة (ف)			3 ، 1				
10	دن	(أ) dano	1						
11	زبيل	زبيل أو زبين فالة (ف)			7،3،1				
12	زق	(أ) zégo	1						
13	سراج	(أ) chrogo	1						
14	سكرجة	سكره (ف) (أ) sakrogo	1		3 ، 2				
15	سكين	(أ) sakîno	1					4	عربي أصيل : 9 ، 11
16	سلة	(أ) saltho	1					6	
17	صندوق	صندوك (ف)			3 ، 1			12	
18	طبق	تبوك أو تابه (ف)			2 ، 1 / 12 ، 8				
19	طست ، طس	تشت (ف)			2 ، 1 / 11 ، 8	12			
20	غربال	(أ) arbolo	1						
21	قارورة	(أ) goroûro	1					4	عربي صميم : 6

تـــابع جـــدول بيان أصـــول الألفاظ :ـــ

ترتيب	اللفـــظ ونطقه العربي	اللفـــظ ونطقه في أصلة	ســاميـــة		هنديةـ أوروبية			دخيل دون تحديد	مختلف في أصله
			آرامي	حبشي	فارسي	لاتيني	يوناني		
22	قِــدْرة	(ي) chitra					1		
23	قَصِــعَة	كَاسَهْ (ف)			8،7				عربي : 9
24	قُــلّة	(أ) gᵔûlto	1						عربي : 9
25	قِنْدِيـــل	(ل) candila				2،1			
26	كأس	كَاسَه (ف) (أ) koço	1		3				عربي : 6
27	كُــوز	كُوزه أو كُوس (ف)	2		8،6،1				عربي: 6، 10
28	كُــوب	كُوبِ • (ل) cupa	5		3	1			توافق لغات 3
29	كِيس	(أ) kîçô	1						
30	مَـائِـــدَة	مَيده • (ح) mâéud		2،1	3				عربي: 9
31	مِخَـــدّة	مَخُـــت (ف)			3			4	عربي: 9
32	مُرْقَشِيثَــا	(أ) markachito	1						
33	مِسَـــلّة	(أ) m'chalto	1						عربي: 9
34	مِنْديـــل	(ل) mantil				1			عربي: 6
35	قَطِيفَـــة	(أ) gtifto	1						
36	هَاوون	(ف) hâvan			7،1				عربي: 9

ملاحـــظـــة :ـــ

الرقم في الخانة الخامسة يرمز إلى رقم ترتيب الكتاب في المراجع المذكورة في بداية الكلام . . مثلا ، رقم (1) ايدل على الرأي الذي ذكره كتاب" غرائب اللغة القريبة" للفهم أكثر نورد مثالا آخر :

إجانة : كتابرقم (1) يقول إنّها يونانية ،يعني أن المؤلف (اليسوعي) يعتقد بأنها من أصل يوناني . . بينما الكتاب رقم (6) وهو "لسان العرب" يراها من أصل فارسي . ونحن نرجح الرأي الجديد (رأي اليسوعي) لاعتقادنا أنه رأي جديد مبني على بحوث لغوية حديثة بالمقارنة إلى كتاب " لسان العرب" .

والرموز الأخرى هي :ـــ

(ف) : فارسي . (أ) : آرامي ، (ح) : حبشي . (ي) : يوناني .
(ل) : لاتيني .

ب) الدخيل

الدخيل لغة هو ما انتسب إلى شيء ،وليس منه،يقال :" هو دخيل بني فلان إذا انتسب معهم وليس منهم " . (1) ودَخِيل الرجل ودُخْلُلُه الذي يداخله في أموره ويختصّ به .

والمقصود بالدخيل في اللغة العربية ما دخلها من ألفاظ وتراكيب جاءها من لغة أجنبية ، قريبة أو بعيدة ، وقد انتسب إلى العربية بعد تَجْنِيسِه وموافقته لمقتضى كلام العرب . صوتا ، وكتابة ونحو وصرفا ودلالة . .

وقد اقترضت العربية من اللغات الأخرى كثيرًا من الألفاظ،وكان أقربها إليها اللغات السامية كالآرامية والحبشية والعبرية ،ثمّ الفصائل اللغوية الأخرى كالفارسية والهندية والإفريقية (2) . وبملاحظة الجدول يتبيّن لنا أيّ اللغات أكثر تأثيرا في العربية في العصر العباسي . . ونلقي ضوءًا على هذه اللغات بما يحتاج إليه البحث تاركين ما لا تدعو الضرورة إلى ذكره . .

1) الطائفة السامية

جدول المجموعة الآرامية :

1) تنّور	8) غِربَال
2) خابية	9) قارورة
3) دَنّ	10) قُلّة
4) زِقّ	11) كَأْس
5) سِرَاج	12) كِيس
6) سِكّين	13) مُرْقَشِيثَا
7) سَلّة	14) مِسَلّة

، قطيفة

جدول يبيّن مجموعة الألفاظ الحبشية السامية .

1) مائدة

الشعوب السامية

" يطلق الآن لقب الساميين على الشعوب الآرامية والفنيقية والعبرية والعربية واليمنية والبابلية والآشورية . وأوّل من استخدم هذا الوصف في إطلاقه على الشعوب السابقة العالم الألماني (شولتزر SCHLÖZER) في أواخر القرن الثامن عشر . وقد اقتبسه ممّا في سفر التكوين

1) أساس البلاغة . . ص 184 . و" صحاح الجوهري " . . 4 / 1696

2) انظر الجداول المرفقة في الصفحات القادمة .

بعد دأولاد نوح الثلاثة (سام ،حام ،يافث) ،والشعوب التي انحدرت من كلّ ولد منهم ،[1]

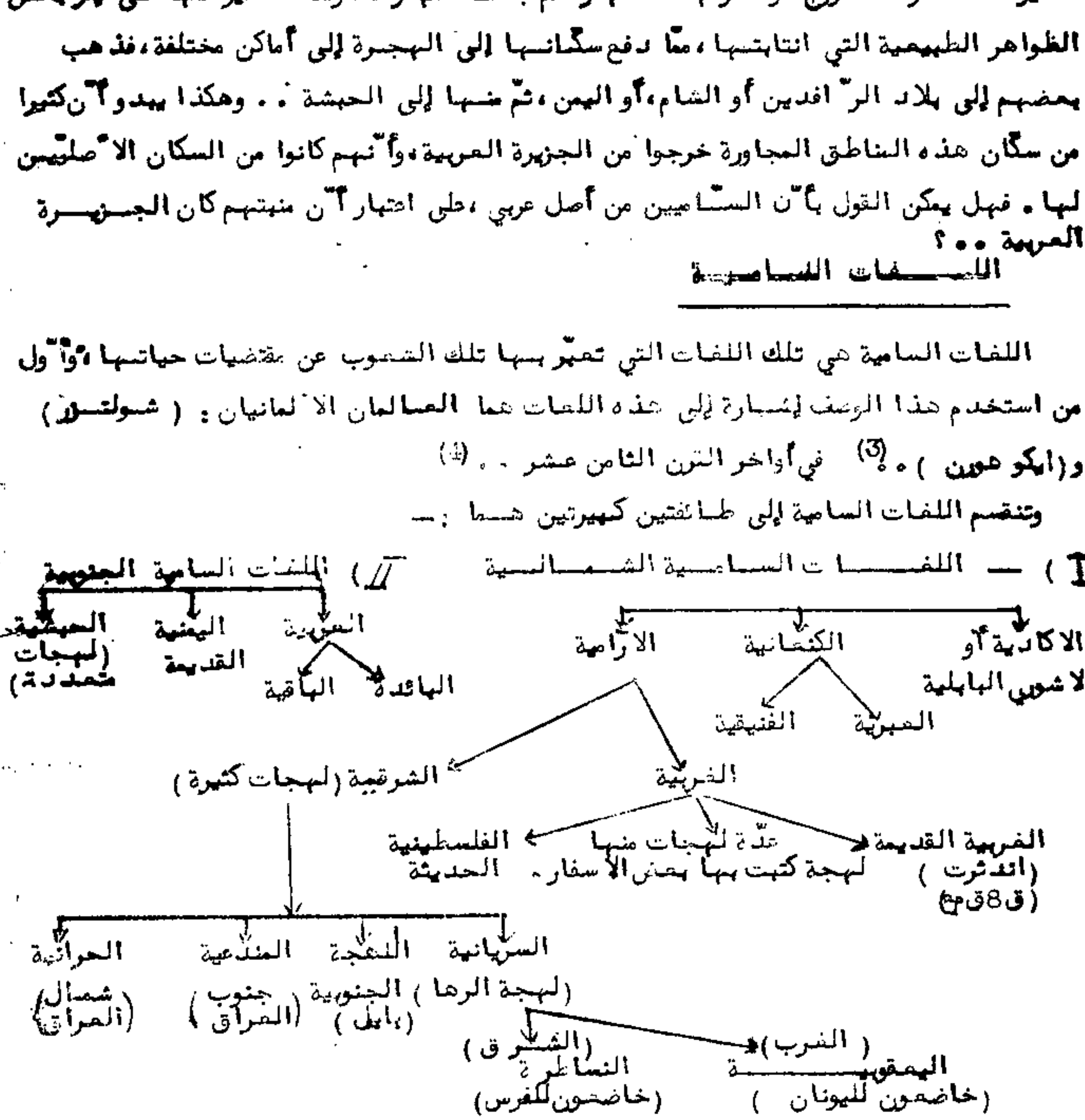
وذهب الباحثون في تعيين موطن الساميين الأصلي مذاهب مختلفة تدور كلّها حول الجزيرة العربية " ويرجّح بعضهم أنّ المهد الأول للساميين كان القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد واليمن وما حولها) ،وقد مال إلى هذا الرأي عدد كبير من قدامى المستشرقين ومحدثيهم ،وعلى رأسهم العلامتان : رينان الفرنسي وبروكلمان الألماني وهذا هو أصحّ الآراء ،وأقواها سَنَدًا ،وأكثرها اتفاقا مع آثار هذه الأمم وحقائق التاريخ ". [2]

ويعتقد بأنّ الجزيرة العربية كانت في العصور السابقة بلادا خصبة ،كثيرة السكان ،موفورة الخيرات ،تغمرها المروج ،وتخترقها الأنهار ،ثمّ جفّت أنهارها ،وشحّت خيراتها على إثر بعض الظواهر الطبيعية التي انتابتها ،ممّا دفع سكّانها إلى الهجرة إلى أماكن مختلفة ،فذهب بعضهم إلى بلاد الرافدين أو الشام ،أو اليمن ،ثمّ منها إلى الحبشة . . وهكذا يبدو أنّ كثيرا من سكّان هذه المناطق المجاورة خرجوا من الجزيرة العربية ،وأنّهم كانوا من السكان الأصليين لها . فهل يمكن القول بأنّ الساميين من أصل عربي ،على اعتبار أنّ منبتهم كان الجزيرة العربية . . ؟

اللغات السامية

اللغات السامية هي تلك اللغات التي تميّز بها تلك الشعوب عن مقتضيات حياتها ،وأوّل من استخدم هذا الوصف إشارة إلى هذه اللغات هما العالمان الألمانيان : (شولتزر) و(ايكهورن) . [3] في أواخر القرن الثامن عشر . . [4]

وتنقسم اللغات السامية إلى طائفتين كبيرتين هما : ـــ



---

1) تاريخ اللغات السامية ولفنسون : ص 2
2) فقه اللغة عبد الواحد وافي . . ص 11
3) تاريخ اللغات السامية . . ص2
4) فقه اللغة (وافي) . . ص 7

ونحصر حديثنا في هذه المجموعات على لغات معيّنة، تلك التي دعت الضرورة إلى توضيحها خدمة للبحث، وتنويرا لجوانب المفردات المدروسة . وما لم نحتج إليه من اللغات اقتناعا منّا بتركه ينظر إليه في مرجعه . . (1)

أ) الآرامية

الآراميون مجموعة قبائل كانت تعيش متنقّلة في صحراء ما بين النهرين، المسمّاة ميزوبوتاميا (2) وقال آخرون : كانوا يعيشون في صحراء شمال الجزيرة العربية . وكانوا مصدر ازعاج لسكّان المنطقة واحتلّوا مدينة حرّان، وهي إحدى مراكزهم فيما بين النهرين، قبل احتلالهم دمشق . اقتبسوا حضارة سكّان المنطقة من الكنعانيين وغيرهم، الذين قاموا بينهم، غير أنّهم احتفظوا بلغتهم التي قُدِّر لها أن تلعب دورا بالغ الأهمّية في حياة غرب آسيا فيما بعد . . (3)

تنقسم الآرامية إلى قسمين : شرقية وغربية، وتنقسم كلّ منهما إلى عدّة لهجات . . (4) ومن اللهجات الشرقية نأخذ :-

السُّرْيَانِية : وهي لغة كنيسة (الرها) في شمال أرض الرافدين، كما سمّاها العرب، وحرّف إسمها إلى (أورفا) في القرن الخامس عشر، وبه تسمّى الآن .

وبسبب الخلاف الذي دار بينهم حول طبيعة المسيح انقسم الناس إلى طائفتين، فكان لهما لهجتان :-

1) لهجة اليعقوبية : وهم اتباع مذهب يعقوب براودس (Jacop Baradeus) في الجهة الغربية، خاضعون في حكمهم لليونان، ولغتهم أقرب إلى اللغة القديمة .

2) لهجة النساطرة : اتباع مذهب نوستوريوس (nostarius) .

ثمّ راح الفارق بينهما يتّسع، فظهرت كلّ واحدة منهما متميّزة عن أختها بظواهر صوتيّة ودلالية مختلفة .

والسريانية أهمّ اللهجات الآرامية وأغناها في الإنتاج الأدبي والعلمي والفلسفي، وقد كان للّغة السريانية ومنتجاتها أثر كبير في الآداب والعلوم العربية، وخاصّة في العصر العبّاسي .

بين العربية والآرامية

اقترضت اللغة العربية ألفاظا كثيرة من لغات مختلفة، الآرامية أوّلا ثمّ الفارسية، والرومية

---

1) تاريخ اللغات السامية إسرائيل ولفنسون . ط/ دار القلم 1980 - ص 145 وما بعدها .
2) فقه اللغة علي عبد الواحد وافي . ط/ 8 . نهضة مصر القاهرة . ص 50
3) الموسوعة العربية الميسرة . . ص 109
4) انظر الجدول السابق .

واللاتينية .

وكان من أهمّ وسائل الاتصال بهذه اللغات : الجوار، التجارة، الرحلات، ثمّ الحكم، الأسرى الرقيق ، الجواري، الوزراء، الترجمة ..

ولعلّ أوّل ما يلفت الانتباه من أسباب الصراع بين هذه اللغات هو الاحتكاك بالجوار والاختلاط، فقد كان الآراميون والعرب من أصل واحد، يعيشون في منطقتين متجاورتين متداخلتين، الآراميون في العراق والشام وما حولهما، والعرب في الجزيرة العربية وفي شمالها وأخصّ الموطن الأصلي لجميع الشعوب السامية .

وقد كانت اللغة الآرامية قد أصبحت قبل الإسلام اللغة الرسمية في بلاد الشرق الأدنى، بعد أن تغلّبت على العبرية والكنعانية، وخالط العرب الآراميين وخاصّة السريان في العصر الجاهلي عن طريق الجوار الجغرافي، ثمّ عن طريق الرحلات التجارية بين الحجاز والشام صيفا، وقد جاء ذكر هذه الرحلات في القرآن الكريم .

وكان أثر الآراميين عظيما في القاموس الحضاري العربي، فأكثر الكلمات العربية القديمة المستعملة في الميدان الزراعي هي آرامية الأصل، لأنّ الأعراب كانوا يحتقرون خدمة الأرض ويرون المهنة من الامتهان أي الاحتقار .

ولم يقف نفوذ الآرامية عند هذا الحدّ، بل جاوزه إلى مناطق اللغة العربية نفسها، فكانت الآرامية تستخدم لغة كتابة في بعض المناطق العربية، وخاصّة في بلاد النبط، وتركت آثارها ظاهرة في اللهجات العربية البائدة . واقتبس العرب الخطّ من السريان والأنباط . ومن ثمرات الاختلاط الفكري بين العرب والسريان أنّ أدرك العرب أنّ لغتهم كذلك يمكن أن تدرس على غرار السريانية، وأنّ دراستها ستكون حفظا لطرقها في الصياغة وخدمة لأمّة في نطقها ..[1]

وفي العصور الإسلامية الأولى خالط المسلمون السريان، وهم في مقدّمة الشعوب الآرامية فاقتبسوا منهم كلمات خاصّة بمختلف شؤون الحياة الحضارية، منها ما هو خاصّ بالزراعة، أو الصناعة، أو التجارة وغيرها .. فالآراميون قدّموا للعرب، وهم في حال العُسْرِ المُشَرِّ الحَضَاري حينما أمدّوهم بألفاظ الحضارة التي هم في حاجة إليها، ثمّ خدموهم مرّة أخرى حين نقلهم إلى العربية أشهر الكتب العلمية اليونانية إجابة لطلب الخلفاء العبّاسيين ..[2]

ثمّ ورثت العربية الآرامية في مناطق نفوذها، واستولت على معاقلها، وأصبحت العربية هي سيّدة الميدان، وانسحبت الآرامية وغيرها، بعد أن كانت متداولة في الكتابة والخطاب سنوات بعد انتشار الإسلام، فقد "أخذت العربية تقتحم على الآرامية معاقلها، ففي الغرب انقرضت

---

1) اللغة بين المعيارية والوصفية : تمام حسان .. ص 170

2) تاريخ التمدّن الإسلامي : جرجي زيدان .. 62/2

الآرامية بعد الفتح العربي من لغة التخاطب في معظم مناطق سوريا وفلسطين .. وبقيت العربية مقاومة في الشرق من مختلف اللهجات الآرامية وخاصة السريانية، ولكن انتهى الأمر بتغلب العربية عليها " .. (1)

ب) الحبشية السامية

نلاحظ في جدول اللغات المرسوم في بداية الحديث أن الحبشية من السامية الجنوبية وهي تؤلف مع اللغة اليمنية والعربية شعبة واحدة ، وتتفرع إلى مجموعة من اللهجات هي : الجعزية، الأمهرية، التجرية ، والحورانية، ولهجة هَرَر متفرعتان عن الأمهرية .

وكان اتصال العرب بالحبشة القديمة عن طريق اليمن بحكم الوضع الجغرافي ، وقد حاول الأحباش احتلال الجزيرة العربية بحملتهم التي ذكرها التاريخ ، وسجلها القرآن الكريم فقد تركت أثرا نفسيا في العرب رغم أنها لم تذهب بعيدا في تأثيرها الاجتماعي . " ولما كانت اللهجات السامية في بلاد الحبشة قريبة الشبه من مجموع اللهجات التي في جنوب الجزيرة العربية، كان من الطبيعي أن تستنتج أن هؤلاء الساميين الذين يسكنون في الأقاليم الأفريقية إنما نزحوا إليها من اليمن " .. (2)

وعاد الأحباش إلى اليمن بصفة الغزاة، غير أن حملتهم كانت ضعيفة، لأن العرب في شمال الجزيرة العربية سرعان ما نسوا أثرها ، وتوجهوا إلى الحبشة في الهجرات الإسلامية الأولى هربا بدينهم، وما اختاروا الحبشة إلا لعلمهم الروحي إلى هؤلاء القوم وثقتهم بهم ..

ومن هنا أعتقد أن أثر الحبشة في اللغة العربية قد اقتصر في بداية الإسلام على أمور دينية من ذلك ، يقال إنهم " لما جمعوا القرآن فكتبوه على الورق، قال أبو بكر (ض) : التمسوا له إسما ، فقال بعضهم : (السِّفْر) . قال : " ذلك إسم تسميه اليهود ، فكرهوا ذلك . وقال بعضهم : (المصحف) فإن الحبشة يسمون مثله المصحف . فاجتمع رأيهم على أن يسموه المصحف " . (3)

وقد ورد في القرآن الكريم بعض الألفاظ ، اعتقد الباحثون أنها من أصل حبشي ، مثل : طُوبَى ، كِفْلَين ، مِشْكَاة ، وغيرها .. (4)

---

1) فقه اللغة (وافي) .. ص 70
2) تاريخ اللغات السامية .. ص : 254
3) مباحث في علوم القرآن : صبحي الصالح . ط/ دار العلم للملايين بيروت 1981م، ص 77
والإتقان في علوم القرآن للسيوطي . ط/ عالم الكتب بيروت . بدون تا ج1 ص 58
4) الاتقان في علوم القرآن .. 1/139 و 140

خصائص اللغات السامية

تمتاز اللغات السامية بترابط بعضها ببعض، فتبدو الصلات واضحة في علاقة كل واحدة بالأخرى لأنها تنتمي إلى أصل واحد، ونلخص الخصائص المشتركة فيما يلي :—

* الأصل السامي في الغالب ثلاثي : كتب، قرأ، غفر.
* يندر في اللغات السامية الكلمات التي لها أكثر من أصل.
* للأصوات الساكنة أهمية تزيد عن أصوات اللين.
* في الغالب يؤنث الاسم والصفة بإلحاق التاء في آخر الكلمة.
* التشابه في كثير من المفردات الدالة على أسماء الإنسان وأحواله (ذكر، أنثى، أب، أم، ابن، أخ ..) ومن أعضاء البدن : (رأس، عين، جسم، لسان)، والحيوانات (ذئب، ثور، عقرب)، ومن النبات : (عنب، ثوم، كمون)، وألفاظ أخرى بين أسماء وصفات، وأفعال، وأعداد .. (1)
* يميل الأسلوب غالبا في اللغات السامية إلى استخدام المجاز.
* ليس للفعل في معظم اللغات السامية إلا زمنان، فعل قد انتهى منه (ماض)، وفعل لم ينته منه (مضارع للحال، والاستقبال، وأمر).

وبديهي أنه يوجد بين هذه اللغات فوارق، فقد ثبت أنه رغم قوة القرابة بين اللغات السامية فالخلاف بينها في القواعد والأصوات والمفردات .. (2)

خصائص العربية ومميزاتها عن أخواتها السامية

قيل : "إن اللغة العربية هي أم اللغات الإنسانية جميعًا" .. (3)، ويعتقد الكرملي : "أن اللغة العربية أم اللغات" أو "مفتاح اللغات" .. (4)، وأنا أعتقد أن هذا الحكم نظر إلى قدم اللغة العربية ومرونتها وأغناها بالمفردات، ومفخرة العربية أنها احتفظت بأكثر وأعرق خصائص السامية الأم. " ومن مميزات العربية أنها تشتمل على عناصر قديمة جدًا من اللغات السامية الأصلية يدل على أن اللغة العربية كانت موجودة في مهد اللغات السامية في ناحية قريبة أو أن العناصر التي نزحت إلى بلاد العرب كانت من أقدم الأمم السامية" .. (5)

وكانت العربية أشبه البنات بأمها ثم نمت في خدرها فتكاملت لها عناصر النمو والتطور حتى أصبحت أرقى اللغات السامية، كما يقرر دارسو اللغات .. فلا تعادلها اللغة الآرامية ولا العبرية، ولا غيرها من هذا الفرع السامي .. (6)

---

1) انظر : المولد لحلمي خليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م. ص 147
2) للاستزادة ينظر في كتاب تاريخ اللغات السامية : إ. ولفنسون .. ص 14، 15 وكتاب "المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، جواد علي . ج 8/530 ومابعدها.
3) فقه اللغة : عبد الواحد وافي ..ص 16 (الهامش)
4) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها ..ص 162
5) تاريخ اللغات السامية .. ص 168
6) ضحى الإسلام أحمد أمين .. 1/259

والعربية نشأت في أقدم مواطن السّاميّين، وساعدها هذا الموطن الجغرافي على العيش حرّة، وهي أكثر أخواتها احتفاظا بالأصوات السّامية، فقد اشتملت عليها وزادت أخرى لا وجود لها في الساميات الأخرى، مثل: الثاء، والذال، والغين، والضاد ... فهي أوسع أخواتها في أصول الكلمات والمفردات، وتزيد عليها بأصول احتفظت بها من اللّسان السامي الأوّل.

ونضيف إلى ما سبق .. "أنّ العربية أوسع اللغات، وأدقّها في قواعد النحو والصرف، فقد اشتملت على القواعد المشتركة في اللغات السّامية، ثمّ زادت عليها، كان الإعراب فيها بالحركات من أهمّ الخصائص لديها .. بل تفرّدت العربية بين لغات العالم بمزيّة الإعراب. ومن خصائصها أيضا أنّ الكلمة الواحدة تحتفظ بدلالتها الشعريّة المجازية، ودلالتها العلميّة الواقعيّة في وقت واحد، فلا لبس بين الموضوع بمعنى الفكرة التي نبحثها، وبين الموضوع بمعنى الوضع بمكان محسوس.

اللغات السامية لم تصل مستوى العربية في ضبط المشتقّات بالموازين التي تجري على جميع أجزائها، وتوفّق بين مبانيها ومعانيها .. وممّا ميّز العربية كذلك تفرّدها بالضّاد بين سائر اللغات .." (1)

ويقول هنري فليش عن العربية: "إنّ لغة الشعر العربي بما توفّر لها من ثروة في صيغها النحوية، ودقّة في تعبيرها عن العلاقات التركيبيّة إنّما تعدّ أعلى قمّة بلغها نموّ اللغات السامية" .. (2)

هذا وإن كنّا لا نعلم شيئا عن طفولة اللغة العربية، فقد أثبت الباحثون أنّها عربيّتان: بائدة وباقية، أمّا البائدة فلم يصلنا منها إلّا نقوش كتبت بخطّ مسند، في غالبها، خال من النقط. أمّا الباقية فأقدم ما وصلنا منها لا يزيد على (150) سنة قبل ظهور الإسلام، وقد وصلتنا في أعزّ شبابها، وكمال عافيتها، وكمال عافيتها، ممّا دفعنا إلى القول بأنّها قد مرّت بمراحل كثيرة، قبل أن تصبح ناضجة .. لغة شعر وأدب.

2) الطائفة الهنديّة ـ الأوروبية

يقسم ماكس مللر (Max muller) اللغات الإنسانية إلى ثلاث طوائف :ـ

أ) الهنديّة ـ الأوروبية .

ب) السامية ـ الحامية .

جـ) الطورانية .

---

1) ملخّص عن الموسوعة العربية الميسّرة .. ص 1559

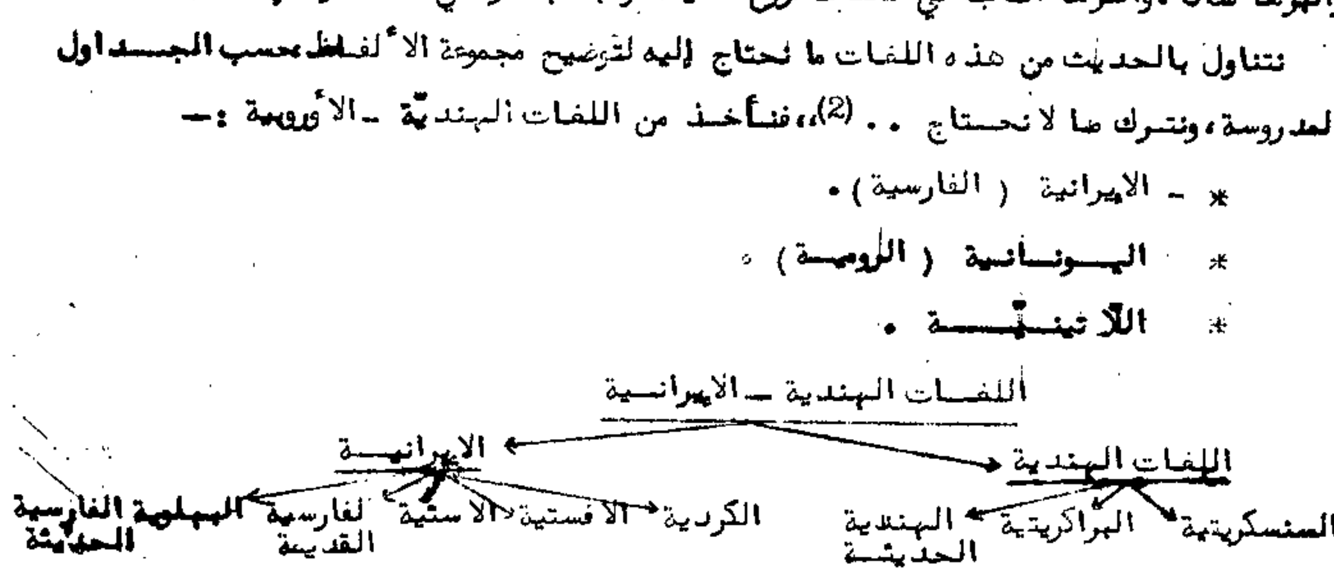
2) العربية الفصحى، هنري فليش، تح / عبد الصبور شاهين، المطبعة الكاثوليكيّة بيروت، 1966م، ص 196

ويظهر أن اللغات الهندية ـ الأوروبية هي أكثر اللغات الإنسانية انتشارا، إذ يتكلم بها الآن جميع سكان أوروبا، والأمريكيتين، وأستراليا، وجنوب أفريقيا، ما عدى بعض جماعات قليلة بأوروبا، والسكان الأصليين للأمريكيتين، وأستراليا، وجنوب أفريقيا، ويتكلم بها كذلك قسم كبير من سكان آسيا .

والشعوب الناطقة بهذه الفصيلة هي أرقى الشعوب مدنية في العصر الحاضر، وأعظمها نشاطا وأكبرها شأنا، وأكثرها انتاجا في مختلف فروع الحياة، وأجلها أثرا في الحضارة الإنسانية الحديثة[1].

نتناول بالحديث من هذه اللغات ما نحتاج إليه لتوضيح مجموعة الألفاظ حسب الجداول المدروسة، ونترك ما لا نحتاج .. [2]، فنأخذ من اللغات الهندية ـ الأوروبية :ـ

* ـ الإيرانية (الفارسية) .
* اليونانية (الرومية) .
* اللاتينية .



نختار الآن من هذه المجموعة اللغة الفارسية، ونقول: إنها مرت بمراحل، أو أطوار ثلاثة هي[3]

1) الفارسية القديمة (6 ق 5ق م . إلى 331 ق.م) ؛ ولم تقم صلات بين الفارسية القديمة واللغة العربية .

2) الفارسية الوسطى أو الفهلوية (226م ـ إلى 651م) ، والمصادر التي لدينا من الفهلوية قليلة، ولذا لا نستطيع بيان الأصل الفهلوي للكلمة المعربة، وفي كثير من الأحوال نعدم الأصل الفهلوي، ولا نجد إلا الصيغة التي تطور إليها في الفارسية الحديثة .

3) الفارسية الحديثة آخر أطوار اللغة الفارسية، وقد تكونت بعد أن صارت فارس جزءا من الإمبراطورية الإسلامية ..

ويقول د/ السيد يعقوب بكر نقلا عن صديقي (A . SIDDIQUI) في مقدمة كتابه[4]:

" إن الفارسية الدخيلة في العربية تنتظم في أربعة عصور :ـ

1) من البدايات الأولى إلى فتح المسلمين فارس سنة 31هـ (651 - 652م) .

2) من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأموية 132هـ . (750م) .

---

1) علم اللغة : عبد الواحد وافي .. ص 183 .

2) م . س .. ص 180 وما بعدها .

3) نصوص في فقه اللغة .. ج 2 / 17 .

4) م.س ج 2 / 11 . نقلا عن كتاب صديقي " الألفاظ الفارسية الدخيلة في العربية الفصحى " المقدمة ، ص 2 و 3 .

3) ومن هذا الفتح إلى سقوط الدولة العبّاسية، على يد هولاكو 656هـ (1258م) .

4) ومن دولة المغول إلى اليوم ..

وقد قصّر كتابه على العصر الأوّل، وهو في رأيه أهمّ هذه العصور من هذه الناحية "

مجموعة الألفاظ الفارسية

1) بُوس
2) جَام
3) جَرَّة
4) خُبّ
5) خِوَان
6) دَبَّة
7) زَبِيل
8) سُكُرُّجَة
9) صُنْدوق
10) طَبَق
11) طَسْت
12) قَصْعَة
13) كُوز
14) مِخَدَّة
15) هَاوُن .

الصراع بين الفارسية والعربية

الشعب الفارسي من الشعوب الآرية ، " إخوان الهنود واليونان، وهم أهل ذكاء وتعقّل وفيهم استعداد فطري لأسباب التمدّن " .. (1) ،، كانوا من أمَدن شعوب العالم، ذوي ثقافة أعلى جدّا من ثقافة العرب، وقد نبغ مئات منهم في العلوم والآداب والفنون الجميلة . . فلا يستغرب أن يكون فاتحي بلادهم قد اقتبسوا حصّة وافرة من ذلك التمدّن ، واقترضوا من الكلمات الفارسية أكثر ممّا اقترضوا من سائر اللغات، ما عدى الآرامية " .. (2)

وقبل ذلك كان للعرب صلات عميقة مع الفرس، رغم بعدهم عن تخوم الجزيرة العربية، ولكن كانت للعرب إمارة على حدود الفرس، وتحت رعاياتهم، فأخذوا عنهم أسباب الحضارة والتمدّن .. وكانت الوصلات بين الجزيرة العربية وهذه الإمارة - إمارة الحيرة - . فقد كان الشعراء في الجاهلية يقصدون بلاطها لمدح أمرائها، والاتّصال بأهلها ، وقد يتجاوزون هذه المنطقة إلى بلاد الفرس ذاتها ، وخير دليل على ذلك ما وجد في الشعر الجاهلي ، ولا سيما في شعر الأعشى ، يقول ابن قتيبة : " وكان الأعشى يفد على ملوك الفرس ولذا كثرت الفارسية في شعره " .. (3)

وممّا وسّع للفارسية مجال الاستعمال ما كان يفعل أهلها من أجلها ، حتّى بلغت درجة لتعصّب

---

1) تاريخ التمدّن الإسلامي .. 143/2

2) غرائب اللغة العربية .. ص 214

3) الشعر والشعراء .. 258/1

أقصاها لكل ما يمتّ إلى الفرس بصلة لإحياء لأمجادهم الغابرة، تلك التي غمرها سلطان الإسلام والعربية، فكانوا يكثرون من إدخال الفارسية في لغة العرب، حتى انحرف المسار إلى تقديم كلّ ما هو أجنبي على ما هو عربي، وذهبوا أحيانا إلى الحديث عن المعجزات وخرجت روح المصر عن النزعة العربية الأولى .. (1) وأصبح الناس مغرمين بكلّ ما هو أجنبي فمن المعجزات ما يحكى أنه في سنة (305هـ) تحدّث الناس عن وُرُودِ هَدَايَا جليلة من عُمان فيها طائر أسود يتكلّم الفارسية والهندية أفصح من الببغاء .. (2) ،، وتباهى الناس بمعرفة الفارسية حتى كان الكاتب يُمدَح بأنه فارسي الكتابة .. (3) ،، وأصبح الأعرابي يتملّح بإدخال الفارسية في شعره، قال العماني للرشيد :ــــ (مجزوء رجز)

مَنْ يَلْقَـهُ مِنْ بَطَلٍ مُسْرَنْـدِ * في زَغْفَـةٍ مُحْكَمَـةٍ بِالسَّـرْدِ
تَجُـولُ بَيْـنَ رَأْسِـهِ و "الْكَـرْد"

يعني العنـق .. (4)

وقد بلغ من تمحّل بعض العلماء من الفرس خاصّة أن كانوا يتزيّدون تعصّبا لقومهم وبلغ بهم التعسّف أن زعموا أنّ النبي (صلعم) تكلّم الفارسية " واشتهر بين الأعاجم حديثان أحدهما ــ فيما زعموا ــ أنّ جابرا صنع لهم سورا أي ضيافة . والثاني قوله: " العِنَب دُودُو، والتمر يَكْ " أي في تناولهما مثنى وفرادى . وقد حقّق العلماء أن لا أصل له، وإنّما يتوجّه إلى تلك العصبية التي تشبه أن تكون دينا لغويّا ترغم العربية على انتحاله " .. (5)

ولم يكن الفرس ذاتهم ينكرون فضل العربية، ولم يكونوا في مأمن من تأثيرها فيهم، فقد كانوا "يتعلّمون لغة العرب، وينظّمون الشعر العربي حتّى ملوكهم لم يكونوا يستنكفون من ذلك .. حتى أنّ بهرام بن يَزْدَجِرد بن سابور نشأ بين العرب بالحيرة وتعلّم العربية، ونظّم فيها شعرا، وكانوا يستخدمون العربية في دواوينهم للكتابة والترجمة " .. (6)

وكان للموالي أثر كبير في الجانب السياسي والاجتماعي، فقد لاحظت أنّ كثيرا من علماء اللغة كانوا موالي، فسيبويه كان فارسيا، وخدم العربية خدمةً رفعته درجات، فكان فخرا لقومه بين العرب مع أنه كان عَيّ اللغةِ لا يبين . قال بروكلمان: " وكان سيبويه الفارسي أشهر تلاميذ الخليل، ومصنّف أول كتاب جمع فيه ما ابتكر الخليل إلى محصول الباحثين السابقين ... وروي أنّ سيبويه

---

1) الحضارة العربية آدم متز .. 468/1
2) م . س .. 212/1 نقلا عن المنتظم لابن الجوزي .. ص16، 19
3) المولّد لحلمي خليل .. ص 327 . نقلا عن كتاب "الوزراء" .. ص 35
4) البيان والتبيين .. 142/1
5) تاريخ آداب العرب للرافعي .. 204/1
6) تاريخ التمدن الإسلامي .. 406/2

كان بادي العيّ في لغة التّخاطب، فلم يكد يسيطر على العربيــة في حديثه العادي، وليس فقط في مشاكل مادّته التي تخصّص فيها . وكثيرا ما يلاحظ قارئ "كتابه" أيضا قلّة حيلته، وظهور عجزه، بل غموضه و إبهامه في التعبير، كأنّما يساور اللغة مساورة، ويعالجها علاجا " .. (1)

ومن الباحثين المحدثين في اللغة العربية من ترصّد أخطاء " سيبويه" في " الكتاب" وجعلها موضــوع بحــث ودراسة .. (2)

وفي بداية النهضة خاصّة كانت العربية في حاجة إلى مفردات لإثراء قاموسها بألفاظ الحضارة الجديدة التي لم يعهدها العرب في بيئتهم، فكانت اللغة الفارسية هي الحائزة على قصب السبق، بل لأنّ الفارسية من أقدم ما عرفت العربية من اللغات في عصور ما قبل الإسلام، عن طريق التجارة أو الاختلاط أو الاحتلال، وأخذت العربية منها ألفاظا " ولكنّها تعدّ قليلة إذا ما قيست بالألفاظ التي دخلت في العصر العبّاسي " .. (3) (4)

وقد أخذت العربية من الفهلوية التي كانت لغة الفرس الساسانية، ثمّ دالت الأيام، فحلّت العربية والحروف العربية محلّ اللغة الفهلويّة، والحروف الفهلوية، ثمّ عادت العربية لتعاني من الاضطهاد، وتعصف عصور الظّلمات بلغة القرآن في كثير من الممالك العربية، فاضطرّت بغداد، وهي عروس العربية إلى أن تتكلّم اللغة الفارسية بضعة قرون .

ب) اليــونانــية (الروميــة)

جــدول الألفــاظ اليونانية (الرومية) المدروسة في هذا البحث :ــ

1) إِجَّــانَــة .

2) قِــدْر .

الرومية هي يونانية بيزنطا، سمّى العرب بيزنطا باسم الروم، وسمّوا لغتهم الرومية، وكان للعرب اتّصــال مباشر بهذه اللغة، وبأهلها .

وأكثر الألفاظ التي عرّبت عن اليونانية كانت ألفاظ الملبوسات اليونانية أو الرومية التي لم يكن العرب يعرفونها، ثمّ عرفوها ولبسوها، وأطلقوا عليها أسماءها الأصليّة، وأكثر هذه الألفاظ تسرّب إلى العربية عن طريق الشــام .

اللاتينــية

جدول الألفاظ اللاتينيــة المدروسة في هذا البحث :ــ

1) قِنْدِيل .

---

1) تاريخ الأدب العربي بروكلمان تح/عبد الحليم النجار .. 2/134، 135

2) ياقوت محمد سليمان : " التراكيب غير الصّحيحة نحويا في " الكتاب" . ط/دار المعرفة الجامعية الإسكندرية (مصر)

3) مقدّمة كتاب" الألفاظ الفارسية المعرّبة" : آدي شير .. ص2

4) ضحى الإسلام .. 1/175

2) كُـوب .

3) مِنْدِيـلْ .

لغة شعوب تعيش وسط أوروبا وغيرها . وقد دخلت ألفاظ من هذه اللغة إلى العربية عن طريق الآرامية أو الرومية .

وكان أكثر الرقيق من الروم ، من غلمان وجوار في قصور الخلفاء والأغنياء والشعراء والعلماء .

اتصال العرب بغيرهم

بدأت النهضة العربية الإسلامية بدعوة الدين الإسلامي إلى النظر في ملكوت الله، والسعي في الأرض لنشر الدين ، وإخراج الناس من ظلمات الجاهليّة إلى نور الحقّ .

وراح العرب يطّلعون على جوانب الحضارة وأسبابها ، ودعت الضرورة إلى استعمال الدخيل في العربية بمرور الأزمان ، وأخذ مظهر الصراع الحضاري يطغى على جوانب الحياة العربية وعاداتهم ، وشعروا بهذا التغيّر ، فحاولوا مقاومته خوفا على كيانهم ، فقاموا بتحصين أنفسهم ومقاومة تيار التغيّر ، ولكن سرعان ما استجابوا له ، فإنّه لمّا تحضّر العرب بعد البداوة " وجدوا أنفسهم أمام أشياء كثيرة ليس في ألفاظهم ما يدلّ عليها ، كان ذلك في جميع مرافق الحياة ، من أدوات الزينة ، وأنواع المآكل والملبس وآلات الغناء والدواوين ونظامها ، فسلكوا خير طريق يسلك ، وهو أن يتوسّعوا في مدلول الكلمات العربية أحيانا " . . (1)

وعرف العرب مع توسّع الفتوحات شعوبا أخرى ، وما تملكه من مظاهر الترف والحضارة الشيء الذي لم يعهدوه في تاريخهم ، فشعروا بخطر الغزو الثقافي والاجتماعي على شخصيّتهم ، فلجأوا إلى المدافعة والتصدّي ، ونجحوا في تحقيق شيء من ذلك في العصر الأموي ، وكانت الدولة الأموية عربية أعرابية ، وقد جعل الأمويون الإسلام دولة " أيدوها بنشر الثقافة العربية في المملكة الإسلامية بنقل الدواوين من القبطيّة والرومية والفارسية إلى العربية ، بعد أن كانت مصر قبطيّة والشام رومية ، والعراق كلدانية أو نبطيّة أصبحت هذه البلاد بتوالي الأجيال عربية النزعة ، وتنوسيت لغاتها الأصلية . . ولم يبلغ العرب من العزّ والسؤدد ما بلغوا في أيام هذه الدولة ، وقد تكاثروا على عهدها ، وانتشروا في ممالك الأرض " . . (2)

وقال العسكري : " وعبد الملك بن مروان (توفي 86هـ) أول من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية . . (3) ، وكان أول من ضرب النقود الذهبية بالعربية . . (4)

ثمّ تغيّرت الأحوال في دولة بني العباس التي قامت على عاتق الفرس (132 هـ) ، فكانت الفرصة

---

1) م . س . 107/1 .

2) تاريخ التمدّن الإسلامي . . 344/2 .

3) تاريخ الخلفاء للسيوطي . . ص 216

4) تاريخ التمدّن الإسلامي . . 85/1

سانحة للمغالبة، بعد وجود تساهل من الحكام الذين منحوهم الحرية أكثر مما طلبوا، فقويت شوكتهم، واشتد عودهم، فطالبوا من المزايا مالم يكونوا به يحلمون في العصور السابقة، حتى كانوا يطمحون إلى الزواج من العربيات بعد أن كان العرب لا يزوجون بناتهم للأعجمي ولو كان أميرا، وكانت هي من أحقر القبائل .. أما زواج العربي من غير العربية فقد كان شائعا، بل كانوا للجارية الأجنبية أميل . والمنصور نفسه رجل الدولة العباسية، ومؤسس مملكتها كانت أمه أمة مغربية .. (1)، وكثير من الخلفاء بعده كانت أمهاتهم "أمهات أولاد" فقد شغفن الرجال حبا من قبل، حتى قال عبد الملك بن مروان (توفي 86هـ) : " من أراد أن يتخذ جارية للمتعة فليتخذها بربرية، ومن أرادها للولد فليتخذها فارسية، ومن أرادها للخدمة فليتخذها رومية " .. (2)

الاقتراض (EMPRUNT)

من معاني الاقتراض في اللغة الاستلاف، نقول : " اقترضت منه، كما تقول استلفت منه " .. (3)
والاقتراض وسيلة سريعة تلجأ إليها اللغة في حالة توسعها، لتثري نفسها، ولكي " تلبي الحاجيات الفكرية والحضارية للمتكلمين بها " .. (4)

والاقتراض ظاهرة لغوية تسير الدراسة فيها جنبا إلى جنب مع تكوين اللغة التاريخي، والواقع أنه لا يوجد شعب استطاع أن يكون ثقافة أصيلة كاملة نابعة من أصله دون أدنى اتصال بغيره من الشعوب .. وتتأثر لغته تبعا للعلاقات القائمة بين هذا الشعب والشعوب الأخرى المجاورة له، بحكم الاحتكاك، عن طريق العمليات الحربية والاقتصادية، فينتج عنهما تأثير يكبر أو يصغر حسب درجة الاتصال .. (5)

ولقد كانت ولا تزال اللغة العربية في حركية دائمة، ففي العصور الأولى كانت العربية غنية في شؤون حياتها البدوية، فلما جاء عصر الفتوحات العربية، واطلاع العرب على الأحوال الاجتماعية والحضارية للبلاد المفتوحة اقترضوا منها ألفاظا لما جد في حياتهم من معاني الحضارة وكانت الفارسية أقرب مورد يستمدون منه ما يحتاجون إليه، فأخذوا الكوز والجرة والإبريق والطست والخوان والطبق والقصعة .. (6)

1) م س ، 343/2 ..
2) أخبار النساء لابن قيم الجوزية، ط/ دار مكتبة الحياة بيروت 1982م، ص 11، 12
3) أساس البلاغة الزمخشري .. ص 502
4) المولد لحلمي خليل .. ص 161
5) (بالفرنسية) La créativité lexicale;(néologie lexicale), par Luis guilbert; coll." langue et langage." édit. 1975 .. p. 89
6) فجر الإسلام، أحمد أمين .. ص 117

واستلفوا من غير الفارسية كثيرا من الألفاظ، وربما عادت هذه الألفاظ إلى لغتها الأصلية بصورتها المعرّبة، كما حدث مع لفظ (إبريق) المعرّب عن الفارسية، فقد عادت هذه اللفظة بصورتها المعرّبة، ومداولها أيضا .. (1)

وقد تذهب بعض اللغات إلى اقتباس معظم مفرداتها، أو قسما كبيرا منها، كما فعلت التركية مع اللغتين العربية والفارسية، وكما فعلت السريانية واليونانية والفارسية مع العربية .. (2)

واقترض العرب ما هم في حاجة إليه من ألفاظ غيرهم دون أن يتجاوزوا الحاجة، وتهيأ فأصبح جزءا من ألفاظهم، يسمّونه " الدخيل المعرّب " .

طرق التعريب والقرائن الدالّة على عجمة الألفاظ

لم يدخل العرب في لغتهم من الألفاظ إدخالا مباشرا إلّا ما وافقها، فإن لم يكن كذلك أخضعوه لعمليّة التجنيس التي تتمّ في مصنع اللغة .

والدخيل المعرّب حسب القدماء من العلماء هو " ما دخل العربية من الألفاظ الأجنبية قبل عصر الاحتجاج، يعدّ من المعرّب الفصيح، أمّا ما دخلها بعد عصر الاحتجاج فاعتبروه من المولّد . وقد شارك بعض المحدثين اللغويّين القدماء في هذا الرأي .. (3)

والواقع أنّهم تناولوا الأسماء عند تعريبها، وغيّروا ما ليس من حروفهم، وتصرّفوا في الكلمة بالحذف أو الزيادة في صيغة الكلمة، أمّا ما وافق حروفهم فقد يتركونه على حاله .. (4) ،، فتعريب اللفظ معناه " أن تتفوّه به العرب على منهاجها " .. (5) ،، قالوا : " والاقتباس لا يكاد يجري إلّا في المفردات، أمّا في القواعد فليست من الأمور التي تنتقل من لغة إلى أخرى " .. (6) ،، وأكثر ما يقتبس من المفردات ما كان من الأسماء، أمّا الحروف والظروف أو الأفعال فانتقالها من لغة إلى أخرى قليل جدّا ..

والتغيير في الكلمة المعرّبة يتمّ بتغيير حروفها، أو وزنها، أو هذا معا " ويكون ذلك بإبدال الحرف الأعجمي بحرف عربي قريب منه " .. (7) ،، ومن ذلك : ـ (8)

1) أنّهم يحذفون من الأصل الأعجمي أحرفا : إن في أوّل الكلمة وإن في وسطها، وإن في آخرها .

---

1) المولد : حلمي خليل .. ص 154 . وانظر تحليل هذا اللفظ في المجموعة (10) من الباب الأول من هذا البحث .

2) م . س .. ص 51

3) م . س .. ص 233

4) تاريخ آداب العرب للرافعي .. 1 / 201

5) صحاح الجوهري .. 1 / 179

6) فقه اللغة (وافي) .. ص 46

7) فقه اللغة وخصائص العربية : محمد المبارك، دار الفكر، 198م .. ص 298 و 299

8) ملخّصا عن فاتحة كتاب " الألفاظ الفارسية المعرّبة " آدي شير .. ص 2 .

2) يزيدون حروفاً على الأصل الأعجمي .

3) يبدلون الحروف وهو كثير، فبدّلوا النون والراء باللام ، والكاف الفارسية بالجيم، والهاء بالخاء، والباء الفارسية بالفاء أو الباء . والكاف بالقاف ، والتاء بالطاء (تشت = طست) والألف بالعين أو الحاء . والشين بالزاي . والزاي بالذال . إلى غير ذلك مما لا يقع تحت قاعدة .

4) يزيدون جيماً أو قافاً في آخر الألفاظ المعرّبة ، وذلك يجيء غالبا في الألفاظ المنتهية بالهاء .

5) ربّما عرّبوا اللفظ الواحد بصور عديدة ، تقرب من الأصل قليلا أو كثيرا .. (سُكُرَّه : " الفارسية " ، وتعريبها : سُكُرَّجَة ، أُسْكُرُّجَة ، سُكُرَّجَة ، سُكُرَّجة . و " خُوَان " الفارسي ، وتعريبه : الخِوان ، (بكسر الخاء وضمّها) .

6) والخاء العربية تستبدل بالحاء في اللغات العبرية والآرامية والسريانية والحبشية .. (1) والعكس بالعكس بين العربية وهذه اللغات . فالخابية في العربية ، وفي الآرامية حُوبيتو (HOBITO) . "والحبّ" في العربية يقابلها (خُبّ) ، وفي الآرامية حوبو (HOUBO) .

7) الشين العربية تكون سينا في كلّ من العبرية والآرامية .. (2) والعكس بالعكس .. ففي المزهر أن السين العربية شين في العبرية .. فالسلام شلام، واللسان لشان والاسم لشم، وهو يعني شئيم (Sâlôm) ، ولشون (Lâchôn) ، وشم (Sem) .. (3) ، وأغلب ما يأتي في العبرية بالشين يأتي في العربية والحبشية بالسين والعكس بالعكس .. (4) فالسراج في العربية هو (Chrogo) في الآرامية . و "مِسَلّة" في العربية هي (m'chalt) في الآرامية .

8) والضاد العربية تكون صادا في العبرية .. (5) ، والظاء العربية تكون طاء في العبرية أو الآرامية .. (6)

ومن الآثار الباقية بعد التعريب اللواحق (Suffixes) الفارسية التي توجد أحيانا كثيرة في أصل الكلمات العربية .. (7) : ــــ

(بان) و (وان) تدل على الحفظ والحراسة . (جه Tcheh) في التصغير . (دار) أو (ور) على صاحب الشيء . (دان) على الاحتواء . (ستان) على مكان الشيء . (كانه) على شيء من المميزات . (الهاء) تضاف أحيانا في آخر الكلمة المركبة من لفظتين . وعلامة المضاف في الفارسية كسرة ينتهي بها .

---

1) المولد : حلمي خليل .. ص 403

2) نصوص في فقه اللغة العربية : سيد يعقوب بكر .. 12/2

3) مزهر السيوطي .. 275/1

4) فقه اللغة (وافي) .. ص 22

5) المولد : حلمي خليل .. ص 400

6) نصوص في فقه اللغة .. 14/2

7) ملخصا عن كتاب "غرائب اللغة العربية" .. ص 215 و 216 .

وقد تبقى بعض الألفاظ على صورتها دون تغيير ، وهو ما يلاحظ غالبا مع الأسماء والأعلام وكثيرا ما تجد ألفاظا صيغتها موافقة لأوزان العربية قبل تعريبها ، فيدخلونها دون تغيير مثل سِكّين ، وجَام ، وكُوب . " لأن العرب لا يدخلون اللفظ الأعجمي في لغتهم .. حتى يكون شبيها بكلامهم ، ومجانسا لألفاظهم ، وحتى لا يخل بالنظام الصوتي والبنائي الذي تقوم عليه لغتهم " .. (1)

وقد جمل علماء العربية قديما قواعد تعرف بها عجمة الإسم ، فقالوا : " تعرف عجمة الإسم بوجوه :ـ (2)

1) النقل: بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية .

2) مخالفته للأوزان العربية .. (ابريسم ، خراسان ، آمين ، جبريل) .

3) أن يكون أوله نون ثم راء .. (نرجس) .

4) أن يكون آخره زاي قبلها دال .. (مهندز) .

5) أن يجتمع فيه الصاد والجيم .. (جص ، صولجان) .

6) أن يجتمع فيه الجيم والقاف .. (جوق ، جوالق ، منجنيق) .

7) ليس في كلام العرب شين بعد لام في كلمة عربية فصيحة .

8) أن يكون رباعي أو خماسي مجردا من حروف الذلاقة التي يجمعها قولك (مر بنفل) ، " فإنه متى كان عربيا فلا بد أن يكون فيه شيء منها " .. (3) ،، وقد ثبت لدينا وجود ألفاظ معربة تتضمن حرفا من حروف الذلاقة ، مثل : غِرْبال ، قَارُورَة ، مَرْقَشِيثا ، سُكُرُّجَة ، صَنْدُوق قِنْدِيل ، مِنْدِيل .. (4)

ويمكن إضافةً إلى ما سبق أن اللفظ الدخيل يكون فاقد الصلة بينه وبين إحدى مواد الألفاظ العربية ، فإذا ما عدنا إلى البحث عن الأصل ، ولم نجده ، أو وجدنا الصلة المعنوية منقطعة ، مثل : كَاغِد ، سَاذَج ، بُسْتَان ، كان ذلك علامة على أنه أعجمي الأصل . كذلك لأننا لا نجد في العربية مادة (كَغَدَ) و (سَذَجَ) و (بَسَتَ) .. وقد يقع الاشتباه لوجود أصل عربي يشابه الكلمة الدخيلة ، فلا بد من البحث التاريخي عن اللفظ لمعرفة أصله .. (5)

---

1) فقه اللغة : محمد المبارك .. ص 300
2) مزهر السيوطي .. 270/1
3) فقه اللغة (وافي) .. ص 206
4) انظر دراسة هذه الألفاظ في أماكنها في الباب الأول من هذا البحث .
5) فقه اللغة : محمد المبارك .. ص 300

الألفاظ المشتركة

ومن الألفاظ ما لم تحدد المعاجم العربية القديمة أصله، أو أنها لم تجزم بذلك بسبب الالتباس بينها وبين بعض المواد في العربية، ذلك لكونها ترجع إلى أصل سامٍ واحد، أو اشتبهت مع غيرها في لغات أخرى، كان يعرفها الأولون من العرب، كالألفاظ : —

جَرَّة (ف)، خابية (آ)، سِكّين (آ)، قارورة (آ)، قُلّة (آ)، كأس (آ)، مائدة (ح)، مِخَدّة (ف)، سَلّة (آ) .. (1)

فبعض من هذه الألفاظ يظهر للناظر لأول وهلة أنها عربية أصيلة لوجود مواد تشبه مادتها في العربية، مثل : الجرة، والخابية، والسكين، والمائدة، والمخدة.

وإذا تدبرنا هذه الألفاظ وجدنا جلها من أصل سام، مما يدفع إلى الاعتقاد بأنها تنتمي إلى أصل واحد في السامية، وقد يكون هذا الأصل غامضًا غير معروف، لدى علماء العربية القدماء فاعتقدوا بأصالتها.

ونحن نعتقد أن اللغات السامية تعود إلى أصل واحد تفرعت عنه أصول لكل لغة على حدة، ولا يمنع أن تكون هناك بعض الأصول لا زالت مشتركة، وهي إما معروفة معالمها ظاهرة، أو هي قد فقدت حلقة من حلقات الربط، فلم تعد ظاهرة إلا بالبحث والتدقيق الشديد.

هجرة الألفاظ من العربية إلى غيرها

ونلاحظ أن مجموعة كبيرة من الألفاظ المدروسة قد هاجرت من العربية إلى غيرها من اللغات في مختلف نواحي الدنيا، القريبة منها والبعيدة، سواء كان ذلك عن طريق الاحتكاك المباشر أو عن طريق الانتقال بطريق غير مباشر، وهذه هي الألفاظ المهاجرة التي وجدتها في مجموعة الألفاظ المدروسة : —

تَنّور، جَرّة، خِزانة، صُنْدوق، طَست، قَطيفة، كأس، كِيس، مِخَدّة، مِنْديل، هاوُن.

وكان بعضها أكثر انتشارا من بعض في اللغات المختلفة، فـ(طست) مثلا هو "تشت" من الفارسية انتقلت إلى العربية (طست) ولعل ومنها إلى الإيطالية (طسا tazza) أو (تتسا tatse) والفرنسية (tasse)، فسائر اللغات: في الإنجليزية (طاس tass) أي جرعة من الكونياك، والألمانية (طاسه tasse).. (2)، وفي الروسية (taz) = طست أو وعاء .. (3) وفي الارمنية (tas)، وفي المجرية (Tchécha) ..

والقطيفة في الإسبانية (alcatifa)، وفي البرتغالية (Algatifa)، وفي الرومانية (catifea)، وفي البلغارية (cadifé)، وفي الألبانية (kdife) وفي اليونانية (Katifés) (4)

---

1) الرموز : (ف): فارسية، (آ) : آرامية، (ح) : حبشية.
2) شمس العرب تسطع على الغرب : زيغريد هونكه ط/ مكتبة رحاب الجزائر 1986م ص 468
3) قاموس روسي - عربي، ط/ دار المعارف الروسية 1964م، ص 923
4) انظر لفظ "القطيفة" في "غرائب اللغة العربية". الصفحات: 145، 147، 154، 158، 131، 154.

والملاحظة أنّ الألفاظ حين انتقالها قد أصابتها تغيّر في بنائها، وأحيانا تطوّر في معناها، وربّما عادت هذه الألفاظ إلى العربية بشكلها الجديد، كما حدث مع (الجَوْسَق)، بمعنى البيت الصغير في العربية، "مُعَرَّب عن الفارسية " ففي اللغات الأوروبية بلفظ (Kiosque): البيت الصغير الذي يتّخذ لبيع الصحف، ثمّ وردت هذه الكلمة مع الألفاظ الأوروبية الدخيلة وعرّبناها ب (كُشْك)، وصارت مستعملة في العربية الحديثة " .. (1)

وأعتقد أنّ اللفظ لا ينتقل من لغة إلى أخرى إلّا إذا كان حاملا لمعنًى حضاريّ تشترك فيه الإنسانية قاطبة، ويتّسع استعماله أو ينكمش تبعا لذلك، لذا تفاوتت الألفاظ المهاجرة فيما بينها انتشارا واتّساعا . وقد يتعرّض اللفظ المهاجر إلى عمليّة تجنيس في اللغة المستقبلة فيفقد خصائصه الذاتية أو بعضها ، وأحيانا يكون مقاوما للمؤثّرات ، فلا يتغيّر إلّا تغيّرا طفيفا، وقد لا يتغيّر إطلاقا ، مثل لفظ (طاس) حين انتقاله إلى بعض اللغات الأوروبية، مثلما هو في الفرنسية (Tasse)، ومثلما هو لفظ (مِنْديل) في الإسبانية .. (2)

إعادة الألفاظ إلى أصولها

والواقع أنّ إرجاع الألفاظ إلى أصولها عمليّة في غاية التعقيد والصعوبة، لأنّ العرب من دأبهم إذا عرّبوا لفظا ذهبوا بصورته الأصلية ، فلم يتركوا سبيلا إلى إعادته إلى أصله إلّا بإجهاد وبشقّ الأنفس ، وعليه اعترف كثير من العلماء بصعوبة العملية، وأظهروا ضعف حيلتهم أمامها . وقد كان علماء العربية القدماء يهربون من عناء التنقيب عن أصول الألفاظ، ويتخلّصون من ذلك بقولهم عن كلّ لفظ لم يحقّقوا أصله بأنّه دخيل، دون تحديد الأصل الذي جاء منه، وهذه عادة الأئمّة الذين أطلقوا العجمة على كلّ لفظ ليس من أوضاع العرب " .. (3)

وفي المعاجم العربية القديمة كثير من الخلط والتعسّف في إرجاع الألفاظ إلى أصولها، وكان الكثير من أصحاب المعاجم يرجع اللفظ إلى الأصل الفارسي، وهو إمّا لقلّة علمهم بأصول الألفاظ أو أنّهم يفعلون ذلك تزيّدا للألفاظ الفارسية بدافع من العصبية للفرس .. (4)

ولم تكن – في نظري – صعوبة إرجاع اللفظ الأعجمي إلى أصله هي المعضلة الوحيدة، بل إنّه أحيانا يصعب إرجاع اللفظ العربي نفسه إلى مادّته الأصلية في العربية، وكان بعضهم يخرّج اللفظ تخريجا طريفا، فكثيرا ما تدخّل الخيال لفكّ هذه المعضلة، ولعب خيال القصّاص دوره كذلك مستغلّا طرافة الموضوع ، وميل الفكر الإنساني إلى سبر أغوار المجهول ..

وقد حاول المفسّرون استعمال هذا الخيال، وتبعهم القصّاص في العصر العبّاسي، فقد قيل

---

1) فقه اللغة المقارن : إبراهيم السامرّائي، ط/ دار العلم للملايين بيروت 1978م، ص 168.

2) انظر كلّ لفظ من هذه الألفاظ في محلّه في الباب الأوّل .

3) مقدمة كتاب " الألفاظ الدخيلة في العربية ": طوبيا العنيسي، .. ص 1

4) تاريخ آداب العرب للرافعي .. 203/1 و 204 .

لعبد الأعلى القاصّ : لم سُمي العصفور عصفورا ؟ . قال : لأنه عَصَا وَفَرّ . وقيل له : لم سمي الطفْشِيل طَفْشِيلا ؟ . قال : لأنه طَفَا وَشَل . وقيل له : لم سمي الكلب القَلَطي قَلَطيّا ؟ . قال : لأنه قَاطي . وقيل له : لم سمي السَّلُوقي سَلُوقيًا ؟ . قال : لأنه سَلاَ وَبَقِي . " .. (1)

ثمّ خلف من هؤلاء خَلَفٌ ترك الاجتهاد في هذا الباب لاعتقادهم بأنّ هذه المحاولات إهدار للجهد الذي يجب أن ينفق في شيء آخر أكثر فائدة .

وما قيل عن أصل اللفظ يقال عن معرفة تاريخ دخوله أو ميلاده ، ولحدّ الساعة لم يستطع العلماء عمل شيء في هذا الباب يحقّق هذا المطلب العزيز .

والخلاصة أنّ اللغة العربية من اللغات السامية التي وجدت في الجزيرة العربية وما حولها وقد كانت فيما بينها صِلات ، أثّرت كلّ واحدة في الأخرى تأثيرا متفاوتا ، وقد تأثّرت العربية قبل الإسلام تأثّرا واضحا بالآرامية ، وخاصّة السريانية ، لأنّ أهلها كانوا أكثر تحضّرا من العرب ويملكون من وسائل الحضارة ما لا يملكه العرب ، وبقي هذا التأثير والتّأثّر ساريا حتّى بعد الإسلام فكان العلماء السريان يقومون بدور بارز في ترجمة الكتب العلمية الى العربية من لغتهم ، ومن لغات أخرى .

وممّا تجدر ملاحظته أنّ الألفاظ السريانية في الجدول المتقدّم في بداية الحديث كان موازيا للألفاظ الفارسية ، ممّا يسمح بالاستنتاج أنّه كان للسريان تأثير عميق في الحياة الاجتماعيــة ممّا ينافس تأثير الفرس . وكان للسريان فضل السبق والقَرَابة .

ولكنّ تأثير الفرس كان أوضح لأنّه كان جليّا في الحياة الاجتماعية بجميع أشكالها ، وفي الأدب خاصّة . والفرس إنّما أثّروا بشيء من معانيهم ، وخيالاتهم ، لأنّهم هم الذين انتقلوا إلــى العربية ولم تنتقل العربية إليهم .

وكان تأثير اليونانية في العربية ضعيف ، ولم نجد في مجموعة الألفاظ التي درسناها إلا لفظتين وإن كان للعرب اتّصال باليونانية (الرومية) اتّصالا غير مباشر ، سواء عن طريق السريانية أو عن طريق العبرية . وكان العرب يعرفون بعض الألفاظ في بداية الإسلام ، وربّما استعملوها ، فقد روي أنّ عليّا (كرّم الله وجهه) سأل شريحا عن مسألة فأجاب بالصواب ، فقال : (قَالُون) أي أصبت بالروميّة . (2) ،، ولكنّي أعتقد أنّ هذا الاستعمال كان من باب التّـ...

ويرى بعض العلماء أنّ نسبة وجود الألفاظ الفارسية إلى الألفاظ الآرامية في العربيـــة متقارب ، فقد كان مجموع عدد الألفاظ الآرامية (922) لفظا ومجموع الألفاظ الفارسية (850) لفظا .. (3)

1) الحيوان للجاحظ .. 267/5
2) فقه اللغة للثعالبي .. ص 119
3) غرائب اللغة العربية .. ص 286

وهذا يرجّح القول بأنّ تأثير الآرامية كان كبيرا، رغم ما للفرس من أسباب الحضارة، وما قامت به من هجوم على الحياة الاجتماعية في العصر العبّاسي، حتّى سمي العصر العبّاسي الأول .. بالعصر الفارسي عند بعض المؤرخين للأدب العربي .(1)

وقد نقلوا إلى العربية ما هم في حاجة إليه . فقد " وجد الباحثون أنّ أكثر ما دخل العربية من أسماء المعبودات والمصطلحات الدينيّة هو من الهيروغليفية والحبشيّة والعبرانية، وأنّ أسماء العقاقير والأطياب والجواهر أكثرها هندي .. و أكثر ما يكون من أسماء الأطعمة والثياب والفُرُش والأسلحة والأدوات هو فارسي " .(2)

وكانت الأحوال في العصر العبّاسي تشجّع على استعمال الألفاظ الفارسية، منها ميل الذوق العربي إلى تقبّل ما هو أجنبي، وأنا أراه نوعا من الانطلاق العربي إلى خارج المحيط النفسي الذي عاشوا فيه، ودعت إليه ظروف الحياة الجديدة التي أصبح العربي يعيشها .

والاقتراض استجابة لغويّة للتطوّر الفكري والحضاري للمتكلّمين باللغة المقترضة، ومن ذلك السلوك اللغوي في العصر العبّاسي، فقد كانوا في حاجة إلى ألفاظ وأساليب يعبّرون بها عن أحوالهم الجديدة، فكان الإقبال واسعا على المفردات الحديثة المولّدة بالتعريب خاصّة، يأخذونها كما هي، وكان للمترجمين الذين لم يتمكّنوا من امتلاك ناصية اللغة العربية دور فعّال في إقحام كثير من الألفاظ الأعجمية، كما هي في اللغة العربية، لأنّهم متى أرادوا ترجمة لفظ ما ولم يسعفهم اللفظ العربي المناسب لجأوا إلى وضع اللفظ أعجميًا كما هو، وزاد على ذلك أنّ بعض معاجمنا العربية القديمة تساهلت في شرح بعض الألفاظ بمرادفها الأعجمي . قال : " ابن مُقرِض: دُوَيْبَّة يقال لها بالفارسية (دَلَهْ) وهو قتّال الحمام " ..(3)

ومن آثار الصراع بين اللغات أنّ كلّا من الغالب والمغلوب يترك بصماته على الآخر، وقد أثّرت العربية تأثيرا ذا درجات متفاوتة من الشّدّة في نحو مائة من لغات العالم، ومن جملتها أرقى اللغات الأوروبية، فحسبنا ذلك فخرا يدوم إلى منتهى الأجيال ..(4)،، وقد كانت الألفاظ الحَضَارية أكثر انتشارا وانتقالا إلى اللغات الأخرى من الأوروبية وغيرها، ففي الإسبانية الحديثة نجد" .. الأسماء والكلمات العربية الباقية كلّها من نوع الكلمات الحضارية والعمرانية التي تدلّ على عمق تأثير الحضارة العربية فيها ..(5)

وظاهرة الاقتراض ظاهرة صحّيّة في جميع لغات الدنيا، وهي دليل على حياة اللغة ونشاطها تأخذ وتعطي في حركيّة دائمة، و كلّ بأسرار الـ...

---

1) تاريخ التمدّن الاسلامي : جرجي زيدان .. 394/2
2) تاريخ آداب العرب : الرافعي .. 203/1
3) صحاح الجوهري .. 1102/3
4) غرائب اللغة العربية : الأب رفائيل نخلة اليسوعي .. ص 1 (المقدّمة)
5) اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية : ساطع الحصري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ...، ص 113 .

الباب الثاني

الفصل الثاني

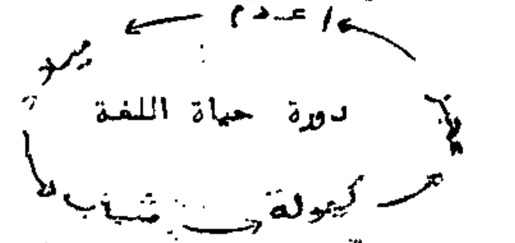
المهمل والمستعمل

المنظومة اللغوية كيان واقعي محسوس، قوامه جملة متناسقة من الأصوات المتفاوتة القيم التعبيريّة، هدفها تحقيق غرض نفسي واجتماعي هو الإفصاح عن الفكرة وتبليغها إلى الآخرين، في ظروف مناسبة تدعو الضرورة إلى ظهورها .

واستعمال آليّة لغة إنسانيّة خاضع لضوابط متنوّعة محكومة بعوامل اجتماعيّة وتاريخيّة ثابتة، مدفوعة للتغيّر والتبدّل تبعا لظروف المتكلّم وقدراته الفكريّة، ومكانته الاجتماعيّة في المحيط الذي يعيش فيه . ومن هنا تكون اللغة ظاهرة اجتماعيّة مرتبطة بعوائد الدّهر وتصاريفه، ومن الملاحظ أنّ التغيّر في الجانب النفسي والاجتماعي للفرد يصحبه تغيّر في اللغة ملموس .

ويؤدّي تطوّر الناحية الفكريّة في الإنسان إلى ظاهرة اختيار ألفاظ اللّغة، وتهذيب جانبها، فلغة الرجل المثقّف تختلف اختلافا واضحا عن لغة الأمّي الجاهل، باعتبار أنّ الأوّل يملك من الوسائل الثقافيّة والاجتماعيّة المتطوّرة، والاستعداد النفسي، ما يجعله يقبل الجديد ويتبنّاه فينزع بحرص شديد إلى اختيار ألفاظه، ليدلّل على سلامة ذوقه، ورهافة الحسّ لديه . مع الابتعاد عن كلّ ما يزري بالرجل الكريم، فيتوخّى الناصع من الألفاظ، مع مطابقتها لمقتضى الحياة .. واجتناب اللّحن والتّكلّف المجحف .

ونرى اللفظ كائنا حيّا، مثله كمثل الكائن الحيّ العضوي، ضمن الكائنات الأخرى، ويمثّل دورة الحياة كما هي :—



فما أشبه حياة اللغة بحياة الإنسان الذي يتكلّمها، جاء من العدم وإليه يعود . "وَكُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ " .. (1)

ونقتصر في دراستنا هذه على جانب معيّن من حياة مجموعة ألفاظ مختارة محاولين حصر الكلام في المجال المحدّد ما بين بيئة الباحث التي يعيش فيها، والبيئة التي تمثّلها المدوّنة — عصر الجاحظ في العراق — و كتاب "البخلاء" .

وقام الباحث [illegible] من أجل تقريب الدراسة [illegible] على [illegible] الاعتقاد .. وكان مقياسنا في ذلك كلّه بعض الأطوار الغالبة من الأمّة الأمّيّة الناطقة باللهجة العربية الدارجة في منطقة [illegible] شمال [illegible] الجزائر خاصّة .

وقد قسّمنا مجموعة الألفاظ الكثيرة إلى [illegible] :—

- ☆ الألفاظ المهجورة .
- ☆ ألفاظ نادرة الاستعمال، أو غامضة .
- ☆ ألفاظ مستعملة شائعة و [illegible] .

(1 سورة " الرحمن " الآية .. 26 و 27 .

ب) ألفاظ مهجورة (MOTS ARCHAÏQUES)

ونقصد بالألفاظ المهجورة تلك التي تُرك استعمالُها ، أو أُهْمِلَت لسبب من الأسباب ، ولم تعد معروفة إلّا من خلال المعاجم ، وهي كما يلي : (1)

ترتيب	اللفظ	التردد	الأصل
01	إِجّانَة	01	د
02	بُوتِي	01	د
03	تَنُّور	07	د
04	جَام	03	د
05	جُلّة	01	أ
06	جِراب	01	أ
07	حُبّ	08	د
08	دَبّة	02	د
09	دَنّ	01	د
10	زِقّ	02	د
11	سُكُرّجَة	02	د
12	قَعْب	01	أ
13	نُمَّر	01	أ
14	كُوب	05	د
15	كُوز	05	د
16	مِجَشّة	01	أ
17	مِرْفَقَة	02	أ
18	مِرْقَشِيثا	01	د
19	مُزَمَّلَة	02	أ
20	مِنْحاز	02	أ
21	هَاوُون	01	د

ج) ألفاظ مستعملة : أ) ألفاظ نادرة الاستعمال ، خاملة ،

ترتيب	اللفظ	التردد	الأصل
01	بُرمة	01	أ
02	حَقيبَة	02	أ
03	خَابِيَة	02	د
04	خِوَان	27	د
05	زَبِيل	02	د
06	طَسْت	04	د
07	كِيس	05	د
08	مِصْبَاح	10	أ
09	مِنْدِيل	05	د
10	قَدَح	03	أ
11	قَدّاحَة	03	أ
12	قَارُورَة	02	د
13	قَطِيفَة	01	د
14	قِنْدِيل	04	د
15	سِرَاج	04	د
16	سِكِّين	03	د

1) المصطلحات : (د) : دخيل . (أ) : أصيل .

ب) ألفاظ شائعة ، نشيطة (MOTS ACTIFS)

ترتيب	اللفظ	التردد	الأصل
01	إِبْرة	01	أ
02	بِسَاط	02	أ
03	جَرّة	11	د
04	جَفْنَة	07	أ
05	حَطَب	08	أ
06	حَصِير	02	أ
07	خِزَانَة	02	أ
08	طَبَق	12	د
09	كَأْس	02	د
10	كَانُون	01	أ
11	مَائِدَة	16	د
12	مِخَدَّة	07	د

ترتيب	اللفظ	التردد	الأصل
13	مِقْلَى	07	أ
14	مَسَلّة	01	د
15	قِدْر	52	د
16	قِرْبَة	01	أ
17	قُلّة	04	د
18	قَصْعَة	12	د
19	سَرِير	01	أ
20	سَلّة	01	د
21	فِنْجَال	01	د
22	وَقُود	07	أ
23	صُنْدُوق	01	د

ويمكننا تقسيم هذه المفردات كلّها ، بالنّظر إلى وجودها في المنظومة اللّغويّة، إلى طائفتين هما : الألفاظ المهملة و الألفاظ المستعملة ، بغضّ النّظر عن الدرجات المتفاوتة بينها في الإهمال والاستعمال .

أ) [illegible] : ما المهمل من الألفاظ وما مظاهره وأسبابه ؟

نعني بداية بأنّ المهمل من الألفاظ المدروسة هو ما خرج عن الاستعمال في بيئة صاحب البحث، بعد أن كان مستعملا بدليل وجوده ضمن المدوّنة، ثمّ بناء عليه يمكننا معالجة بعض الأفكار التي نراها خادمة لغرضنا .

والحقيقة أنّه لا يمكن بالوسائل العاديّة حصر الألفاظ في أيّة لغة ، ما هو مستعمل منها وما هو مهمل ، والصعوبة آتية من كون الألفاظ في اللغة الحيّة قابلة للتّكاثر السريع، إن توفّرت الظروف النفسيّة والاجتماعيّة المناسبة لنموها .

ونقصد بالمهمل من الألفاظ خلاف المستعمل (1)، وأهمل الشيء تركه ، ولم يلتفت إليه، وأهمله خلّى بينه وبين نفسه، أو تركه ولم يستعمله (2)، كما يطلق اصطلاح المهمل على ما

1) صحاح الجوهري ج 1855/5
2) القاموس المحيط ج 71/4

ترك استعماله منذ زمن . .[1]، لأسباب إجتماعية ونفسية . وربما كانت هذه الألفاظ في متناول يدنا عند الحاجة، إلا أننا لا نلتفت إليها . . فكثير منا في الجزائر يعرف لفظ "الهاوُن" و"المِحْاز" و "التنّور" ولكنّه لا يستعمله ، ويفضّل بدله ألفاظا أخرى ، ربما كانت أقل بريقا وفصاحة مثل " المِهْراس" أو" الكُوشَة" مقابل "الهَاوُن" أو " التنّور" .

ويعود هذا التفضيل إلى عوامل إجتماعية وتاريخية في حياة الفرد والمحيط . . والاستعاضة هذه تسبّب سقوط الألفاظ المستَعَاضَة في الإهمال التدريجي ، حتى تصبح مهجورة ، ثمّ مجهولة بعد مرور زمن كاف .

ويمكن أن يكون إهمال اللغة لبعض الألفاظ إهمالا موءقتا ، كأن تخرج الألفاظ من الاستعمال وتختزن ضمن المعاجم التي يتسنّى لها الظهور من جديد في دلالتها القديمة ، أو في دلالة جديدة ، فلفظ " الكُوب" قد أهملته اللهجة العامية الجزائرية إهمالا يكاد يكون تامّا ، رغم وجود اللفظ في القرآن الكريم ، وتلاوته يوميا ، ثمّ جريانه على ألسنة الكتّاب والمثقفين ، ورغم ذلك لم يستطع اللفظ العودة إلى بوءرة الاستعمال ، وترك الساحة للفظ " الكَاس" في كلّ مجال فطغى عنه .

وكثير من ألفاظ المجموعة المدروسة لم يستطع تحقيق وجوده على ألسنة العامّة . فنحن في الجزائر نهمل إهمالا كلّيا كثيرا منها . وأعتقد بأن الكثير من مثقفينا العرب لم يمرّ علمهم لفظ الهوين ، ولم يحتاجوا إليه فيثيرونه . وكذلك الحال بالنسبة لألفاظ أخرى ، مثل : " الحُسبّ " و " المَرْقَشِيثَا " . وهم بذلك يجهلونه ويستنجدون بالمعجم الذي قد قصّر في إنجادهم .

والإهمال في العربية عامّة على نوعين : إهمال في الشكل ، وإهمال في المعنى . .

ويترجم الإهمال في الشكل في الأركان التالية : —

1) <u>إهمال في الأصوات</u> (phonème)

فمن المعروف أن اللغة العربية قد اعتنت عناية خاصّة بالحروف الصامتة (CONSONNES) ، مثلها كمثل أخواتها الساميّات ، ولكنّها لم تمتن العناية الكاملة بالحروف المصوتة (VOYELLES) ، وعند النّطق بهذه الحروف الأخيرة تلجأ العربية الفصحى إلى تعويض الأصوات بحركات مناسبة . كذلك أهملت العربية كثيرا من الأصوات الصامتة الموجودة في اللغات الأخرى مثل : $V.P.G_p$. الموجودة في الكلمات الفرنسية التالية (GARçON) ولد ، (élève) تلميذ ، (vertu) فضيلة ، (pomme) تفّاحة . . وعند نطقها تمدّ لها العربية الفصحى بما لها من حروف قريبة المخارج منها .

ويذهب الكرملي إلى أن هذه الحروف المعروفة بين الأجانب ، دون وجودها عند عرب اليوم أنها " كانت معروفة عند العرب في سابق العهد عند اختلاط الأمم القائل بعضها ببعض في

1 _ Petit Robert/ . dict. franç. p : 522 .

أول نشوئها ، بما متزاج العناصر بعضها ببعض، بدليل أن سيبويه ذكر هذه الأحرف في كتابه ، ، على أننا نقول : إن أغلب تلك الأحرف زالت واضمحلت من الاستعمال ، استغناء بالسهل الممتنع منها ، عن الصعب القبيح على السمع، فلم يبق منها إلا القليل عند بعض القبائل في طائفة من المدن " .. (1)

2) إهمال في الأصول (Radicals)

ونقصد بالأصل المادة لاشتقاقية التي تنشأ من تقلباتها مجموعة كبيرة أو صغيرة من الألفاظ المتفقة في المعنى الذي تضمنه الأصل ، ونقلها إلى بقية الألفاظ المتفرعة عنه ، وهذا الكلام يجرنا إلى الحديث عن الاشتقاق ، وليس لشرحه مقام هنا ، ولكننا نستدل بكلمة عنه لتوضيح القصد .

ولقد استحسن الفصحاء من الأصول ما كان لصورته جمال وسهولة . وأحسنها ما كان من ثلاثة أصوات، لأنه " أكثرها استعمالا وأعدلها تركيبا .. وذلك : حرف يبتدأ به ، وحرف يحشى به ، وحرف يوقف عليه .. وليس اعتدال الثلاثي لقلة حروفه فحسب ، فلو كان كذلك لكان الثنائي أكثر منه اعتدالا ، لأنه أقل حروفا وليس (الأمر) كذلك " .. (2)

وقلبوا ثلاثي الحروف، فوجدوا فيه ستة أصول ، ففي الأصل "كتب" مثلا وهو من أكثر الأصول تداولا في لغتنا اليومية، نجد : " كتب ، كبت ، بكت ، بتك ، تكب ، تبك " وعند عرض هذه الأصول الستة على معاني اللغة العربية تبين لي أن الأصول الأربعة الأولى واضحة مفهومة، أما الأصلين الآخرين " تكب ، تبك " فهما مهملان ، ولا يحملان أي معنى في العربية ، وقد بحثت عنهما في صحاح الجوهري ، فلم أعثر عليهما إطلاقا .. (3)

ولا أرى أن يسمى أي تأليف (أصلا) إلا إذا ثبتت قابليته للتفريع والاشتقاق ، لأنه قد يكون عقيما منذ الميلاد ، ولم تحمله العربية أي معنى ، فيكون ميلاده ميتا ، ومثل هذا تآليف كثيرة لا تحصى ، وقد أهملته العربية لأنه يجافي ذوقها الماضي والحاضر .

3) المهمل من الكلمات (MOTS)

كثيرا ما تركت في العربية كلمات ، تحاشى فصحاء العرب النطق بها واستعمالها ، ثم اجتهد علماء اللغة ، على أن يجمعوا خصائصها ، ويدرسوا طبيعتها ، فقد قال ابن جني : " أما الإهمال ما أهمل مما تحتمله قسمة التراكيب في بعض الأصول المتصورة، أو المستعملة ، فأكثره للاستثقال وبقيته ملحقة به ، ومقفاة على أثره " .. (4)

1) نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها . ط/ المطبعة القاهرية 1938 م ، ص 41

2) مزهر السيوطي .. 242/1 . و" الخصائص " .. 55/1

3) صحاح الجوهري (تكب) .. 91/1 . و" تبك " .. 577/4

4) الخصائص لابن جني .. 54/1

ويلاحظ أن الاستثقال إنما أتى من تنافر الحروف، لتقارب مخارجها ، مثل : صس، ظث ، ثظ ، شض ..

وأعتقد أن هروب اللسان العربي عند بعض القبائل إلى استعمال لفظ (الطست) بزيادة التاء، مع اختيار البعض لصيغة الطس، إنما كان هروبا من الصعوبة التي يسببها قصر اللفظ، مع تقارب المخارج ، أي أنه متى كانت الحروف متقاربة ، والصيغة قصيرة كان نطق اللفظ صعبا . لهذا فضلت اللغة العربية إضافة حرف ثالث للتمكن .

وربما وجدنا في العامية ألفاظا شائعة، إلا أن مادتها العربية الفصيحة قد ضاعت ، واحتفظت بوجودها في بعض اللغات السامية، ومن أمثلة ذلك نذكر الألفاظ (التنور، القطيفة ، الهاوون) وقد حاول علماء العربية استنباط مادتها الأساسية واتصالها بالعربية بمشقة وعنت .

كذلك يأتي الاستثقال في اللفظ من كثرة حروفه، فمتى كانت صيغة اللفظ طويلة كانت سببا في إبعاده عن الاستعمال شيئا فشيئا حتى يدخل نطاق الإهمال ، " واللفظ إذا طال دعا الناس إلى هجره ، أو الخطأ في نطقه ، أو الضيق به " .. (1)

وقد نظر الفصحاء إلى الألفاظ فميزوا جانبا بالفصاحة ، وفضلوا استعماله ، واستهجنوا جانبها الآخر فأهملوه أو كادوا ، وجعلوا للفصيح ضوابط تميزه ، فتشفع له بالاستعمال ، من ذلك :—

1) عدم التنافر بين الحروف ، لأن ذلك يؤدي إلى الثقل على اللسان ، وعسر النطق به ، فيعمد المتكلم إلى اختيار غيره يكون أسهل وألطف . وهذا يهمل اللفظ العسير ، ويستعمل اللفظ اليسير .

2) البعد عن الغرابة والوحشية ، حتى يظهر معنى اللفظ دون صعوبة .

3) مسايرة القياس العربي ، فمتى كانت صيغته على المثال العربي كان فصيحا ، ومفضلا لديهم لذا تصرفوا في اللفظ الدخيل تصرفا لطيفا ، وصاغوه على مثال لغتهم ، فقالوا : " تنور " على وزن "فعول" مثل : جبور ، حسون ، كبور .. هذه صيغة المبالغة في الشيء ، ولعل كثرة النار في " التنور " توحي بالمبالغة . وذلك بعد أن كان اللفظ وصيغته عبرية " تنور " (tanoûro) أو تنور ..". (2)

وإذا تتبعنا ما جاء في كتب اللغة من قسمة التراكيب للأصول العربية وجدنا أكثرها قد أهمل لسبب القياس ، كما ذكر السيوطي .. (3) ، نقلا عن ابن جني .. (4)

والعرب قد امتنعوا عن استعمال ما شنع تأليفه ، كما تجنبوا استعمال الطويل المفرط ، والقصير المجحف ، وأهملوا بعض الصيغ والأصول . فمن الرباعي رفضوا صيغة " فعلل ، وفعلل ، فعلل ، وكما توقفوا عن استيفاء جميع تراكيب الأصول ، كذلك توقفوا عن استيفاء جميع أمثلة الأصل الواحد .

---

1) اللغة بين المعيارية والوصفية ، تمام حسان ، ط/ مكتبة الأنجلو المصرية 1958م . ص 16

2) غرائب اللغة العربية .. ص 175

3) المزهر للسيوطي .. 1/ 246

4) الخصائص لابن جني .. 1/ 64

" لكن الثلاثي جار فيه لخفّته : وجميع ما تحتمله القسمة ، وهي الاثناعشر مثالا ، إلّا مثالا واحدا هو " فِعُل " فإنّه رفض للاستثقال لما فيه من الخروج من كسر إلى ضمّ " .. (1)

4) العصا..ص من الكراهة

وهذا في الغرابة ، والتنافر والثقل ، من حيث اللفظ والمعنى . وأرى في لفظ " المَجَشّة " كراهة في السمع ، لقرب مخارجه ، وصعوبة النطق به ، وهو أمر يبعده عن الفصاحة ، فيدفعه إلى الخروج من الاستعمال اليومي . وتكون النتيجة انزواء اللفظ وسقوطه في هاوية الإهمال .. وأعتقد أن اللفظ لم يرفضيها وقد استعاضت عنه اللغة بمرادفه ، وفي عامّية الجزائر الحالية : لا نعرف لفظ " المَجَشّة " ولكنّنا نعرف الآلة ونطلق عليها اسم " المِطْحَنَة " أو " الرَحَى " ، ونصغّر اللفظ تصغيرا سماعيا ، فنقول : " ارْحَيْوَه " .. (2)

ويمكن إضافة إلى ما سبق اعتبار الحذف والترخيم والإيجاز المعروفة في أبواب النحو العربي والبلاغة جزءا من الإهمال المقصود الذي يتطلّبه الاقتصاد اللّغوي .

5) الاستعمال الدّائم

تكون كثرة الاستعمال أحد العوامل الأساسية في بلاء اللفظ ، ثمّ جعله عرضة لانتقاص أطرافه وذهاب معناه . ويبلى اللفظ كما تبلى العملات المعدنيّة والورقيّة التي تتداولها أيدي البشر . وقد يبلى اللفظ من حيث شكله ومعناه . فبلاؤه من حيث الشكل يتوقّف أصلا من الانتقاص من أصواته ، ويكون اللفظ الطويل أكثر عرضة من اللفظ القصير ، والأخير له مقاومة أشدّ من اللفظ الطويل (3) .

ومن أمثلة الألفاظ التي تعاني هذا النقص كلمات التحيّة التي يردّدها الناس صَباحَ مَساءَ .. ففي مصر يقولون : " سَلْخَيْر " بدلا من " مَساء الخير " . كما يقول العراقيّون : " اللّهْ بِالْخَيْر " أي صبّحك الله بالخير ، أو مسّاك الله بالخير . وفي منطقة القبائل الكبرى في الجزائر يختصر بعضهم تحيّة " صباح الخير " فيقولون : " آ خَيْر " . وكلمة " للساعة " بمعنى حتّى الآن ، أصبحت في مصر " لِسَّه " وفي شمال أفريقيا " لِلسَّعْ " . وفي السودان " للساتي " . وفي الشام يقولون : " أيْش " ويريدون " بِوَدِّي " . وأيّ شيء ؟ . تصبح " إيش " .. (4)

ويفعلون هذا النقص والاختصار لاعتقادهم بأنّ المستمع يدرك ما يقولون لهذا يكتفون بذكر جزء من الكلمة . وقد يتحوّل الحذف من اللغة المنطوقة إلى اللغة المكتوبة . وهذه الظاهرة معروفة عند أسلافنا . قال الفرّاء : " وممّا كثر في كلام العرب فحذفوا منه أكثر من ذا ، قولهم : " أيش عندك ؟ فحذفوا إعرابه " أي " وإحدى ياءيه ، وحذفت الهمزة من " شيء " وكسرت الشين ، وكانت مفتوحة في كثير من الكلام لا أحصيه " .. (5)

---

1) مزهر السيوطي .. 1/247
2) للمزيد يراجع اللفظ في محلّه .. في الفصل الأوّل من الباب الاول من هذا البحث .
3) اللغة لفندريس ، تح/ الدواخلي والقصّاص ، ط/ لجنة البيان العربي 1950م ، ص 89
4) التطوّر اللغوي : رمضان عبد التواب .. ص 95
5) معاني القرآن للفرّاء ، ط/ عالم الكتب 1980م . ج 1/ 2

وقد نجد أمثلة كهذه كثيرة في عامّية الجزائر الحالية . ونخصّ بالذكر لفظ " بالزّاف " الذي يدور عندنا بكثرة، بمعنى " بالكثرة "، ويفسّر بأنّه اختصار للفظ الفصيح " بالجُزاف " . ويقال : إنّ الجيم في هذه العبارة مثلّثة، يعني يمكن أن تكون مضمومة أو مفتوحة أو مكسورة، . ويذكر أن الجُزَاف والمُجَازَفَة والجَزْف فارسيّ معرّب . . (1)

وتستعمل العبارة عادة في البيع، فيقال : بيع جُزاف أي بلا وَزْن ولا كَيْل ولا تَخْمين، ثمّ انتقلت إلى الاستعمال المجازي فأطلقت عندنا على كلّ كثرة لا ضابط لها، فأصبح يقال : شربت بالزّاف أكلت بالزاف، خدمت بالزاف وهكذا . .

ويفهم من الكلمات السابقة أنّ صورها قد تعرّضت للبلى من الجانب الصوتي، فأمّا البلى في المعاني فلأنّه يتمّ للكلمات المعبّرة حينما تتضاءل بسرعة أثناء الاستعمال الكثير، فتصبح معتّمة بالية وتضعف قيمتها، ثمّ تهمل وتعوّض بغيرها . والكلمات القصيرة إذا مسّتها يد البلى ذهبت بها، لذا تضطرّ بعض اللغات إلى إطالة الكلمات بواسطة اللواحق لتحفظها من الضياع . . (2)

ولمعرفي مجموعة الكلمات المهجورة التي ندرسها ما أصيب بهذه الظاهرة التي شرحناها . ، فالكثير منها متمكّن في اللغة بفضل صيغته الثلاثيّة فما فوقها . وسبب هجرانها نراه عائدا إلى الجانب الاجتماعي التاريخي الذي توقّفت عنده ولم تواصل سيرها الطبيعي لتصل إلينا في صورة متغيّرة أو ثابتة . . وأعتقد جازما أنّه لا يوجد في عامّيتنا - وأخصّ سكان البادية - من يستطيع إدراك معنى " القَعْب " الذي هو وعاء يشرب فيه الحليب وغيره، لأنّه قد خرج من الاستعمال منذ زمن طويل ، أو أنّ اللفظ لم يعرف في بيئتنا إطلاقا .

ويقول إدوارد سابير : " إنّ الاستعمال المفرد للكلمات ينزل بها إلى مستوى الصورة السلبية (cliché) ممّا يستدعي ضرورة استبدالها بألفاظ جديدة ، وتبعا لتغيّر الأحوال، توجد بعض الكلمات تحمل مضامين تقليدية تظهر غير مستساغة لدى الجيل الجديد، وهي تتّجه نحو السقوط في الإهمال " . . (3)

6) الاستغناء

ومن باب إهمال العربية لبعض الألفاظ استغناؤها عنها اكتفاء بغيرها . فقد استغنى العرب " بالملك " عن " حَتَّاك " ، واستغنوا عن الفعل الماضي " وَدَعَ " واستعملوا مكانه " تَرَكَ " لأنّه في معناه ، ولكنّهم قالوا في المضارع " يَدَعُ "، وفي الأمر " دَعْ " . وكذلك استغنوا عن " وَذَرَ " الفعل الماضي ، واستعملوا مضارعه " يَذَرُ " . وكذلك استغنوا بمصدر " تَرْك "، واسم الفاعل منه عن مصدر " وَدَعَ " و" وَذَرَ " . وعن إسم الفاعل منهما . فيقال : تَرَكَ تركا ، فهو تارك . ولا يقال : وَدَعَ ودعا

---

1) صحاح الجوهري .. 4/1337

2) اللغة لفندريس .. ص 272

3) liguistique; édit. minuit;1968. P: 53 .

ولا وذر وذرا فهو واذر، واعتبروا ما يأتي منهما من الشاذ الذي لا يعتد به في الاستعمال (1).

7) التعسف

هو إفراغ اللفظ من معناه، وتحويله إلى أداة في العربية العامية، ومثاله كلمة (شيء) التي بليت وصارت على حرف واحد هو "الشين" وأصبحت جزءا من أداة النفي إلى درجة أنهم في مصر يقولون: "ما شِفْتِش شيء" وأصبحت لا تعني في ذهن المتحدث بها إلا النفي (2).

وقد تفرغ اللغات كلمات من معانيها، وتحولها إلى آلات نحوية، فالكلمات النحوية التي تستعملها اللغات ليست إلا بقايا من كلمات مستقلة قديمة، أفرغت من معناها الحقيقي، واستعملت مجرد موضحات، أي مجرد رموز (3)، كما هو الحال في العربية الفصحى والدارجة نجد الفعل (راح) بمعنى ذهب، تحول إلى فعل مساعد، وأصبح مستعملا في مقدمة الكلام، كقولهم "رائح نخدم" و "رائح نديها" بمعنى أنوي العمل، وسآخذها.

وأعتقد أن إفراغ الكلمات من معانيها وتحويلها إلى آلات مساعدة نوع من الحصانة تعطيها اللغة لهذه الكلمات، لأن وجود المعاني فيها يتركها عرضة للتطور الذي قد يبليها.

8) الابتذال

معناه في اللغة الامتهان، وابتذل الثوب وغيره: امتهنه (4)، وابتذال الألفاظ امتهانها وهو من الاحتقار لما تحمله من معان تنفر منها النفس، ويهرب منها الذوق، فتنحط دلالتها شيئا فشيئا، لقلة استعمالها على ألسنة المتكلمين، ثم استبدالها بغيرها، أو الاكتفاء عن معناها كألفاظ الرتب والألقاب الاجتماعية البائدة، والألفاظ ذات الدلالات القبيحة كالقذارة أو الحياء أو الغريزة الجنسية، أو الضعف النفسي، أو الهلاك، فيستعيض الناس عن هذه الألفاظ بأخرى تعبر عن الدلالات نفسها، ولكن في رموز (5)، فمن ذلك المفردات المحرمة لأسباب اجتماعية التي ترغب في تغيير الكلمات مراعاة للياقة، "إذ ليس من اللائق أن يتكلم في أحد المجتمعات الراقية عن أفعال معروفة بالفظاظة، أو أنها مما يجرح الحياء، اعتمادا على العرف السائد في المجتمع" (6).

وأعتقد أن لفظ "رق" الوارد في المجموعة المهجورة من ألفاظنا يعتبر أحد أمثلة الألفاظ المبتذلة، لأنه يدل على معنى من المعاني المحرمة التي تقع تحت طائلة تأنيب الوازع الديني عند المسلمين، لأنه يوحي بمحتواه المحرم لديهم، وكذلك لفظ "الجام" لما يقدم فيه من شراب محرم، ورأيت أحد المؤمنين يمتنع عن شراء نوع من الأقداح الزجاجية لأنه رأى مثلها تشرب

---

1) الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات عبد الرحمن الأنباري، ط/ دار الفكر، ج 2/ 485
2) التطور اللغوي: د/ رمضان عبد التواب.. ص 101
3) م. س.. ص 97
4) صحاح الجوهري.. 4/ 1632
5) دلالة الألفاظ: د/ ابراهيم أنيس، ط/5 مكتبة الانجلو المصرية 1984م، ص 139
6) اللغة لفندريس.. ص 280.

فيه خمر . وأعتقد كذلك بأنّ لفظ "الزِق" قد تخصّصت دلالته على الوعاء الخاصّ بالخمر، فهذا التخصّص هو السبب الداعي إلى ابتذاله، والحالة -كما رأيت- لها بعد نفسي عميق. ولم أجد هذه نظرتهم إلى ألفاظ أخرى، مثل الكُوز، الكوب، القَمر .. رغم إمكانية استغلالها فيما استغلّت فيه ألفاظ الجَام، والزِقّ .

9) المجانسة (Homonymie)

" المجانسة تكون بين الألفاظ التي تعيش في فترة زمنيّة واحدة، وتكون سببا قويًا في دفع بعضها إلى الفناء، لأنّ الكلمة القليلة التداول تختفي أمام تأثير مجانستها تلك التي تحوز الشهرة، فيلتفت الناس إليها ويتخلّون عن استعمال الأخرى .. (1)

فمن ألفاظ المجموعة التي تحقّق هذا الحكم ما يمكن ملاحظته في عاصمة الجزائر الحالية من تفضيل استعمال لفظ "المِهْرَاس" بدلا من لفظ "الهَاوُن" أو "المِحاز". وأراها كانت معروفة متداولة عندنا، ولكن الاستعمال المستمرّ للفظ "المِهْرَاس" دون غيره عزّز مكانَتَهُ، وجعل اللفظين الباقيين ينسحبان إلى الظلّ ثمّ إلى الانزواء .

10) المعنى (Signification)

ويقصد بهذا المصطلح في علوم اللغة العلاقة المتبادلة التي تربط بين الدّال والمدلول، فهذا المعنى يمكن أن يكون سببا في اختفاء اللفظ، وذلك حينما يفرغ من معناه، فلم يعد يعني شيئا حينما يذكر، لأسباب تاريخيّة أو اجتماعيّة أو سياسيّة . فضياع المدلول يؤدّي حتما إلى ضياع اللفظ الدّال عليه ، "لأنّه لا قيمة لوجود الكلمة إلّا بما تقوله للفكر، فإن لم تقل شيئا فإنّ اللغة تهملها ، كما تهمل أنقاضا ، لا فائدة منها ، فتصبح الكلمة (المهملة) كزهرية فارغة أو مكسورة ترمى مع المتروكات " .. (2) ، فإذا دخلت الكلمات هذا المجال ، وأصبحت الأجيال الجديدة لا تعرفها لانقراض مدلولها ، وباتت ألفاظا مجهولة لا يفهمها إلّا من اطّلع على تاريخها حينئذ تسمّى بـ " الكلمات التاريخيّة " (Mots Historiques) . قال دارمستتر " الكلمات التي خرجت من الاستعمال ، إنّما خرجت لخروج الأشياء التي تدلّ عليها ، وقد فنيت لأسباب تاريخيّة، لذا ندعوها بالألفاظ التاريخيّة، ويشمل هذا التعريف قسما كبيرا من مصطلحات العصر الوسيط التي اندثرت لأنّها تدلّ على أشياء مرتبطة بذلك العصر، كالأسلحة، والنقود ، والملابس والمنشآت، والأحداث الاجتماعيّة ، والأفكار (أقطاعيّة ، أعراف ، علوم، تربية ، طبائع ...)"

" ونجد ألفاظا كثيرة تمرّ أمام القارئ، فلا يتسنّى له فهمها إلّا بالرجوع لما تقدّمه البحوث

1_ darmesteter: La vie des mots ; édition champ libre ; 1976 . P : 141 .

2) م . س : 134

التاريخيّة حولها من معلومات "

" وكثيرا ما نجد أسماء لأشياء عديدة قد ذهبت دون أن تعود، لأنها ليست محفوظة في وثائق مكتوبة، ولم تكن حاضرة ضمن الكنوز التي عثر عليها علماء الآثار [illegible] اشيم " .. (1)

ويمكننا إيجاد مثلا لهذا النوع من الكلمات التاريخيّة ضمن المجموعة [illegible] المسمّاة الألفاظ المهجورة ، ونراها كلمات كانت خاصّة بحضارة ذلك العصر، وليست معروفة لدينا اليوم ، مثل (البوبي ، حُبّ ، دَبّة ، قَصَب ، مَرْقَشيثا ، مُزَمَّلة) . والتطور الاجتماعي تبعه تطوّر صناعي ، فتخلّى الناس عن مدلولات هذه الألفاظ، فهجرت ، فالمرقشيثا حجر كبريتي ، تقدح به النار ، (2) وقد تطوّرت صناعة الكبريت، وتخلّى الناس عن هذا التقليد ، وانصرفوا إلى المصنوع الجديد ، ، يطلقون عليه، ويستعملون إسمه الجديد ، وهو مختلف باختلاف البلاد العربية، فهو " الكبريت " وهو " الثقاب"، وهو "الزّلَميت " عندنا ، معرّب عن اللفظ الفرنسي (les allumettes)

والكلمات المُسِنَّة (mots archaïques) هي كلمات ترك الجيل الجديد استعمالها ولا تستعمل إلّا نادرا ، وعلى ألسنة المسنّين من المتكلّمين بها ، وهي مجهولة تماما لدى الجيل الجديد . وهذه الكلمات في طريقها إلى الانقراض مالم تتمنّ الأجيال استعمالها . يقول دَارْمِشْتِتَر : " :للاحظ لاختفاء الألفاظ من اللغة كيفيّة خاصّة . ومثاله : ليكن لدينا جيل من الناس - في زمن محدّد - وقد بدأ يتخلّى عن استعمال كلمة أو فكرة، وعوّضها بغيرها ، حتّى إذا جاء جيل جديد ، يجد نفسه قليل المعرفة بهذه الكلمة أو الفكرة المتروكة، ثمّ يمرّ عليها زمن لا تصبح معروفة فيه إلّا عند الناس المسنّين ، هؤلاء الذين .. عمّا قريب - يأخذونها معهم إلى القبر "

" وبالكيفيّة نفسها تختفي اللغات، فالكورنية لهجة منطقة بروتون (شمال فرنسا) التي ازدهرت في (كورناي) قد اختفت مع آخر امرأة كانت تتكلّمها ، حوالي سنة 1821م " .. (3)

وقد انقرضت كذلك في اللغة العربية كثير من الكلمات الدّالّة على أسماء الأيام والشهور في الجاهليّة . كما ترك العرب كثيرا من الكلمات، لأنّ الإسلام لا يقرّها ، قال : " ومن الأسماء التي كانت، فزالت بزوال معانيها ، قولهم : " المرباع " .. (4) و " النشيطة " .. (5) و " الفضول " .. (6) ولم تذكر (الصفى) لأنّ رسول الله (صلعم) قد اصطفى في بعض غزواته وخصّ بذلك ، وزال إسم (الصفى) لما توفي عليه الصلاة والسلام .. (7)

---

1) م.س .. ص 132

2) انظر اللفظ في محلّه في الباب الأول .

3) دارمستتر (la vie des mots) .. ص 147

4) المرباع : ربع الغنيمة ، الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهليّة .

5) النشيطة : في الغنيمة : ما أصاب الرئيس قبل أن يصير إلى بيضة القوم .

6) الفضول : بقايا تبقى من الغنيمة .

7) الصفى والصفيّة : ما يصطفيه الرئيس لنفسه قبل القسمة . [illegible]

ويقول الجاحظ في الحيوان : " ترك الناس ممّا كان مستعملا في الجاهليّة أمورا كثيرة ، فمن ذلك تسميتهم للخراج أتاوة ، وكقولهم للرّشوة ، ولما يأخذه السلطان " الحلوان " والمكس ، كما تركوا " أنْعِم صَبَاحا " و " أنْعِم ظَلَاما " ، وصاروا يقولون : كيف أصبحتم ، وكيف أمسيتم ؟ ، كما تركوا أن يقولوا للملك أو السيد المطاع : " أَبَيْتَ اللَّعْنَ " ، وقد ترك العبد أن يقول لسيّده " ربّي " وكذلك حاشية السيد والملك تركوا أن يقولوا ربّنا " .. (1)

وكلّ هذه الألفاظ وغيرها من المهجور أو المتروك منذ زمن طويل ، لم تعد تستعمل ، ولم يعرفها الناس إلا من خلال المعاجم ، فهما من الكلمات التاريخيّة القديمة جدّا ..

وقليل من الألفاظ المهجورة التي ندرسها ، هي ألفاظ تاريخيّة بالمصطلح المشروح ، فالمزمّلة لفظ يطلق على إناء يلفّ بالخيش ويبرّد في الماء ، كان معروفا بالعراق ، ولكن لأن التقدّم .. التكنولوجي قد وفّر للناس جهازا جعل المُزَمَّلَة شيئا تقليديا باليا ، لم يلبث أن ابتعد عن صورة الاستعمال ، فنسي أو كاد لدى الجيل الجديد ، ثمّ الجيل الذي بعده ، وهكذا يصبح لفظا قديما ثمّ يدخل التاريخ ، وينقرض شيئا فشيئا ، وربّما وُجِدَ في مناطق منعزلة لم يصلها تيار التكنولوجيا ... ولكن هذه حالة لا يقاس عليها .

المهمل في المعاجم

يقول د / تمّام حسان : " والذي يتوفّر على دراسة الكلمة فرع خاصّ من فروع الدراسات اللغوية هو المعجم " .. (2) ، وحدّد أهدافه ، وطرق معالجته للمعاني ، ثمّ انتقد الدكتور حسان المعاجم العربية لأن الكثير منها أهمل هذه الأهداف والطرق ، بل وقد أهمل الكلمات نفسها ، فقد بحثت في المعاجم التي استعنت بها على شرح مجموعة الألفاظ المدروسة فوجدتها ناقصة ، بل ولم أجد ذكرا لبعضها على الإطلاق ، وبعضها وجدت كان مبتورا .. فلفظ العرقشيثا أضناني البحث عنه في أمّهات المعاجم القديمة ، وما عثرت عنه كان نزرا قليلا ، لم يكف لإعطاء صورة واضحة تغني من جوع .

والمعاجم قد أهملت كثيرا من الألفاظ فلم تحصها ، بعد أن كانت شائعة مستعملة ، ثمّ حدث لهذه الألفاظ المنسيّة ما جعلها تختفي من أفواه الناس ، فأصبحت مهملة منسيّة من الألسنة ومن المعاجم ، ولكن الله جعل لها ما يحفظها ، فقد أثبتت البحوث اللغويّة الحديثة وجود بعض الألفاظ في الشعر العربي لم تذكرها القواميس ، رغم استدراك بعض الآخرين من صانعي المعاجم ما فات المتقدّمين . ومن ذلك ما جاء على صيغة " تَفْعَال " مثل تَحْنَان ، وَتَسْجَار ، وَتَطْوَار .

فاللفظ الأوّل من مادّة (ح ن ن) ، قالوا : حنّ ، يحنّ ، حنينا ، واكتفوا بهذا المصدر ..

1) الحيوان للجاحظ ، تح / فوزي المطوي .. 327/1

2) اللغة بين المعياريّة والوصفيّة .. ص 120

ومن مادّة (سجر) : سجرت النّاقة تسجر سجراً وسجوراً . ومن (طمر) : طار يطمر طمراً وطمرانًا وطمْرورَة ، ولم يذكروا من المادّة غير هذه ، مع ورود صيغة "تفْعَال" من هذه المواد ، في الشعر العربي . . قالت الخنساء :ــــ (بسيط)

لا تَسْمَنُ الدَّهْرَ في أرْضٍ وإنْ ربعت * فإنّما هو تحْنان وتَسْجَار .

والخنساء من اللواتي يحتجّ بشعرهنّ في اللغة .

وقال عمرو بن حُمَمَة الدَّوْسي ، وهو جاهلي :ــــ (طويل)

فأصْبَحْتُ بَيْنَ الفجّ والمَشْي ثاويًا * إذا رَامَ تَطْيَاراً يُقَالُ لَهُ قَعِ .

فذكر مصدرا وهو "تَطْيَار" . . (1)

وكثيرا ما وجدت صعوبات أثناء البحث عن الألفاظ ، وكثيرا ما وجدت ألفاظا مهملة لم تذكرها المعاجم العربية رغم شهرتها ، ورغم المكانة المرموقة التي تبوّأتها بعض المعاجم العربية إلّا أنّ قصورها واضح من هذا الجانب ، ذلك ـ في نظري ـ راجع لعدم الالتزام بمنهجيّة واضحة تتّبعها ، فالتكرار والنسيان سمة مشتركة بين المعاجم العربية القديمة . . والنسيان من آفات العلم ، وهو ظاهرة مشتركة بين القديم والحديث . يقول فَنْدريس : " فهناك أسماء أخرى كثيرة أحار فيما إذا كانت تدلّ على حيوانات ثديّة أو على زواحف أو أسماك ، فيما إذا كانت نباتا أو معدنا حتّى أصل إلى بعض الكلمات المنسيّة في أركان ذاكرتي فأعثر عليها مصادفة ، ولا أعرف عنها شيئا مطلقا ، لا أعرف عنها إلّا أنّها كلمات فرنسية " . . (2)

ويمكن استخلاص صفات بعض الألفاظ التي أهملتها المعاجم :ــ

1) كلمات لم تذكرها المعاجم ، ولكنّها وردت على ألسنة الفصحاء من العرب الذين يحتجّ بأقوالهم .

2) كلمات لم تذكرها المعاجم ، ولكنّها وردت في كلام الفصحاء من الإسلاميّين المشهورين بالبلاغة .

3) كلمات عربيّة المادّة ، لا يعرف لها العرب معان أخرى ، وهي كلمات اصطلاحيّة فنّيّة أو إداريّة .

4) كلمات عربيّة المادّة ، ولّدها المثقّفون من أهل الأمصار الإسلاميّة ، لا يعرفها العرب الأوّلون .

5) كلمات دخيلة أعجميّة الأصل . . (3)

---

1) انظر مقالا في مجلّة "العربي" . العدد 163 . سنة 1972م . ص 80

2) اللغة لفندريس . . 243

3) ملخص عن كتاب " دراسات في العربية وتاريخها " : محمد الخضر حسين ص 104 وما بعدها .

والخلاصة أنه لا يمكن حصر الألفاظ كلّها في أية لغة حصروا كاملا ، لأنها كمّية فرضيّة كما يقول (guiraud) .. (1) ، غير أن كلّ لفظ من المفردات يحقّق وجوده بالاستعمال داخل النصّ .. ويمكن أن نتصوّر الألفاظ بأنها مجموعة الكلمات المستخرجة من كلّ النصوص في زمن محدّد .

وهذا هو العمل الذي تريد المعاجم العربية القيام به وتحقيقه ، ولكنّه لا يمكن أن يتأكد أحد من أن كلّ الوحدات اللفظيّة قد ضبطت في المعاجم .

وأعتقد أنّ اللغويين العرب الأوائل قد نظروا إلى جملة الألفاظ المهملة من ناحية شكلها أكثر من النظر إلى معناها ، فجعلوا السبب الأهمّ هو الاستثقال ، ومجانبة الفصاحة . ثمّ جعلوا للفصيح مقاييس اعتمادا على شكله أكثر من الاعتماد على معناه ، والواقع أن الإهمال إنّما يأتي أكثر بسبب إهمال المعاني أو ذهابها .

وأرى اللغة تحافظ على كيانها ، فمتى أهملت لفظا أو معنى عوّضته بغيره بما يناسب الحاجة ، ومثاله إهمال أسماء الأيام والشهور في الجاهليّة . فهي تخالف ما نعرفه اليوم .. (2)

1) Georges mounin : La sémantique; P : 104 .

2) للمزيد انظر : مزهر السيوطي .. 219/1 .

II) المستعمل — ما المستعمل ؟ وما مظاهره وأسبابه ؟

نقصد بالألفاظ المستعملة ماكانت متداولة، تحمل معاني، لا تزال حاضرة تلبّي رغبات المتكلّمين، وتسدّ حاجتهم إلى التعبير عن أغراضهم . والمستعمل خاضع لظروف المتكلّمين بها ومساير لأحوالهم، وهو بهذه الحالة يمرّ بالمراحل نفسها التي تمرّ بها حياة الناطقين بهذه اللغة . ويتقمّص صفات شخصيّاتهم، فمنه المستحدث المعافى، ومنه الشيخ الهرم والطفل السليم، والشيخ الهرم، ومنه بين هذا وذاك، في مراحل النمو المختلفة .

فمن الفئة الأولى ما هو نشيط متداول اكتسب قوّته ممّا حصل من أسباب الحصانة والشدّة لأنّه يدلّ على معان حاضرة في أذهان الناس، تتجدّد في كلّ حين .

ومن الفئة الثانية ما هو موجود متداول، ولكنّ حاجة الناس إليه قليلة ، فلا يذكر إلّا في بيئته وبين أهله، فألفاظ سكّان البادية ليست هي عند سكّان الحضر، ولكلّ مقام مقال . ومنها ما يبعد عن الاستعمال شيئا فشيئا ، نازلا حتّى يصل إلى أرذل العمر، ثمّ يطويه النسيان والإهمال .

وقال بعض علماء العربية : " في اللغة الضعيف ، والمنكر ، والمتروك ، والشاذ ، والنادر ، والغريب ، وما نهى عنه الشرع ، وما نبا عن الذوق والأخلاق ... وهو شيء كثير " ..[1]

والألفاظ الخاملة هي ألفاظ قليلة التداول على ألسنة المتكلّمين بها ، ويقابلها الألفاظ النشيطة، الكثيرة التداول للحاجة الماسّة إليها ، وحياتها مرتبطة بالنشاط الفكري مباشرة فـ " الكلمة خادمة للفكرة ، وتابعة لها ، حيث تنعدم الفكرة تنعدم الكلمة، وعند انعدام الفكرة لا يكون الكلام إلّا ترصيفا للمعاني لا فائدة منه " ..[2]

وأعتقد بأنّ كلّ لغة حيّة تساير حياة أهلها ، وكلّما تطوّر فكر المجتمع تطوّرت لغته التي تعتبر الوسيلة الحيويّة الضامنة للاتّصال الدائم ، والاحتكاك المتواصل ، التي تتولّد عنه الحضارة .

وقد يكون للمجتمع بالإضافة إلى المعاني القديمة التي ورثها عن أسلافه معان جديدة طرأت نتيجة التغيّرات المختلفة التي حدثت فيه . فبالإضافة إلى الألفاظ القديمة توجد ألفاظ جديدة العهد ، استوى عودها أو هي في طريق الاستواء ، وبعضها لا يصل إلى مرحلة الاستواء .

والاستعمال المتواصل يضمن للكلمة بقاءها ونشاطها وحيويّتها ، ويعزّز مكانها ضمن مجموعة العناصر اللغويّة المتداولة ..

ونلاحظ في مجموعة الألفاظ المستعملة نوعين بارزين هما :-

1) مجموعة ألفاظ خاملة (قليلة التداول) على ألسنة في البيئة الجزائريّة، ولكنّها كانت نشيطة (كثيرة التداول) معروفة في عصر الجاحظ ، مثاله :-

---

1) مزهر السيوطي 240/1 .. وما بعدها ،

2) Darmesteter : La vie des mots ; p : 40 .

اللفـــظ	التردد
خِوَان	27
مِصْبَاح	10
سِرَاج	07
مِنْدِيل	05

وهذه الألفاظ نادرة التداول عندنا ، خلافا لما كان عليه الحال في عصر الجاحظ ، ولعلّ الخمول الذي أصابها أسبابا إجتماعيّة أكثر منها لغويّة ، فهي تبدو من الجانب اللّغوي فصيحة متمكّنة على اللسان ومع ذلك اختارت لهجتنا مرادفات أخرى غيرها ، فكانت على التوالي (المَيْسَدة) للخوان ، وللمصباح والسراج إسم واحد ، هو (اللَّمْبَة) ، هل معنى هذا أنّنا في عصر من العصور لم نكن نميّز بين أنواع المصابيح ، أم نكن نستعمل إلّا نوعا واحدا ، لفقدانها ، أو للجهل بها ؟! كلّ الاحتمالات واردة هنا .

ويبقى أن نقول بأنّ لفظ (اللَّمْبَة) ليس أصيلا في لغتنا ، فما هو اللفظ الأصيل الذي يدلّ على " المصباح " عندنا في عامّية الجزائر الحالية ؟!

والمنديل قليل التداول في عاميتنا ، ولكنّه معروف بأسماء أخرى مستعارة غالبها دخيل من اللغات الأجنبيّة ، أوروبية خاصّة .

2) مجموعة الألفاظ الشائعة التي هي كثيرة التداول على لسان عامة الجزائر ، ومن أكثرها دورانا الألفاظ التالية :—

" الإِبْرَة ، الجَفْنَة ، الحَطَب ، حَصِير ، خِزَانَة ، كَأْس ، كَانُون ، مَائِدَة ، مِخَدَّة ، مِقْلَى ، قِدْرَة ، قَصْعَة ، سَرِير "

وأرى هذه الألفاظ مشتركة بين جميع المناطق في وطننا الصغير والكبير ، وأعتقد جازما أنّ ألفاظ " الإبرة ، الحصير ، السرير ، " معروفة جيّدا عندنا ولا مرادف لها في اللهجات المختلفة . وممّا يمكن استخلاصه أنّ في الألفاظ المدروسة ما هو مشترك بين البيئتين العراقية والجزائرية ، وأنّ بعض الألفاظ يبقى على حاله دون تغيير ، رغم تغيّر الأزمان والبيئات .

ورغم أنّ الحياة في تطوّر مستمرّ ، إلّا أنّ في اللغة جانبا يبقى محافظا على قيمته التعبيريّة القديمة ، ولئن كنّا نعرف جيّدا أنّ " التغيّرات في المعاني يمكن أن تطول مختلف أبواب الخطاب وغالبا ماتركّز على الأسماء والصفات والأفعال " . (1)

1) Darmesteter : La vie des mots ; p : 42 .

وفي استعمال الكلمة حياة لها ، وفي الإهمال موت محقق ، وكلما عنّ جديد في أفق الحياة قابلته اللغة بما يعبّر عنه ، وانبرت تبحث عن مقابل له ، تبدأ اللغة أولا بمحاولة التوفيق بما هو موجود من ألفاظها والمعاني الجديدة ، فإن لم تجد لجأت إلى طرق متعددة منها :-

1) البحث في مخزون اللغة القديم ، واستخراج ما يناسب هذا الجديد من الألفاظ ، وإحياؤه ، ثمّ استعماله في المكان الجديد ، مع تبنّي هذا التطوّر الدلالي الذي يصاحب اللفظ ، فلفظ " سيارة " كان يطلق على القافلة التي تسير في تجارة وغيرها ، وهي مكوّنة من إبل وروعاتها ، وقد ورد اللفظ في القرآن الكريم ، قال تعالى : " وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ ، وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ " .. (1)

وأطلق اللفظ حديثا على هذه المركبة المعروفة التي تسير بالبنزين أو غيره ، وقد تغيّرت دلالة اللفظ بتفسّير العصر ، بعد أن كاد اللفظ ينقرض ، لتطوّر حياة الناس في الحضر ، واستغنائهم بالسيارة عن ركوب الإبل .

2) إذا بحثوا في المخزون اللغوي ، ولم يجدوا ما يسعفهم للتعبير عن أحداث أو أشياء جديدة لجأ من أنس في نفسه القدرة على التوليد والابتكار من أصول اللغة التي يستعملونها عادة . قال فندريس : " ولعلّ القدرة على خلق الكلمات ليست إلّا نوعا من الخداع ، وهذه النتيجة تؤدي بنا إلى القاعدة اللغويّة الكبرى التي تقول : إنّ اللغات تسير على تحوير العناصر الموجودة ، لا على الخلق " .. (2)

وعمليّة التوليد في العربية قديمة فكثير من الجاهليين العرب ترك بصمته واضحة في اللغة العربية ، حينما كان يبدأ اللغة دون أن يسبقه أحد . فالنابغة الذبياني .. (3) كان يبتدي الأسماء على الاشتقاق من أصل اللغة ، كقوله : -

" والنُّؤْيُ كَالْحَوْضِ بِالْمَظْلُومَةِ الْجَلَدِ "

وحتى اجتمعت العرب على تصويبه ، وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة عربية ، " الله الذي له أصل اللغة أحقّ بذلك " .. (4)

وحكي أنّ الأصمعي سمع رجلا يقول : -

" تَرَافَعَ الْعِزُّ بِنَا فَارْفَنْعَعَا "

فقال له : هذا لا يجوز ، فقال الرجل : فكيف جاز للعجّاج أن يقول : -

" تَقَاعَسَ الْعِزُّ بِنَا فَاقْعَنْسَسَا "

ولا يجوز لي أن أقول : " فارفنععا " ؟ . (5)

---

1) يوسف ، الآية : 19

2) اللغة لفندريس .. 294

3) شاعر جاهلي توفي حوالي (536م)

4) الحيوان للجاحظ - مج 284/2

5) موشح المرزباني ط/1965م ، ص 262

ومن ذلك ماتضعه العامّة في غير موضعه، مثل قولهم: "خَرَجْنَا نَتَنَزَّهُ" إلى البساتين، وإنّما لغة، التباعد عن المياه والأرياف، ومنه قيل: "فلان يتنزّه عن الأقذار" أي يتباعد عنها.

ومنه قول الهذلي: ـــ (متقارب)

أَقَبُّ طَرِيدٌ بِنُزْهِ الفَـــلَا * ةِ لَا يَرِدُ المَاءَ إِلَّا ائْتِيَابَا

بنزه الفلاة يعني ما تباعد من الفلاة عن المياه والأرياف "..(1)

وحاجة الناس إلى التعبير عن أغراضهم هي التي تدفع بهم إلى إجراء عمليّة البحث ثمّ التوليدة والألفاظ المولّدة يمكن أن تظهر على "ألسنة مختلف فئات المجتمع العامل منها والخامل، المتعلّم والجاهل، صاحب العمل النظري، وصاحب العمل التطبيقي، على حدّ سواء.

إنّها الحاجة الابتدائيّة للمعرفة التي تساير إيقاع تطوّر الناس، وحاجتهم إلى الاتصال بكلّ تجارب جديدة، وكلّ لغة لا تلبّي الحاجات الحيويّة للمتكلّمين بها لا تستطيع البقاء"..(2)

والظاهر أنّ التغيّرات الحادثة في عقليّة الأمّة يصاحبها تغيّر في اللغة ليتناسب هـــذا الاتّجاه، فارتقاء الأمّة في سلّم الحضارة يستلزم ظهور ارتقاء في لغتها وانتكاسها ينعكس في اللغة كذلك، فالتغيّرات في الكلمات الجديدة تتجاوب ـ إذن ـ مع التغيّرات الحادثة في عقليّة الشعب، أو في طريقة شعوره..(3)

ويمكن للألفاظ أن تتكاثر بطرق شتّى نذكر منها: ـ

1) الارتجال (Improvisation)

ارتجال الألفاظ هو إصدارها عن غير سابق مثال، كما أنّه يمكن ارتجال العبارات، والحظّ في ارتجال العبارات أقدح وأوضح وأفصح.. وتقبل متى جاءت من أناس شُهِد لهم بالفصاحة والبيان، كما جاء عن النبي (صلعم) الذي كان أفصح العرب.. قالوا: "ومن فصاحته أنّه تكلّم بألفاظ اقتضبها، لم تُسْمَعْ من العرب قبله، ولم توجد في مقدّم كلامها، كقوله: "مَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ" و"حَمِيَ الوَطِيسُ" و"لَا يُلْدَغُ المؤمنُ مِن جحرٍ مرَّتَين"..في ألفاظ عديدة تجري مجرى الأمثال، وقد يدخل هذا في إحداث الألفاظ الشرعيّة..(4)

2) الاشتقاق (Dérivation)

الاشتقاق في العربيّة هو توليد الألفاظ من تقليب مادّتها في أوجه مختلفة، أو هو توليـــد الألفاظ بعضها من بعض، ولا يكون ذلك إلّا من بين الألفاظ التي يفترض أنّ بينها أصلا واحدا ترجع إليه، وتتولّد منه، فهو في الألفاظ أشبه بالرابطة النَّسَبية بين الناس"..(5)

---

1) إصلاح المنطق لابن السكيت ..287

3) luis guilbert: Lacréativité lexicale; p : 15

4) Darmesteter: La vie des mots ; p : 79 .

4) مزهر السيوطي ..209/1

5) فقه اللغة: محمد المبارك .. ص 78 . و"دراسات في فقه اللغة" د/ صبحي صالح . ط/ دار العلم للملايين بيروت 1986م. ص 173

3) النقـــل (Transfert de sens)

ونقصد به نقل اللفظ من معنى قديم إلى معنى جديد عن طريق المجاز ، كنقل الألفاظ من المعنى اللّغوي إلى المعنى الشرعي ، أو الصناعي ، أو العلمي ، مثل انتقال لفظ " الصلاة " التي تعني في اللغة الدعاء ، إلى معناه في العبادة المعروف . و" الحجّ " لغة هو القصـــد ، وصطلاحا هو زيارة الأماكن المقدّسة ، والقيام بالشعائر المناسبة . و" النحو " معناه لغة الاتجاه واصطلاحا يدّل على القواعد التي بها تضبط اللغة .

وهنا انتقال اللغة من السلف إلى الخلف ، فالجيل الجديد لا يستعمل - بالضرورة - الكلمة في الوجهة التي استعملها فيها الجيل القديم قبله ، لأنّ الجيل الجديد لا يفهم - دائما - جميع الكلمات مثلما يفهمها سلفه ، وهذا يفسّر كثرة استخدام اللفظ في غير ما وضع له . وبهـــذا الفعل نشأت ألفاظ لم تكن موجودة ، وهُجِرَت أخرى كانت متداولة ، والحقّ أنّ كلّ قديم في زمنه جديد ، والجديد يصبح قديما ، والتطوّر اللغوي إنّما هو مسايرة اللغة لظروف الحياة .

4) الاقتـــراض (Emprunt)

ونقصد به الفعل الذي تقوم به اللغة في حالة النهضة ، لاحتواء ألفاظ من لغة أخرى ، وتلجأ إليه عند الحاجة إلى ألفاظ جديدة لمعان حدثت لا مقابل لها في كيانها ويتمّ الاقتراض في عمليّة - غالبا ما - تكون عفويّة . و" طبيعة اللغات أن تكون دائمة التغيّر ، فلا يمكن أن تقف عـلى حالة واحدة ، زمنا طويلا ، بل إمّا أن تتّسع وتنمو ، وإمّا أن تنحصر وتنكمش قليلا قليلا حتّـــى تضعف أو تعود إلى نهضة جديدة " .. (1)

ونعرف أنّ العربية في بداية عصر النهضة الإسلامية كانت في حاجة ماسّة إلى ألفـــاظ جديدة لتسند ظهرها ، ففتحت حضنها للدّخيل من لغة وفكر ، وابتكار وصناعة وغيرها .. ثـمّ بلغت النشاطات الفكريّة في العصر العبّاسي شأوا بعيدا ، وتبعته اللغة تبسط أنتاجة ، وتبرز ثماره . " وطبيعي أن تكون العربية فقيرة في الألفاظ التي لا تدخل معانيها في ضمن حــياة أهلها ، كألفاظ الترف التي ينعم بها المنغمسون في الحضارة ، والألفاظ المستعملة فـــي الحضارات ، وفي أنواع الدواوين والصناعات ، وما شاكل ذلك ، ممّا يكون عند الحضر ، ولا يألفه أهل الوبر ، لعدم وجوده عندهم ، ولكن العربية إذا شعرت بالحاجة إليها ، واضطرّت إلــى استعمالها ، أخذ أهلها أسماءها عمّن يعرفها ، واستعملوها معرّبة ، أو أصولها في لغتهم ، ومن هنا كثر الدخيل في العربية ، في الإسلام " .. (2)

---

1) تاريخ اللغات السامية : إ. ولفنسن .. ص 218

2) المفصّل في تاريخ العرب قبل الاسلام .. 559/8

وبمراجعة قائمة الألفاظ المستعملة بشقيها (الخاملة والنشيطة) اتضحت لديّ الملاحظات التالية : —

1) أنّ أغلب الألفاظ في هذه المجموعة أصيل .

2) أنّ أكثر الألفاظ الخاملة من القسم الدخيل .

وبعد إجراء مقابلة بين حيثياتي هذه الألفاظ في العصر العبّاسي والعصر الحاضر يمكن استنتاج أنّ استخدام الألفاظ الدخيلة قد تقهقر لفائدة استخدام الألفاظ الأصيلة، في عامّية الجزائر الحالية على الأقلّ .

وقد سبق القول بأنّ كثرة استعمال الألفاظ من العوامل الأساسية في إبلاء اللفظ ، ممّا يرجّح أنّ الألفاظ الخاملة السابقة الذكر كانت تدور على ألسنة الناس، ثمّ أصابها ما أصابها ، فتراجعت ، أو أنّ الحاجة إليها لم تعُدْ ماسّة ، فلم تستطع أن تقاوم الإهمال

وكلّ لفظ يستعمل يتعرّض في مراحل حياته إلى اختبار القدرة على تحمّل المنافسة ، والبقاء يستلزم الكفاءة والقدرة على مقاومة " التآكل " ، فهو إمّا أن يتطوّر ، وإمّا أن يتقهقر بعد الامتحان ، وفي كلتا الحالتين يكون بطيئا ، ومفاجئا ، ومقيّدا بالزمان والمكان ، تلقائيا ، آليا ، لا دخل للإنسان فيه .

ولكن الألفاظ عامّة ، خاضعة في تطوّرها إلى عوامل كثيرة ، نذكر منها : —

1) حالات الاستخدام بين القلّة والكثرة .

2) ثبات أصواتها . وتغيّر الأصوات يؤدّي إلى تغيّر المعاني .

3) العامل النفسي للمتكلّم ، فتطوّر اللفظ يتبع أصواته من حيث الغموض أو الوضوح .

وبملاحظة الألفاظ المستعملة اتضح لديّ أنّ أغلبها قد استخدم في مجالات متعددة ، ممّا يسمح بالقول : إنّ بعض هذه الألفاظ تطوّر في دلالته تطوّرا اتبع فيه رقيّ الحياة الاجتماعية للمستعملين ، دون قطع الصلة بين المعنى القديم والمعنى الجديد ، وغالبا ما تكون هذه الصلة هي المشابهة ، فكثيرا ما نسمع عندنا — في شمال صحراء الجزائر — من المرضى من يقول : " الإبرة مؤلمة " و " أَنَا رَايِحْ نَشْرِي لِبْرَةْ من الصيدليّة " و " أخذتْ الطّفلْ نْضْرَبْلُه لِبْرَةْ " .

والمتتبّع لمعان مثل هذه يجد أنّها قد استعملت في ثلاثة معان مختلفة . ففي الجملة الأولى إخبار عن ألم الوخز بإبرة الحقنة . وفي الثانية إخبار بأنّه عازم على شراء دواء يحقن بالإبرة ، وفي الثالثة أخذ ولده للتلقيح . وتعابير أخرى مثل هذه كثيرة .

وهكذا حدث لكثير من هذه الألفاظ . ولكن التطوّر لم يكن مطّردا في جميعها بالدرجة نفسها . فلفظ " الحطب " بقي ملازما معناه القديم، إذا غضضنا الطرف عن الاستعمال المجازي كما سلف القول في مكانه .

ونستخلص أن اللفظ الواحد قد يتغيّر مدلوله في فكر اللغة ، بانتقاله من طور إلى طور حسب الحضارة والتمدّن . فلفظ " المائدة " و " الخوان " و " الكانون " له مدلول في ذهن البدوي غير مدلوله في ذهن الحضري .. وفي ذهن الحضري أشكال مختلفة من هذه الأشياء لم يكن يتخيّلها البدوي .. (1)

وبالاستعمال تتولّد الألفاظ وتتجدّد ، وبعدها يجري الاختبار، فمنها مابقي صامدا معبّرا عن المعنى الذي وجد من أجله ، ومنها ما يعيش زمنا قصيرا ، ثم يندثر، ويذكر فندريس فئة من هذه الألفاظ ، كالألفاظ الشائعة في لغة النبلاء في عصره ، ثمّ يقول : " هذه المفردات المختارة كانت تسمح بتمييز طبقة المتكلّم على الفور ... والواقع أن هذه المفردات كانت تخلق يوما بيوم ، من جمل عابرة تتفتّح في الصباح لتموت في المساء . كانت تولد من التلميحات أو من (نكتة أدبية) أو من حادثة تافهة .. اشتبك فيها أهل هذه الطبقة .. " ثمّ يضرب أمثلة بلغة الصالونات المتكلّفة التي يمزح منها "موليار" في روايته، ويذكر من ذلك مدام جوس دي بورسو (madame gosse de boursault) التي لا يدع لسانها ذكر كلمة (joli) = لطيف وتستعيض عن كلمة (grand) = كبير ، بكلمة (gros) = شخين ، إذ يظهر أن هذه الكلمة كان لها حظّ عظيم بين تلك الطبقة ، ولكن لمدّة قصيرة فقط .. (2)

ويمكن القول بأن الألفاظ بناء على ما وجدت من أجله هي نوعان : —

أ) ألفاظ ثابتة راسخة .

ب) ألفاظ عابرة مؤقتة .

فالأولى تدوم أطول لأنها وجدت لمعان في حياة الإنسان راسخة باقية والثانية مظاهر تطفو ثمّ تغوص في الإهمال ، كألقاب الرتب العسكريّة بين الجنود .

وعند الرجوع إلى قائمة الألفاظ المدروسة ، وجدتها دالّة على معان دائمة ، ليست قابلة للتغيير بسهولة ، فلفظ " الحطب " لا يمكن إزالته من الأذهان بالسهولة ، فرغم تطوّر الحياة ، واستعمال الناس لوقود متطوّر، فإنهم لا يزالون يحتفظون للفظ بالمعنى الحقيقي والمجازي .

وأرى أن اللفظ عند حدوثه يطمح إلى الرسوخ والدوام في اللغة ، والفوز بشرف الاستعمال والتداول لما يحمله من قيم تعبيرية ، وعند الاستعمال يتعرّض لضعف قيمته، وهذا بدوره يبعث عن التجديد .. (3) أي أنه عند الاستعمال يتعرّض للبلى ، حتّى تضطرّ اللغة إلى اختيار غيره — وهكذا يكون الاستعمال سببا في إحياء اللفظ وتنشيطه ، ثم إسلامه مرّة أخرى إلى الهلاك ..

---

1) فجر الإسلام : أحمد أمين .. ص 53

2) اللغة لفندريس .. ص 287

3) م . س .. ص 275

والسبب هو التطوّر الذي يترتّب عليه التغيّر في الدلالة ،" وقد يصل التّطوّر في الصورة إلى مَدَاه ، فتندثر الكلمة ، وتفنى من الاستعمال ، لاسيما إذا كانت قصيرة " .. (1)

والخلاصة أنّ الألفاظ المهمل منها والمستعمل طبقات بعضها فوق بعض من حيث الأهمية في التعبير عن شؤون الحياة ، تولد لتعيش ،ثمّ تموت ، وبعض الألفاظ راسخ له أوتاد ، وبعضها يهتزّ ويميد ،لانّ جذورها ضعيفة ،والاستعمال يقوّيها ، فإن لم تحتفظ بذلك ضاعت ، وبعض الألفاظ متجدّد ومتطوّر ، يدوم أكثر ، وبعضها لا يدوم طويلا ،لأنّ معانيه في المجتمع غير ثابتة ، مثل ألفاظ المغازلة ، وألفاظ النبلاء في المجتمعات الإقطاعيّة .

وأعتقد أنّ الألفاظ في اللغة تولد فتكون مثل الرضيع ، فهي في حاجة إلى عناية مثله ، وهذه العناية هي الاستعمال والتداول المستمر ، والعلاج عند الحاجة . أو هي كالثوب الأنيق يقبل عليه الناس يقتنونه ، بلهفة ،ثمّ يصبح مبتذلا ، قديما ، ربّما مهجورا ،يؤول إلى الانقراض.

كما أعتقد أنّ الألفاظ حينما تؤول إلى الانقراض بعد خروجها من الاستعمال منذ زمن طويل ، يمكن أن تعود إلى الحياة في صورتها القديمة أو الجديدة . وإنّما التجدّد يكون في الجانب المعنوي ، لأنّه تابع للتجدّد في الحياة .

وبنظرة فاحصة يمكن الإدراك أنّه بين الطرفين (الإهمال والاستعمال) مستويات، فبجانب الكلمات التي نستعملها (ألفاظا نشيطة) توجد أخرى لا نستعملها إطلاقا ،أو هي حاضرة في أذهاننا ولا نستعملها إلا لماما (مفردات خاملة) ،ولكنّنا نفهمها حين تمرّ في المحادثة بيننا .. (2)

وكثير ممّا جاء في قائمة الألفاظ المهملة هي ألفاظ من هذا النوع ،لأنّها تفهم غالبا بسهولة متى وجدت في سياق واضح .

---

1) دلالة الألفاظ : د / إبراهيم أنيس ، ط/5 1984م، ص 139

2) Georges mounin : La sémantique ; p : 194 .

الباب الثاني

الفصل الثالث

الأبنية والأوزان الصرفية

نهدف من وراء دراسة هذه الأبنية إلى بيان أوزان وصيغ الأسماء المدروسة، وهي أسماء متمكّنة في اللغة العربية، والتركيز على ما فيها من مُهمل أو مستعمل، جاعلين نصب أعيننا ما هو جديد متعمدين قدر المستطاع عمّا هو معروف ومنثور في كتب الصرف المختلفة.

ونقرّ بأنّ العملَ شاقّ، واستخلاص الجديد في مثل هذا العمل ضئيل، لأنّ الأوزان العربية بطيئة التغيّر إلى درجة لا يمكن ملاحظتها، ورصدُ مسارها بسهولة مثلما يحدث في دلالة الألفاظ. كما أنّ عملاً كهذا يحتاج إلى صبر ودراية وذوق سليم.

ونقتصر في حديثنا على أبواب الصرف ما يخدم موضوعنا، ونترك غير ذلك لعدم الحاجة إليه..

مفهوم البناء الصرفي، والإسم المتمكّن

أ) <u>الصرف</u> : أو التصريف لغة هو التغيير، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، بلفظه ومشتقّاته، في آيات كثيرة منها قوله تعالى : " وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ".. (1)، وقوله : " ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ".. (2)

والاصطلاح اللغوي هو " تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة، لمعان مقصودة، لا تحصل إلّا بها.. وهو علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء ".. (3)

وهذا العلم يحتاج إليه جميع أهل العربية، لأنّه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الدّاخلة عليها.. وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلّا من طريق التصريف ".. (4)

وقال ابن عصفور : " وقد كان ينبغي أن يقدّم علم التصريف على غيره من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها، من غير تركيب، ومعرفة الشيء من نفسه قبل أن يتركّب ينبغي أن تكون مقدّمة على معرفة أحواله التي تكون له بعد التركيب، إلّا أنّه أُخِّرَ للُطفِهِ ودقّته، فجعل ما قدّم عليه من ذكر العوامل توطئة له حتّى لا يصل إلى الطالب إلّا هو قد تدرّب، وارتاض للقياس ".. (5)

---

1) البقرة، الآية .. 164

2) التوبة، الآية .. 127

3) شذا العرف في فنّ الصرف: الشيخ أحمد الحملاوي، دار القلم بيروت، ط/2، ص 17

4) " المنصف " شرح الإمام ابن جنّي لكتاب التصريف للمازني، مصطفى الحلبي مصر، ط/1 1954م، ج 2/1

5) الممتع في التصريف: ابن عصفور الإشبيلي، ط/ الدار العربية للكتاب 1983م، ج 1/30، 31

وعلم التصريف لا يدخل في أربعة أشياء : ـ

1) الأسماء الأعجمية التي عجمتها شخصية ، كإسماعيل ونحوه . لأنها نقلت من لغة قوم ، ليس حكمها كحكم هذه اللغة .

2) الأصوات ، كـ (غاق) ونحوه ، لأنها حكاية ما يصوّت به ، وليس له أصل معلوم .

3) الحروف .. كحروف الجرّ ، وحروف العطف .

4) ما شبّه بالحروف من الأسماء المتوغّلة في البناء ، نحو (من) ، (ما) .. لأنها بمنزلة جزء من الكلمة .. (1)

ب) البناء : لغة هو تشكيل أشياء برصف مكوّناتها وفق المنطق الذي يتطلّبه ، وفي الاصطلاح الصرفي يراد به هيئة الكلمة الملحوظة من حركة وسكون ، وعدد حروف ، وتركيب .

وقد ذكر علماء العربية مصطلحات لهذا البناء ، وأعتبرها أكثرهم مترادفات ، فخلطوا بينها في الاستعمال ، فقالوا : البنية ، والميزان ، والصيغة ...

وقليل من ميّز الفروق بينها ، قال الكرملي : " نريد بأوزان العربية أبواب الأفعال ، من ثلاثيّة ومزيد فيها .. ونريد بصيغها أوزان الأسماء من مشتقّة وغير مشتقّة " .. (2)

وأنا أرى لفظ البِنْيَة أوسع من غيره ، من المصطلحات ، لأنّي رأيت معظم الكتب التي تناولت الحديث عن الصرف تخصّصه بدراسة بنية الكلمة ، وما يتعلّق بها ، ومركّزة على مصطلح البنية أكثر من سواها .. فابن مالك يقول : " التصريف علم يتعلّق ببنية الكلمة " .. (3)

وصنّف علماء العربية كتبا سمّوها بأسمائها . مثلما فعل ابن القطّاع في كتابه " الأبنية " وما فعلته خديجة الحديثي في كتابها " أبنيّة الصرف في كتاب سيبويه " .. (4)

ثمّ يأتي مصطلح (الوزن) أو (الميزان) ، وهو مقيَاس من الحروف سمّوه الميزان الصرفي ، يحوّل المادّة الواحدة إلى صور مختلفة ... والقصد منه معرفة الأصول والزوائد ، والتغيّرات التي تحدث في الكلمة .

ومن الباحثين المحدثين من لا يميّز بين المصطلحات ، فيجعلها مترادفة ، ولا يكلّف نفسه عناء البحث في الفروق بينها .. قالت : " وتسمّى هذه الهيئة (بناء) أو (بنية) أو (صيغة) أو (وَزْنًا) أو (زِنَةً) ، فالأبنية على هذا الأساس تشمل الأسماء المتمكّنة ، والأفعال المتصرفة " (5)

---

1) م . س .. 1 / 35 (بتصرّف)
2) نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها : أنستاس ماري الكرملي .. ص 113
3) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك ، دار الكتاب العربي 1968م ، ص 290
4) أبنية الصرف : د / خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة بغداد ، 1965م .
5) م . س .. ص 17

ج) **الميزان الصرفي** : اعتبر علماء العربية أصول الكلمة ثلاث أحرف ، وقابلوها عند الوزن بالفاء والعين واللام ، فيقولون في وزن "حَطَبَ" مثلا "فَعَلَ" . وفي وزن "قِدْر" فِعْل وفي وزن "عُمَر" فُعَل . ومازاد عن الثلاثي زادوا مايقابله في الميزان ، فقالوا في وزن "مرفقة" مِفْعَلة ، والحرف يقابل الحرف ، والحركة تقابل الحركة ، وسنتحدث عن المجرّد والمزيد ، فيما يأتي من كلام ، إن شاء الله .

د) **الأسماء المتمكّنة** : ويعرف الإسم بأنه " ما دلّ على معنى في نفسه ولا يلزم منه الزمان الخارج عن معناه لبنيته " . . (1) ،، وينقسم إلى أقسام هي : —

— الإسم الموصوف : وهو مادلّ على ذات الشيء وحقيقته ، وهو موضوع لتحمل عليه الصفة ، كرجل وبحر ، وعلم ، وجهل .

— ومنه المصدر ، وإسماء الزمان ، والمكان ، وإسم الآلة .

والإسم نوعان هما : إسم عين ، وهو مادلّ على معنى يقوم بذاته ، كفرس وحجر . . وإسم معنى وهو مادلّ على معنى لا يقوم بذاته بل يقوم بغيره . . (2)

والإسم المتمكّن : هو الإسم المعرب ، كعمر ، وإبراهيم ، فإذا انصرف مع ذلك ، فهو المتمكّن الأمكن ، كزيد ، وعمرو . . وغير المتمكّن هو المبني ، كقولك : "كَيْفَ ، وأَيْنَ " . أو بعبارة أخرى " الأسماء المتمكّنة هي التي يمكن تصريفها ، واشتقاقها ، نحو : رجلٌ ، فرس " . . (3)

وتختصّ دراستنا في جانب من الأسماء المتمكّنة السالمة لا غير . .

هـ) **أبنية الأسماء في العربية**

ينقسم الإسم في العربية إلى مجرّد ومزيد . . ونبدأ بذكر أوزان الإسم المجرّد — عموما — كما تقتضيه القسمة العقليّة ، ثمّ نختار من بينها ما يناسب الألفاظ التي هي موضوع دراستنا في هذا البحث . . " وأبنية الأسماء الأصول أقلّ ما تكون ثلاثة ، وأكثر ما تكون خمسة ، ولا يوجد إسم متمكّن على أقلّ من ثلاثة أحرف ، إلّا أن يكون منقوصا ، نحو : يَدْ ، و دَمْ وبابهما ". (4)

1) **أبنية الاسم الثلاثي المجرّد** : تقتضي القسمة العقلية أن يكون الثلاثي المجرّد إثنا عشر وزنا ، هي : فَعْل ، فَعَل ، فَعِل ، فَعُل ، فِعْل ، فِعِل ، فِعَل ، فُعْل ، فُعُل ، فُعَل ، (فُعِل ، فِعُل) . . أسقط العلماء من الحساب الوزنين الأخيرين . . (5) وعلّلوا ذلك بقولهم : إنّ الوزن " فُعِل " قد خصّص للفعل المبني للمجهول . والوزن " فِعُل " لصعوبة

---

1) الإحكام في أصول الأحكام . . 13/1 . نكتفي بهذا القدر ، دون التطرّق الى العلامات الدالة عليه التي يعرف النحويون عند ذكرها . انظر ص (26) من كتاب النحو الوافي " للاستاذ عباس حسن . ط/ 8 . ج 1 . دار المعارف .

2) انظر ما يتعلق بالاسم وأقسامه كتاب " جامع الدروس العربية " . . 97/1

3) المنصف لابن جني . . 8/1

4) الممتع في التصريف لابن عصفور . . 60/1

5) مزهر السيوطي . . 49/2 . و " والممتع في التصريف " . . 60/1

النطق ، أي صعوبة الخروج من **كسرة** الفاء ، إلى ضمّة السين ، ولم يبق منها إلّا عشرة أوزان الباقية مستعملة استعمالا متفاوتا ، بين القلّة والكثرة .

جدول بيان أوزان الثلاثي من الألفاظ المدروسة .. (المجرّد)

فَعَل	فَعْل	فِعْل	فُعَل	فُعْل
حَطَب	كَأْس	قِدْر	غُمَر	بُرْمَة
طَبَق	قَعْب	قِرْبَة		حُبّ
قَدَح	طَسْت	لِبْوة		بُوري
	جَفْنَة	كِيس		كُوب
	جَرَّة	زِقّ		كُوز
	جَام			جُلّة
	دَبَّة			قُلّة
	دَنّ			
	قَصْعَة			
	سَلَّة			

وأغلب ما جاء من ألفاظنا المدروسة كان على الوزن الثلاثي المتداول ، وهي الأوزان التالية : فَعَل ، فُعَل ، فِعْل ، فَعْل ، فُعْل .

وأوزان الثلاثي المجرّد يشترك فيها مع الاسم معان أخرى ، نقتطف منها ما يناسب ألفاظنا .

أ) دلالة الأوزان في الثلاثي المجرّد ، من الأوزان المذكورة أعلاه : ..

1) فَعَل : يأتي على وزنها ، ما يلي : —

الاســـم : حَطَب ، طَبَق .

الصفــة : حَدَث ، بَطَل .

جمع تكسير : بار ، بَرَرَة ، خائن = خَوَنَة . فاسق = فَسَقَة .

إسم الجنس الجمعي : بقرة = بَقَر . شجرة = شَجَر .

الفعل : ضَرَب ، كَتَب .

المصدر : مرض = مَرَضا . ندم = نَدَما . كرم = كَرَما .

2) فُعَل : يأتي على وزنها : —

الاســـم : غُمَر ، صُرَد .. (1)

الصفــة : حُطَم ، عُقَق .

1) الصرد : ضرب من الغربان .

جمع تكسير : دَوْلَة = دُوَل .

إسم الجنس الجمعي : عَشَرَة = عُشَر .

المصدر : هَدَى = هُدًى . تَقِيَ = تُقًى .

3) إفْعَل : يأتي على وزنها :—

الإسم : قِدْر . قِرْبَة .

الصفة : نِكْس . نِقْض .

جمع تكسير : غُلَام = غِلْمَة . صَبِي = صِبْيَة . أَخ = إِخْوَة .

إسم الجنس الجمعي : سِدْرَة = سِدْر .

المصدر : سَحَر سِحرا . فَقِهَ فِقْهًا . حَلُمَ حِلْمًا .

إسم الهيئة : قَتَلَ قِتْلَة . طَعِمَ طِعْمَة .

4) فَعْل : يأتي على وزنها :—

الإسم : قَعْب . قَصْعَة .

الصفة : صَعْب . ضَخْم .

إسم المرّة : قَعَدَ قَعْدَةً . ضَرَبَ ضَرْبَة .

إسم الجنس الجمعي : طَلْحَة = طَلْح . تَمْرَة = تَمْر . نَخْلَة = نَخْل .

المصدر : فَهِمَ فَهْمًا . أَمِنَ أَمْنًا . دَرَسَ دَرْسًا .

5) فُعْل : يأتي على وزنها :—

الإسم : بُرْمَة . كُوب .

الصفة : حُلْو . مُرّ .

جمع التكسير : أَسَد = أُسْد . رَهْن = رُهْن . سِوَار = سُور .

إسم الجنس الجمعي : دُرَّة = دُرّ . دُخْنَة = دُخْن .

المصدر : كَفَرَ كُفْرًا . ذَلَّ ذُلًّا . حَزِنَ حُزْنًا . حَمِرَ حُمْرَةً .

وقد جمعتُ هذه الأمثلة اعتباطيًّا للتدليل على أن هذه الأوزان صالحة لمختلف المعاني التي ذكرنا ، دون التطرّق إلى التفاصيل التي نراها مسهبة في كتب الصرف والنحو المختلفة ، كالتفريق بين أنواع الصفة ، وأنواع الجموع من قلّة وكثرة وقياسي وسماعي . ولاعتقادي بأن العمل إلى النحو أقرب من دراسة الألفاظ المفردة .

وبالعودة إلى ملاحظة الألفاظ المدروسة ، وتطبيقها على هذه الجداول نخرج بالملاحظات التالية :—

1) أ‌ـفعل

* " الحَطَب" : بالتحريك، يشترك في صيغته الإسم والصفة والمصدر ،يقال :اشتعلت النار في الحَطَب" ،و " أكلت خبزا حَطَبا" أي يابسا يمُوسَ الحطب ،والمصدر من الفعل : حطب يحطب حَطَبًا وَحَطْبًا ، ففيه لغات على ما قاله اللّيث .. (1) ،، ويقال : إنّهم أبدلوا الطاء فقالوا : " الحَـضَب" و " الحَصَب"، بإبدال الطاء من الصاد والضاد .. (2) ،، وأعتقد أن الحطب هو اللفظ الأصيل القديم ،وجاءت بعده بقيّة الألفاظ، فكان " الحَصَب" أولا ، وهو لفظ دخيل على حدّ قول بعض العلماء .. (3) ،، ثمّ ظهر لفظ " الحَضَب" بإضافة النقطة إلى الصاد ،كما يفعلون في التصحيف،أو هي لغة بعض القبائل العربية غير الفصيحة، كما يعتقد الفسوّا" بأنها لأهل اليمن .. (4) ،، ويجمع " الحَطَب" على أحْطَاب . والصيغة مستعملة في عاميّة الجزائر دون تغيير

* " طَبَـق" : يشترك في اللفظ الإسم والصفة . يقال : " أكلت طبقا من الطعام " والصفة في قوله تعالى : " لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَق " .. (5) ،، ويجمع على طِبَاق ،وَطَبَقَات . أمّا الطبق بمعنى الوعاء، فيقال : إنّه أعجمي ،دخل العربية من اللغة الفارسية، كان فيها (تَابَه) .. (6) ،، ثمّ وقع إبدال بين الحروف،فكانت التاء طاء ، والهاء قافا ، فناسب اللفظ العربي (الطبق) بمعنى المنزلة .. (7) ،، والمعاني الأخرى المبسوطة في المعاجم العربية . ويستعمل اللفظ في عامية الجزائر الحالية بصيغته الثلاثيّة، مع إسكان حرف الطاء غالبا ،إذ يقولون (اطبق) .. ويجمع " الطبق" على أطباق جمعا قياسيا .

* " قَـدَح " : يكون من اللفظ الإسم،يقال : " شربت قَدَحًا من الحليب" ،و"القَدْح" إسم من اقتداح النار، والمصدر بسكون الدّال " قدح النار قَدْحًا" . وقيل : القَدَح إسم يجمع كبارها وصغارها .. (8) ،، فكأنّه إسم "جنس" . واللفظ مذكر لفظا ومعنى . ينطق في عامية الجزائر الحالية بسكون القاف، فيقال " اقْدَح " ،ويجمع على أقْدَاح .

2) أفعيل

* " كَأس " : مذكّر لفظا ،مؤنّثا معنى ، يستعمل مهموزا ومخفّفا ، والأفصح ما كان مهموزا ،كما جاء في القرآن الكريم بهمزته .. قال تعالى : " يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَعِين " (9)

---

1) تهذيب الأزهري .. 393/4 .
2) صحاح الجوهري مادّة (حصب) .
3) الاتقان في علوم القرآن 138/1 ..
4) صحاح الجوهري 113/1 ..
5) الانشقاق ،الآية : 84
6) تفسير الألفاظ الدخيلة .. ص 45
7) القاموس المحيط 255/3 ..
8) لسان العرب .. 554/2 و" القاموس المحيط" .. 241/1
9) الصافات ،الآية : 37

وكذلك هي بهمزتها في آيات أخرى غير هذه .. (1) ،، وإذا جاء مذكّرا فإنّما هو محمول على لفظ " القَدَح " ، وقد يترك الهمز تخفيفا حسب اللهجات العربية ، فهي مهموزة في لغة تميم، بينما هي مخفّفة عند غيرهم .. (2) ،، وفي عامية الجزائر الحالية ينطق اللفظ مخفّفا (كاس) وللفظ جموع متعدّدة هي : أكْؤُس، وكُؤُوس، وكأْسَات، كِئَاس .. (3)

* " قَعْب " : يأتي من هذا اللفظ الاسم ، مثل " يشرب بالقَعْب " . والمصدر من الفعل " قَعَّبَ " بمعنى صار كالقعب، ومنه قعّب الكلام : غوّره ، وتقعيب الكلام : تقعيره .. (4) واللفظ فصيح لتباعد حروفه، ولكنّه مهجور، ولا يعرف في عامية الجزائر الحالية ، وله جموع متعددة لم يذكر منها الجوهري إلّا واحدا هو (قِعَبَة) .. (5) ،، وأضاف القاموس المحيط جموعا أخرى هي : أقْعُب ، وقِعَاب .. (6)

وأرى أنّ اللفظ كان صفة في أصله ، واستعمل إسما ، فغلب عليها ، فبقي الاسم مستعملا ، ثمّ انزوت الصفة ، ولم يلبث أن انزوى الاسم أيضا ، وصار مهجورا .

* " طَسْت " : لا يأتي منه إلّا الاسم .. لفظ فارسي معرّب ، يناسب الوزن العربي ، ذكر له العرب كثيرا من الصيغ . فقالوا : طَسْت وطَسّ وطِسّ ،عرّبوه من " تَشْت " فأبدلوا التاء طاء ، ثمّ الشين سينا ، وحذفوا التاء تخفيفا .. ثمّ شاعت الأوزان الثلاثة عند العرب، وانفرد بعضهم بصيغة دون أخرى ، فكانت " طَسّت " بلغة طيء . إبدال من إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف (عند من يقول طَسّ) ، فإذا جمعت أو صغّرت ردّت سينا لأنك فصلت بينهما بألف أو ياء ، فقلت : طِسَاس وطَسِيس .. (7) ،، وقال الفرّاء : " طيّ تقول (طَسْت) وغيرهم (طَسّ) ، وهم الذين يقولون (لَصْت) للّص ، وجمعه لُصُوت، ولُصُوت " .. (8)

ثمّ أسهب العلماء في شرح هذه الصيغة، في حالتي الفكّ والإدغام ، فممّا قالوه : الطست هي في الأصل (طَسَّة) ، ولكنّهم حذفوا تثقيل السين ، فخفّفوا ، وسكّنت ، فظهرت التي في موضع هاء التأنيث ، لسكون ما قبلها .. وأمّا من قال: إنّ التاء التي في (الطَسْت) أصليّة فإنّه ينتقض عليه قوله " .. (9)

وأنا أعترض على الأزهري ، لقوله : " ينتقض عليه قوله " لأنّ اللفظ عندي معرّب من أصل فارسي هو " تشت "، والتاء الأخيرة أصليّة ظاهرة فيه .

---

1) الواقعة : 56 . الإنسان : 76 . الطور : 52 . النبأ : 73
2) مجلة المورد ، المجلد : 7 . العدد : 3 . لسنة 1978م ، ص 176 .
3) القاموس المحيط .. 147/5
4) صحاح الجوهري .. 204/1
5) م . س والصفحة نفسها .
6) صحاح الجوهري .. 118/1
7) م . س .. 258/1 ، و" لسان العرب " .. 365/2 ، واللهجات العربية لإبراهيم أنيس ، ص 255
8) تهذيب الأزهري .. 274/12
9) م . س .. 275/12

والصيغة (طَسْت) هي المعروفة في عامية بعض مناطق الجزائر ، دون تحريف ، ولكنّها ظهرت في بعض مناطق المشرق العربي بصيغة " دَسْت " . (1)

وباختلاف الأوزان في المفرد ، اختلفت الجموع، فكان جمع طَسّت طُسُوتا ، وجمع طَسّ طُسُوس وأَطْسَاس " . (2) ، وقالوا : " طَسّ وطِسّة والجمع طُسُوت " . (3)

* " جَفْنَـة " : يأتي من اللفظ الاسم : " وضع الطعام في الجفنة " . والصفة " أنت الجَفْنَةُ الغَرَّاءُ " . وهذه هي الصيغة الشائعة عند العرب في الكلام الفصيح ، ولتعدد صيغ اللفظ لكون اللفظ أصيلا في العربية . ويعرف اللفظ في عامية الجزائر بالصيغة والشكل نفسه ، دون تغيير . واللفظ جموع متعددة هي : جِفَان ، وجَفَنَات بالتحريك ، وذكر سيبويه جمعا آخر هو " الجَفْن " . (4) ، وأحسن الجموع وأفصح ما ورد في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : " وجِفَانٍ كالجَوَاب " . (5) ، وقد استعمل جمع الجَفَنَات في الشعر العربي للعدد القليل ، في مقابل لفظ " الجِفَان " . فقد ورد في كتب الأدب العربي أن النابغة الذبياني كان يُقيم حكومة بين الشعراء ، فجاء حسّان بن ثابت وأنشده ، مفتخرا بنفسه قائلا : ـــ (طويل)

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ بِالضُّحَى * وأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فقال النابغة : أنت شاعر ، ولكنّك أقللت جِفَانك وأسيافك " . (6)

* " قَصْعَة " : لا يعرف منه إلّا الاسم . وقالوا : إنّ اللفظ فارسيّ معرّب عن كاسه (7) ، غير أنّ ابن فارس يحتجّ لأصله العربي . وإذا اعتبر اللفظ أعجميّا يكون قد مرّ بمراحل تمّ فيها إبدال بعض الحروف من بعض بطريقة عجيبة ، تظهر من مقابلة اللفظ الأصلي الفارسي بالصيغة العربية التي انتهى إليها . وهي الصيغة المعروفة في عامية الجزائر الحالية . ويعرف للفظ عدّة جموع هي : قِصَع وقِصَاع وقَصْعَات . (8)

* " دَبَّـة " : لا يعرف منه إلّا الاسم . وهو لفظ دخيل ، أصله فارسي (دَبّه) . وصادفت الصيغة الفارسية الصيغة العربية ، فلم يحدث تغيير فيهم ، ويجمع اللفظ على (دِبَاب) عن سيبويه . (9) ، وتعدّدت صيغ اللفظ عند التعريب فقالوا : " هي الدَّبَّاء والدَّبَّة " . (10) ، ويشترك في الصيغة مع اللفظ صيغة اسم المرّة ، فيقال ،

1) تفسير الألفاظ الدخيلة : طوبيا العنيسي . . ص 46
2) المعجم الوسيط . . 2/ 557
3) إصلاح المنطق . . ص 117
4) لسان العرب . . 13/90
5) سبأ ، الآية : 13
6) الموشح للمرزباني . . ص 60 . و " دراسات في النقد الأدبي " : بدوي طبانة . . ص 53
7) المعرب للجواليقي . . ص 274
8) القاموس المحيط . . 3/69
9) لسان العرب . . 1/372
10) الألفاظ الفارسية المعربة : أدي شير . . ص 60

" دَبَّ يَدِبُّ دَبَّةً وَاحِدَةً " . والإسم الهيئة ، فيقال : دِبَّة الشيخ .

* " دَنّ " : لا يعرف منه إلّا الإسم ، معرّب من أصل آرامي ، من صيغة (DANO)[1] ، وعند التعريب لم يحدث تغيير كبير . ويجمع اللفظ على (دِنَان) .

* " جَرَّة " : لا يعرف منه إلّا الإسم ، اختلفوا في أصله ، إلّا أنه يوافق الصيغة والمعنى العربي ، ويأتي منها إسم المرّة ، فيقال : " جَرَّ الحبل جَرَّةً وَاحِدَةً " . وكأمثاله من الألفاظ المضاعفة يفك الإدغام عند الجمع ، فيقال : جَرَّة وجمعها جِرَار . وقد يقال في الجمع (جَرّ) .. [2] ، ويكون إسم جنس الجمعي .

* " سَلَّة " : لا يعرف منه إلّا الإسم ، وقالوا : إنّه لفظ معرّب من الآرامية (Salto) ، وقال غيرهم : إنّه عربي صحيح ، من : سَلَّ يَسِلّ .. [3] ، ويشترك مع اللفظ في الصيغة معان أخرى هي إسم المرّة ، من سَلَّ يَسِلّ " سَلَّةً " وَاحِدَةً . ويجمع لفظ (السلّة) على سِلَال .

* " جَام " : لا يعرف منه إلّا الإسم ، معرّب من الفارسية .. [4] دون عناء فقد صادف وزن اللفظ العربي دون تغيير في البنية ، وله جموع متعدّدة هي : جَامَات ، ومنهم من يقول : (جُوم) .. [5] ، وأَجْوُم .. [6] .

* فصل

* " قِدْر " لا يعرف منه إلّا الإسم ، يقال : إنّه معرّب عن أصل يوناني (Chitra) فيكون قد مرّ بتغيير معتبر في حروفه . ينطق بصيغة التذكير والتأنيث ، فهي قِدْر ، قِدْرة ، وإذا صغّرت كانت بلا هاء ، يقال : " قُدَيْر " .. [7] . والاستعمال الشائع في عامية الجزائر الحالية هو التأنيث لفظا . وجمعها قُدُور ، وهو الجمع الفصيح الوارد في القرآن الكريم .. في قوله تعالى : " وقُدُورٍ رَاسِيَات " .. [8]

* " قِرْبَة " : لا يعرف منه إلّا الإسم ، واللفظ عربيّ صميم بصيغته ومعناه يأتي منه إسم الهيئة ، فيقال : " قِرْبَة قربة " على القياس ، ويجمع جمع تعدد ، وهو قِرْبَات ، وقِرِبَات ، وقِرَبَات ، والكثير قِرَب " .. [9]

---

1) غرائب اللغة العربية .. ص 181
2) تهذيب اللغة للأزهري .. 473/10 ، و" صحاح الجوهري " .. 611/2
3) انظر شرح اللفظ وأصله في الباب الأول .
4) انظر دراسة اللفظ في مكانه في الباب الأول .
5) تهذيب الأزهري .. 225/11
6) القاموس المحيط .. 92/4
7) تهذيب الأزهري .. 18/9 و(لسان العرب) .. 80/5
8) سبأ ، الآية : 13
9) صحاح الجوهري .. 199/1

* " إِبْـرة " : لا يعرف منه إلاّ الإسم ، عربي صميم، صيغته ومعناه ، محرّف في عامية الجزائر الحالية ، فيقال : " تخيّط بِلَشْبَرة " تخفيفا .. ومن جموعه إِبَر، وإبار .(1)

* " كِيس " : لا يعرف منه إلاّ الإسم ، معرّب عن أصل آرامي (Kéço) ، فيكون قد تغيّر شكل الصيغة لتناسب الوزن العربي . وجمعه أكياس وكِيَسَة .. (2)

* " زِقّ " : لا يعرف منه إلاّ الإسم ، معرّب من أصل آرامي (zégo) ، فيكون قد مرّ بتغيير معتبر في صيغته . وجموعه متعددة ، قالوا : أَزْقاق ، وأَزُقّ ، وزِقاق ، وزُقّ ، عن سيبويه .. (3)

4) فُعَّل

* " غُمَّر " : لم يأت منه إلاّ الإسم . عربي صميم المعنى والمبنى . جمعه :- أغْمَار .. (4)

5) فُعْل

* " بُرْمَة " : يأتي منها الإسم ، ولم نسمع منها الصفة . عربية صحيحة المعنى والمبنى ، تستعمل بلفظها ومعناها في عامية الجزائر . لها جموع متعددة هي : بُرَم، وبِرَام وبُرْم .

* " حُبّ " : لا يأتي منه إلاّ الإسم ، وقالوا : إنّه فارسي معرّب، من لفظ (خُنْب) فيكون قد مرّ بمراحل تمّ فيها إبدال الحروف ، أبدلت النون باء ، ثمّ أدغم الحرفان ، فصارا حرفا واحدا مشدّدا ، وصارت " حُبّ " . وعند الجمع عاملوه معاملة المضاعف الأصل ، ففكّوا إدغامه ، فكان جمع " الحُبّ " حِبَابَ وحِبَبَة . (5) ، وقال أبو حاتم : " الجمع أَحْبَاب وحِبَبَة وحِبَاب " .. (6)

* " قُلّة " : لا يعرف منها إلاّ الإسم . اختلفوا في أصله أهو عربي من (أقلّ الشيء يقلّه) أم هو معرّب من الآرامية " goûlt- " .. (7) ، ويعرف في عامية الجزائر بمعناه ومبناه . وجمعوه جمع الأصيل المضاعف ، فقالوا : " قُلَل " .. (8) و" قِلَال " .. (9)

---

1) لسان العرب .. 3/4
2) القاموس المحيط .. 248/2
3) لسان العرب .. 143/10
4) المعجم الوسيط .. 661/2
5) لسان العرب .. 295/1
6) المعرب للجواليقي .. ص 120
7) انظر اللفظ في مكانه من الباب الأول .
8) صحاح الجوهري .. 1805/5
9) لسان العرب .. 565/11

* " كُوب " : لا يعرف منه إلّا الاسم . معرّب من اللاتينيّة (cupa) ، وصادفت صيغته صيغة اللفظ العربي ، فعومل معاملة الأصيل المعتلّ . وحرّفته العامّة في مصر إلى (كُبَّايَة) ، وقالوا في عامية الأندلس (قَبّ) .. [1] ، وينطق في عامية الجزائر الحالية بصيغته ومعناه . جمعه أكْوَاب ، و آكوب .. [2]

* " كُوز " : لا يأتي منه إلّا الاسم . أغلب العلماء على أنّه فارسي من (كُوزَه) ، أو (كُوس) ، واحتجّ من قال بأصله العربي .. [3] ، ولم يطرأ على اللفظ تغيير كبير أثناء تعريبه . وتعدّدت جموعه ، فكانت كِيزَان ، وأكواز ، وكِوَزة ، عن سيبويه .. [4] ، وقال السيوطي : " كل اسم على (فُعْل) ثانيه واو ، جائز أن يجمع على ثلاثة أوجه : كُوز ، كِيزان ، وأكْوَاز وكِوَزَة " .. [5]

* " جُلَّة " : لم يأت منها إلّا الاسم ، وهو لفظ عربي صميم المعنى والمبنى ، وجمعه : جِلَال ، وجُلَل .

* " بُورِي " : لا يأتي منه إلّا الاسم ، معرّب من الفارسية (بَارِيَا) .. ، وعند التعريب صاغوه في أوزان متعدّدة هي : بُورِي ، وبَارِيَاء ، وبُورِيَاء ، وبُورِيَّة ، وبَارِيَة ، وبَارِي ، ويجمع على بَوَارِي .. [6]

---

1) لحن العوام للزبيدي .. 186/4

2) المعجم الوسيط .. 803/2

3) انظر اللفظ في مكانه من الباب الاول .

4) لسان العرب .. 402/4

5) مزهر السيوطي .. 101/2

6) انظر اللفظ في مكانه من الباب الاول .

الاسم الثلاثي المزيد

أ) الثلاثي المزيد بحرف واحد

جدول الألفاظ المزيدة بحرف واحد من الألفاظ المدروسة .

مِفْعَلَة	فاعِلَة	فاعُول	فِعَال	فَعُول	فَعِيل
مِرْفَقَة	مَائِدَة	هَاوُن	خِوَان	وَقُود	حَصِير
مِبْشَّة	خَابِيَة		بِسَاط		سَرِير
مِخَدَّة			جِرَاب		زَبِيل
مِسَلَّة			سِرَاج		حَقِيبَة
مِقْلَى			خِزَانَة		قَطِيفَة

ينقسم الاسم بالنظر إلى بنائه إلى قسمين : مُجَرَّد و مَزِيد . فالمجرّد ما كانت حروفه أصلية لا زيادة فيها .. وهو ثلاثة أنواع : —

ثُلَاثِي ، وَرُبَاعِي ، وخُمَاسِي .

أما المزيد فهو ما زاد على حروفه الأصلية ، بحرف أو أكثر من حروف الزيادة ، وهي عند العرب مجموعة من الحروف يزاد منها للاسم أو الفعل . قال أبوا الفتح (ابن جنّي) حكي أن العبّاس (المبرّد) سأل أبا عثمان (المَازني) عن حروف الزيادة ، فأنشده : —

هَوِيتُ السِّمَانَ فَشَيَّبْنَنِي . وَمَا كُنْتُ قِدْمًا هَوِيتُ السِّمَانَا . فقال له : الجواب؟ فقال له أبو عثمان : قد أجبتك في الشعر دفعتين ، يريد " هَوِيتُ السِّمَانَ " . ويجمعها — أيضا — " سَأَلْتُمُونِيهَا " . وهي عشرة أحرف : الألف ، والياء ، والواو ، والهمزة ، والميم ، والنون ، والتاء ، والهاء ، والسين ، واللام .. (1)

وليس لحروف الزيادة أماكن خاصّة في الاسم ، فقد تكون الزيادة في أوّل الكلمة ، أو في وسطها ، أو في آخرها .. وفي مواطن الزيادة من الكلمة قول كثير مبثوثْ في كتب الصَّرف المختلفة ، من ذلك ما ذكره ابن يعيش في كتابه " شرح المفصّل " فَلْيُرَاجَعْ عند الحاجة .(2)

وقد تكون الزيادة بحرف أو أكثر ، فـ : —

* الثُّلَاثِي : يزاد بحرف أو أكثر ، وأقصى ما ينتهي إليه بالزيادة سبعة أحرف ، لأن فِعْلَه يبلغ الستّة .

* الرُّبَاعِي : يبلغ السبعة بالزيادة — أيضا — لأن فعله يبلغ الستّة بالزيادة ، وهو أقصى ما ينتهي إليه .

* الخُمَاسِي : يبلغ بالزيادة الستّة فقط ، ولا يبلغ السبعة ، كما بلغتها بنات الثلاثة ، والأربعة ، لأن بنات الخمسة لا تكون في الفعل ، فيكون لها مصادر على سبعة أحرف ..(3)

---

1) المنصف لابن جني .. 98/1

2) شرح المفصل .. 116/6 إلى 121

3) أبنية الصرف .. ص 145

بين الجامد والمشتق

وتنقسم الأسماء باعتبار وجودها إلى قسمين : جامدة ومشتقة :

1) الجامد : ما لا يكون مأخوذا من الفعل ، مثل : حجر ، سقف ، ...

2) المشتق : ما كان مأخوذا من الفعل ، مثل : منحاز ، سِكّين ، مِسّاحة ، عالم .

والأسماء المشتقة عند الصرفيين عشرة أنواع : إسم الفاعل ، وإسم المفعول ، والصفة المشبهة ومبالغة إسم الفاعل ، وإسم التفضيل ، وإسم الزمان ، وإسم المكان ، والمصدر الميمي ، ومصدر الفعل فوق الثلاثي المجرّد ، وإسم الآلة .

ومما جاء من أوزان مجموعة ألفاظنا المدروسة نجد من الثلاثي ما زاد فيه حرف واحد ، وما زاد فيه حرفان لا أكثر .

1) ما زاد فيه حرف واحد

ومن المشتقات نجد إسم الآلة : مِفعَلة ، فَاعِلة ، فِعَال .

* إسم الآلة : يؤخذ - غالبا - من الفعل الثلاثي المجرّد المتعدّي للدلالة على الأداة التي يستعان بها للقيام بفعل .. أو هو إسم يصاغ للدلالة على الآلة التي يعالج بها الشيء . ولها من الفعل الثلاثي أوزان قياسية هي : " مِفْعَل " و " مِفْعَال " و " مِفْعَلة " مثل : مِخْرَز ، مِصْبَاح ، مِسَلّة .. ولها أوزان سماعية كثيرة لا ضابط لها .. (1)

وقد وردت أسماء لآلات ليست من الأفعال الثلاثية المجرّدة ، كالمصباح من الفعل استصبح أي أشعل السراج . والمِسْرَجَة من أسرج المصباح أي أضاءه .. واشتقوا من أسماء الأجناس كـ " المِرْفَقَة " من المرفق ، و" المِخَدَّة " من الخد .

وقد اتخذ مجمع اللغة العربية المصري قرارا بقياسة إسم الآلة من الأوزان الثلاثية المذكورة أعلاه ، ثم أضاف قياسية بعض الأوزان الأخرى رآها صالحة ، من ذلك : " صِيغة صوغ (فَعّالة) إسما للآلة " واحتج له .. (3) .. ثم أضاف صيغا أخرى للدلالة على إسم الآلة ، هي : " فِعَال " و " فَاعِلَة " و " فَاعُول " ، ثم احتج لها .. ثم زاد أوزان أخرى هي : فَعَّال ، فِعّيل ، فَعّول ، إفعيل ، فَاعِل ، وفاعِلة .. (4)

---

1) انظر " شرح المفصّل " لابن يعيش ، ج 6/111 و " التسهيل " لابن مالك .. ص 48 والمخصّص لابن سيدة .. 14/106 و 109 ، ولا يكاد يخلو كتاب للنحو أو الصرف من ذكر لإسم الآلة .

2) مجموعة القرارات في (50) عاما : مطبوعات مجمع اللغة العربية بالقاهرة . ص 46

3) م . س ... 48

4) كل هذه الصيغ المقترحة وردت في (م . س) ص 46 و 102 .

وتصبح أوزان الآلة المؤكدة : مِفعل ، مِفعال ، مِفعلة ، فعّالة ، فِعال ، فاعِلة ، فاعول ، فعّال ، فِعّيل ، فعّول ، إفعيل ، فاعِل .

ويشترط أن يكون ما ورد من أمثلة الصيغة المراد قياسها عددا غير قليل . وأن تكون هذه الصيغة مأنوسة في العصر الحديث بين المتكلّمين في الدلالة على إسم الآلة .

ويلاحظ أنّ هذه الأوزان مشتركة بين إسم الآلة وإسم الفاعل ، أو صيغة المبالغة ، والفيصل بينهما هو القرينة التي هي المعنى عند الاستعمال .

وقد امتازت العربية دون غيرها من اللغات بأنّ للمعنى صيغة معيّنة ، وهو إسم الآلة ، بعكس الإنجليزيّة مثلا ، فإنّه لا يمكن التفرقة بين " إسم الفاعل " و " إسم الآلة " فيها . (1)

ومن الألفاظ المدروسة عندنا (في هذا البحث) ، وهي من أوزان الآلة القياسية نجد :-

1 * مِفْعَلة : من الصيغ القديمة . (2) القياسية ، التي يقاس عليها إسم الفاعل في العربية : —

* مِرْفَقة : إسم آلة قياسي ، مشتقّ من إسم جامد هو المِرْفَق . ولم أجد في المعاجم التي رأيتها من جمعها جمعا غير الجمع القياسي المعروف ، (مِرْفَقات) .

* مِجَشّة : إسم آلة قياسي ، يذكر ويؤنّث ، فيقال : مِجَشّ ومِجَشّة ، والاسم مشتقّ من الفعل المضاعف (جَشّ) . والملاحظ أنّه قد حدث في اللفظ تغيير ، فأصل اللفظ مِجْشَش أو مِجْشَشة ، وحدث أن انتقلت السكون من فاء الفعل إلى عينه طلبا للخفّة ، ثمّ أدغم الشنان ، فكان اللفظ (مِجَشّ) أو (مِجَشّة) . وتكون بذلك الصيغة عربية سليمة .

* مِخَدّة : إسم آلة قياسي ، مشتقّ من إسم جامد هو الخدّ ، وجمعوا اللفظ في قولهم : مخادّ ، ومِخَدّات .

* مِسَلّة : إسم آلة قياسي ، مشتقّ من الفعل الثلاثي المتعدّي (سَلّ ، يَسِلّ) عند من يرى اللفظ عربيا أصيلا . وقد حدث فيه ما حدث في لفظ (المِجَشّة) من تغيير ، واعتقد بعضهم بأعجميّته ، وأصله الآرامي ينطق (m'chaltā) ، فإن صدقوا يكون اللفظ قد تغيّر بشكل طفيف . تجمع على (مَسالّ) و (مِسَلّات) .

* مِقْلاة : إسم آلة قياسي ، مأخوذ من الفعل الثلاثي الناقص (قلي) ، صيغته (مِفْعَل أو مفعلة ، فيقال : مِقْلى ، و مِقْلاة ، وكلتا الصيغتين مستعمل فصيح ، وهما مِقْلَيان ، والجمع مَقالي .

1) المرجع في تعريب المصطلحات العلمية والفنية والهندسية : حسن حسني فهمي . مكتبة النهضة المصرية 1961م ، ص 89 .

2) القديم ما وجد قبل قرار المجمع اللغوي ، والجديد ما أقرّه المجمع .

2 * فَاعِلَة : من الصيغ القياسية التي أقرّها المجمع في القاهرة ، وكانت قبل ذلك سماعيّة ، أو كانت قياسية في إسم الفاعل ، لا غير .

* مَائِدَة : إسم آلة قياسي جديد ، مائدة فاعلة ، بمعنى مفعولة ، وقالت العرب " وَمِيدَةً كَثِيرَةُ الأَلْوَانِ " .. (1) وجمعها مَوائِد ، ومَائِدَات .

* خَابِيَة : إسم آلة قياسي جديد ، مشتّق من الفعل الثلاثي المتعدّي المهموز (خَبَأَ) ، عند من يقول بعربية اللفظ ، " وقال أبو عبيدة : الخابية أصلها الهمز ، من خبأت ، و قلت : العرب تترك الهمز في (أَخْبَيْتُ وخَبَّيْتُ) وفي الخابية ، لكثرتها في كلامهم ، استثقلوا الهمز " .. (2) ، وفي الصحاح : " الخَابِيةُ أصلها الهمز ، لأنّها من خبأت ، إلا أنّ العرب تركت همزتها " .. (3)

وعند من يقول بأعجمية اللفظ ، وأصله الآرامي (hobitc) يكون قد حدث فيه تغيير كبير أثناء التعريب .. وهي في عامية الجزائر الحالية مخففة (خَابِيَة) .. وجمعها خوابي .

3 * فَاعُول : من الصيغ التي أقرّها المجمع اللغوي في القاهرة .

* هَاوُون : إسم آلة ، من أصل أعجمي ، معرّب من أصل فارسي (havan) " وعند التعريب جعل على زنة (فَاعُول) ، فقالوا هَاوُون ، وهَاوُن ، وهَاوَن ، الواو فيه مفتوحة ، ومضمومة . وعند من يقول بأصله العربي أنّه مشتّق من الهون .. قال الجواليقي : " الهاوون مثل فاعول ، ولا تقل (هَاوُن) ، لأنّه ليس في الكلام إسم على وزن (فَاعُل) ، موضع العين منه واو .. (4) " ، وجمعوه على هَوَاوِين .

4 * فِعَّال : من صيغ إسم الآلة التي أقرّها المجمع اللغوي في القاهرة .

* خِوَان : إسم آلة ، معرّب من أصل فارسي (اخْوَان) ، ولمّا عرّبوه جعلوه على زنة (فِعَال) ، وتعدّدت صيغ اللفظ عند تعريبه ، فقالوا : " الخِوَان " و " الخُوَان " ، و " الخُوَان " و " الإِخْوَان " .. وتعدّدت جموعه بتعدّد الصيغ ، فقيل : " أَخْوِنَة " و " خُوُون " ، و " أَخَاوِين " .. (5)

* بِسَاط : إسم تناسب صيغته صيغة إسم الآلة الجديد الذي أقرّه المجمع اللغوي في القاهرة ، و " فِعَال " هنا بمعنى " مَفْعُول " ، بِسَاط بمعنى مَبْسُوط . ولـ

1) شفاء الغليل للخفاجي .. ص 203
2) تهذيب الأزهري .. 605/7
3) ج 2325/6 . وإصلاح المنطق .. ص 159 ، والمخصص لابن سيدة .. 83/11
4) المعرب للجواليقي .. ص 346
5) المعجم الوسيط .. 263/1

ولم أجد في معناه ما يمكن أن يجعله من أسماء الآلة ، وإن وافق وزنها . وجمعه مُشُط .

* جِرَاب : إسم وعاء ، تناسب صيغته صيغة إسم الآلة الذي أقره المجمع اللغوي في القاهرة ، ويمكن الاستعانة بهذا الوعاء للمحافظة على ما يوضع فيه ، وإذا فهو في حكم الآلة . ويقال : هو " الجِرَاب بكسر الجيم وفتحها ، والكسر أفصح " .. (1)

وقد كان معروفا شائعا في عامية المشرق العربي ، وينطق به بفتح الجيم ، فيقولون : جَرَاب كما ذكر الجوهري في صحاحه ، وابن منظور في لسانه . (2) ، وابن قتيبة في " أدب الكاتب " (3) و" إصلاح المنطق " .. (4) ، وللفظ جموع متعددة ، هي : أَجْرِبَة ، وجُرُب ، وجُرْب .. (5)

* سِرَاج : إسم آلة ، وصيغته من الصيغ الجديدة التي أقرها المجمع اللغوي في القاهرة ، وهو من أصل آرامي ، وينطق (chrago) .. (6) ، وأراه قد مر بمراحل متعددة أثناء التعريب ، فقد أصبح (شراج) ، ثم أبدل الشين سينا ، ثم (الجيم) جيما ، وهكذا . والإبدال بهذا الشكل شائع ومعروف في عمليات التعريب بين اللغات التي تنتمي إلى أصل واحد ، كالعربية والآرامية .. (7) ، وجمعوا السراج على سُرُج .

* خِزَانَة : إسم وعاء ، تناسب صيغته صيغة إسم الآلة الذي أقره المجمع اللغوي في القاهرة . والاستعمال الفصيح (فِعَالة) بكسر الخاء . وفي عامية الجزائر الحالية ينطقه الجمهور بسكون الخاء (اخْزَانَه) . وقد كان شائعا فتح الخاء في عاميات المغرب والأندلس (8) وجمع (خِزَانة) خزائن . وهو الجمع الفصيح الوارد في القرآن الكريم .. (9)

5 * فَعُول / :ـ

* وَقُود : إسم يدل على جنس ما يوقد . ويقال : الوِقَاد والوَقِيد . والصيغة الأخيرة هي المعروفة في عامية البدو في شمال صحراء الجزائر ، مع شيء من الإبدال في نطقها فهم يقولون : (الوَقِيد) بإبدال القاف (جيما) معطشة ، وضم الواو أحيانا ، أو فتحها ، وأراها لغة فصيحة ، وقد قُرِئ بها .. (10) ، ولم أجد للفظ جمعا مناسبا .

---

1) شرح النووي للجراب في كتاب " صحيح مسلم " .. 3 / 84
2) انظر ما جاء في تعريفات اللفظين .
3) أدب الكاتب .. ص 392
4) إصلاح المنطق .. ص 174
5) صحاح الجوهري .. 1/98
6) غرائب اللغة العربية .. ص 186
7) انظر الفصل المعقود حول الأصيل والدخيل .
8) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان لابن مكي الصقلي .. 10/133 . " ولحن العوام " للزبيدي .. 8/270
9) انظر دراسة لفظ " الخِزانة " في محله من هذا البحث .
10) القاموس المحيط .. 1/346

6 * فَعِيل :ــــ

* حَصِير : إسم على وزن فَعِيل بمعنى مَفْعُول ،فهو حَصِير بمعنى مَحْصُور . وهو مذكّر وأنّثوه ،فقالوا : (حَصِيرة) ،وهو استعمال شائع منذ القدم ،قال : " وممّا أنّثوه وهو مذكّر (الحَصِير) ،وربّما أدخلوا عليه هاء التأنيث،فقالوا : (حَصِيرة) ،وذلك غلط لا يجوز فيه التأنيث " .. (1) ،، وجمعه حَصَائر .

* سَرِير : إسم على وزن فَعِيل بمعنى فَاعِل ،فهو سرير بمعنى مُسِرّ ، عند من يراه مشتقا من السرور .. (2) ،، وبنو ضبّة يقولون : سَرِير وسُرَر .. (3) . وجمعه أَسِرَّة وسُرُر ،، والجمع الأخير أفصح الجموع لوروده في القرآن الكريم عدّة مرّات .

* زَبِيل : إسم وعاء ، معرّب من الفارسية ،واختلفوا في صيغة لفظه الأصلية، أهي (زِينْ قاله) أم (زَنْبِيل) أم (زَنْبِير)؟، وبذلك قد أخذ اللفظ مسارا مغايرا أثناء التعريب، فقالوا : هو الزَبِيل (بفتح الزاي) وهو (الزِنبيل) بكسر الزاي ،فإذا جمعوا قالوا زَنَابِيل ، وقيل (الزِنبيل) بكسر الزاي خطأ ، وإنّما هو زَبِيل وجمعه زُبُل وزُبْلَان .. (4) ،، وقالوا : زِنْبِيل خطأ لأنّه ليس في كلام العرب(فَعْلِيل) بالفتح .. (5) ،،واستعملت الصيغتان معا ، فقالوا :الزبيل : والزِنبيل (بكسر الزاي) . وقالوا : الزنبيل خطأ ، وإنّما هو زَبِيل ، وجمعه زُبُل وزُبْلَان .. (6)

وفي عامية الجزائر الحالية ينطق (زِنْبِيل) وهي اللهجة نفسها التي يُعرف بها في اللهجات العربية الحالية، مثلما هو في الحجاز . أو كما كان في الأندلس والمغرب ؛ فقد قال ابن مكي : " يقولون زَنْبِيل ، والصواب زِنْبِيل وزَبِيل " .. (7) وربّما قالوا (زَنْبِيلَة) ، ويعنون بها زَبِيل صغير، أو هي عامية .. (8)

* حَقِيبَة : إسم وعاء . على صيغة (فَعِيلة) بمعنى (مَفْعُولَة) حقيبة بمعنى محقوبة . وجمعها حَقَائب .

* قَطِيفَة : ليس من أسماء الآلة ، وإن وافقها في الوزن . يعتقد أنّه من أصل أعجمي (gtifte) .. (9)، فَعِيلة بمعنى مَفْعُولة، قَطِيفة بمعنى مَقْطُوفة عند من يعتقد بأصله العربي .. وجمعها قَطَائِف وقُطُف .

1) تثقيف اللسان : ابن مكّي الصقلّي .. 175/10 . (توفي الكاتب حوالي 501هـ)
2) انظر أسباب تسمية الشيء في مكانه من الباب الأول .
3) النوادر في اللغة .. ص 577
4) تهذيب الأزهري .. 25/13
5) صحاح الجوهري .. 1715/4
6) لسان العرب .. 300/11
7) تثقيف اللسان .. 220/10
8) محيط المحيط . بطرس البستاني .. 854/1
9) غرائب اللغة العربية .. ص 201

ب) الثلاثي المزيد بحرفين

جدول الألفاظ المزيدة بحرفين ، من الألفاظ المدروسة

مِفْعَال	مَفْعِيل	مُفَعَّلَة	فَاعُول	فَعْلُول	فَعَّالَة	إِفَّعَالَة	فِعِّيل	فَعُّول
مِنْحاز	مِنْدِيل	مُزَمَّلَة	كَانُون	صَنْدُوق	قَدَّاحة	إِجَّانة	سِكِّين	تَنُّور
مِصْبَاح			قَارُورَة					

1 * مِفْعَال : صيغة تدل على إسم الآلة القياسي ..

* مِنْحَاز : إسم آلة مشتق من فعل (نَحَزَ) الثلاثي المتعدّي ، لم أصادف له جمعا فيما قرأت من معاجم ، والجمع القياسي مَنَاحِيز . مثل مِصْبَاح مَصَابِيح .

* مِصْبَاح : إسم آلة مشتق من فعل ثلاثي (صَبُحَ) اللازم . ويقال عادة مِنْهُ أَصْبَحَ يُصْبِح . ويأتي الإسم على صورتين : مِصْبَح ومِصْبَاح ، وجمعه مَصَابِيح . وقد عرف الفضمّ الميم في عامية المغرب والأندلس، كما قال ابن مكّي الصقلّي : " ويقولون : مُصْبَاح ، والصواب بكسر الميم " .. (1)

2 * مِفْعِيل : —

* مِنْدِيل : إسم اختلفوا في أصله أعربي هو أم أعجمي ؟ له صور متعدّدة هي : مِنْدِيل مَنْدِيل ، والمِنْدَل .. (2) ،، وجمعوه على مَنَادِيل .

3 * مُفَعَّلَة : —

* مُزَمَّلَة : إسم وعاء ، مُزَمَّلَة مُفَعَّلَة ، صيغة إسم المفعول ، أصله صفة حلّت محلّ الإسم . ولم أجد له جمعا ، وأعتقد أنّه قياسي ، فيجمع على (مُزَمَّلَات) .

4 * فَاعُول : صفة إسم الآلة قياسي ، من الصيغ التي أقرّها مجمع اللغة العربية المصري

* كَانُون : إسم على صيغة إسم الآلة ، ولا علاقة لمادّة الاشتقاق بما تقدّمه (الكانون) من فائدة ، لأنّه — عند بعضهم — مشتق من " كَنَّ " بمعنى " ستر " ، والواقع أنّه لا يستعان به في ستر النار ، وإنّما في إظهارها ، والمحافظة عليها ، ثمّ الاستفادة منها . وجمعه القياسي : كَوَانِين ، مثل صَارُوخ صَوَارِيخ .

---

1) تثقيف اللسان 103/10 .

2) لسان العرب 653/11 .

* قَارُورَة : إسم وعاء ، وإن وافقت صيغته صيغة إسم الآلة التي أقرّ مجاستها المجمع اللغوي المصري . واختلفوا في أصلها أعربيّ هو أم أعجمي . وقال بعضهم هي أعجميّة من أصل آرامي ، صيغته (gorofro) ، فتكون الصيغة قد صرّت بتغييرات معتبرة من الصيغة الأجنبية إلى الصيغة العربية حتّى توافقها .. وجمعوها على قَوارِير .

5 * فُعلول

* صُنْدوق : إسم وعاء ، معرّب عن الفارسية (صَنْدوق) .. (1) ،، وينطق بضم الصّاد وفتحها ، ففيه لغات ، فهو " الصّندوق ، والزّنْدوق ، والسَّنْدوق . وقال بعضهم : روي الكوفيّون صَندوق بالفتح ، ولا يعرف هذا بصريّ إلّا بالضّمّ ، وأكثر كلامهم فُعْلولَة وفُعْلول ..

ومن هنا يكون وزن صندوق هو فُعلول ، وهذا هو الراجح والأصوب .. (2) ،، وينطق في عامية الجزائر الحالية بفتح الصاد (صَنْدوق) . وجمعه صَناديق .

6 * فَعَّالة : من صيغ إسم الآلة التي أقرّها المجمع اللغوي المصري ..

* قَدَّاحَة : إسم آلة لما يقدح به تشترك في الصيغة إسم الآلة ، ومعنى المبالغة . لأنها كثيرة القدح ، وكثرة ملازمة الفعل لها . يقال : هي القدّاحة ، وهي المِقْدَحة .. (3) ،، كما قال : المِقْدَح والمِقْدَاح والقَدَّاح ، ولكلّ صيغة من هذا الوزن جمعها المتميّز . وأرى جمع القداحة جمعا قياسيا ، فقدّاحة تجمع على قَدّاحات مثل طوّافة طوّافات .

7 * إِفْعَالة : —

* إِجّانة : إسم وعاء ، يقوم بدور الآلة في المساعدة على أداء عمل التنظيف ... وهو إسم معرّب ، واختلفوا في أصله ، أهو فارسي " إِكّانَه " .. (4) ،، أم يوناني (anguiyon) (5) . وعليه تكون الصيغة متباينة ، وقد عرفت عند العرب بصيغ متعدّدة هي : الإِجّانة ، والإِنْجَانَة ، والأَجّانة ، والإِيجَانَة . وأنكر الجوهري " الإنجانة " ، ونَهى عنها .. (6) ووافقه ابن منظور (7) . وابن السكيت .. (8) ،، وأفصحها جميعا صيغة (الإِجّانة) ، وشاعت بهذه الصيغة حتّى دخل عليها التغيير الذي أنكره العلماء في القول السابق . وأمّا الأَجّانة (بفتح الهمزة) فهي طائية . (9)

1) القاموس المحيط .. 255/3
2) مزهر السيوطي .. 58/2
3) أساس البلاغة للزمخشري .. ص 494
4) لسان العرب .. 8/13
5) غرائب اللغة العربية .. ص 251
6) صحاح الجوهري .. 2068/5
7) لسان العرب .. 8/13
8) إصلاح المنطق .. ص 176
9) لسان العرب .. 8/13

وأعتقد أنه لكل صيغة جمع خاص ، ولكن الجمع الشائع هو أجاجين .

8 * فِعِّيل : من صيغ إسم الآلة التي أقرّها المجمع اللغوي في القاهرة ..

* سِكِّين : إسم آلة ، على وزن " فِعِّيل " الذي نجده نادرا في الأسماء ، لكنّها قياسية في الأوزان الدّالة على المبالغة ، مثل : سِكّير ، إذا كان كثير السُكْر ، وفِسّيق ، إذا كان كثير الفُسْق ، وخِمّير ، كثير شرب الخَمْر ، وعِشّيق كثير العِشْق .. [1] ،،

ولا أستبعد أن يكون لفظ " السكين " كان في أصله صفةٌ من الصفات الدّالة على المبالغة في ملازمة الفعل ، كقولنا : " خِنْجَر سكّين " ، ثمّ ذهب الإسم ، وحلّت الصفة محلّه . هذا على اعتبار أن اللفظ من مادّة عربية . وبعضهم يراه آراميا (sakîno) ، فتكون الصيغتان متقاربتين مع فارق طفيف . وجمعوا السكين على سَكاكين .

9 * تَفْعُول : إحدى الصيغ الدّالة على إسم الآلة ، التي أقرّها المجمع اللغوي المصري ،

* تَنُّور : إسم آلة ، اختلفوا في أصل اللفظ فعميت الصيغة الأصلية له ، فمن قال : إنه أعجمي ، وذكر له صيغة معقّدة ، قال : التنّور بمعنى مكان النور ، وصيغته (Tanatro) ، أو (Beyt _ nour)[2] ، وأراني حائرا في أيّهما الأصلية التي نقارن بينها وبين الصيغة العربية ، وهذا أمر وارد في أغلب الألفاظ المعرّبة ، لما أصابها من تغيير في صيغتها الأصلية وذهاب صورتها كليّا ، أو جزئيا . وجمعوا التَّنُّور على تَنانير .

1) إصلاح المنطق لابن السكيت .. ص 219

2) انظر اللفظ في محلّه من الباب الأوّل من هذا البحث .

الإسم الرباعي : لا نجد في ألفاظنا المدروسة إسما رباعيا مجرّدا ، ولكنّا نجد فيها الرباعي المزيد .

الإسم الرباعي المزيد بحرف واحد

جدول الألفاظ الرباعية المزيدة بحرف واحد ..

فِعْلال	فِعْليل	فُعُلّلة
غِرْبال ،	قِنْديل ،	سُكُرُّجة .

1 * فِعْلال

* غِرْبال : إسم آلة ، سماعي ، واللفظ من أصل آرامي (Arbolo) ..[1] وعند المقارنة بين الصيغتين ـ الأصلية والصيغة العربية ـ التي انتهى إليها بعد التعريب تظهر الفروق كبيرة ، من حيث الوزن والحروف ، والعامّة في الجزائر تنطقه بضمّ الغين : غُرْبال ، وكذلك في مصر .. [2] ، وجمعوا الغِرْبال على غَرابيل .

2 * فِعْليل

* قِنْديل : إسم آلة ، صيغته سماعية ، من فعل رباعي ، عند من يراه عربيا ، ويقال : إنّ أصله لاتيني (candila) ، وعند التعريب تغيّرت صيغة اللفظ الأعجمي إلى ما يناسب خصائص العربية ، من وزن (فَنْدِيلَة) إلى وزن (فِعْلِيل) ، وينطق في عامية الجزائر الحالية بكسر القاف حينا ، وبفتحه حينا آخر ، وقد ذكروا أنّهم يقولون : قَنْديل والصواب بالكسر قِنديل .[3]

3 * فُعُلّلة : من الصيغ النادرة الاستعمال في اللغة العربية ..

* سُكُرُّجة : إسم وعاء من أصل أعجمي ، اختلفوا فيه أهو فارسي الأصل ، أم آرامي . فالفارسي (سُكُرَه) ..[4] ، والآرامي (saqrougo) ..[5] ، وعند التعريب أخذ اللفظ صورا متعدّدة لصيغته هي : سُكُرُّجَة ، سُكُرَّجة ، سُكُرْجَة ، أُسْكُرْجَة .. وبهذا فسّرها الجواليقي في معجمه ..[6] ، وجمعوا سُكُرُّجَة على سَكارِج .

---

1) أنظر اللفظ في محلّه من الباب الأوّل .
2) أزاهير الفصحى : عباس أبو السعود ، ط/ دار المعارف بمصر 1970م ، ص 223
3) تثقيف اللسان وتلقيح الجنان .. 124/10 ، وأدب الكاتب .. ص 392 .
4) الألفاظ الفارسية المعرّبة .. ص 92
5) غرائب اللغة العربية .. ص 188
6) المعرّب من كلام الأعجمي .. ص 27 و 197 .

الإسم الخماسي : لا نجد في ألفاظنا المدروسة إسما خماسيا مجرّدا ، ، ولكنّنا نجد فيها خماسيا مزيدا . .

الإسم الخماسي المزيد بحرف واحد

جدول الألفاظ الخماسية المزيدة بحرف واحد . .

فَعْلَلِيلا

مَرْقَشِيثَا

أقصى ما يصل إليه الخماسي بالزيادة أن يصبح سداسيا . . (1) ، لا سباعيا ، وعليه فأنيا أعتقد أنّ ألف المدّ في آخر اللفظ هي علامة التأنيث ، وعند حذفها يكون اللفظ سداسيا ، والمعروف أنّ اللفظ معرّب ، وأنّه لحق بالوزن الرباعي الأصيل .

* مَرْقَشِيثَا : إسمٌ يدلّ على آلة من أصل آرامي ، وصيغته الأصلية (marqashita) ولم يطرأ عليه تغيير كبير أثناء التعريب ، فكلّ ما في الأمر إبدال الضمّة بفتحة في آخر الإسم ، ولم أجد للفظ جمعا مناسبا .

والخُلاصَة أنّه قد كَثُر في ألفاظنا من الأسماء ما كان على الوزن الثلاثي ، وقد ركّزنا في دراستنا على تحليله ، والاهتمام به أكثر من غيره ؛ وذلك لكثرته في العربية ، وتصرّف العرب فيه باعتباره أعدل الأصول ، وهو أقلّ ما يكون الكلام المتمكّن ، وبذا صارت ذوات الثلاثة أحقّ بالزيادة ، لأنّ الزيادة في الكلمة ضرب من تصريفها . . (2)

ثمّ يأتي الرباعي المزيد في الوسط ، وأخيرا يندُر الخماسي ندرة ملحوظة . ويمكن الملاحظة أنّ الأسماء تأتي على أوزان متفاوتة ، بين القلّة والكثرة حتّى تنعدم ، فمن الأوزان العربية ما جاءت عليها أسماء قليلة جدّا . ففي المزهر : " قال أبو علي : ليس في كلامهم إسم على (فَعَّل) إلاّ خمسة ، فذكر أربعة وزاد " شَلَّم " موضع بالشام ، وهو أعجمي " . . (3)

وقال ابن السّكّيت : " وليس في الكلام "مُفْعُول" مضموم الميم ، إلاّ مُغْرود ، ومُغْفُور ، ومُنْخُور للمنخر " . . (4)

وبعض الأوزان لا يستعمل مطلقا ، مثل " فِعُل " . . (5) ، ومنها ما تخصّص بالإسم ، أو بالفعل ، ومنها ما هو مشترك بينهما .

---

1) الممتع في التصريف .. 163/1
2) المصنف لابن جني .. 17/1
3) مزهر السيوطي .. 63/2
4) إصلاح المنطق .. ص 222
5) مزهر السيوطي .. 6/2

ورأيت بعض الأوزان تداخلت أوزانها ، فلم يميّز العلماء أهي ثلاثية أم رباعية . قالوا :- " عَنْكَبُوت " على وزن فَنْعَلوت ، وقيل : فَعْلَلوت .. (1)

وبعض الصيغ جاءت غريبة ، فأنكرها بعضهم ، قال الأزهري : " المصطار من أسماء الخمر التي اعتصرت من أبكار العنب حديثا بلغة أهل الشام ، قال : وأراه روميا لأنه لا يشبه أبنية كلام العرب " .. (2)

ومن الألفاظ المعرّبة ما وافق وزنه أوزان الألفاظ العربية الأصيلة ، فترك على حاله ، وأدمج في العربية بسهولة ، ومنها ما لم يوافق ، فأحدث فيه تغيير لتجنيسه . وبعض الألفاظ اندمج فغابت صورته الأصلية ، وصعب إرجاعه إلى أصله ، وبعضها يرجع بجهد قليل . قال الكرملي : " وفي كثرة أحرف الكلمة وتعديها السبعة ما يدلّ دلالة صريحة على عجمتها "(3).

وجمعوا اللفظ المعرّب جمعا يعرف به - غالبا - وزعم الخليل أنهم يلحقون جمعه " الهاء " إلّا قليلا ، مثل طَيْلَسان = طَيَالسه ، وجَوْرب = جَوَاربه ، وقالوا جَوَارِب .. (4)

والواقع أن أبنية كلام العجم لا يشبه دائما أبنية كلام العرب ، ولذا قال الكرملي : " .. يعرف الدخيل في لغتنا بكثرة حروفه ، وبأنه لا يمتّ إلى أصل عربي .. ولذا تكثر فيه اللغات أي اختلافات الكلمة الواحدة ، بأوجه شتّى ، هذا من باب الأغلبية " .. (5)

ومصداق قول الرجل ما رأيناه في بعض ألفاظنا المدروسة التي تعدّدت صورها عند التعريب ، مثل ألفاظ : إجّانة ، بُوبي ، خِوان ، زُبيل ، سُكُرّجة ، طَشْت ، هَاوُون .. (6)

وبهذا يصعب معرفة الأسماء المزيدة من المجرّدة فيما عرّب ، وعليه تكون أوزانها غير متناسقة ، كما هو الحال في الأسماء الأصلية في العربية . رغم المحاولات الجادّة لإلحاقها بالأوزان العربية ، وإنّما الإلحاق شبه وليس حقيقة . فالأوزان الأعجمية ليست على أبنية العرب .. (7)

ولاحظت أن أغلب ما جاء من هذه الألفاظ على أبنية سلسة سهلة ، وهي حيّة مستعملة ، إلّا قليلا ، مثل وزن فَعْلُول ، ومؤنّثه فَعْلولة ، وهي صيغة من القِلّة حتّى أن سيبويه لم يشر إليها في كتابه ، واستدركها عنه بعض الباحثين .. (8)

---

1) م . س .. 25/2

2) لسان العرب .. 126/6 ، و" واللهجات العربية " لإبراهيم أنيس . 271

3) نشوء اللغة العربية .. ص 15

4) الكتاب لسيبويه ، الطبعة الأولى بولاق 1316هـ ، ج 2 / 201

5) غرائب اللغة العربية .. ص 82

6) ينظر كل لفظ في محلّه في الباب الأول .

7) مزهر السيوطي .. 58/2

8) أبنية الصرف د / خديجة الحديثي .. 437

ويمكن التمييز بين أنواع الصيغ والأوزان ، ماكان منها مطّردا ، وما كان شاذّا ، ، اعتمادا على سلامة الذوق والملكة الشخصية . فيجب على من آنسوا في أنفسهم القدرة على تقصّي الأوزان المستعمل منها والمهمل ، ثمّ العمل على إحياء ما هو صالح ، ومناسب للألفاظ الجديدة ، ثمّ قياسا على ذلك يمكن التجديد في الصيغ خاصّة لإعطاء العربية مقدرة على التعبير على مقتضيات الحياة ، واحتواء آفاق الحضارة الجديدة .
كلّ ذلك مع احترام القياس الصرفي العربي ، والتقيّد بقوانينه الثابتة . وقد حاول علماء العربية المحدثون إحياء الأوزان القديمة ، وإحياء مدلولاتها . . (1)

والأمل معقود على غيرة الباحثين ممّن يرجون الخير لهذه اللغة المباركة وهم كثيرون ـ والحمد لله ـ وبالله التوفيق .

1) نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها : أنستاس الكرملي . . ص 113 و 114 .

الخاتمة

- الخلاصة
- كشف عام بالألفاظ المختارة
- المصطلحات الواردة في ثنايا البحث
- ثبت المصادر والمراجع

نعتقد نحن المسلمين أنّ خدمة العربية وتطويرها جزء من عقيدتنا السمحة، ولا يجوز للمؤمن أن يقرأ القرآن في غير لغته التي نزل بها . قال تعالى : " وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " .(1) ، وقال : " كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ " .(2)

ونعتقد جازمين أنّ كلّ العلوم اللغويّة العربية إنّما جاءت خدمة للقرآن، وتسهيلا لفهمه والعمل به . . وفي هذا الإطار نرجو أن يكون جهدنا تكملة لما قدّمه إخواننا في هذه الأمّة المجيدة ، من الخدمة النصوح لهذه اللغة الكريمة .

وقد كانت نيّتنا خالصة لإخراج عمل مفيد ، لذا تطلّب الأمر تفكيرا وتشاورا طويلا فاستغرق زمنا ، ثمّ فتح الله علينا ، وهو خير الفاتحين ، فاهتدينا إلى هذا العنوان ، وهو ميدان دراسة الألفاظ ، ذلك لاعتقادنا أنّ اللغة العربية في أمسّ الحاجة إلى مثل هذه الخدمات الجادّة في ميدان حسّاس مثل ميدان دراسة المفردات . وعلم المفردات - كما يبدو - يتوسّط الطريق بين دراسة الأصوات، ودراسة التراكيب، في علوم اللغة عامّة .

وربما اخترنا على دراسة مجموعة من المفردات المحدودة الخاصّة بجانب من جوانب الحضارة أخذناها من الوسط العربي ، من زمن الرقيّ الفكري والحضاري الإسلامي العربي ، في عهد شهد له التاريخ بالتفوّق ، وانتقيناها من مصدر وثيق الصلة بالحضارة وهو العراق ، في زمن ذهبي هو الخلافة العبّاسية ، لنستشفّ صورة المجتمع من خلال مفرداته . فالمفردات جزء مهمّ في كيان اللغة، واللغة ظاهرة اجتماعيّة . ثمّ العمل على مقارنة النتائج اللغوية بما وصل إليه حالنا من حيث اللغة، والاهتمام بها ، ومن ثمّ مساعدتها على الوقوف سويا على قدميها ، ومسايرة الركب الحضاري الإنساني .

وعند السير الحثيث في إنجاز هذا العمل المتواضع تراءى لنا الميدان فسيحا خصبا ثريا ، حتّى كدنا ننسى الانضباط ، ثمّ كبحنا الجموح ، واقتصرنا على مجموعة من المفردات المتخصّصة ، اعتقدنا بكفايتها ، وعملنا على تقسيمها وفق الحقول الدلالية التي وردت فيها ، واجتهدنا على أن تكون من صميم ألفاظ الحضارة ، كما وضّحناها في المقدّمة .

وكان عند العنوان وقوف طويل ، وفكر جهيد ، فألفاظ الحضارة العربية لا تحصى ، فكان لزاما علينا تحديد الهدف، ورسم الطريق المؤدّي إليه ، مع التركيز على ربح الجهد والوقت ، وفرضت علينا المنهجيّة ألّا ندرس إلّا بعض الألفاظ الحضارية العربية ، فلمّا اقتنعنا عملنا على اختيار جزء منها وثيق الصلة بالإنسان ، فكان " ما يتعلّق بالمنزل " أقرب إلينا ، ورأيناه أنسب لحاجة الإنسان

---

1) الشعراء ، الآيات : 192، 193، 194، 195 .
2) فصّلت ، الآية : 3 .

التحضر إلى الاستقرار والهدوء والأمن . ولا نرى ذلك يكون إلا في بيت سعيد .

وقسمنا مضمون الرسالة إلى بابين ، وفي كل باب ثلاثة فصول . فكان الباب الأول أكبر لما تضمنه من تحليل ، فقد كان فيه ما يتعلق بالمفردات من إحصاء ، وترتيب ، وتصنيف ، من حيث المعاني ، والعلاقة بينها ، واختلافها باختلاف عصورها ، والأمة الناطقة بها - إن كانت دخيلة - أو نطقها في لهجتها ، والعوامل التي طرأت فأثرت فيها ، والقوانين التي خضعت لها ، وما ترتب عنها من نتائج . . . الخ .

وفي الباب الثاني قسمت مجموعة المفردات نفسها إلى ثلاثة أنواع :-

أ) **الأصيل والدخيل** : حاولنا تعريف الأصيل ، وبينا مميزاته ، وأصل التسمية ، والنسب والأماكن التي يوجد فيها ، وتمييز الألفاظ الأصيلة بالمادة الاشتقاقية ، والصيغة العربية ، وقد يتشابه علينا لأن بعض الألفاظ مشترك بين مختلف اللغات ، وخاصة من العربية والساميات الأخرى .

ومع الدخيل وقفة أطول ، فقد عرفنا الدخيل الأعجمي ، وطرق تعريبه ، أو تجليسه ، كما يحلو لبعض الباحثين أن يسموه ، ومميزاته من حيث الصيغة والأصل ، والمعاني التي جاء بها ، وما قيل فيه من أقوال صائبة ومخطئة باختلاف الآراء والاتجاهات . وكان ثابتا لدينا صعوبة إرجاع كثير من الألفاظ إلى أصولها ، لأن التماس وقع بينها وبين الأصيل ، فقال بعضهم إنها عربية أصيلة ، وقال البعض الآخر : بل هي أعجمية . وطرف ثالث يراها مشتركة . وكان الحكم عندنا على هذا وذاك اعتمادا على البحوث الحديثة في علم اللغة والتاريخ والآثار .

ودعمنا بحثنا بجداول مرتبة ترتيبا علميا ، ففي الباب الأول كان مقياسنا يعتمد على حقول استعمال المفردات في المجال الاجتماعي والحاجة إليها . ورأينا أن للمنزل لدى الناس حاجة ماسة ، وفي المنزل أدوات وأواني متراوحة بين هذه وتلك . لذا بدأنا بالحقل الذي رأينا أحقيته في التقديم .

وفي تقسيم المفردات إلى حقول دلالية اتضح لنا تفاوتها في الأهمية ، وعلت ظروف وملابسات الأحوال عليها ، فوجدنا الأدوات المنزلية أكثر المفردات الحضارية في كتاب البخلاء الذي اعتمدناه مدونة لبحثنا . وكان الحظ الوافر إلى جانب ذكر أدوات الطبخ والأكل والشرب خاصة ، ذلك لأن الجاحظ اعتمد في نقد بخلائه على ظاهرة البخل بالطعام والشراب أكثر من اعتماده على غيرهما .

وعند تقسيم الألفاظ حسب أصولها وجدنا أغلب الألفاظ الحضارية دخيلة ، فمن بين الستين لفظا المدروسة وجدنا ستة وثلاثين منها ذات الأصل الأعجمي ومعربة . . (1)

1) انظر الجدول المخصص لذلك في الباب الثاني ، الفصل الأول . (الأصيل والدخيل)

وقسّمنا الألفاظ بناء على أصولها، فكانت مجموعات : ـــ

1) ألفاظ سامية دخلت العربية قادمة إليها من أخواتها، فاحتضنتها العربية بعد أن جعلتها مناسبة لوضعها، وأحوال نطقها. هذا التغيير غالبا ما يحدث، وبعض الألفاظ ترك على حاله دون تغيير، وكانت الآرامية أكثر حظّا من غيرها في حضن العربية، واحتكاكها بها، وفسّرنا كلّ ذلك تفسيرا موضوعيا حسب اعتقادنا.

2) ألفاظ غير سامية من لغات متعدّدة، مثل الفارسية واليونانية والرومية وغيرها.. كلّ ذلك بنسب متفاوتة، وأكثر هذه اللغات حظا هي الفارسية.. وفسّرنا الأسباب تفسيرا علميا حسب النتائج التي توصّلنا إليها بعد الدراسة والتمحيص.

ولم يَخْلُ المجال من الصراع بين العربية وما أحاط بها من لغات، وكان الصراع شديدا بين الفارسيّة والعربية خاصّة ـ وتلك سنّة الله في خلقه ـ فقد ثبت لدينا أنّ العربية قبل الإسلام كانت ضعيفة مستكينة، ولكنّها تحمل بذور الخير التي تنمو، وتعطي أكلها بعد حين، إذا ما توفّرت لها الظروف المناسبة، وكانت الفارسية قويّة عزيزة بقوّة أهلها وعزّتهم، لذا كانت العربية تأخذ من الفارسية ما تحتاج إليه من ألفاظ الحضارة التي تقتبسها من الفرس. وقد فسّرنا سبب وجود الدخيل في العربية قبل الإسلام. ثمّ كانت النهضة العربية الإسلامية، فاهتزّت العربية ونمت بنموّ أهلها الحضاري، وتحضّرت تبعا لهم، وتوسّعت لتحتضن الحضارة وتربّيها تربية صالحة، يشهد بها القاصي والداني.

واهتمّ الناس في جوانب الأرض المختلفة بتعلّم العربية والتفقّه فيها، بل وخدموها كما خدمتهم أوّل مرّة، ثمّ أخذوا منها ما أخذوا من نفائس، وأصبحت العربية معطاء بعد أن كانت آخذة، حتّى قيل: إنّ اللغة الفارسية تحتضن من العربية الآن جزءا ضخما هو شهادة بيّنة على ما كان من تأثر وتأثير متبادل. وما هذا بعيب في العربية، ولا في غيرها، لأنّ الأخذ والعطاء سمة من سمات اللغات الحيّة التي تحمل رسالة حضارية.

وأخذت العربية من لغات حيّة شتّى، بل ولا زالت تأخذ، فقد أخذنا في الماضي من اللغة اليونانية والرومية والحبشية وغيرها، واقتبست كلّ ما تحتاج إليه، ثمّ كوّنت لنفسها شخصية مستقلّة استطاعت بها أن تنفذ إلى أماكن العزّ الحصينة، بعد أن خرجت منتصرة من صراعها المرير مع المحيط الداخلي والخارجي، ممّا ترك أثرا عميقا يمكن ملامسته في كيان اللغة: في المفردات، والمعاني، والعادات، والتقاليد.

وأخذت اللغة العربية الصدارة في العلوم والحضارة عامّة، وأصبحت الدنيا تقيم لها وزنا، وتتسابق إلى خطبة ودّها، فأقبلت الأمم على تعلّم العربية وعلى اقتباس الحضارة التي ترعاها. ومن هنا وجدنا كثيرا من المفردات العربية تدخل المنظومات اللغوية العالمية، وقد دخلت معاجم هذه اللغات: باعتراف أهلها بأصالة هذه المفردات في العربية. وحدث أن انقلب الميزان

في العصور المتأخرة، فتصبح العربية محتاجة إلى غيرها، وتعود تلك المفردات راجعة إلى العربية، بعد أن هاجرت، فنستقبلها بصدر رحب على أنها مفردات جديدة، نحن في حاجة إليها. وقد ثبت لدينا في هذا البحث أن كثيرا من الألفاظ عاد إلى العربية بعد الهجرة الطويلة، وقد أصيب بتغيّر في الهيئة، أو تطوّر دلالي في المعنى.

وكان استنتاجنا أن الاقتراض اللغوي من العربية وإليها أمر طبيعي، وهو دليل على حيويّة العربية ومرونتها، كما أن حاجة العربية إلى المفردات الجديدة أمر حتمي يتبع مسار التطوّر الحضاري الذي عرفته الأمة الناطقة بهذه اللغة في العصر الحديث.

وانبرى أبناء الأمة في خدمة لغتهم، فاجتهدوا في البحث عن مصطلحات العلوم البحتة والعلوم الإنسانيّة، فكانوا يبحثون في تراثهم أولا على ألفاظ مناسبة، يعملون على بعثها، وتحويرها لتناسب الظروف الجديدة، أو يبتكرون ما يسدّ الحاجة، وفي الحالة القصوى يعمدون إلى ترجمة المصطلحات الحضاريّة، مع الحرص على احترام خصائص العربية.

ويندرج بحثنا ضمن المسعى الأول، وهو البحث عن كنوزنا اللغويّة المدفونة، واستخراج من المفردات الحضارية ما نحن في حاجة إليه، قبل الاتّجاه إلى المعين الأجنبي..

وأراه عملا جديدا لأنه يدلّ على اعتزاز العربي بأصالته، وحفاظه على معينه صافيا.. وقد عمدنا إلى إظهار هذه المفردات الحضاريّة، وفصل الأصيل منها عن الدخيل، وبيان نسبة كلّ منهما إلى الآخر، مع بيان رأينا في ذلك.

وفي نظرة معمّقة إلى الألفاظ المدروسة خرجنا بنتيجة مفادها أن بعض الألفاظ أصبح مهملا وبعضها الآخر لا يزال مستعملا، وبيّنا رأينا في ذلك مع شيء من الشرح والبسط.

أ) **المهمَل والمستعمَل**: ومع المهمل وقفة لشرح معنى الإهمال في مفهومنا، وأسباب ومواطنه، ودرجة الإهمال، وكان مقياسنا في ذلك المقارنة بين لغتنا المعاصرة الفصيحة منها والعاميّة.

وذكرنا بعض المصطلحات، فأطلقناها على بعض الظواهر اللغويّة العربية التي لم نجد لها ما يقابلها عند من رأينا من آثار الباحثين العرب في هذا الميدان.. من ذلك: اللفظ الخامل واللفظ النشيط، والألفاظ التاريخية ترجمنا كثيرا منها ترجمة مباشرة من اللغة الفرنسية، والواقع أننا وجدنا صعوبة جمّة في إيجاد المصطلحات المناسبة في العربية، فقد وقفنا وقفة تأمل طويلة عند ترجمة المصطلح الفرنسي (Les mots archaïques)، فلم نجد لها أحسن من ترجمتنا لها (الكلمات المسنّة القديمة)، مع الاعتراف بأن هذه الترجمة مجرّد اجتهاد شخصي، والله الموفّق.

أما المستعمل من الألفاظ فقد كان مقياسنا وجود اللفظ في المنظومة اللغويّة العربية الحالية بين الفصيح والعامي.. وعقدنا مقارنة لبعض الألفاظ فيما بينها، من حيث الاستعمال الفصيح

والعامّي ، فوجدنا بعض الألفاظ تستعمل في الفصحى دون العامّية ، وبعضها الآخر يستعمل في العامية دون الفصحى ، وثالث يستعمل فيهما معا ، مع اختلاف طفيف في النطق ، وأحيانا في الدلالة نفسها ، فهو في الفصحى يعني شيئا وفي العامية يعني شيئا آخر .

ووجدنا أنّ حياة الألفاظ تتوقّف على الاستعمال والتداول ، فكلّما استعمل اللّفظ نما واشتدّ عوده ، ثمّ بمرور الزمن يصبح هذا اللفظ مع كثرة الاستعمال مبتذلا يمجّه الذوق ، ممّا يدعو إلى استبداله بالجديد ، وهكذا يكون الاستعمال سببا في اختفاء اللفظ ، كما كان في الأوّل سببا في ظهوره . وتلك سنّة الله في خلقه .

وذكرنا طرق تكاثر الألفاظ ، فكانت الارتجال ، الاشتقاق ، النقل ، الاقتراض . وكلّها مهمّة في إثراء اللغة عامّة . وقد تميّزت العربية بالاشتقاق .

ووجدنا أنّ الألفاظ بالنظر إلى حياتها نوعان : ثابت وعابر . وكانت أغلبية الألفاظ المدروسة راسخة في الحضارة للحاجة إليها المتجدّدة ، واكتشفنا أنّ الألفاظ المهمل منها والمستعمل طبقات بعضها فوق بعض تتماوج في حركة دائمة ، منها ما يعلو ومنها ما يرسب .

///) أبنية الألفاظ : وقد ساعدت فصاحة اللفظ من حيث الوزن ومخارج الحروف وثبات مدلوله الحضاري على بقائه ، بل وعلى تطوّره أو تأخره في سلّم الاستعمال الاجتماعي له . وقد بيّنا في الفصل الثالث من الباب الثاني أوزان الألفاظ وصيغها ، واكتشفنا أنّ العرب عند نطقهم بالألفاظ يتوخّون السهولة والانسياب ، لذا كانوا يختارون الأوزان والصيغ السلسة ، مبتعدين عن كلّ وحشيّ . وعند التعريب يصوغون الألفاظ المعرّبة على أوزانهم ، متحمّلين عناء التغيير والتبديل ، فإن وافقت الألفاظ الدخيلة أوزانهم تركوها على حالها ، كما هي .

واستنتجنا أنّ الصيغ العربية جامدة ، أو بطيئة التغيّر والتطوّر ، فلا تكاد تلحظ ، وأنها محدودة العدد ، هذا إذا غضضنا الطرف عن أوزان الأسماء التي لا يضبطها ضابط . كما وجدنا علماء العربية لا يعيرون اهتماما بالغا لتطوّر الصيغ ودراسة مسارها ، فهم يرونها ثابتة أو هي في شبه ثبات ، لا تستحقّ منهم الالتفات الطويل . . ونحن نعتقد أنّ دراسة صيغ العربية وأوزانها تكشف لنا عن طبيعة اللغة العربية ، ومسار تطوّرها ، وعليه عقدنا فصلا متواضعا لنلفت انتباه الباحثين إلى وجوب الاهتمام بهذا الجانب ، ولم نعمّق البحث فيه ، فاكتفينا بما رأيناه مناسبا .

وأملنا أن يسخّر الله من الباحثين من ينبري إلى هذا الركام من الأوزان والصيغ العربية فينفض عنها غبار الإهمال ، ويخرج لنا عملا قيّما يساعد لغتنا على استعادة مكانتها المرموقة في تجديد وتوليد الألفاظ للمستجدّات الحضاريّة .

وقد أخذنا بالاستشهاد من القرآن الكريم، وهو النبع الذي لا ينضب، ومن الحديث النبويّ الشريف، ومن الأشعار العربية، والحكم، والأمثال، والألغاز، فكان العمل لغويّا، أدبيّا، فنيّا، وكانت الثمرة إلى اللغة أقرب.

وقد حاولنا جاهدين - رغم قلّة النماذج - في هذا الباب أن نستفيد من البحوث التي سبقتنا في دراسة الألفاظ، وأن تأتي بجديد يضاف إلى العمل المعجميّ العربي الذي لا يزال طريقه طويلا، ومحفوفا بالصعاب.

وكان رجاؤنا ولا يزال تحقيق نتيجة طيّبة الثمرات، ذلك رغم ندرة المراجع المتخصّصة، وقد بذلنا جهدا جهيدا طيلة سنوات قضيناها في المثابرة والمكابدة، وكانت عناية الله سبحانه وتعالى كبيرة، فقد أمدّنا بالعون منه، فله جزيل الشكر والعرفان.

ولا نعتقد أبدا أنّنا معصومون من الخطأ، لأنّ الكمال لله وحده، وحسبنا أنّنا اجتهدنا وأخلصنا النيّة في سبيل خدمة العربية، فإن أصبنا، فذاك توفيق من الله العليّ القدير، وإن أخطأنا فمن أنفسنا، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

كشاف عام

بالألفاظ المدروسة

(حسب الترتيب الأبجدي)

كما وردت في كتاب البخلاء.

ترتيب	اللفظ	السياقات	الشرح	المرجع ص / س
* 01	إِبْرة	: اربط ـ عافاك الله ـ بدل العود إبرة	أداة يخاط بها	18 / 19
* 02	إِجّانَة (د)	: فإذا غبت عن إجانة النور ..	إناء لغسل الثياب	11 / 44
* 03	بُرْمَة	: كنا في الشتاء نلقي له في البرمة شيئا	قدر من حجر.	15 / 1د
* 04	بِساط	: وبطّنوا البسط .	فراش يبسط للنوم ـ	13/104
	//	: جعلت فراشي البساط ..	//	04 / 130
* 5	بُوري (د)	: فبطّنوا البواري ..	حصير منسوج من قصب	12/104
* 6	تَنُّور (د)	: لا تنّور لك، ولا عيال عليك ..	بيت للنار يخبز فيه.	12/ 28
	//	: فهبه لمن له تنّور، وعليه عيال ..	//	12 / 28
	//	: ضع الجدي في التنّور ..	//	06 / 56
	//	: أعدّته إلى التنور ..	//	09 / 56
	//	: ثمّ لا ينصبون التنانير ..	//	18 / 83
	//	: وما كان من قطع الخزف فللتنانير الجدد ..	//	04/ 143
	//	: حتّى يجتمع قماشه ثمّ يعزل للتّنور ..	//	05 / 143
* 07	جِراب	: الجلد نفسه جراب ..	وعاء من جلد لحفظ المواد	17/ 33
* 08	جَرَّة (د)	: ولا تبريد الماء في الجرار الفخارية ..	إناء من خزف لحفظ السوائل	01/45
	//	: نظر إلى جرّة خضراء معلّقة ..	//	13/ 51
	//	: أيّ شيء في هذه الجرّة ؟ ..	//	13/ 51
	//	: لولا أنّ للجرّة ثمنا ما كسرتها إلّا على قبره ..	//	17/ 51
	//	: سمع صوت انقلاب جرّة من الدار الأخرى	//	15/ 81
	//	: والجرّة الراشحة ..	//	04/ 83
	//	: قطر حبّ، ورشح جرّة ..	//	05/ 83
	//	: ثمّ يصبّ عليها جرارا كثيرة ..	//	05/102
	//	: فما كان من الصحف فلرؤوس الجرار ..	//	18/143
	//	: إذا دخلت الخزانة، فانظر الجرّة الرابعة .	//	05/ 147
	//	: وجرّة مكسورة العروة ..	//	14/205
* 09	جُلّة	: وإذا عنده جلّة تمر ..	وعاء لحفظ التمر خاصّة.	11/113
* 10	جَام (د)	: ببقايا ما يفضل في الجامات ..	قدح من فضّة	05/120
	//	: جيئني بجام لبن، وطبق تمر .	//	14/123

	// : فأتونا بجام فيه بماخ سبخي ..	//	07/ 196
11 *	جُفْنَة(د): جفنة أعشار ..	القصعة الكبيرة .	15/ 205
	// : وتلقّوا ألبابها بالجفان ..	//	16/ 216
	// : وما قالوا في صفة قدورهم وجفانهم ..	//	11/ 223
	// : فلا تظنّنّ أنّ كلّ مايصفون به قدورهم وجفانهم ..	//	12/ 223
	// : تهنأ لثعلبة بن قيس جفنة ..	//	17/ 223
	// : في قدوربينهم وجفان ..	//	18/ 236
	// : أولاد جفنة حول قبر أبيهم ..	//	06/ 238
12 *	حُبّ(د): وإلى شراء الحبّ ..	جرّة كبيرة .	09/ 63
	// : اتّخاذ الحببة الناطرة ..	//	04/ 83
	// : قطر حبّ ، ورشح جرّة	//	06 / 83
	// : اذهبي ، فاطلبيه من ماء حبّكم ..	//	06/ 113
	// : وفرّغيها في حبّنا ..	//	06/ 113
	// : وماء الحبّ ..	//	05/ 121
	// : املأ حبّك من أوّل قطرة ..	//	02/ 190
	// : رأى حبًّا مقطوع الرأس ..	//	14/ 205
13 *	حَطَب : وأمّا الفرث واليمر فحطب إذا جفّف عجيب .	ماأعدّ من الشجر وقود للنار .	17/33
	// : حطب للوقود ..	//	02 / 64
	// : وتنقل عليه حوائجه وحوائجك حتّى الحطب ..	//	07/105
	// : ألقاه في الحطب ..	//	07/ 108
	// : ليوقد بها سائر الحطب ..	//	07/ 108
	// : فإذا حطبهم شرّ حطب ..	//	09/122
	// : حتّى لا يحتاج من الحطب إلى كثير ..	//	3/129
	// : قدحت ناري وجمعت حطبي ..	//	15/221
14 *	حصير : وبكّنوا الحصر ..	بساط منسوج من قصب وغيره .	13/104
	// : وبسطك الحصر في السكك ..	//	7/134
15 *	حَقِيبَة : ولوسكتوا أثنت عليك الحقائب ..	ما يضع فيه المسافر زاده .	6/206
	// : ولستبعدنّ حقيبتك التمر ..	//	06/234
16 *	خَابِيَة : إن سبأت لفتية زقًّا وخابية ..	جرّة ضخمة .	04/164
	// : وهبوا بالكناني المغنّي خابية فارغة ..	//	09/200

17 * خَزانة : إذا دخلت الخزانة فانظر الجرّة الرابعة . . وعاء لخزن المواد . 5/147

// : فيتفق أمواله، ويتلف خزائنه . . // 11/159

18 * خِوان : وونحن على خوان ليس عليه إلا ما ذكرت . . المائدة قبل وضع الطعام عليها . 19/23

// : فرأيته يقطر السمن على الخوان . . // 20/23

// : الخوان خوانه . . // 02/24

// : لأنه رآها غسلت خوانا له بماء حار . . // 03/24

// : ياغلام، هات خوان الطعام، وهو يريد خوان الثرد // 05/36

// : نحن إلى خوان الخبز أحوج . . // 06/36

// : رفع . . رغيفا من خوانه بيده . . // 02/54

// : على خوان فلان بن فلان . . // 06/54

// : والخوان من جزعة . . // 06/54

// : حسين تضع الخوان . . // 07/56

// : وهو على خوان المهلّب . . // 16/70

// : وكان أبونوا يرتع على خوان إسماعيل بن نو بيخت . . // 11/72

// : ورأوا الأرض خـوانه . . // 04/94

// : فإنّ الخبز إذ اكثر على الخوان الفاضل ممّا يأكلون لا يسلم من التلطيخ . . // 18/95

// : كان يستعمل على خوانه من الخدم والمكائد . . // 02/99

// : حتّى يقلعهم من مواضعهم من حول الخوان . . // 3/100

// : أقعد إبنه معه على الخوان — // 8/108

// : والناس لا يكادون يجمعون على الخوان الواحد بين الرؤوس واللحم . . // 1/112

// : لا يشرب الماء على الخوان . . // 18/117

// : قال الخوان : ويل لي ممّن قال لا أريد . . ! // 21/117

// : فلمّا وضعوا الخوان بين يديه . . // 06/120

// : قال له يوما وهو على خوانه . . // 09/141

// : وحين وضع الخوان . . // 12/147

// : وأكل عبد الرحمن بن أبي بكرة على خوان معاوية . . // 16/152

// : وسائر ماكان يظهر على خوانه . . // 11/195

// : وكان ثمامة يحتشم أن يقعد على خوانه من لا يأنس به . . // 06/198

// : تقابلا على خوان ثمامة . . // 02/199

19 * دنّ (ب) اصطبغ من دنّ خلّ وهو قائم . . وعاء للخمر وغيره . 2/138

20 * دبّة (ب) فأخذ دبّة وجعل فيها حصى . . إناء للزيت ونحوه . 7/153

// : فإذا قعقعت الدبة بالحصى نفر الفرس // 8/153

21 * زبيل : جلس وجاءت الخادمة ومعها زبيل . . ضرب من القفاف . 15/142

// : فعزلت بين يديه من الكساحة زبيلا . . // 15/142

22 * زقّ (د) أتت من البصرة هدايا فيها زقاق دبس . وعاء جلد للخمر ونحوه . 15/62

// : إن سبأت لفتية زقّا وخابية . . // 04/164

23 * سِرَاج (د) : أوليس قد كان البارحة عند إطفاء السراج أروى . . مصباح . 16/19

// : وربّما كان ذلك سببا لإطفاء السراج . . // 01/20

// : فانطفأ السراج . . // 8/150

// : فإنّه يصلح للسراج . . // 6/151

24 * سُكُرَّجة (د): وبقايا ما يفضل في الجامات والسكرّجات . . صحفة للطعام . 5/120

// : فنثروا عليها لبكة من دبس مقدار نصف أسيكرة . . // 6/128

25 * سِكّين (د) : قطع بالسكين من ترابيع الرغيف . . آلة للقطع والذبح . 4/57

// : وقطعوا بالسّكين . . // 2/68

// : بلغ السكين العظم . . // 14/210

26 * سَلّة (د) : جعلت فداك ، أيّ شيء في تلك السلّة ؟ . . وعاء كالقفة . . 2/179

27 * سَرير : فكان يجعل سريره في الشتاء من قصب مقشّر . . مكان مهيأ للنوم . 2/102

28 * صَندوق (د) : وغلّقت الأبواب ، واتّخذت الصناديق . . وعاء لحفظ المواد ونقلها . 1/91

* طَبَق (د) : اجعل الطبق واحدا . . إناء يطبخ أو يؤكل عليه . 5/19

// : أتى بذلك في طبق نظيف . . // 5/95

// : نحضّر هذه الزيادة من الخبز على طبق . . // 13/96

// : فجاءت بطبق ليس عليه إلا رغيف خبز قاحل . . // 6/120

// : جاءني بجام لبن وطبق تمر . . // 15/123

// : وضع طبق رطب يُسَاوي بالبصرة دانقين . . // 7/133

// : دعا أيضا أخوه بطبق رطب . . // 10/133

// : حدّثني عن وضعك أطباق الرطب . . // 6/134

// : وجاء غلام إلى خالد بن صفوان بطبق خوخ . . // 17/47

// : وكان لمدكّان لا يبسط إلا مقعده وطبقا يوضع بين يديه . . // 5/153

// : ليس من الأدب أن تجول يدك في الطبق . . // 18/136

// : فلم يلبث أن جاءنا بطبق عليه رطب .. // 15/197

30 * طَسْت (د) : إذا فرغ من غسل يده في الطست نفض يده . إناء من نحاس . 15/76

// : نفضه في طست فيه ماء .. // 5/108

// : كانوا يلقون النواة في الطست .. // 8/150

// : فكان يجلس في الطست .. // 5/191

31 * غربال (د) : فيديرها دورة الغربال ليجمع أبازيره .. آلة لنخل الحبوب ونحوها . 2/77

32 * غُمَر : ويكفي شربه الغمر .. القدح الصغير . 5/119

33 * قارُورَة (د) : صمائم لرؤوس القوارير .. إناء يحمل فيه الشراب والطيب ونحوه . 16/105

// : وإنما تخرجان جميعا من قارورة واحدة .. // 10/114

34 * قَدَح : لو كنت تغذيت لسقيتك خمسة أقداح .. إناء يشرب فيه . 5/17

// : لِمَ لا نشرب أقداحا على الريق ؟ .. // 5/100

// : وبقدح من من لبن الأوارك .. // 16/178

35 * قدّاحة : كنّا نلقى من الحرّاق والقدّاحة جهدا .. آلة توقد بها النار . 6/32

// : الحجر يأكله من حروف القدّاحة .. // 8/32

// : والقدّاحة الغليظة بالثمن المرجع .. // 9/32

36 * قِدْر (د) : ثم أرسله في خلّ القدر والتوابل .. إناء لطبخ الطعام . 3/23

// : ولأن القدر الواحدة أمكن .. // 8/23

// : يقدر كلّ واحد منهم على قدر .. // 9/23

// : فهي أسرع في القدر لقلّة ما يخالطها من دخان // 16/33

// : ذكرت أن عندي قدورا شامية جددا .. // 4/34

// : كان لا يرى الطبخ في القدور الشامية .. // 1/45

// : ولو أنا جعلته نبيذا احتجت إلى كراء القدور .. // 9/63

// : ومن أبزار للقدور .. // 1/63

// : فرأى قدرا صفراء ، وأخرى حمراء .. // 3/75

// : فكدّرها كلّها في قدر عظيمة .. // 4/75

// : النشال عنده : الذي يتناول من القدر .. // 2/76

// : وقبل أن تنزل القدر .. // 3/76

// : ثمّ يغمسه في رأس القدر .. // 4/76

// : والوحش ربّما أسقطت من ريح القدر الطيبة .. // 4/81

// : غرفة من كلّ قدر تطبخ للجبلي في بيته .. // 5/82

//	: ثمّ لا ينصبون التنانير، ولا يمكّنون للقدور .. //	18/83
//	: وكلّ قدر وكلّ شواء، إنّما هو شيء واحد .. //	9/107
//	: لا يتأتّى لما في القدر يطلبه .. //	7/119
//	: بشيء من رأس القدر .. //	3/122
//	: يكتري قدور الخمّارين التي تكون للنبيذ .. //	21/125
//	: إذا وجد القدور المختلفة الطعوم .. //	18/202
//	: كدّرها في قدر واحدة .. //	19/202
//	: لمن هذه القدور التي أرى ؟ .. //	5/223
//	: قدور رقاش إن تأمّل رائيا .. //	6/223
//	: متى باللحم عهد قدوركم ؟ .. //	7/223
//	: وممّا قالوا في صفة قدورهم وجفانهم .. //	12/223
//	: فلا تظنّنّ أنّ كلّ ما يصفون به قدورهم وجفانهم باطل .. //	13/223
//	: يذكر قدر سعيد بن العاص .. //	3/224
//	: لا تزال قدوره يحلّ على أرجائها ثمّ يرحل .. //	4/224
//	: وذكر في إحماده قدره .. //	13/224
//	: تدور عليهم والقدر تغلي .. //	1/225
//	: وقال الكميت في صفة القدر .. //	3/225
//	: ما ذكروا عن صفات القدور .. //	6/225
//	: ولي لنا قدرا ذراعين عرضها .. //	8/225
//	: وما هذه ؟ أخزى الله هذه قدرا .. //	9/225
//	: بوّأت قدري موضعها .. //	10/225
//	: بقدر كأنّ الليل سحمة قعرها .. //	12/225
//	: وقدر كحيزوم النعامة أحمشت .. //	15/225
//	: وقدر كجوف الليل أحمشت غليها .. //	3/226
//	: ولئن لم يكن فيه صفة القدر .. //	8/226
//	: وقالوا في مناقضات أشعارهم في القدور .. //	1/227
//	: قدر الرقاش لم تنقر بمنقار .. //	10/227
//	: مثل القدور، ولم تعقّر من قار .. //	10/227
//	: لكن قدر أبي حفص ... ربيبة آجام وأنهار .. //	11/227
//	: يذكر قدر الرقاشيّ بالهجاء .. //	12/227

//	: هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ..	//	17/227
//	: رأيت قدور الناس سودا على الصلى ..	//	2 /228
//	: وقدر الرقاشيين زهراء كالبدر ..	//	2/228
//	: ولو أن قدرا بكت على طول ماحبست ..	//	10/228
//	: من الحفوف بكت قدر ابن حمّار ..	//	10/228
//	: جلا في قدور بينهم وجفان ..	//	18/236
//	: وقدرك كالعذراء من دونها ستر ..	//	7/238
37 * قِرْبة	: وحملت معي قربة نبيذ ..	وعاء من الجلد للبّن والماء.	3 / 13
38 * قَصْعَة(د)	: وتحت القصعة رقاقه ..	جفنة الطعام الكبيرة.	11/54
//	: وبين يديك قصعة وأنت تأكل ..	//	4/73
//	: فمن أيّ شيء كانت القصعة ؟	//	4/73
//	: وقع في القصعة عظم ..	//	21/77
//	: يوافي إلى منزله من قصاع السكان ..	//	7/81
//	: ما رأيت قصعة قطّ رفعت من بين يديه ..	//	7/97
//	: حتّى أنّ القصعة لقد كانت ترفع ..	//	14/97
//	: شهّى إليهم الطعام، ونظّف لهم القصاع ..	//	7/126
//	: أمرت الجاريّة أن تضع في القصعة الذبابة ..	//	9/126
//	: فمدّ يده إلى القصعة ..	//	3/128
//	: فأتونا يوما بقصعة ضخمة فيها ثريدة ..	//	4/991
//	: قصعة مشعّبة ..	//	15/205
39 * قَطِيفة (د)	: هذه دراهم قد جمعت لي في ثمن قطيفة ..	دثار مخمّل.	6/53
40 * قَعْب	: وقعبك حاضر ..	القدح الغليظ الجافي.	15/137
41 * قُلّة (د)	: أتاه بقلّة على قدر الرّي ..	الجرّة العظيمة.	11/98
42 * قِنْدِيل (د)	: تتّخذ قنديلا ..	نوع من المصابيح.	01/21
//	: صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ..	//	7/21
//	: هذا من فضل حسن القنديل ..	//	15/21
//	: وجعلت قطنها للقناديل ..	//	13/105
43 * كَأس (د)	: وكأس شربت على لذّة ..	قدح مملوء شراب.	12/100
//	: ويشرب بكأس الذّل ..	//	01/176

المادة	الشاهد	المعنى	الموضع
44* كُوز (د)	فرآني أتوضّأ من كوز خزف ..	إناء كالإبريق للشراب والغسل .	6/17
//	: فتفسد علينا كوزنا بالملوحة ..	//	8/17
//	: جاءت جارية ومعها كوز فارغ ..	//	3/113
//	: فابعث إليّ بشربة منها من هذا الكوز .	//	5/113
//	: بعث بكوز فارغ ..	//	5/113
45* كُوب (د)	: يسمى إليه العبد بالكوز ..	//	15/232
46* كانون	: فتقوم في أجوافهم مقام فحم الكوك ..	موقد النار .	17/41
47* كِيس (د)	: ويلجأ إلى كِيس ..	وعاء حفظ النقود والجواهر .	3/160
//	: جعلت الخلف مالا يرجع في كِيسي	//	3/193
//	: دفع إلى خادم له كِيسا فيه ألف دينار ..	//	12/205
//	: ضع الكيس بين يديه ..	//	11/205
//	: ألا يضع الكيس بين يديه ..	//	16/205
48* مَجَشّة	: كلّف أكّاره أن يجشّه في مجشّة له ..	آلة لجشّ الحبوب .	6/129
49* مِخَدّة (د)	: ثمّ أخرجت ماكان فيها من الصحيح فجعلته مخادّا ..	وسادة خاصّة	12/105
//	: ثمّ جعلت ما دون خرق المخادّ للقلانس ..	//	13/105
//	: وليس في البيت إلّا مصلّى له ومرفقة ومخدّة ..	//	8/103
//	: فأخذ المخدّة فرمى بها إليّ ..	//	5/130
//	: وعندي فضل مخدّة ..	//	6/130
//	: سلّ المخدّة من تحت رأسي ..	//	8/130
//	: فلمّا صارت المخدّة في يدي نَسِيتُ ماجئت له ..	//	11/130
50* مِرْفَقة	: جعلت فراشي البساط ومرفقتي يدي ..	وسادة توضع تحت المرفق .	4/130
//	: وليس في البيت إلّا مصلّى له ومرفقة ومخدّة ..	//	5/130
51* مُزَمَّلة	: بلغني أنّ عندك مُزَمَّلة ..	خابية مهيّأة لتبريد الماء .	4/113
//	: ثمّ املئيها من ماء مزمّلتنا ..	//	6/113
52* مِسَلّة (د)	: اربط ... إبرة أو مسلّة صغيرة ..	إبرة كبيرة من حديد .	18/19
53* مَرْقَشِيثا (د)	: وكنت أشتري المرقشيثا بالغلاء .	حجر لقدح النار ..	9/32
54* مِصْبَاح	: وصبروا على الارتفاق بالمصباح ..	آلة للإضاءة .	11/18
//	: فكانوا إذا جاء المصباح شدّوا عينه بالمصباح ..	//	13/18
//	: إلى أن ينادوا ويطفئوا المصباح ..	//	14/18
//	: فكان المصباح إذا كاد ينطفئ أشعل من رأس الفتيلة ..	//	14/18
//	: فلا تحمى جوانبه بوهج المصباح ..	//	6/21

//	: صار المصباح والقنديل مصباحا واحدا ..	//	7/21
//	: وضعت مسرجةً فيها مصباح ..	//	14/02
//	: وأخرى لا مصباح فيها ..	//	14/22
//	: "كمشكاة فيها مصباح ، المصباح في زجاجة ".	//	11/21
//	: فما ارتفع من الدسم كان للمصباح ..	//	14/33
55*مقلى	: أعرني مقلاكم، فإنّي أحتاج إليه ..	آلة لقلي الطعام .	12/23
//	: قد كان لنا مقلى ، ولكنّه سُرِق ..	//	12/23
//	: نشيش اللحم في المقلى ..	//	13/23
//	: حديد المقلى يحترق ..	//	16/23
//	: والمقلى بعد الرّد من الطباهج أحسن ..	//	17/23
//	: أقترح نشيش مقلى ..	//	16/178
56*مِنْحاز	: الدّق في الهاون والمنحاز في الدار ..	مهراس لدقّ الأشياء .	10/84
//	: ولأنّ المنحاز الغليظ ليتعبه الدّق ..	//	14/116
57*منديل (د)	: فكانوا إذا جاء المصباح شدّوا عينه بالمنديل ..	نسيج يتمسّح به .	3/18
//	: حمل معه منديلا فيه جرذقتان وقطع لحم ..	//	13/24
//	: بسط بين يديه المنديل ..	//	17/24
//	: ويجيد (يديه) بالمنديل ..	//	17/76
//	: أتى بذلك في طبق نظيف ، عليه منديل نظيف ..	//	5/95
58*مَائدة (د)	: وإذا المائدة موضوعة بعد ..	الخوان عليه الطعام أو الطعام ذاته .	2/44
//	: دعي على مائدته ..	//	13/56
//	: ألّا يعود إلى مائدته أبدا ..	//	13/57
//	: يعمدون إلى الجرادق التي ترفع عن مائدته ..	//	2/57
//	: أجلسَ معاويةُ .. رجلًا على مائدته ..	//	07/70
//	: لا جلستُ لك على مائدة ما حييت ..	//	10/70
//	: لأنّ الخبز إذا كثر على الموائد ..	//	01/95
//	: ويكون قربه من بدنه كثرة على مائدته ..	//	14/96
//	: إنّما هو شيء من آيين الموائد الرفيعة ..	//	3/97
//	: لِمَ تَقُولُه لهذا الرجل على مائدتي ..؟	//	6/142
//	: فكانوا يجلسون حلقا ، وتوضع لهم الموائد ..	//	2, 151
//	: فقد رأيناه ينفق على مائدته ..	//	17/159
//	: ثمّ يؤتى بالمائدة ..	//	07/179

//	: فتجمع السمن والسمين على المائدة ؟	//	17/202
//	: آثربالجدوبالمائدة ..	//	3/216
59* هَاوُن (د)	: الدّق في الهاون والمنحاز .. آلة لدّق الأشياء ناعمة .		10/84
60* وَقُود	: فلم ير الناس وقودا قط .. مايوقد بها النار من حطب وغيره .		15/33
//	: وحسو الحارّ يغني عن الوقود ..	//	17/41
//	: الوَقُود يسوّد كلّ شيء ..	//	3/42
//	: حطب للوقود ..	//	2/64
//	: وقود وتسخين ..	//	7/83
//	: وكيف لا تطلبون شيئا يغنيكم عن دخان الوقود ..	//	14/103
//	: وما كان من قطع العظام فللوقود ..	//	3/143

بعض المصطلحات الهامة
الواردة في ثنايا البحث ..
.. وما يقابلها بالفرنسية ..

-=-=-=-=-=-=-=-

0

(أ)

1) إحصاء لفظي — statistique lexicale

2) ارتجال — improvisation

3) إسم آلة — nom d'instrument

4) إسم ثلاثي — nom trilitère

5) // رباعي — nom quadrilitère

-8- استقراء — induction

-9- استنباط — deduction

-10- اشتقاق — dérivation

-11- اشتراك — polysémie

-12- أحادي المعنى — monosémie

-13- أصيل — original

-14- أعجمي — emprunt

-15- اقتراض لغوي — emprunt liguistique

-16- أوزان — schèmes

(ب)

1) بِنْيَة — structeur

(ت)

1) تاريخي — diachronie

2) تحويل المعنى — transfer de sens

3) التحوّل الدلالي — mutabilité

4) ترادُف — synonymie

5) تردّد — fréquence

- 6 - اتّصال — communication

- 7 - تضادّ — antenymie

- 8 - توالد الألفاظ — génération des mots

(ج)

1) جذر كلمة (مادّة اشتقاقية) — radical lexème

(ح)

1) الحقيقة (المعنى الحقيقي) — sens propre

2) حقل دلالي — champ sémantique

(ط)

1) خـاصّ particulier

2) خـامل passif

(ل)

1) دلالة (المعنى) sinification

2) دالّ sinifiant

3) دلالة لفظ sémantème

4) دخيل interféreco

(س)

1) السامية المشتركة sémitique commun

2) سـريانية syriaque

3) سياق (قرينة) cotexte

(ص)

1) صيغة صرفية paradigme

2) صـيغ نادره formes rares

(ع)

1) العبريّة hebreu

2) علم الدلالة sémantique

4) علم الألفاظ lexicologie

4) عوامل التحوّل facteurs de mutabilité

(ف)

1) فقه اللغة العربية philologie arabe

(ق)

1) خلق الألفاظ créativité lexicale

(ك)

1) كلمات أجنبية mots étrangers

2) كلمات مهجورة mots archaïques

3) كلمات مهاجرة mots émigrés

(ل)

1) لهجة شمال الصحراء dialecte du nord sahraoui

(م)

1) مجاز مرسل _metonymie _synecdoque.

2) مدوّنة Corpus

3) مسطّرد contenu

4) مدلول signifie

5 - المعنى المجازي sens figuré

6 - المعنى العام sens général

7 - المولّد في اللغة néologisme

8 - المعنى الخاصّ sens particulier

(ن)

1) نشيط Actif

(هـ)

1) هِجْرَة الألفاظ émigration lexicale

2) هَجْر الكلمات desuètide

3) هيئة forme

(و)

1) وصف déscription

ثبت المصادر والمراجع

1) كتب لغويّة .
2) كتب أدبيّة .
3) موسوعات : أدبيّة ، تاريخيّة ، جغرافيّة .
4) دواوين شعريّة .
5) كتب إسلاميّة .
6) معاجم .
7) كتب أجنبيّة : فرنسية ومترجمة .
8) دوريّات .

1) كتب لغوية :-

أ) مصادر التراث

1) ابن جنّي : الخصائص . تح / محمد علي النجار ، ط/2 بدون ذكر المطبعة والتاريخ .

2) —//— : المنصف . ط/ مصطفى الحلبي مصر . ط/1 . 1954م .

3) ابن قتيبة : أدب الكاتب . تح / محمد الدالي ، ط/1 مؤسّسة الرسالة . 1952م .

4) ابن السكّيت : إصلاح المنطق . تح / أحمد محمد شاكر . دار المعارف بمصر 1956م .

5) ابن مكّي الصقلّي : تثقيف اللسان وتلقيح الجنان . تح / رمضان عبد التواب . ط/4 1964م .

6) ابن بركات الانباري : الإنصاف في مسائل الخلاف . تح / محمد محي الدين عبد الحميد . ط/ دار الفكر

7) ابن الأعرابي : كتاب البئر . تح / رمضان عبد التواب . الهيئة المصريّة العامّة للنشر 1970م .

8) ابن مالك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد . ط/ دار الكتاب العربي 1966م .

9) ابن عقيل : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك . دار إحياء التراث العربي بيروت . بدون تاريخ

10) ابن عصفور : الممتع في التصريف . تح / فخر الدين قباوة . ط/ الدار العربية للكتاب 1983م

11) ابن يعيش : شرح المفصّل . ط/ عالم الكتب بيروت ج / 6 . بدون تاريخ .

12) أبو الحسن الرماني : النكت في إعجاز القرآن . تح / محمد خلف الله . دار المعارف بمصر 1968م

13) أبو حاتم الرازي : الزينة في الألفاظ الإسلامية . تح / حسين بن فضل الله الهمذاني ط/1957م

14) أبو زيد الانصاري : النوادر في اللغة . دار الشروق ط/1 . 1981م .

15) أبو منصور الجواليقي : المعرّب من كلام الأعجمي . تح / أحمد محمد شاكر . ط/ طهران 1966م .

16) الخفاجي شهاب الدين : شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . ط/ القاهرة 1864 .

17) الزبيدي أبو بكر : لحن العوامّ . تح / رمضان عبد التواب . ط/4 1964م . دون ذكر المطبعة .

18) سيبويه : الكتاب . ط/1 . بولاق 1316هـ . ج/1 .

19) السيرافي : شرح أبيات سيبويه . تح / محمد علي سلطاني . دار المأمون 1979م . ج/1 .

20) السيوطي : المزهر في علوم اللغة . . ط/ المكتبة العصرية بيروت 1986م .

ب) كتب حديثة

21) آدي شير : الألفاظ الفارسية المعرّبة . المكتبة الكاثوليكيّة بيروت 1908م .

22) إبراهيم أنيس : دلالة الألفاظ . ط/ المكتبة الانجلو المصريّة 1984م .

23) —//— : في اللهجات العربية . ط/ 6 . المكتبة الانجلو المصرية . 1984م .

24) إبراهيم السامرّائي : فقه اللغة المقارن . ط/ دار العلم للملايين بيروت . 1978م .

25) إ . ولفنسون : تاريخ اللغات السامية . ط/ دار القلم بيروت . 1980م .

26) تمام حسان : اللغة بين المعيارية والوصفيّة . ط/ مكتبة الانجلو المصرية 1958م .

27) حلمي خليل : المولد في اللغة . ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب . 1970م .
28) حسن فهمي : المرجع في تعريب المصطلحات العلمية . . ط/ مكتبة النهضة المصرية 1961م .
29) خديجة الحديثي : أبنية الصرف عند سيبويه . ط/ 1 مكتبة النهضة بغداد 1965م .
30) زكريا مشال : الألسنية (علم اللغة الحديث) ط/ 2 . المؤسسة الجامعية بيروت 1985م .
31) صبحي الصالح : دراسات في فقه اللغة . دار السلم للملايين بيروت 1986م .
32) طوبيا العنيسي : تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية . ط/ مصر 1932م .
33) عبد العزيز مطر : علم اللغة وفقه اللغة : تحديد وتوضيح . . ط/ قطر . 1985م .
34) عبد الفتاح الصعيدي : الإفصاح في فقه اللغة . ط/ دار الفكر العربي . ط/ 2 بدون تاريخ .
35) عباس أبو السعود : أزاهير الفصحى . ط/ دار المعارف بمصر . 1970م .
36) عباس حسن : النحو الوافي . ط/ 7 . دار المعارف بمصر 1986م . ج 3
37) عدنان بن ذريل : اللغة والدلالة . (آراء ونظريات) . منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق 1981م .
38) علي عبد الواحد وافي : علم اللغة . ط/ نهضة مصر القاهرة ط/ 7 1972م .
39) — // — : فقه اللغة . ط/ نهضة مصر القاهرة . ط/ 8 . بدون تاريخ .
40) أنستاس الكرملي : نشوء اللغة العربية ونموها واكتهالها . ط/ المطبعة العصرية مصر . 1938م .
41) محمد الخضر حسين : دراسات في اللغة وتاريخها . ط/ 2 . المكتب الإسلامي دمشق 1960م .
42) محمد المبارك : فقه اللغة وخصائص العربية . ط/ دار الفكر بيروت . 1981م .
43) مصطفى الغلاييني : جامع الدروس العربية . المكتبة العصرية بيروت 1983م .
44) اليسوعي : غرائب اللغة العربية . ط/ دار المشرق بيروت . 1984م .
45) يعقوب بكر : نصوص في فقه اللغة . ط/ دار النهضة العربية بيروت 1971م . ج 1 .
46) رمضان عبد التواب : التطور اللغوي : مظاهره وعلله . ط/ 1 . مطبعة المدني . 1983م .

2) كتب أدبية : —

أ) مصادر وتراث : —

01) أبو علي القالي : الأمالي . نشر/ دار الآفاق الجديدة بيروت . بدون تاريخ .
02) — // — : ذيل الأمالي . نشر/ دار الآفاق الجديدة بيروت . بدون تاريخ .
03) أبو عبيد البكري : سمط اللآلئ في شرح أمالي القالي . لجنة التأليف والنشر والترجمة 1936م .
04) ابن قتيبة : الشعر والشعراء . تح/ أحمد محمد شاكر . ط/ دار المعارف بمصر . 1966م .
05) ابن قيم الجوزية : أخبار النساء . تح/ نزار رضا . دار مكتبة الحياة بيروت . 1982م .
06) ابن عبد ربه الأندلسي : العقد الفريد . دار الكتاب العربي بيروت . 1982م .
07) أبو الفرج الإصفهاني : الأغاني . دار الفكر للجميع بيروت . 1970م . ج 3 .

08) أبومنصور الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر . ط/ دار الفكر بيروت . 1973م .

09) الجاحظ : الحيوان . تح / فوزي العطوي دار صعب بيروت . بدون تاريخ .

10) —//— : البيان والتبيين . تح / عبد السلام هارون . . دون تاريخ .

11) —//— : البخلاء . تح / طه الحاجري . دار المعارف بمصر 1981م .

12) الحريري : مقامات الحريري . ط/ دار بيروت للطباعة والنشر . 1978م .

13) الزوزني : شرح المعلّقات السبع . ط/ دار الجيل بيروت . بدون تاريخ .

14) عبد الرحيم العبّاسي : معاهد التنصيص . تح / محمد محي الدين عبد الحميد . عالم الكتب 1947م .

15) الماوردي : أدب الدنيا والدين . ط/ 1984م .

16) المرتضي : أمالي المرتضي . تح / محمد أبو الفضل إبراهيم . دار الكتاب العربي بيروت 1967م .

17) المرزباني : الموشّح . تح / علي محمد البجاوي . دار نهضة مصر 1965م .

18) المعرّي : رسالة الغفران . تح / عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . 1977م .

19) الميداني : مجمع الأمثال . تح / محمد محي الدين عبد الحميد . السنة المحمّدية 1955م

20) النهشلي عبد الكريم اختيارات من الممتع . تح / ضجي الكعبي . الدار العربية للكتاب تونس . 1978م .

ب) كتب حديثة :—

21) أحمد الحملاوي : شذا العرف في فنّ الصّرف . ط/ 2 . دار القلم بيروت .

22) بدوي طبانة : دراسات في النقد الأدبي . ط/ 4 . مكتبة الانجلو المصرية القاهرة 1965م .

23) الرافعي : تاريخ آداب العرب . دار الكتاب العربي بيروت . 1974م . ج 1

24) زكي مبارك : جناية أحمد أمين على الأدب العربي . المكتبة العصريّة بيروت . بدون تاريخ .

25) ساطع الحصري : في اللغة والأدب وعلاقتهما بالقومية . مركز دراسات الوحدة العربية 1985م .

26) عبد الرحمان الشلقاني : رواية اللغة . ط/ دار المعارف بمصر . 1971م .

3) موسوعات : أدبية . تاريخيّة . جغرافيّة .

أ) مصادر التراث :—

1) ابن خلدون : المقدّمة . ط/ دار الكتاب اللبناني بيروت . 1967م .

2) ابن النديم : الفهرست . نشر/ دار المعرفة بيروت . 1978م .

3) السيوطي : تاريخ الخلفاء . تح / محمد محي الدين عبد الحميد . مطبعة السعادة 1952م .

4) المسعودي : مروج الذهب . ط/ 4 . دار الأندلس 1981م . ج 3

5) ياقوت الحموي : معجم البلدان . ط/ دار بيروت . 1979م .

ب) كتب حديثة :-

6) أحمد أمين : فجر الإسلام . ط/10 . دار الكتاب العربي بيروت . 1969م.
7) -//- : ضحى الإسلام . دار الكتاب العربي . بدون تاريخ .
8) أحمد فريد وجدي: دائرة معارف القرن العشرين . ط/ دار المعارف بمصر . ج 2 . بدون تاريخ .
9) أحمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسّرة . ط/ الدار القومية للطباعة والنشر مصر . بدون تاريخ .
10) جرجي زيدان : تاريخ التمدّن الإسلامي . مكتبة الحياة بيروت . بدون تاريخ .
11) المؤسسة العربية للدراسات : الموسوعة العسكرية . ط/ بيروت 1981م.
12) علي جواد : المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام . دار العلم للملايين بيروت 1978م. ج 8 .

4) دواوين شعرية :-

أ) التراث :-

1) ديوان : أبي نواس . ط/ دار بيروت للطباعة والنشر 1982م.
2) -//- : حسّان بن ثابت . ط/ دار بيروت للطباعة والنشر 1974م.
3) -//- : كعب بن زهير . ط/ دار القاموس الحديث بيروت 1968م.
4) -//- : النابغة الذبياني . تح/ الشيخ طاهر بن عاشور . الشركة التونسية 1976م .

ب) كتب حديثة :-

1) ديوان : إيليا أبي ماضي : الجداول . دار العلم للملايين بيروت 1975م.
2) -//- : -//- : الخمائل . دار العلم للملايين بيروت 1974م.

5) كتب إسلامية :-

أ) كتب التراث :-

01) القرآن الكريم .
02) ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري . ط/ بولاق . دون تاريخ .
03) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث . ط/ مصر 1326 هـ .
04) الآمدي : الإحكام في أصول الأحكام . مطبعة صبيح وأولاده بمصر . 1968م. ج 1
05) الذهبي : كتاب الكبائر . ط/ الجزائر . 1987م .
06) الراغب الإصفهاني : المفردات في غريب القرآن . تح/ محمد سعيد كيلاني . ط/ مصطفى الحلبي 1961م.
07) الزمخشري : الكشّاف عن حقائق التنزيل . ط/ طهران . دون تاريخ .

08) السيوطي : الإتقان في علوم القرآن . ط/عالم الكتب بيروت . دون تاريخ .
09) شهاب الدين الراعي : انتصار الفقير السالك . تح/محمد أبو الأجفان . دار الغرب الاسلامي 1981م .
10) الفراء : معاني القرآن . ط/2 . عالم الكتب بيروت . 1980م .
11) مالك بن أنس : الموطأ ، برواية يحي بن يحي الليثي . ط/دار النفائس . 1977م .
12) مسلم بن حجاج : صحيح مسلم بشرح النووي . دار إحياء التراث العربي بيروت . دون تاريخ .

ب) كتب حديثة :

13) صبحي الصالح : مباحث في علوم القرآن . ط/دار العلم للملايين بيروت 1981م .
14) عبد الرحمن الشرقاوي : أئمة الفقه التسعة . ط/ 1981م .

6) المعاجم :

أ) التراث :

01) الأزهري : تهذيب اللغة . ط/الدار المصرية للتأليف والترجمة . دون تاريخ .
02) ابن سيدة : المخصص . لجنة إحياء التراث العربي . دار الآفاق الجديدة بيروت . دون تاريخ .
03) ابن فارس : مقاييس اللغة . تح/عبد السلام محمد هارون . ط/القاهرة 1366 هـ .
04) ابن منظور : لسان العرب . ط/دار صادر بيروت . 1968م .
05) أبو منصور الثعالبي : فقه اللغة وسر العربية . دار مكتبة الحياة بيروت . دون تاريخ .
06) الجوهري : تاج اللغة وصحاح العربية . تح/أحمد عبد الغفور . دار العلم للملايين . ط/2 1979م .
07) الزمخشري : أساس البلاغة . ط/دار صادر بيروت . 1965م .
08) الفيروزأبادي : القاموس المحيط . ط/دار الفكر بيروت . دون تاريخ .

ب) كتب حديثة :

09) البستاني : محيط المحيط . ط/ بيروت . 1870م .
10) بلال الجنيدي : الشامل في علوم اللغة العربية ومصطلحاتها . دار العودة بيروت . 1981م .
11) حسن حسني فهمي : المرجع في تعريب المصطلحات العلمية . . دار مكتبة النهضة 1961م .
12) الشرتوني : أقرب الموارد . مطبعة مرسلي اليسوعية 1889م .
13) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . مطابع الشعب . 1378هـ .
14) مجمع اللغة العربية المصري : معجم ألفاظ الحضارة الحديثة ومصطلحات الفنون . ط/القاهرة 1980م .
15) معجم روسي - عربي . . ط/دار المعارف السوفياتية موسكو . 1964م .
16) المنهل . قاموس فرنسي - عربي . ط/ دار الآداب بيروت دار العلم للملايين 1985 م
17) Petit Robert/1 dict. franç. paris 1984 .
18) Dictionnaire de liguistique , édit. paris 1972 .

7) كـتـب أجنبيّـة

أ) مترجمـة : —

1) آدم متـز : الحضارة الإسلامية . تع / محمد عبد الهادي أبوريدة . دار الكتاب العربي بيروت ط/4 . 1967م.

2) ألكسيس كاريل : الإنسان ذلك المجهول . تع/ شفيق أسعد فريد . طبعة ؟

3) زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب . تع/ فؤاد حسين علي . مكتبة رحاب الجزائر . 1986م

4) ج . فندريس : اللغة . تع/ عبد الحميد الدواخلي . لجنة البيان العربي القاهرة . 1950م.

5) كارل بروكلمان : تاريخ الأدب العربي . تع/ عبد الحليم النجار . دار المعارف بمصر . 1974م . ج 2

6) هنري فليش : اللغة العربية الفصحى . . تع/ عبد الصبور شاهين . المطبعة الكاثوليكية بيروت . 1966م.

ب) بالفرنسيّـة : —   en français :

1) darmesteter : La vie des MOTS; dans leur signification ; édit . champ libre , 1979 .

2) Edward Sapir: Linguistique, trad. en français de jean élieboltanski et nicole soulé_susbielles. édit. minuit; paris 1968.

3) Georges mounin: La sémantique , coll. " clefs" 1975.

4) Luis guilbert : La créativité lzxicale ; coll. " langue et langage" édit. lib . larousse ; 1975 .

8) الـدّوريـات : —

1) مجلـة المورد ، المجلّد : 7 ، العـدد : 3 ، سنـة 1978م.

2) -//- العربي ، العدد : 163 ، سنة : 1972م.

3) -//- اللسانيّات ، ط/ معهد اللسانيات الجزائر ، العدد : 4 ، سنة 1973/ 74 .

4)- _ LANGAGE : revue trim. ; décembre 1974; NO : 36 (néologie et fonction du langage) par : ch . marcelles

فهـرس محتويـات الرسـالة

٤٢٠٣٧٥

؟ 0=-0=-0=-0=-0=-0=-0=-؟

(والحمد للّه أوّلا وآخرا)

يرجى تصحيح الأخطاء المطبعيّة التالية :

الخطأ	صوابه	المرجع ص / س
النا	النار	22 / 17
السيط	الوسيط	17 / الهامش
مـا	مـمّا	5 / 27
وتعتبر الألفاظ	وتعتبر المعاجم	1 / 34
ورود	وروده	11 / 34
أشدّ	اشدّ	22 / 42
وقدور	وقدر	22 / 43
يرى	ترى	6 / 44
بعود خلال	على طرف الظفر	14 / 44
اذا تنادوا	اذاما تنادوا	16 / 44
خلال	الظفر	18 / 44
القرّ	القرّ	21 / 44
تحزز	تحزز	22 / 44
بابدال	بإبدال	4 / 54
المواسسة	الموسّسة	55 / الهامش
يسمى	تسمى	20 / 53
اعامّا	أعامّا	20 / 53
أن السكين	لأنّ السكين	20 / 56
لأنشاه	لأنّها	5 / 57
لم	له	3 / 61
وبلاحظة	وبملاحظة	3 / 82
قد	قصد	1 / 91
ففي	فقال ابن عباس	1 / 91
شيئا	شيء	1 / 94
أقتح	القدح	21 / 94
تصفق	تصفق	13 / 103
نفسه	نفسها	1 / 105
ويق	ويقع	13 / 105
وواة	ورواية	7 / 103

الخطأ	صوابه	المرجع ص / س
وبلاحظة	وبملاحظة	9 / 126
ويعدّ	ويحدّ	13 / 126
أعشر	يطرأ	23 / 131
وتعبير	في تعبير	2 / 141
ابن ال	ابن السكيت	3 / 146
اعتارهما	اعتبارهما	16 / 153
العرش	بالعرش	10 / 153
النبراس	القناديل	15 / 153
على استعمال	عن استعمال	18 / 153
لأنّها	كأنّها	3 / 173
استعماله	استعمالها	3 / 175
المعرّب	في المعرّب	175 / الهامش
من الد	من الدخيل	2 / 175
من	عن	17 / 176
أينفيه	أو ينفيه	11 / 181
أدات	أدوات	13 / 182
إضافة : ولج 3 / 390، للهامش صفحة 185		
ليفزع	لتفزع	16 / 194
...	القدرة	23 / 199
الفرسية	الفارسية	216 / الهامش
بعض	بعض	19 / 225
الذي	التي	6 / 230
حاج	حام	1 / 238
يـ اقث	يافث	1 / 238
سلمن	سلطان	1 / 246
ابن دي	ابن جنّي	24 / 262
الوقيّة	الورقيّة	14 / 264
عسم	عن	7 / 266
معطفة	منعطفة	20 / 282
أوزان	أوزانا	22 / 293
الأوزان	الألفاظ	12 / 303
cotexte	contexte	12/325